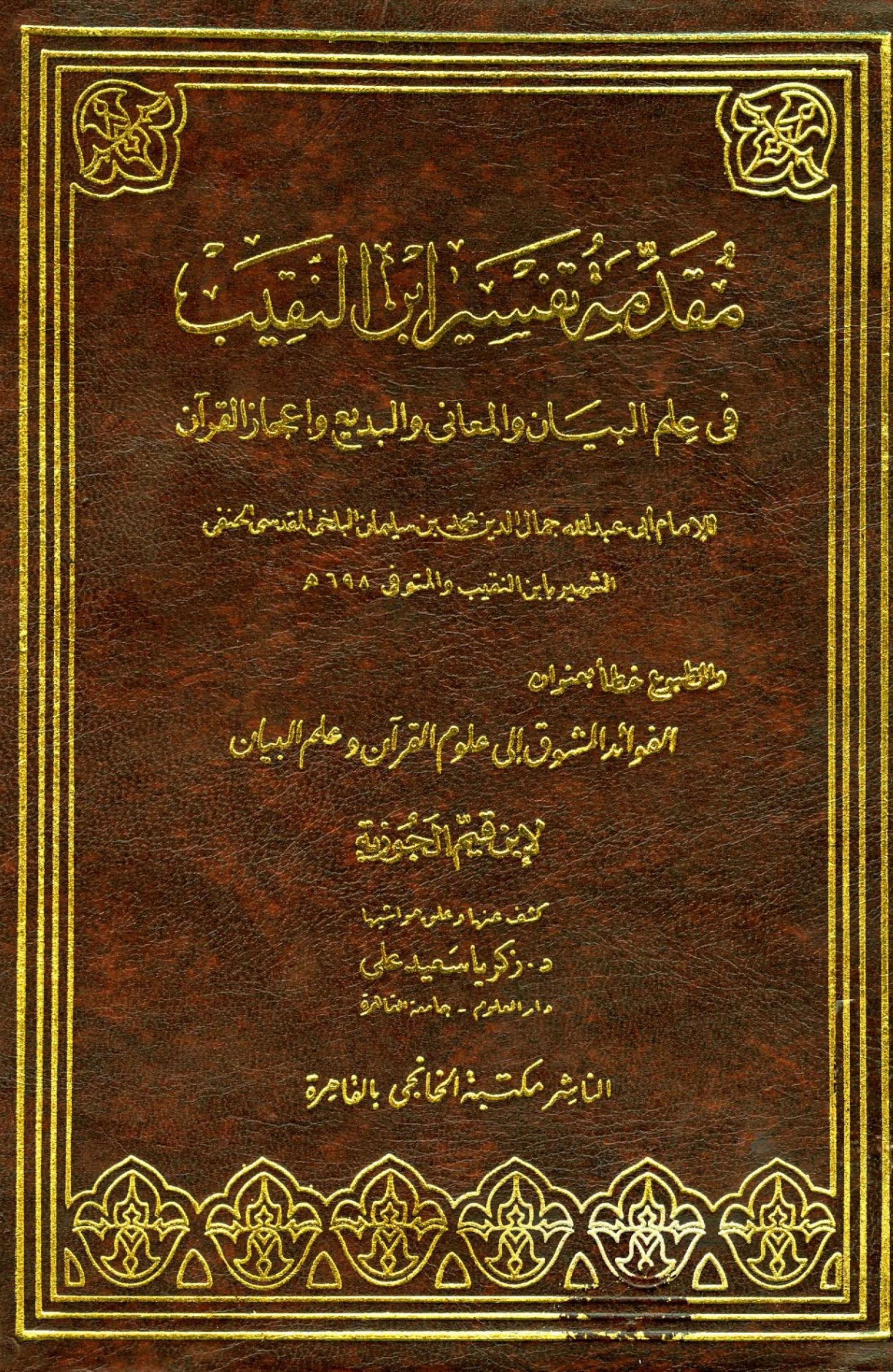


مقدمة تفسير ابن النقيب
في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن
للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي
الشهير بابن النقيب والمتوفى ٦٩٨ هـ
والمطبوع خطأ بعنوان
الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان
لابن قيم الجوزية
كشف عنها وعلق حواشيها
د. زكريا سعيد علي
دار العلوم - جامعة القاهرة
الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

مقدمة تفسير ابن النقيب

في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن

للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي
الشهير بابن النقيب والمتوفى ٦٩٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وعلى آله وسلم

الحمد لله الذى كشف عن قلوب أهل العلم ظلمات الجهل المُدْلَهِمَّةَ . وطهَّرها من أدناس الرَّين ، وأجناس الرَّيْب ، وملأها إيمانا وحكمةً . وأمدها بنور الإلهام وضياء الأفهام ، فعلمت علْمَه وأحكمت حكْمَه . وجلا عن بصائرها غشاوة الغباوة ، فلم يَرْهَقْها قَتَرٌ ولا ظلمة . وَخَصَّ هذه الأمة من ذلك بالقِسْم الأسنى والقِدْح الأعلَى ، فلذلك كانوا خير أمة . وفتح عليهم من حقائق العلوم وخوارق الفهوم ، مالا رقت إليه من سواهم همَّة ، ولا تحركت إليه من أحد سواهم عَزْمَة . فنظروا فى علوم الأوائل ، فحرروها ضوابط وقِسْمَة . وتفردوا بفنون وفضائلَ ، لم تَشَمَّ نَسَمَةٌ غيرهم منها طِيبَ نَسَمَة [1] . منها الفصاحةُ التى سلمت من الفضاحة والعُجْمَة ، والبيانُ الذى مسمّاه قد أوضحه وأبان اسمه [2] ، وعلمُ الأصول والفروع اللذان فيهما ضروب الحكمة . وبدائعُ علوم الكتاب والسنة اللذين هما مسقط كل رحمة ، ومهبطُ كل نعمة . إلى غير ذلك من اللطائف الغريبة ، وأوزانِ القريض الذى أجادوا نَظْمَه ، ورصفوا رَقْمَه ، وغرائبِ أساليب النثر الذى قَوّموا قِدْحَه وسدّدوا سهمه . فلذلك نصبهم الله هداة وجعلهم أيمة .

أحمده حمد من أكمل إحسانه لديه وأتمّه . وأشكره شكر من خصّه

---

(١) لفظة نسمة الأولى : بمعنى إنسان . والثانية : بمعنى النسيم ، وكلتاهم بفتح النون والسين . راجع القاموس المحيط مادة (نسم) .

(٢) قوله : (البيان الذى ..... اسمه) أشعر فيه بشىء من القلق .

بألطافه وعَمّه . وأصلى على نبيه الذى ضرب عليه سُرادِق الكفاية والعصمة وكسف به بدر [١] الجهالة وكشف به عَناكُلّ غَمّة . صلى الله عليه وعلى آله ٣ الليوث فى كل هَجْمة . والغيوث فى كل أزمة . ورضى عن أصحابه / الغُوث عند كل شدة واللامّة عند كل ملمة .

وبعد فإن الله تفضل على هذه الأمة أن جعلهم عدولاً خيارا . وجعلهم شهداء فى أرضه شهداء على الناس يوم ﴿ ترى الناس سكارى ﴾ [سورة الحج : ٢] . وبعث إليهم أقربهم إليه محبة وإيثارا . وأعظمهم لديه شرفا ومقدارا . وأنزل عليه كتابه المجيد . الذى ﴿ لا يأتيه الباطلُ مِنْ بين يديه ولا من خَلْفِهِ تنزيلٌ مِنْ حكيمٍ حميد ﴾ [سورة فصلت : ٤٢] . وحسبهم بذلك علوا وفخارا . وجعله نورا وصراطا مستقيما . وحث على تعلمه وعلمه ليعم بإحسانه ويؤتى من لدنه أجرا عظيما ، وأقامه حجة على من ضل ، ومحجة لمن اهتدى . وأودعه حكمة وموعظة وهدى ، ونصبه دليلاً على الحق لا يضعف ولا يهى . وسبيلا يصدر عنه كل رشد وإليه ينتهى . وطريقا تجلى بإسلاك نفائس الأعمال أهل سلوكها . وبرهانا واضحا يزجرهم عن خلل انحلال عقائدهم وشكوكها .

وأودعه من الإعجاز مالا يحصر بحصر حاصر ولا بعدّ عَادٍّ : من الأمر والنهى ، والوعد والوعيد ، والحكم والأمثال والمواعظ ، وقصص القرون السالفة كأصحاب الرس وقوم عاد . فكم فى لفظه من إيجاز يسفّه حِلْم من يقول بلفظه ! وكم فى معناه من (مَغْنًى) [٢] للجادّ فى حفظه ! أبدعت فى أنواع البديع كلماته . وأغربت فى أجناس التجنيس سوره وآياته . ورمت أربابَ الفصاحة

---

(١) أظن قوله (بدر) – هنا – لا يريد به القمر المكتمل ، فلم يعهد أن يشبه أحد الجهالة بالبدر . ولعل المناسب أن يكون معنى (بدر الجهالة) : طبق الجهالة . أو يكون معنى : كسف : قطع ، أو يكون (بدر) : بكسر الباء وفتح الدال ، جمع بَدْرة وهى جلد السَّخلة من أبناء المعز . راجع مادتى (كسف) و (بدر) فى القاموس .

(٢) مافى (ط) : مغنٍ . وما بين القوسين استظهرته من سياق أسلوب المؤلف و (مغنًى) : يحتمل أن يكون مصدرا بمعنى « غناء » أى كفاية ، أو يكون : بمعنى المكان أى منزلا يَغْنَى به نازلوه .

بالجمود والعِيِّ فصاحتُه وجزالته . وأخرست ألسنتَهم الذَّرِبَةَ فأعيتهم معارضته وإزالته . فأقروا له – بعد تسفيه أحلامهم وتقريعهم وتعجيزهم – بالحلاوة والطلاوة . وعلموا أنه ليس من كلام البشر ولكن غلبت عليهم الشقاوة . هذا مع أنهم لم يتدبروا أكثر معانيه . بل قالوا ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والْغَوْا فيه ﴾ [سورة فصلت : ٢٦] طلبوا الغلب وظنوا أنهم غالبون . وأوسعوا الطلب فولوا وهم خائبون ﴿ يُريدونَ لِيُطْفِئوا نُورَ اللهِ بأفواههم واللهُ متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ [سورة الصف : ٨] .

أنزله بلسان العرب ليكون حجة عليهم . ونسخ به جميع الكتب فكان إنزاله أشد نازلة لديهم . وجعل أعظمَ معجزاته دوامَ آياته متلوةً بالألسنة ، باقية [١] مع بقاء الأزمنة ، محفوظة فى الصدور ، منتقلةً فى المصاحف من لدن الرسول ، محروسةً من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان والذهول . قرآنًا لا يسأم منه تاليه مع تَكْرارِه وتواليه . ولا يَمَلُّه واعيه بل تتوفر على توقيره دواعيه . فى كل حين تظهر فيه من قضايا التنزيل ، وخفايا التأويل ، من نتائج أفكار الخلف غير / ما جادت به فِطَن السلف . كل حرف منه تتفجر به ينابيع من الحكمة . وكل كلمة تمطر منها سحائب الرضوان والرحمة . وكل آية تحتوى على بحار من الإعجاز زواخر . وكل سورة تكاد تنطق بعلوم الأوائل والأواخر . ٤

لم نجد له فى الكتب السالفة نظيرا . ولم تُمَدَّ إليه كفُّ معارض . منازلاً كان أو مُغيرًا . ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ [سورة الإسراء : ٨٨] . فما رام أحد معارضته إلا عرضت له عوارض العِيِّ واللَّكَن [٢] ، ولا قصد مباراته إلا

---

(١) فى (ط) متلوا .. باقيا . وما أثبتُّه ليستقيم السياق .

(٢) لَكِنَ : كَفرِحَ . لَكَنًا : بفتح اللام والكاف .. فهو ألكن : لا يقيم العربية لعجمة لسانه . والعِيّ عدم القدرة على الإبانة عما فى النفس .

رُمِى بهُجْر القول وإن كان من أرباب اللَّسَن . وعُوِّضَ من كلامه الفصيح باللفظ الركيك والمعنى القبيح . قام إعجازه بتعجيزهم . وتحققوا أنه ليس من تسجيعهم ولا ترجيزهم . وصرفهم الإباءُ عن ترك دين آبائهم إلى الدنيّة . وصرفتهم الحميّةُ حميّة الجاهلية . عجزوا عن الإتيان بسورة أو آية . وانتهوا من عنادهم فى التكذيب به إلى غاية . فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم وجعلهم لمن بعدهم آية . فهو الصراط المستقيم ، والذكر العظيم ، والكتاب الحكيم ، والنور المبين ، والحبل المتين ، والعروة الوثقى ، والآية العظمى ، وكلمات الله والذكرى ، والدرجة العليا ، وهو شفاء الغليل ، ودواء العليل ، والبرهان والدليل ، والبشير والنذير ، والبصائر والمثانى ، والقصص والتذكرة ، والأنباء والآيات المبصرة ، والحكم والبلاغ والتبصرة ، والبيان والتبيان ، والرحمة والبشرى والأمان ، والروح والحديث والتنزيل والميزان ، وحق اليقين والنبأ العظيم ، والمحفوظ والكتاب الكريم ، (والقول الفصل ، والهادى والناطق ، والحق والغيب ، والمكنون ، والقول الثقيل ، والحسرة ، والعجب ، والصحف المطهرة ، والكتب القيمة ، والخير ، والكتاب العزيز ، والكتاب لا ريب فيه ، والمحكم ، والمتشابه ، والعصمة ، والإمام) [١] والأنس عند الوحشة والفزع ، والأمن عند الخوف والجزع ، والضياء يوم الْقَتَر والظلمة ، والكشف يوم الكرب والغمة . من حكم به عدل ، ومن عدل عنه هوت قدمه فزل . ومن استعصم به عُصِم . ومن استمطر منه الرحمة رُحِم .

ولما كان جامعا لهذه المعانى المتفرقة ، محتويا على بدائع المبانى المشيَّدة والفنون المتأنّقة ، وضروبٍ من المقاصد الخفية والجلية ، وأنواع من خفايا أسرار العوالم العلوية والسفلية ، أنزله [٢] على خير رسول ، قلبُهُ منبعُ الحِكَم ، وسمعُه مقرُّ صريف القلم . وعقلُه / قد استوى على سُوقه واستتم . ولسانه عن الزلل والخطأ فى مَنَعَةٍ وعَصَمٍ ، وبصرُه وبصيرته عنهما [٣] ما اختفى هدى ولا اكتتم . فبلّغه ٥

---

(١) ما بين القوسين كذا فى (ط) وفى نفسى منه شىء لاختلال طريقة السجع التى التزمها المؤلف .

(٢) قوله (أنزله) جواب قوله (ولما كان جامعاً ...) .

(٣) الجار والمجرور متعلق بالفعل بعده ، وضمير التثنية (هما) يعود إلى البصر والبصيرة .

من التبليغ مرامه . وبيّن حلاله وحرامه . وعيّن فيه مراد الله من خلقه وأحكامه ، وعَرَّفَ فصَّهُ ونصَّه . وأظهر عامَّهُ وما خَصَّه . وأبدى ناسخه ومنسوخه ومحكمه . وفهم متشابهه ومبهمه . وجلا غوامضه وخفاياه . وأوضح قصصه وقضاياه . وأظهر عن أمثاله التى ليست لها أمثال . وأعلم بخفى إشاراته التى هى أدق من السحر الحلال وأرق من العذب الزلال ، وأنبأ بكنايته التى هى أجمل من التصريح . وصرح بحقيقته التى تسبق إليها الأذهان من غير تعريض ولا تلويح . وأوجز مجازه الذى بغير تدبر لا تجيزه العقول . ولو شاء لجعله هو والحقيقة سيّان . إلى غير ذلك من العلوم الظاهرة والفنون الباهرة . خلا ما تضمنه من العلوم الباطنة ، والمعانى التى هى إلى الآن فى كائمها كامنة . التى لم يُطْلِع الله عليها من خلقه أحدا ، والخفايا التى لم يظهر عليها ﴿ إلا من ارتضى من رسول فإنه يَسْلُكُ من بين يديه ومن خلفه رصدًا ﴾ [سورة الجن : ٢٧] فجزاه الله أحسن جزاء عنا . وبلّغه أفضل سلام منا . وصلى الله عليه وعلى آله ماطلع نجم وبدا . وما اخضَلّ نجم [١] برذاذ وندى . ورضى الله على أصحابه ليوث غابِه وغيوث سحابِه .

فكتاب [٢] الله تعالى أشرف ما صرفت إليه الهمم وأعظم ما جال فيه فكر ومُدَّبِهِ قلم . لأنه منبع كل علم وحِكْمَة . ومَرْبَعُ كل هدى ورحمة . وهو أجَلُّ ما تنسَّك به المتنسّكون . وأقوى ما تمسك به المتمسكون . من استمسك به فقد علقت يده بحبل متين . ومن سلك سبيله فقد سار على طريق قويم . وهدى إلى صراط مستقيم .

وقد أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة وأجناس البلاغة ، وأنواع الجزالة ، وفنون البيان وغوامض اللسان ، وحسن

---

(١) (نجم) : الأولى لما فى السماء ، والثانية بمعنى نبات الأرض .

(٢) كذا فى (ط) ولعل هنا سقطا .

الترتيب والتركيب ، وعجيب السرد ، وغريب الأسلوب ، وعذوبة المساغ ، وحسن البلاغ ، وبهجة الرونق ، وطلاوة المنطق ، ما أذهل عقول العقلاء وأخرس ألسنة الفضلاء ، وألغى بلاغة البلغاء من العَذَب [١] .

وطاشت به حلومهم وتلاشت دونه علومهم ، وكلّت ألسنتهم الذرِبة ، وأقصرت خطبهم المسهبة ، وقصائدهم المغربة ، وأراجيزهم المُعْرِبة ، وأسجاعهم / المطرِبة ، فعلموا أن معارضته مما ليس فى مقدورهم ولا وسعهم ، ولا داخلا فى تقصيدهم [٢] ولاسجعهم . وأن ذلك مسلوب ومصروف عن مفردهم وجمعهم . وتركوا الطعن فيه عند تقصيد [٢] رماحهم . وأذعنوا للاستماع له والعجز عنه بعد تأبيهم وجماحهم . مع قدْحِه فى أربابهم ، وفَدْحِهِ [٣] لألبابهم وتسفيهه لأحلامهم ، وتبطيله لأنصابهم وأزلامهم . فأمسك ذوو الأحلام منهم عن اللغو فيه والاعتدا ، وأقبلوا على تدبره فهدى الله به من هدى . ولم يُقِم على الطعن فيه وترك التدبر لمعانيه ، إلا من غلبت عليه الشقاوة . وختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة – فانتدبوه [٤] لمعارضته ومباراته ومماثلته ومجاراته – فأوقعه غَيُّهُ فى عِيِّه وَلَكَنهِ ، وسقط فى سقطات لسانه بعد بلاغته ولَسَنِه . وصار بعد أن كان فارسَ الفصاحة والبيان ومالك قصبات السبق فى الرهان يضحك من لفظه من سمعه ، ويحط من قدره من رفعه ، وذهبت من لفظه تلك الجزالة ، وأعظم الله من ضروب الجزاء والخزية الجزاءَ له . كل ذلك ليظهر لنا عظم قدر كلامه العظيم وأى رونق وبهجة للمحدث إذا قرن بالقديم ! فمن جحد منهم إنما فعل ذلك عنادا وحسدًا لإبائه أن يقدم عليه أحدًا .

٦

---

(١) عَذَبَةُ اللسان ، طرفه الدقيق .. وعَذَبَةُ كلّ شىء طرفه . والجمع عَذَب .

(٢) قصَّد الشاعر وأقصَد : أطال وواصل عمل القصائد ، وتَقَصدت الرماح : تكسرت ، وقد انقصد الرمح : انكسر بنصفين حتى يبين . (انظر اللسان – قصد) . وأنا فى شك من صحة استعمال المصدر (تقصيد) – هنا – مع الرماح .

(٣) فَدَحَهُ الأمرُ والحملُ فدحاً : أثقله فهو فادح . (انظر اللسان – فدح) ، وعليه فالمصدر (فَدْح) من فعل متعد بنفسه ؛ فليست هناك حاجة لحرف الجر فى قوله (فدحه لألبابهم) .

(٤) ط : (فانتدبوا) ، وما أثبتُّ ليستقيم السياق .

روى أن أبا جهل بن هشام هو والأخنس بن قيس والوليد بن المغيرة اجتمعوا ليلة يسمعون القرآن من رسول الله ﷺ وهو يصلى فى بيته إلى أن أصبحوا فلما انصرفوا جمعتهم الطريق فتلاوموا على ذلك وقالوا : إنه إذا رآكم سفهاؤكم تفعلون ذلك فعلوه واستمعوا إلى ما يقوله ، واستمالهم وآمنوا به . فلما كان فى الليلة الثانية عادوا وأخذ كل منهم موضعه ، فلما أصبحوا جمعتهم الطريق ، فاشتد نكيرهم وتعاهدوا وتحالفوا أن لا يعودوا فلما تعالى النهار جاء الوليد بن المغيرة إلى الأخنس بن قيس فقال ما تقول فيما سمعت من محمد فقال : ماذا أقول ! قال بنو عبد المطلب ، فينا الحجابة ، قلنا : نعم ، قالوا : فينا السدانة ، قلنا : نعم ، قالوا فينا السِّقاية قلنا نعم ، يقولون فينا نبيّ ينزل عليه الوحى والله لا آمنت به أبداً !

وروى أن الوليد بن المغيرة سمع من النبى ﷺ ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ الآية [سورة النحل : ٩٠] فقال : والله إن له حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمُغْدِق [1] ، وإنْ أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر .

٧ وقال أيضا لما اجتمعت قريش عند / حضور الموسم : إن وفود العرب تَرِدُ فَأَجْمِعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا : نقول كاهن . قال : والله ما هو بكاهن . ولا هو بزَمْزَمَتِه ولا سجعه . قالوا : مجنون . قال : ماهو بمجنون ولا بخَنِقِه [2] ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر . فقال : ماهو شاعر . قد عرفنا الشعر كله رَجَزَه وهَزَجَهُ وقريضه ومبسوطه ومقبوضه . قالوا فنقول ساحر . قال : ماهو بساحر ولا نفثِه ولا عقده . قالوا : فما نقول ؟ قال : ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه لا يصدق . وإن أقرب القول أنه ساحر ، وأنه سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجته والمرء وعشيرته . فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فأنزل الله تعالى فى الوليد ﴿ ذرنى ومن خلقت وحيدا ﴾ الآيات [سورة المدثر : ١١ - ٢٥] .

---

(١) أغدق : أى صارت له عذوق وشعب وقيل بمعنى : أزهر . انظر اللسان مادة عذق .

(٢) قال فى القاموس : خَنَقَهُ ، خَنِقًا ، ككَتِفٍ .

وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب ، فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم البيان ونظر فى أشعار العرب ، وخطبها ومقاولاتها فى مواطن افتخارها ، ورسائلها وأراجيزها ، وأسجاعها ، فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله ، وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس التجنيس وبدائع البديع ، ومحاسن الحكم والأمثال . فإذا علم ذلك ونظر فى هذا الكتاب العزيز ، ورأى [١] ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان ، فقد أوتى فيه العجب العجاب ، والقول الفصل اللباب ، والبلاغة الناصعة التى تحير الألباب ، وتغلق دونها الأبواب . فكان خطابُه للعرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم ، ومجاراتُه لهم فى ميدان الفصاحة ليسبل رداء عجزهم عليهم ، ويثبتَ أنه ليس من خطابهم لديهم ، فعجزت عن مجاراته فصحاؤهم ، وكَلَّت عن النطق بمثله ألسنة بلغائهم ، وبرز فى رونق الجمال والجلال فى أعدل ميزان من المناسبة والاعتدال ؛ ولذلك يقع فى النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة ، والنفوسَ خشيةً ، وتستلذه الأسماع ، وتميل إليه بالحنين الطباع ، سواء كانت فاهمةً لمعانيه أو غير فاهمة ، عالمةً بما يحتويه أو غيرَ عالمة ، كافرة بما جاء به أو مؤمنة .

وسنورد فى كتابنا هذا أصولا مؤصلة ، وفوائد مفصلة من علم البيان وماورد نظيره فى القرآن ما تقف عليه ويعجبك عند النظر إليه .

قال المصنف رضى الله عنه : وهذه الجملةُ التى تأصلت وتحصلت ، والفوائدُ التى بعد إجمالها فُصِّلت نقلتها من كتب ذوى الإتقان ، علماء علم البيان التى وقفت عليها ، وترقَّت هِمَّة / اطلاعى إليها ، من كتب المتقدمين والمتأخرين . وهى : كتاب البديع لابن المعتز [٢] ، وكتاب الحالى والعاطل ٨

---

(١) كذ فى (ط) : (ورأى) . ولعل الصواب (رأى) بدون الواو حتى يمكن جعلها جوابا لشرط إذا فى قوله (فإذا علم ذلك ...) ، وإلا صار الكلام مبتورا .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بن المتوكل بن المعتصم سمع ثعلبا والمبرد وتولى الخلافة يوما واحدا وليلة وقتل عام ٢٩٦ هـ . وكتابه « البديع » مطبوع ، ولعل أجود طبعاته التى نشرها كراتشقوفسكى عضو أكاديمية العلوم بليننغراد والمتوفى ١٩٥١ م ، وعليها اعتمادى هنا .

للحاتمي [١] وكتاب المحاضرة [٢] له ، وكتاب الصناعتين للعسكري [٣] ، وكتاب اللُّمَع للعَجَمِيّ [٤] ، وكتاب المثل السائر لابن الأثير [٥] ، وكتاب

---

(١) هذا الكتاب مفقود وقد ذكره ابن منقذ من مصادره (بديع ابن منقذ / ٨) . ويبدو أنه كان نادرا حتي بين العلماء من قديم ، فقد ذكر ابن أبي الأصبع أنه لم يعترف بوقوفه على هذا الكتاب - قبله - إلا ابن منقذ (انظر تحرير التحبير ٨٨ وبديع القرآن : ٤) . والحاتمي : هو أبو على محمد ابن الحسن بن المظفر . ولد ببغداد نحو سنة ٣٢٠ هـ . وتوفى بها ٣٨٨ هـ ، وكان من شيوخه الأصفهانى صاحب الأغانى ، وأبو عمر الزاهد غلام ثعلب .

(٢) - هو كتاب « حلية المحاضرة فى صناعة الشعر ، طبع ببغداد ١٩٧٩ م ، بتحقيق الدكتور جعفر الكتانى فى جزءين وقد عنّانى البحث عنه في دور الكتب العامة والخاصة - عندنا - فى القاهرة و لم أفلح إلا فى الحصول على الجزء الثانى منه . وهدانى الله إلى أن فى مكتبة جامعة القاهرة - ركن الرسائل العلمية نسخة منه برقم ٧١٥ - دكتوراه سنة ١٩٧٩ مكتوبة على الآلة الكاتبة حيث حصل بها الدكتور الكتانى على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة . وعليها اعتمادى فيما يخص موضوعات الجزء الأول . وعند الإحالة إليها سأذكر رقم الفقرة فقط لا الصفحة ، وقد رأيت فى حوليات الجامعة التونسية (العدد الثامن - ١٩٧١ م) أن الدكتور الكتانى قد حقق حلية المحاضرة فى نطاق أطروحة المرحلة الثالثة وقدمها بباريس فى ١٩٦٩/٩/٢٩ وأنّ لها مقدمة بالفرنسية وتحمل رقم (٨٦) بمكتبة معهد الدراسات الإسلامية هناك . وأخبرنى بعض أهل العلم أنه صدرت نشرة أخرى لحلية المحاضرة بالعراق أيضا قبل هذه النشرة وأنها غير كاملة والله أعلم بالحال .

(٣) - كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر لأبى هلال الحسن بن عبد الله العسكرى ، طبع بالأستانة ١٣٢٠ هـ / ١٩٢٠ ونشره على البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم فى القاهرة ١٩٥٢ ، وطبعاه الطبعة الثانية بالقاهرة ١٩٧١ م . وعلى هذه الطبعة اعتمادى . و « العسكرى » نسبة إلى « عسكر مكرم » بالأهواز من بلاد فارس . درس ببغداد والبصرة وأصفهان واشتغل بتجارة الثياب . وتوفى بعد عام ٣٩٥ هـ ..

(٤) - هذا الكتاب ذكره ابن منقذ المتوفى ٥٨٤ هـ من مصادره . انظر (بديع ابن منقذ : ٨) ولعل هذا الكتاب هو ما ذكره الحاج خليفة باسم (لمع الصناعة) ونسبه للأردستانى محمد بن أحمد المتوفى ٤٢٤ هـ (كشف الظنون ٢ / ١٥٦٢) . وكتاب الأردستانى - هذا - ذكره أبو طاهر البغدادى المتوفى ٥١٧ هـ فى كتابه « قانون البلاغة فى نقد النثر والشعر » ونقل عنه وسماه : « لمع صناعة الشعر » (انظر قانون البلاغة : ٨١) . وذكره أيضاً صفى الدين الحلى المتوفى (٧٥٠ هـ) من مصادره فى تأليف شرح بديعيته (انظر شرح الكافية البديعية للحلى : ٣٥٤) . وقد ذكر كحالة فى معجم المؤلفين « الأردستانى » وذكر أنه من أهل القرن السادس الهجرى وذكر كتابه باسم « صناعة الشعر » (انظر معجم المؤلفين ٢٢٩/٨) ، ونقل ذلك عن أحد كتب تراجم الشيعة . وقد راجعت ماتيسر لى من كتب تراجم علماء الشيعة فوجدت الإشارة إليه مقتضبة . قال الأعلمى فى دائرة معارفه : (محمد بن أحمد الأردستانى أبو عبد الله صاحب كتاب صناعة الشعر إمامى ثقة) . دائرة معارف الأعلمى ١٤٣/٢٦) . وانظر (أمل الآمل لمحمد بن الحسن الحرعاملى القسم الثانى صـ ٢٣٥ ، وتنقيح المقال فى علم الرجال للمامقانى - المجلد الثانى - الترجمة ١٠٢٩٦ ، وجامع الرواة للأردبيلى ١٥٨/٢ - ترجمة ٤٤٨ . وانظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٨٩/١٥) . وكل ما فيها لا يزيد على ذكر اسمه واسم الكتاب وأنه فاضل متبحر .

(٥) - هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزرى الملقب بضياء الدين وزير =

الجامع الكبير لابن الأثير أيضا [١] ، وكتاب البديع لأسامة بن منقذ [٢] (وكتاب العمدة للزَّنْجَانى ، وكتاب نظم القرآن له أيضا) [٣] ، وكتاب نهاية التأميل فى كشف أسرار التنزيل لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصارى [٤] ،

= الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبى . الكاتب الناثر صاحب التصانيف البديعة ، ولد بجزيرة ابن عمر قرب الموصل ، وتوفى ببغداد سنة سبع وثلاثين وستمائة (٦٣٧ هـ) وكتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر طبع عدة طبعات آخرها طبعة الدكتور الحوفى والدكتور طبانه ، وعليها اعتمادى هنا .

(١) كتاب الجامع الكبير فى صناعة المنظوم والمنثور ، نشره الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد عن المجمع العلمى العراقى ١٣٥٧ هـ - ١٩٥٦ م .

(٢) هو مجد الدين مؤيد الدولة بن أسامة بن مرشد بن منقذ أبو المظفر الشَّيْزَرِىّ - نسبة إلى قلعة شيزر ببلاد الشام - توفى سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وكتابه نشره الدكتور أحمد بدوى والدكتور حامد عبد المجيد عام ١٩٦٠ ، بالقاهرة ، ونشر أخيرا نشرة محققة جيدة ببيروت . وقد وقعت إلىّ - للأسف - بعد مراجعة هذا العمل على طبعة القاهرة وسترد إليها الإشارة في بعض تعليقاتي .

(٣) ما بين القوسين كذا فى (ط) ولاشك أن هنا تحريفا وسقطا لحق عبارة المؤلف وقد جهدت في البحث عن كتاب باسم العمدة للزنجانى وكتاب آخر بعنوان نظم القرآن له فلم أجد ، وقد استظهرت من دراسة مصادر مقدمة الشيخ ابن النقيب التى معنا - أن يكون صواب العبارة :

(وكتاب العمدة لابن رشيق القيروانى ، والمعيار للزنجانى ...) .

استظهرت ذلك من المواضع التي نقل فيها عن الزنجانى ، وقد راجعتها على كتاب معيار النظار فى علوم الأشعار للزنجانى فتطابقا فعلمت أنه يريد كتاب المعيار .

وأما كتاب « نظم القرآن » فلم أجد فى كتب التراجم من نسب إلى الزنجانى صاحب المعيار كتابا بهذا الاسم . ولا أشك أن عبارة الشيخ لحقها شىء من التحريف والسقط حيث لم يرد - هنا - اسم كتاب هام اعتمد عليه المؤلف وهو كتاب « نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز للرازى » . وقد صرح الشيخ نفسه بالنقل عن الرازى ، وكان يسبق ذلك بألفاظ التجلة والتقدير البالغ له وكان يلقبه بالإمام . انظر بيان ذلك في مقدمتى لهذا العمل .

« والزَّنْجانى » هو عز الدين أبو الفضائل عبد الوهاب بن إبراهيم ، « والزَّنْجانى » نسبة إلى مدينة « زَنْجَان » وهى بإيران اليوم - وكتابه نشره أخيرا الدكتور محمد على رزق الخفاجى عن دار المعارف بمصر ١٩٩١ م .

(٤) - قال الحاج خليفة : « نهاية التأميل فى أسرار التنزيل فى التفسير لكمال الدين عبد الواحد ابن عبد الكريم المعروف بابن الزملكانى المتوفى ٦٥١ هـ إحدى وخمسين وستمائة » (كشف الظنون ١٩٨٧) ، والزَّمْلَكانىّ : بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح اللام نسبه إلى بلدة (زَمْلَكان) بدمشق وتسمى أيضاً (زَمَلُكا) بفتح الأول والثانى وضم اللام والقصر من غير نون فى آخره . ويعرف أيضا بابن خطيب زَمَلُكا وهو مؤلف كتابى (التبيان فى علم البيان ، والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن) وهما مطبوعان ببغداد بتحقيق الدكتور أحمد مطلوب وخديجة الحديثى . وقد ذكرا فى مقدمة تحقيقهما لكتاب التبيان =

وكتاب التفريع فى علم البديع لزكى الدين عبد العظيم بن أبى الإصبع [١] .

وكل كتاب من هذه الكتب أخذ من كتب شتى مع ما أضفت إليها من فوائد مستعذبة وفرائد حسنة المساق مستغربة ، نقلتها عن الأئمة الأعلام الأكابر ، ونقلتها عنهم من ألسنتهم لا من بطون الدفاتر . وما أضفت إلى ذلك مما تفضل الله به ومنح : من مهمل أبنته ، ومجمل فصّلته ، وشارد قيدته وحصّلته ، ليكمل بهذا الكتاب النفع ، ويأتى على نهاية من حسن الوصف وبديع الجمع . وإحياءً لعلم البيان المطلع على نكت نظم القرآن الذى قد عفت آثاره ، وقلت أنصاره ، وتقاعدت الهمم عن تحصيله ، وضعفت العزائم عن معرفة فروعه ، فضلا عن أصوله . فما علم من العلوم [٢] الإسلامية رُمِىَ بالهجر والنسيان ما رُمِى به علم البيان . ولو أداموا النظر فيه والتلمح لمعانيه لاطلعوا من الكتاب العزيز على خفايا تهِشُّ لها القلوب ودقائقَ تسفر لهم عن وجوه المطلوب .

= أن (تفسير نهاية التأميل) موجود بدار الكتب المصرية وأنه نسب إلى مؤلف آخر . وأحالا إلى فهرست الخزانة التيمورية (١/٢٤٤) . وهذا كلام غير صحيح فقد راجعت نصى فهرست الخزانة التيمورية والمخطوط رقم (٤٧١ تيمور) على ميكروفيلم بدار الكتب المصرية وتبين لى أنه كتاب آخر غير كتاب ابن الزملكانى ولا علاقة له به . والذى أوقع فى هذا اللبس تقارب عنوانى الكتابين ، فعنوان المخطوط الذى بالخزانة التيمورية : (نهاية التأميل فى علوم التنزيل) تأليف عماد الدين أبى حفص عمر بن الخطيب بالمسجد الأقصى المتوفى سنة ٦٠٠ هـ) . هكذا جاء التعريف به فى أوله . وقد توقفت أمام عبارة فهرست الخزانة التيمورية التي وصفت الكتاب بأنه (مختصر البغاوى (البغوى) للزملكانى) وتعجبت ! ولا شك أن صاحبها وقع فى وهم وتحريف فابن الزملكانى متوفى سنة ٦٥١ هـ أى بعد صاحبنا خطيب المسجد الأقصى هذا بنحو خمسين عاما . ولم أعثر فى كتب التراجم التى ترجمت لابن الزملكانى على ذكر كتاب له فى اختصار البغوى . ولم أعرف من هذا الشيخ عماد الدين أبى حفص عمر بن الخطيب !

(١) هو كتاب تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وإعجاز القرآن . حققه الدكتور / حفنى شرف ونشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر . وابن أبى الإصبع هو أبو محمد زكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المصرى ولد سنة ٥٨٥ هـ وعاش معظم حياته بمصر فى عهد الدولة الأيوبية وشطر من دولة المماليك البحرية وتوفى ٦٥٤ هـ .

(٢) ط : علوم .

ومن لم يعرف هذا العلم كان عن فهم معاني الكتاب العزيز بمعزل ، ولم يقم ببعض حقوق المُنْزِل والمُنَزَّل . ومن وقف على هذه الأصول التى أصلّتها والفصول التى فصلتها ظهر له مصداق هذه الدعوى وأخذ من التوصل إلى معرفة هذا العلم بالسبب الأقوى ، وحسن عنده موقعه ، وعظم فى نفسه محله وموضعه ، وخالطت قَلْبَه بشاشةُ رَوْنَقِه ، وحليت [1] فى عينه نضارةُ نظائره ، وحُسْنُ مونقِه .

وكلام العرب في خطبها وأشعارها ونثرها ونظامها منقسم إلى ثلاثة أقسام [2] ورد منها فى الكتاب العزيز قسمان ، وقسم لم يرد منه فيه شيء وسأبين ذلك إن شاء الله .

* * *

---

(١) كان فى (ط) : (وجليت) بالجيم المعجمة ، وأظنه تصحيفا ، وأن صوابه - كما أثبتُّ بالحاء المهملة .

(٢) هذه قسمة ابن رشيق فى العمدة (١٩/١) ، وهذه الأقسام الثلاثة هي الجيدة والمتوسطة والردئية وللخطابى قسمة ثلاثية أخرى للكلام من حيث البلاغة . وكلها وقع فى القرآن . انظر بيان إعجاز القرآن للخطابى : ٢٣ .

/ القسم الأول ٩

وهو ينقسم إلى أربعة وثمانين قسما



القسم الأول *

فى الكلام على الفصاحة والبلاغة

والكلام عليهما من وجوه : الأول : فى حدهما . الثانى : فى اشتقاقهما . الثالث : فى التفرقة بينهما .

أما الأول فى حدهما : فقد قال علماء هذا الشأن : إن حَدّ البلاغة بلوغُ الرجل بعبارته كُنْهَ ما فى نفسه ، مع الاحتراز من الإيجاز المُخِلّ والتطويل المُمِلّ [١] . وقال قوم : البلاغة اتصال المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ . وقيل : البلاغة الإيجازُ مع الإفهامِ ، والتصرفُ [٢] من غير إضجار . قال خالد بن صَفْوان [٣] : أبلغ الكلام ما قلّت ألفاظُه وكثرت معانيه ، وخير الكلام ما شَوَّقَ أوله إلى سماع آخره . وقال غيره : إنما يستحق الكلام اسم البلاغة إذا سابق لفظه معناه إلى قلبك [٤] .

(*) كذا فى (ط) .

(١) هذا تعريف الرازى فى نهاية الإيجاز : ٨٩ ، وأورده الزنجانى فى المعيار : ٥/٢ .

(٢) يقصد التصرف فى فنون الكلام فجعله مقابلا للإيجاز .

(٣) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمى من فصحاء العرب المشهورين بالبلاغة . من ذرية عمرو بن الأهتم التميمى الصحابى . توفى نحو ١٣٣ هـ (وفيات الأعيان : ١٢/٣ ، والأعلام : ٢٩٧/٢) .

(٤) قال الجاحظ : وقال بعضهم – وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه –: « لايكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه . فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك » (البيان والتبيين : ١١٥/١) ، وانظر بيان عبد القاهر عن معنى هذه العبارة فى دلائل الإعجاز : ٢٦٧ .

وأما الفصاحة فهى خلوص الكلام من التعقيد (١) .

الثانى فى اشتقاقهما : قال علماء هذا الشأن : إن اشتقاق البلاغة من البلوغ إلى الشىء وهو الوصول إليه (٢) . ويجوز عندى أن يكون الكلامُ البليغُ : الذى بلغ من جودة الألفاظ وعذوبة المعانى إلى غاية لا يبلغ إلى مثلها إلا مثله .

وأمّا الفصاحة فقالوا (٣) : اشتقاقها من الفصيح ، وهو اللبن الذى أخذت منه الرغوة وذهب لِبَؤُه (٤) . يقال : فصُح الرجل : إذا صار كذلك ، وأفصحت الشاة : إذا فَصُح لبنها .

الثالث فى الفرق بينهما : قال قوم من أرباب علم البيان : الفصاحة والبلاغة متعاقبان على معنى واحد . وقال قوم : البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الألفاظ ، يقال : معنى بليغ ولفظ فصيح (٥) .

وليست الفصاحة والبلاغة مختصَّيْنِ بالألفاظ الغريبة (٦) وإنما يطلقان على كل ما لفظه غريب (٧) وفهمه قريب .

١٠ وإذا تقرر هذا فقد احتوى الكتاب العزيز / على جمل من ذلك أُفْرِغَتْ فى قالب الجمال ، وأُتْرِعَتْ (٨) لها كؤوسُ الإحسان والإجمال ، وأتتْ على

---

(١) انظر نهاية الإيجاز : ٨٩ ، والمعيار : ٢/٥ .

(٢) انظر الصناعتين للعسكرى : ١٢ .

(٣) الصناعتين : ١٣ ، ونهاية الإيجاز : ٨٩ ، والمعيار : ٢/٥ .

(٤) اللِّبَأ : كضِلَع : أول الألبان وهو اللبن الغليظ الذى يخرج عند الولادة راجع القاموس وشرحه . وكان فى (ط) لباؤه .

(٥) انظر الصناعتين : ١٣ ، ١٤ / والمعيار : ٢/٦ .

(٦) كان فى (ط) (العربية) وهذا لا معنى له . وقد أثبت ما استظهرت من السياق مستأنسا بنص المعيار ٢/٥ .

(٧) يريد بالغريب من اللفظ – هنا – كل لفظ بلغ مبلغا من الحسن والرونق حتى صار مباينا لغيره من الألفاظ وغريبا عنها ، ومع هذه الغرابة فى الحسن فمعناه قريب دانٍ . ولا يتوهمنّ أنه يريد بالغرابة الوحشيّة وعدمَ ألفة الناس لهذا اللفظ ، فهذا خارج عن دائرة الفصاحة .

(٨) أترعت : ملئت .

معظمها وأجلِهَا ، واستوفت نصاب مِلْكِهَا لأَزِمَّةِ [١] علم البيان وأَدْلِها [١] ، وأنا أذكرها نوعا نوعا ، وقسما قسما ، محلّى [٢] ببراهينه وشواهده . سافرًا عن نضارة وجوه نظائره وفوائده ، بعد استيفاء الكلام على الحقيقة والمجاز إذ الكلام لا يخلو عنهما أو عن أحدهما .

* * *

فنبدأ بالكلام على الحقيقة . والكلامُ فيها من ثلاثة أوجه : الأول : اشتقاقها . الثانى : حدها . الثالث : أقسامها .

أما الأول : فالحقيقة فعيلةٌ بمعنى مفعولة . وفى اشتقاقها قولان . أحدهما : أنها مشتقة من حَقّ الشىءَ يَحُقُّهُ [٣] : إذا أثبتَه . والآخر أنها من حَقَقْتُ الشىءَ أَحُقُّهُ : إذا كنت منه على يقين .

وأما الثانى : فلها حدان ، الأول : فى المفردات . والثانى : فى الجمل .

فأما حدها فى المفردات فهى كل كلمة أُريد بها ما وقعت به فى وضع واضع وقوعا لا يستند [٤] فيه إلى [٥] غيره . كالأسد للحيوان المخصوص المعروف .

---

(١) (ط) : (لازمة علم البيان وَأَدْلَها) . وهو كلام لا معنى له . وما أثبتُّه هو ما استظهرت من السياق . والأَزِمّة : بفتح الهمزة وكسر الزاى وتشديد الميم جمع زمام . و (أَدْلها) بفتح الهمزة وإسكان الدال جمع (دَلْو) وهو ما يستقى به الماء . وهو جمع قلة على « أَفْعُل » ، والكثير « دلاء » .

(٢) (ط) : (محلاً) .

(٣) (ط) : (حقق الشىء يحقّقه) وما أثبتّه عن نهاية الإيجاز : ٧ ، وانظر المعيار : ١١ ، ولسان العرب مادة (حقق) .

(٤) (ط) : (يسند) وما أثبته لفظ نهاية الإيجاز : ١٧٣ .

(٥) هذا تعريف عبد القاهر فى أسرار البلاغة : ٣٥٠ ، وانظر نهاية الإيجاز : ١٧٢ ، والمعيار : ١١/٢ .

الثانى : حدها فى الجمل فهو (كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ماهو عليه فى العقل ، وواقع موقعه . مثالُه : خلق الله العالم وأنشأ العالم)[١] (فأنشأ واقعة موقع « خلق »)[٢] .

وأما الثالث : فأقسامها ثلاثة : حقيقة لغوية ، وحقيقة شرعية ، وحقيقة عُرْفِيّة . وهى على قسمين : عامّة وخاصّة . فالعامّة كاستعمال لفظ الدابّة فى الحمار . وخاصة نحو استعمال لفظ « الجوهر » فى المتحيّز الذى لا ينقسم .

* * *

وأما المجاز فالكلام عليه أيضًا من خمسة أوجه : الأول : فى المعنى الذى استعملت العرب المجاز من أجله . الثانى : فى حدّه . الثالث : فى اشتقاقه . الرابع : فى علة النقل . الخامس : فى أقسامه .

أما الأول : فإن المعنى الذى استعملت العرب المجاز من أجله ميلهم إلى الاتساع فى الكلام وكثرة معانى الألفاظ ، ليكثر الالتذاذ بها . فإن كل معنى للنفس به لذة ولها إلى فهمه ارتياح وصَبْوة . وكلما دقّ المعنى رقّ مشروبه[٣] عندها ، وراق فى الكلام انخراطه ، ولذّ للقلب ارتشافه ، وعظم به اغتباطه . ولهذا كان المجاز عندهم منهلاً موردوا عذب الارتشاف ، وسبيلا مسلوكا لهم على سلوكه انعكاف . ولذلك كثُر فى كلامهم حتى صار أكثر استعمالا من الحقائق ، وخالط بشاشة قلوبهم حتى أتوا منه بكل معنى رائق ولفظ فائق ، واشتد

---

(١) هو تعريف عبد القاهر فى أسرار البلاغة : ٣٨٤ ، وابن النقيب نقله – هنا – عن الرازى فى نهاية الإيجاز : ١٧٣ .

(٢) قوله (فأنشأ واقعة موقع خلق) كذا فى (ط) . وأخشى أن يكون قد لحق أصل المؤلف شىء من التحريف فى هذا الموضع . وهذه العبارة غير موجودة فى مراجع المؤلف : نهاية الإيجاز للرازى والمعيار للزنجانى . وهى عبارة غير صواب فى هذا الموضع . وبيان ذلك مما يحتاج إلى إطالة فى شرح هذا التعريف . وهو كدّ لا طائل تحته . وانظر فى ذلك أسرار البلاغة : ٣٨٤ ومابعدها .

(٣) كذا فى (ط) . ولعل الصواب : مشربه .

باعهم فى إصابة أغراضه فأتوا فيه بالخوارق / وزيّنوا به خطبهم وأشعارهم حتى صارت الحقائق دثارهم وصار شعارهم . ١١

وأما الثانى : فحدّه على قسمين ، حدٌّ فى المفردات ، وحدٌّ فى الجمل .

أما حدُّه فى المفردات فهو كل كلمة أريد بها غير ما وُضعت له فى وضع واضعها [١] .

وقيل [٢] : حده استعمال اللفظ الحقيقى فيما وضع له دالا عليه ثانياً لنسبة [٣] وعلاقة بين مدلول الحقيقة والمجاز .

وأما حده فى الجمل [٤] فهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه [٥] بضرب من التأويل .

وأما الثالث : فاشتقاقه [٦] من جاز الشيءَ يجوزه : إذا تعداه وعدل عنه . فاللفظ إذا عدل به عما يوجبه أصل الوضع فهو مجاز ، على معنى أنهم جازوا [٧] به موضعه الأصلى أو جاز [٨] هو مكانه الذى وضع فيه أولا .

وأما الرابع : فالمعنى الذى وقع به النقل شيئان : أحدهما أن يكون المنقول

---

(١) هذا من تعريف عبد القاهر فى أسرار البلاغة : ٣٥١ – ونقله الرازى فى نهاية الإيجاز : ١٧٣ . والزنجانى فى المعيار ١١/٢ ، وتتمة التعريف مهمة وهى قوله (لملاحظة بين الثانى والأول) .

(٢) هذا تعريف العز بن عبد السلام للمجاز فى كتابه (الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز) ص ١٨ .

(٣) (ط) : (لتسويته علاقة) وهو تحريف .

(٤) هذا تعريف عبد القاهر فى أسرار البلاغة : ٣٨٥ ، ونقله الرازى فى نهاية الإيجاز : ١٧٣ ، والزنجانى فى المعيار : ١١/٢ .

(٥) كذا فى ط . والذى فى مصادر المؤلف التى بين يدى (موضوعه فى العقل) وهذا التقييد (فى العقل) لابد منه ليستقيم التعريف ، إذ مجاز الجملة عند عبد القاهر عقلى مرجعه إلى العقل .

(٦) انظر أسرار البلاغة : ٣٩٥ ، ونهاية الإيجاز : ١٦٧ ، والمعيار : ١١/٢ .

(٧) (ط) : (جاوزوا) . والتصويب عن أسرار البلاغة ، ونهاية الإيجاز والمعيار .

(٨) (ط) : (جاوز) . والتصويب من المصادر السالفة .

عن معنىً وُضِعَ بإزائه أولاً من غير مناسبة ولا علاقة كالأعلام المنقولة ، وبهذا يتميز عن المشترك [١] . **الثانى** أن يكون ذلك النقل لمناسبة بينهما أو علاقة . ولأجل ذلك لا توصف به الأعلام المنقولة بأنها [٢] مجازات . مثل تسمية الرجل بالحجر ، فإنه ليس هذا النقل لتعلق بين حقيقة الحجر وبين ذلك الشخص . وأما إذا تحقق الشرطان فإنه يسمى مجازاً وذلك مثل تسمية النعمة أو القوة باليد لما بينهما [٣] من التعلق فإن النعمة إنما تعطى باليد ، والقوةَ إنما تظهر بكمالها فى اليد . ومن ذلك أيضاً تسمية المزادة [٤] بالراوية وهى اسم للبعير الذى يحمل عليه فى الأصل . ومثل ما بين النبت والغيث والسماء والمطر حيث قالوا : رعينا الغيث ، يريدون النبت الذى الغيث سبب لَنشئِهِ [٥] عادة . وقالوا : أصابتنا السماء ، يريدون : أصابنا المطر [٦] .

وقال [٧] قوم : « المجاز لا يصح إلا بنسبة مع علاقة بين مدلول الحقيقة والمجاز وتلك النسبة متنوعة فإذا قوى التعلق بين مَحَلَّى الحقيقة والمجاز فهو الظاهر الواضح ، وإذا ضعف التعلق إلى حد لم تستعمل العرب مثله ولا نظير له فى المجاز فهو مجاز التعقيد ولا يحمل عليه شىء فى الكتاب والسنة ، ولايوجد مثله فى كلام فصيح . وقد تقع علاقة بين الضعيفة والقوية [٨] ، فمن العلماء من

---

(١) يقصد بالمشترك تلك الألفاظ التى يصلح الواحد منها لعدة معان مختلفة من غير أن تكون هناك علاقة بينها مثل لفظة النهار التى تطلق على مدلولها المعروف ، وعلى فرخ الحُبَارى ، ولفظة الليل لهذا الجزء من الزمان ولولد الكروان . وانظر أسرار البلاغة ٣٩٦ .

(٢) (ط) : (لأنها) . وهذا خطأ قبيح حيث تقلب هذه اللام المعنى إلى ضده ، فتثبت أن الأعلام المنقولة مجازات ، وكلام الشيخ على عكس ذلك .

(٣) عبارة الرازى والمعيار : (لما بين اليد وبينهما) .

(٤) قال ابن السِّكِّيت : المزادة : التى يستقى فيها الماء ولا تقل راوية إنما الراوية البعير أو البغل أو الحمار الذى يحمل عليه الماء .

(٥) (ط) نشوء . وأثبتُّ لفظ الرازى .

(٦) انظر أسرار البلاغة : ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ونهاية الإيجاز : ١٦٨ ، والمعيار : ١١ ، ١٢ ، واعتماد المؤلف هنا على نهاية الإيجاز .

(٧) عند ابن عبد السلام فى كتابه الإشارة إلى الإيجاز فى أنواع المجاز : ١٨ .

(٨) انظر تمثيل الشيخ العزّ لكلا العلاقتين في كتابه : ١٩ .

يتجوز بها لقربها بالنسبة إلى العلاقة الضعيفة ومنهم من لا يتجوز بها لانحطاطها عن العلاقة القوية » وهذا مذكور فى الكتب المختصة بأصول الفقه .

الخامس : أقسامه وهى كثيرة :

الأول مجاز التعبير بلفظ المتعلَّق به عن المتعلِّق .

وأقسامه كثيرة . وقد انتهت عدةُ / ما احتوى عليه الكتاب العزيز إلى أربعة وعشرين قسماً [١] . ١٢

الأول : التجوز بلفظ العلم عن المعلوم [٢] :

كقوله تعالى : ﴿ ولا يُحِيطُونَ بِشَىءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٥] أراد بشىء من معلومه . وكقوله تعالى : ﴿ ذلك مَبْلَغُهُمْ من العلم ﴾ [سورة النجم : ٣٠] أى من المعلوم . وكذلك قوله تعالى : ﴿ فما اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ [سورة يونس : ٩٣] أى المعلوم .

الثانى : التجوز بلفظ المعلوم عن العلم وسيأتى بيانه وأمثلته [٣] .

الثالث : التجوز بلفظ القدرة عن المقدور [٤] :

مثل قولهم : رأينا قدرة الله ، أى مقدور الله . ومنه قوله تعالى : ﴿ صُنْعَ اللهِ الذى أَتْقَنَ كُلَّ شَىءٍ ﴾ [سورة النمل : ٨٨] أى مصنوعه .

الرابع : التجوز بلفظ الإرادة عن المراد [٥] :

---

(١) هذه الأربعة والعشرون قسماً منقولة بشىء من اختصار الأمثلة عن كتاب العز بن عبد السلام « الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز » : ٣٠ - ٣٧ .

(٢) الإشارة إلى الإيجاز : ٣٠ .

(٣) ذهل المؤلف - رحمه الله - عن أن يورد هذا القسم بعد . وهذا القسم فى كتاب العزّ بن عبد السلام معنون له دون أمثلة . وكتب مصحح الكتاب بهامشها : (هكذا بياض فى الأصل) .

(٤) (ط) : التجوز بلفظ المقدور عن القدرة ، وهو خطأ والتصحيح من كتاب العزّ بن عبد السلام : ٣٠ .

(٥) (ط) : الإشارة : ٣٠ .

كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [سورة النساء : ١٥٠] والمعنى : ويفرقون بين الله ورسله ، بدليل أنه قوبل بقوله [١] ﴿ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٥٢] ولم يقل : ولم يريدوا أن يفرقوا بين أحد منهم [٢] .

الخامس : التجوز بلفظ المراد عن الإرادة [٣] :

كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة المائدة : ٤٢] معناه : وإن أردت الحكم فاحكم بينهم بالعدل وفيه مجاز من وجهين : أحدهما : التعبير بالحكم عن إرادته . والآخر : التعبير بالماضى عن المستقبل .

السادس : إطلاق اسم الفعل على الجزء الأول منه وعلى الجزء الأخير منه [٤] :

ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ [سورة الأنفال : ١٧] أراد بالرمى المنفىّ آخرَ أجزاء الرمى التى وصل التراب به إلى أعينهم ، وبالرمى المثبت شروعَه فى الرمى وأخذَه فيه فيكون المعنى : وما أوصلت التراب إلى أعينهم إذ شرعت فى الرمى وأخذتَ فيه .

ومنه قوله ﷺ : « صلى بى جبريل عليه السلام الظهر حين زالت الشمس ، – أى شرع فى الصلاة وأخذ فيها – وصلى بى الظهر فى اليوم الثانى حين

---

(١) (ط) : (بقولهم) وهو تحريف .

(٢) (ط) : (ويريدون) وهو خطأ . والتصويب من ابن عبد السلام : (٣٠) قال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما ﴾ [النساء : ١٥٠ – ١٥٢] .

(٣) الإشارة ٣٠ .

(٤) هذا ليس قسماً مستقلا بذاته بل داخلة أمثلته تحت القسم السابق عند العز بن عبد السلام فى كتابه : ٣١ .

صار ظل الشيء مثله [(١)] » ، أراد بذلك آخر أجزاء الصلاة وهو السلام . وهذا من مجاز التعبير بلفظ الكل عن البعض وكذلك نظائره .

ويصحح هذا ما بين الإرادة والمراد من النسبة والتعلق ويجوز أن يكون المصحِّحُ كونَ المراد مسببًا عن الإرادة فيكون تجوزا باسم المسبب عن السبب بخلاف التعبير بالمعلوم عن العلم فإنه ليس مسبباً عنه ولا مؤثرا فيه .

السابع : التجوز بلفظ الأمل عن المأمول [(٢)] : وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثوابًا وخَيْرٌ أملاً ﴾ [سورة الكهف : ٤٦] أى وخير مأمولا .

الثامن : التجوز بلفظ الوعد والوعيد عن الموعود من ثواب وعقاب [(٣)] : وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ / وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ ﴾ [سورة القصص : ٦١] ومثله : ﴿ إنهُ كان وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٦١] أى موعوده .

١٣

التاسع : إطلاق العهد والعقد على الملتزم منهما [(٤)] : وهو فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [سورة المائدة : ١] وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى ﴾ [سورة البقرة : ٤٠] عبر بهذه العهود كلها عن موجبها ومقتضاها وهو الذى التزم بها .

العاشر : إطلاق اسم البشرى على المبشَّر به [(٥)] :

---

(١) قال ابن تيمية فى المنتقى (٥٢٨/١) : رواه أحمد والنسائى والترمذى وقال البخارى هو أصح شيء فى المواقيت .

(٢) الإشارة : ٣٢ .

(٣) الإشارة : ٣٢ .

(٤) انظر الإشارة : ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) الإشارة : ٣٣ .

وهو فى القرآن كثير ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ ﴾ [سورة الحديد : ١٢] وقال أبو على [١] : التقدير بشراكم اليوم دخولُ جنات أو خلود جنات لأن البشرى مصدر والجنات جِرْم فلا يُخْبَرُ بالْجِرْم عن المعنى . وقال الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام [٢] : لا حاجة إلى هذا التعسف لأن البشرى (ليست عين الدخول ولا عين الخلود) [٣] كما أنها ليست عين الجنات ولابد من تأويله على كلا القولين بما ذكرناه وإلا كان خَلْفًا لأن البشرى قول ولا يجوز أن يخبر عن القول بأنه جِرْم ولا بأنه (دخول ولا خلود) [٣] .

الحادى عشر : إطلاق اسم القول على المقول فيه [٤] :

وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولون ﴾ [٥] [سورة الإسراء : ٤٢] ومنه قوله : ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى عَمَا يَقُولُونَ عُلُوًّا كبيرًا ﴾ [سورة الإسراء : ٤٣] أى عن مدلول قولهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ [سورة النمل : ٨٥] معناه : وجب عليهم

---

(١) لعلّه الفارسىّ ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الإمام الكبير فى اللغة والنحو . والمتوفى ٣٧٧ هـ .

(٢) الإشارة : ٣٣ والشيخ عز الدين بن عبد السلام هو الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء من أئمة الشافعية الكبار . ولد ونشأ بدمشق . وتوفى بالقاهرة ٦٦٠ هـ .

(٣) ما بين القوسين جاء فى كتاب الشيخ العزّ بن عبد السلام هكذا : (ليست عين المدخول ولا عين الدخول) ، (دخول وخلود) . ولم أتمكن من ترجيح أى اللفظين فأبقيت نص المطبوعة . ولعل مابقى من نص العزّ بن عبد السلام يوضح قوله الذى ساقه المؤلف باختصار . يقول الشيخ العز بعد ما سبق ص ٣٣ : (.. بأنه دخول وخلود ، كيف والبشارة فى القرآن إنما وقعت بالجنة نفسها فى قوله : « وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » وفى قوله : ﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ﴾ .

(٤) الإشارة : ٣٣ .

(٥) كذا فى (ط) : « تقولون » بالتاء المثناة من فوق . وهى قراءة العشرة ما عدا حفصا وابن كثير ، انظر البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضى : ١٨٦ .

العذاب المقول فيه . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا ﴾ [سورة الأحزاب : ٦٩] أى من مقولهم وهو الأُدْرَةُ [١] .

الثانى عشر : إطلاق اسم النبأ على المنبأ عنه [٢] :

وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٥] ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة ص : ٦٧] وإن أريد به القرآن فهو من باب إطلاق اسم البعض على الكل لأن القرآن كله ليس هو نبأ [٤] . ومنه قوله تعالى : ﴿ ولَتَعْلَمُنَّ نبأه بعدَ حِينٍ ﴾ [٥] [سورة ص : ٨٨] .

الثالث عشر : إطلاق الاسم على المسمى [٦] :

وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِه إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا ﴾ [سورة يوسف : ٤٠] .

معناه : ما تعبدون من دونه إلا مسميات ، ومنه قوله تعالى : ﴿ سَبِّح اسم رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [سورة الأعلى : ١]

---

(١) الآدَر والمأدور : من يصيبه فتق فى إحدى خُصيَتَيْه . والاسم : الأُدْرة بالضم ويحرك . راجع القاموس (أدر) وقوله تعالى : ﴿ فبرأه الله مما قالوا ﴾ أى موسى عليه السلام حين ادعى عليه بعض بنى اسرائيل أنه آدَر ، حيث كان لا يغتسل معهم ، ﴿ فبرأه الله مما قالوا ﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففر الحجر به حتى وقف بين ملأ من بنى إسرائيل فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به فرأوه لا أُدْرة به . انظر تفسير ابن كثير ٤٧٣/٦ - ٤٧٤ .

(٢) الإشارة : ٣٣ . وكان فى (ط) : « عن » .

(٣) قال العز بن عبد السلام : أى فسوف يأتيهم منبآت ماكانوا به يستهزئون .

(٤) قال ابن عبد السلام : ٣٣ (وإن أريد به البعث كان مجاز التعبير بالنبأ عن المنبأ عنه) .

(٥) علق ابن عبد السلام : ٣٤ على هذه الآية بقوله (إن قدرت ولتعلمن صحة نبئه أو صدق نبئه كان من مجاز الحذف . وإن حملته على المخبر عنه كان من مجاز التعبير بالنبأ عن المنبأ عنه » .

(٦) الإشارة : ٣٤ .

أى سبح ربك الأعلى ، ولذلك نُقل عن الصحابة [١] رضى الله عنهم أنهم كانوا إذا قرأوها قالوا سبحان ربى الأعلى . وقال عليه الصلاة والسلام : « اجعلوها فى سجودكم » [٢] ومنه قوله ﷺ : « بسم الله الذى لا يضرُّ مع اسمِهِ شيء فى الأرض ولا فى السماء » [٣] / . ومن جعل الاسم هو المسمّى فى قوله : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ [سورة الفاتحة : ١] كان التقدير فيه : أقرأ بالله ، أى بمعونته وبتوفيقه ، ومن جعله التسمية كان التقدير : أتبرك بذكر اسم الله . وبهذا يُردُّ على من قدَّر ابتدائى أو بدأت باسم الله ؛ إذ لا وجه للتبريك على بعض الفعل دون سائره ولا لنسبة ابتداء الفعل إلى التوفيق دون سائره لأن الحاجة داعية إلى (التبرُّك [٤] والتوفيق فى جميع الفعل (دون انتهائه) [٥] وابتدائه . ١٤

الرابع عشر : إطلاق اسم الكلمة على المتكلم [٦] به :

ومنه فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ﴾ [سورة الأنعام : ٣٤] أى لا مبدل لعدات [٧] الله أو لا مبدل لمقتضى عدات [٨]

---

(١) انظر تفسير الطبرى : ١٥٢/٣٠ .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٨٧/١) : كتاب إقامة الصلاة (٥) باب التسبيح فى الركوع والسجود (٢٠) - حديث رقم ٨٨٧ . وذكر السيوطى فى الدر المنثور (٣٣٨/٦) أنه أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن المنذر وابن مردويه .

(٣) رواه أبو داود (٣٢٤/٥) - كتاب الأدب (٣٥) - حديث ٥٠٨٨ ، والترمذى (٤٣٤/٥) - كتاب الدعوات (٤٩) - باب الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى (١٣) - حديث ٣٣٨٥ ، وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (١٢٧٣/٢) - كتاب الدعاء (٣٤) - باب ما يدعو الرجل إذا أصبح وإذا أمسى (١٤) - حديث ٢٨٦٩ ، وأحمد فى مسنده ، ٦٢/١ ، ٦٦ ، ٧٢ .

(٤) كذا فى (ط) ، وما في مطبوعة ابن عبد السلام : ٣٤ (التبريك) .

(٥) ما بين القوسين كذا فى (ط) . وباقى مطبوعة ابن عبد السلام : (دون إنشائه) وهو الأقرب لسياق الكلام . إلا أننى أتوهم أن هنا سقطا فى أصل مطبوعه الشيخ العز قبل قوله (دون) بقدر كلمة . تقديره : مثلا : (وليست) ليستقيم السياق . والله أعلم .

(٦) الإشارة : ٣٤ وترجمته (التجوز بلفظ الكلمة عن المتكلم فيه) .

(٧) ط : لعذاب . وهو تحريف ، والتصويب عن الإشارة : ٣٤ .

(٨) (ط) : عذاب . وهو تصحيف كالسابق والتصويب عن ابن عبد السلام . وبعد أن ساق الشيخ العز الآية علق عليها بقوله : ٣٤ (وعبّر بالعدات عن الموعود به ، وهو ما وعد به رسله صلوات الله عليهم من نصرهم على أعدائه) .

الله . ومنهُ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المسيحُ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٥] تجوز بالكلمة عن المسيح لكونه تكوَّن بها من غير أب بدليل قوله تعالى : ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ وَمِنَ المقَرَّبين ﴾ [سورة آل عمران : ٤٥] ولا تتصف الكلمة بذلك . وأما قوله : « اسمهُ المسيح » فإنَّ الضمير فيه عائدُ إلى مدلول الكلمة والمرادُ بالاسم المسمى فالمعنى المسمى [1] المبشر به المسيح بن مريم .

الخامس عشر : إطلاق اسم اليمين على المحلوف (عليه) [2] :

وهو فى القرآنِ فى موضعين أحدهما قوله تعالى : ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٤] أى ولا تجعلوا قسم الله أو يمين الله مانعاً لما تحلفون عليه من البر والتقوى بالصلاح بين الناس [3] .

السادس عشر : إطلاق اسم الحكم على المحكوم به [4] :

وذلك قوله تعالى : ﴿ إنّ رَبَّكَ يَقْضى بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ﴾ [سورة النمل : ٧٨] أى بما يحكم به لكل واحد منهم من ثواب وعقاب فتجوز بالحكم عن متعلقه وهو المحكوم به .

وكذلك التعبير بلفظ القضاء عن المقضى به فى قوله ﷺ : « أعوذ بك

---

(١) عند ابن عبد السلام : ٣٥ « مسمى » .

(٢) الإشارة : ٣٥ ، وما بين المعقوفين زيادة عنه .

(٣) عند هذا الموضع علّق مصحح المطبوعة فى هامشها بقوله (سقط من الأصل ذكر الموضع الثانى) ، ويبدو أنّ ابن النقيب – رحمه الله – قد وقع فى وهم عند هذا الموضع فى قوله (وهو فى القرآن فى موضعين ..) فلم يذكر الشيخ العز بن عبد السلام إلاّ هذا الموضع من القرآن وموضعاً آخر من الحديث . ونصُّ عبارته ص ٣٥ : (وله مثالان : أحدهما قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » الثانى : قوله ﷺ : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه ، وليأت الذى هو خير » معناه : من حلف على شيء فرأى غيره خيرا منه فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير » .

(٤) الإشارة : ٣٥ .

من سوء القضاء ﴾ [١] أى من سوء ما قضيت به إذ لا تصح الاستعاذة من قضاء الله لأنه صفة قديمة له لا يمكن تبديلها ولا تغييرها . ومثله ﴿ فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [سورة القلم : ٤٨ ، والإنسان : ٢٤] أى فاصبر لما حكم به عليك . وكذلك قول الداعى : اللهم رضنى بقضائك . أى بما قضيته لى أو علىَّ من غير معصية ، فإن المعاصى مقضية أيضاً وقد أمرنا الله تعالى بكراهتها فنمتثل أمر الله تعالى فى كراهتها وإن وقعت .

السابع عشر : التجوز بلفظ العزم على المعزوم عليه [٢] :

١٥ وهو كثير فى القرآن ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ / صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [سورة الشورى : ٤٣] أى أن ذلك الصبر والغفر [٣] مما يُعْزَم عليه من الأمور . ومنهُ قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٥] تجوّز بالعزم عن المعزوم عليه لتعلقه به ، ومعناه : ولا تعقدوا عقدة النكاح ، أو يكون التقدير : ولا تعزموا على تنجيز عقدة النكاح .

الثامن عشر : التجوز بلفظ الهوى عن المهوِىّ [٤] :

وهو فى القرآن العظيم فى موضعين أحدهما قوله تعالى : ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى ﴾ [سورة النازعات : ٤٠] معناه : ونهى النفس عما تهواه من المعاصى ، ولا يصح نهيها عن هواها وهو ميلها لأنه تكليف مالا يطاق إلا أن تقدر حذف مضاف معناه : ونهى النفس عن اتباع الهوى فيكون من مجاز الحذف . ومنه قوله

---

(١) فى صحيح مسلم (٤/٢٠٨٠) ، كتاب الذكر والدعاء (٤٨) ، باب فى التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء (١٦) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يتعوذ من سوء القضاء ومن درك الشقاء ومن شماتة الأعداء ومن جهد البلاء .

(٢) الإشارة : ٣٥ .

(٣) ابن عبد السلام : العفو .

(٤) الإشارة : ٣٥ .

تعالى : ﴿ أَرأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَوَاه ﴾ [سورة الفرقان : ٤٣] يحتمل أن يريد به مَهْوِيَّه [١] لأنهم كانوا يعبدون الصنم فإن استحسنوا غيره عبدوه وتركوا الأول ويحتمل أن يكون المراد به مجاز التشبيه فإن الانسان إذا طاوع هواه فيما يأتيه ويتركه فقد نَزَّل الهوى منزلةَ المعبود المطاع .

التاسع عشر : إطلاق اسم الخشية على المَخْشِيّ [٢] :

وهو فى القرآن العزيز فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٥٧] معناه : هم من عقوبة ربهم خائفون .

العشرون : إطلاق اسم الحب على المحبوب [٣] :

وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى ﴾ [سورة ص : ٣٢] معناه : أحببت محبوب الخير [٤] عن ذكر ربى .

الحادى والعشرون : إطلاق اسم الظن على المظنون [٥] : وهو فى القرآن العظيم فى موضعين : أحدهما : قوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَنُّ الذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة يونس : ٦٠] معناه : أى شىء مظنونهم أهو الهلاك أم [٦] النجاةُ . الثانى قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا

---

(١) ط : بهواه والتصويب عن الإشارة : ٣٦ .

(٢) الإشارة : ٣٦ .

(٣) الإشارة : ٣٦ .

(٤) فى الإشارة : (محبوب الخيل) . وكلا اللفظين صحيح المعنى فالمراد بالخير فى الآية الخيل الحسان التى اشتغل بها سليمان عليه السلام عن ذكر الله سبحانه . انظر قصة ذلك فى تفسير ابن كثير : ٥٦/٧ – ٥٧ .

(٥) ابن عبد السلام : ٣٦ .

(٦) ط : (أو) . والصواب ما أثبتُه عن ابن عبد السلام ، فمعادل همزة الاستفهام (أم) وليس (أو) .

بَيْنَهُمَا بَاطلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [سورة ص : ٢٧] معناه : ذلك الخلق الباطل مظنون الذين كفروا . وأما قوله تعالى : ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [سورة الحجرات : ١٢] فيجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره : اجتنبوا كثيراً من اتباع [١] الظن إن اتباع [١] الظن ذنبٌ ، ويجوز أن يكون تجوز بالظن عن المظنون (وهو أمرهُ باجتناب فعل وقع منهم) [٢] .

الثانى والعشرون : إطلاق اسم اليقين على المُتَيَقَّن [٣] :

وهو فى القرآن العظيم فى موضعين أحدهما قوله تعالى : ﴿ واَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَى يَأْتِيَكَ الْيقين ﴾ [سورة الحجر : ٩٩] معناه : واعبد ربك حتى يأتيك الموت المتيقن لكل أحد . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ / حتَى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ [سورة المدثر : ٤٦ - ٤٧] معناه : حتى أتانا الموت المتيقن لكل أحد . ١٦

الثالث والعشرون : إطلاق اسم الشهوة على المُشْتَهَى [٤] :

وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما : قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ للنَّاس حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤] أى حب المشتهيات بدليل أنه قال : ﴿ مِنَ النِّسْاءِ والبنين ﴾ [سورة آل عمران : ١٤] الثانى : قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تِشيَعَ الْفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [سورة النور : ٢٠] معناه : إن الذين يشتهون [٥] الفاحشة فى أعراض الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة

---

(١) نص الإشارة : ٣٦ جاء بزيادة كلمة « بعض » قبل قوله (اتباع) فى الموضعين . وأظن أن إثباتهما فى الموضعين كنص مطبوعة الإشارة لا يتمشى مع سياق الآية . وكذا حذفها فى الموضعين مثل ما معنا فى (ط) . ولعل الصواب إثبات (بعض) فى الموضع الثانى فقط كما أثبتته الآية ﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن ، إن بعض الظن إثم ﴾ فورد الأمر باجتناب اتباع كثير الظن ، وأثبت الإثم لاتباع بعضه لا لاتباع كثيره . والله أعلم .

(٢) ما بين القوسين فى مطبوعة الإشارة ٣٦ : (وهذا أمر بفعل مبهم) .

(٣) الإشارة : ٣٦ .

(٤) الإشارة : ٣٦ .

(٥) عند ابن عبد السلام : (يشيعون) . والمثبت هنا أدق وأوفق مع قسمة المؤلف .

ولذلك أوجب عليهم فى الدنيا الحد وفى الآخرة العذاب ، ولا يتعلق الحد بمجرد حب الإشاعة .

الرابع والعشرون : إطلاق اسم الحاجة على المحتاج إليه [١] :

وهو فى القرآن العظيم كثير . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِى عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَىْءٍ إلاَّ حَاجَةً فِى نَفْس يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾ [سورة يوسف : ٦٨] معناه : ما كان دخولهم يدفع عنهم من قضاء الله وقدره شيئا ولكن طلب حاجة فى نفس يعقوب قضاها . ويحتمل ولكن حاجة فى نفس يعقوب قضى متعلقها ؛ لأن الحاجة الحقيقية التى هى الافتقاد [٢] لا تقضى وإنما يقضي متعلقها الذى هو المحتاج إليه . ومنه ﴿ وَلاَ يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِم حَاجَة مِمَّا أُوتُوا ﴾ [سورة الحشر : ٩] معناه : ولا يجدون فى قلوبهم تمنى شيء يحتاجون إليه مما أعطيه المهاجرون .

وهذه الأقسام كلها من مجاز التعبير بلفظ المتعلَّق عن المتعلَّق به ، أو من مجاز التعبير بلفظ المتعلَّق به عن المتعلَّق . ومصحّح المجاز فيه ما بينهما من النسبة .

* * *

(١) الإشارة : ٣٦ .

(٢) عند ابن عبد السلام : (الافتقار) . بالراء المهملة .

القسم الثانى

إطلاق اسم السبب على المسبَّب

وهو أربعة أقسام (*)

القسم الأول : قوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [سورة البقرة : ١٩٤] سمى عقوبة الاعتداء اعتداءً لأنه المسبَّب عن الاعتداء . ومنه قوله تعالى : ﴿ وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها ﴾ [سورة الشورى : ٤٠] تجوَّزَ بلفظ الجناية عن القِصَاص فإنه مسبب عنها . والتقدير : جزاء جناية قبيحة عقوبة قبيحة مثلها فى القبح . وإن عبرت بالسيئة عما ساء أى أحزن لم يكن من هذا الباب لأن (الإساءة [1] تحزن) فى الحقيقة كالجناية . ومنه قوله ١٧ تعالى : ﴿ ومَكَروا وَمَكَرَ اللهُ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٤] تجوز / بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سبب لها . ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقياً لأن المكرَ هو التدبيرُ فيما يضر الخصم خفيةً . وهذا متحقق من الله تعالى لاستدراجه إياهم بما أجرى عليهم من نعمه مع ما أعد لهم من نقمه .

الثانى : إطلاق اسم الكتابة على الحفظ ؛ فإن الكتابة سبب لحفظ المكتوب ، وهو فى القرآن العظيم فى موضعين : أحدهما : قوله تعالى :

(*) عند العز بن عبد السلام : فى كتاب الإشارة ٣٧ - ٣٩ ، وهو الفصل الخامس والعشرون عنده من أنواع المجاز ولعل صنيعه أعدل من نهج ابن النقيب هنا حيث جعل ابن النقيب هذا القسم أقساماً . وهذه الأقسام التى ذكرها هي فى الحقيقة أمثلة هذا الصنف من المجاز المُعَنْوَن له بإطلاق اسم السبب على المسبب وهكذا ساقها العز بن عبد السلام فى كتابه .

(١) عند ابن عبد السلام : ٣٧ (الاستيفاء محزن) .

﴿ سنكتب ما قالوا ﴾ [سورة آل عمران : ١٨١] أى سنحفظه ولا ننساه حتي نجازيهم به . والآخر قوله تعالى : ﴿ كلا سنكتب ما يقول ﴾ [1] [سورة مريم : ٧٩] أى نحفظه عليهم فإن الملائكة قد كتبوا ذلك لما قالوا وقتلوا الأنبياء ، فاستعمل اللفظ المستقبل فى حفظه دون كتابته .

وأما قوله تعالى : ﴿ أولئك كتبَ فى قلوبهم الإيمانَ ﴾ [سورة المجادلة : ٢٢] فإنه تجوّز بالكتابة عن الثبوت والدوام ، فإن الكتابة مستمرة باقية فى العادة .

وأما قوله تعالى : ﴿ إن المنافقين يُخادعون اللهَ وهو خادِعهم ﴾ [سورة النساء : ١٤٢] ففيه مذهبان : أحدهما أنه من مجاز الحذف تقديره : إن المنافقين يخادعون رسول الله ، واللهُ خادعهم فيكون خداعهم رسول الله ﷺ حقيقياً . وأما خدع الله إياهم فيجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبّب ، ويجوز أن يكون من مجاز التشبيه ، معناه : أنه عاملهم معاملة المخادع بما أخفاه عنهم من إرادة إضرارهم وإهلاكهم . ويجوز أن يكون حقيقة بما ذكرناه فى المكر . ويتأتّى أن يكون مخادعتهم لله من مجاز التشبيه بمعنى أنهم يعاملونه معاملة المخادَع ويكون خدعهم من مجاز المعاملة . ويجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب فيكون من مجاز المجاز فإن مخادعتهم مجازية تجوز بها عن شبهها (وكان إطلاق اللفظ من مجاز التشبيه) [2] .

الثالث : إطلاق اسم السمع على القبول وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ [سورة هود : ٢٠] معناه : ما كانوا يستطيعون قبول ذلك والعمل به لأن قبول الشىء مرتب على استماعه ومسبب عنه . ويجوز أن يكون نفى السمع لانتفاء فائدته فيصير كقوله [3]

---

(١) كان فى (ط) : « كلا سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء » وهو سهو حيث كرّر آية آل عمران : ١٨١ ، والتصويب عن مطبوعة الشيخ العز : ٣٧ .

(٢) كذا فى (ط) . وما فى مطبوعة ابن عبد السلام : ٣٨ (فكان إطلاق اللفظ عليها من مجاز التشبيه وعلى مسببها من مجاز التسبب) .

(٣) (ط) : (كقولهم) . وهو تحريف ، والتصويب من ابن عبد السلام : ٣٩ .

تعالى : ﴿ إنهم لا أَيمان لهم ﴾ [سورة التوبة : ١٢] أى لا وفاء أيمان لهم . ومنه قول الشاعر :

وَإِنْ حَلَفَتْ لا يَنْقُضُ النَّأْىُ عَهْدَها   فليس لمخضوبِ البَنانِ يميـنُ [1]

معناه : ليس لمخضوب البنان وفاء يمين .

الرابع : إطلاق اسم الإيمان على ما نشأ عنه من الطاعة وهو فى القرآن كثير ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وما كان اللهُ لِيضيعَ إيمانَكم ﴾ [سورة البقرة : ١٤٣] / معناه : ما كان الله ليضيع أجر صلاتكم إلى الصخرة قبل النسخ . ومنه قوله تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرُون ببعض ﴾ [سورة البقرة : ٨٥] معناه : أفتعملون ببعض التوراة وهو فداء الأسارى ، فتجوّز بالإيمان عن العمل بما يوافق الكتاب لأنه مسبب عن الإيمان ، وتتركون العمل ببعض وهو قتل إخوانكم وإخراجهم من ديارهم [2] : ومنه قوله ﷺ « الإيمانُ بضع وسبعون شُعبةً أعلاها قولُ لا إله إلا اللهُ وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » [3] . جعل القول وإماطة الأذى عن الطريق إيمانا لأنهما مسببان عن الإيمان .

١٨

* * *

(١) البيت ثالث أبيات ثلاثة فى ديوان الحماسة لأبى تمام (٦٣/٢) ولم يعزُها ، والبيت فى الإشارة إلى الإيجاز فى أنواع المجاز لابن عبد السلام : ٣٩ ، ٥٩ .

والنّأى : البُعْد ، و (مخضوب البنان) كناية عن المرأة يقول : إن طبع النساء الغدر وعدم الوفاء ، فمهما أقسمت لك أن البعد لا يغيرها فلا تصدق .

(٢) قال تعالى مخاطبا بنى إسرائيل : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم . أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [سورة البقرة : ٨٤ ، ٨٥] .

(٣) رواه مسلم (٦٣/١) ، كتاب الإيمان (١) ، باب بيان عدد شعب الإيمان (١٢) .

القسم الثالث (*)

إطلاق اسم المسبب على السبب

وهو ثمانية أقسام

القسم الأول : إطلاق اسم العقوبة على الإساءة والجناية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثلِ ما عُوقِبتم به ﴾ [سورة النحل : ١٢٦] معناه : وإن أردتم معاقبة مسىء فعاقبوه بمثل ما بدأكم به من الإساءة فقوله : ﴿ وإن عاقبتم ﴾ من مجاز التعبير بلفظ الفعل عن إرادته . وقوله : ﴿ بمثل ما عوقبتم به ﴾ من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن السبب وقوله : ﴿ فعاقبوا ﴾ حقيقةٌ اكتنفها المجازان . وكذلك قوله : ﴿ ذلك ومَن عاقَبَ بمثلِ ما عُوقِب به ثم بُغِىَ عليه لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ ﴾ [سورة الحج : ٦٠] فـ«عاقب» ، و « عوقب به » من مجاز تسمية السبب باسم المسبب . ومن هذا النوع قول العرب : كما تَدين تُدانُ . معناه : كما تفعل تُجْزَى لأن الدِّين هو الجزاء فتجوّز به عن الجناية لأنه مسببٌ عنها . وكذلك قول الشاعر [١] :

ولم يَبْقَ سِوى العُـدْوَا … نِ دِنّاهم كما دانـوا [٢]

(*) هذا القسم الثالث بأقسامه وأمثلته فى كتاب ابن عبد السلام : ٣٩ - ٤١ .

(١) هو الفِنْد الزِّمّانى . واسمه شَهْل بن شيبان شاعر جاهلى وأحد فرسان رَبيعةَ المشهورين . شهد حرب بكر وتغلب وقد جاوز المائة سنة انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزى ١/١١ .

(٢) ديوان الحماسة : ١/٦٠ وقبل البيت قوله :

صفحنا عن بنى ذُهلٍ … وقلنا القومُ إخـوانُ
عسى الأيامُ أن تُرجِع (م) قوما كالـذى كانـوا
فلمـا صرّح الشرُّ … فأمسى وهْو عريان

معناه : جزيناهم بما فعلوا فـ «ـدناهم» حقيقةٌ و «دانوا» مجاز .

القسم الثانى : إطلاق الأكل على الأخذ لّما كان الأكل مسببًا عن الأخذ . ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [سورة البقرة : ١٨٨] معناه لا تأخذوا أموالكم بالسبب الباطل كالقمار ونحوه .

القسم الثالث : إطلاق اسم الغلبة على المقاتلة التى هى مسبب عنها .

١٩ ومنه قوله تعالى : ﴿ إن يكن منكم / عشرون صابرون يَغلِبوا مائتين ﴾ [سورة الأنفال : ٦٥] عبر بلفظ الغلبة عن المقاتلة لأن الغلبة مسببة عن المقاتلة .

الرابع : إطلاق اسم الرجز على عبادة الأصنام . ومنه قوله تعالى : ﴿ والرِّجْزَ [١] فاهْجُرْ ﴾ [سورة المدثر : ٥] تجوّز بالرجز وهو العذاب الشديد [٢] عن عبادة الأصنام لأن العذاب مسبب عنها . وأما قوله تعالى : ﴿ ويُذْهِبَ عنكم رِجزَ الشيطانِ ﴾ [سورة الأنفال : ١١] فهو من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن سبب سببه لأن وساوس الشيطان سبب لمعصية الرحمن ، ومعصية الرحمن سبب لعذاب الديّان ، فبان أن الوسوسة سبب للمعصية ، والمعصية سبب للعذاب . ويجوز أن تجعل الوسوسة نفسها رِجزًا لمشقتها على أهل الإيمان وكل ما اشتدت مشقته على النفوس فهو رجز . قال أبو عُبيد [٣] : الرجز والرجس هما العذاب الشديد . وكذلك ما أشبهه .

---

(١) هكذا ضبط الآية فى (ط) بكسر الراء ، وهى قراءة العشرة غير حفص ويعقوب . انظر البدور الزاهرة : ٣٣١ .

(٢) وهناك أقوال أخرى فى معناه . انظر – على سبيل المثال – البحر المحيط لأبى حيان ٨/٣٧١ .

(٣) كذا فى ط ، وما فى مطبوعة العز بن عبد السلام : ٤٠ أبو عبيدة . وأبو عبيدة هو القاسم ابن سلام من كبار علماء الأمة فى الحديث والفقه ، وهو صاحب كتاب الغريب المصنف ، وغريب الحديث وفضائل القرآن وغيرها . توفى ٢٢٤ هـ وأما أبو عبيدة فهو معمر بن المثنى المتوفى ٢٠٩ هـ صاحب « مجاز القرآن » .

الخامس : إطلاق اسم المغفرة على التوبة . ومنه قوله تعالى : ﴿ واللهُ يدْعو إلى الجنة والمغفرةِ بإذنهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢١] تجوّز باسم المغفرة عن التوبة .

السادس : إطلاق اسم الكبرياء على المُلك لأنها مسببةٌ عن الملك . ومنه قوله تعالى : ﴿ وتكونَ لكما الكبرياء فى الأرض ﴾ [سورة يونس : ٧٨] .

السابع : إطلاق اسم القوة على السلاح لأن القوة على القتال تكون عنها . ومنه قوله تعالى : ﴿ وأعِدُّوا لهمْ ما استطعتم من قوة ﴾ [سورة الأنفال : ٦٠] لأن القوة على قتالهم مسببة عن الأسلحة فسماها باسم مسببها . أو يكون ذلك من مجاز الحذف تقديره : وأعدوا لهم ما استطعتم من أسباب قوة أو من أدوات قوة .

الثامن : إطلاق اسم الإعطاء والإيتاء على الالتزام . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ فلا جُناح عليكمْ إذا سَلَّمْتُمْ ما آتيتمْ بالمعروف ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٣] معناه : إذا سلمتم ما التزمتموه بالمعروف لما كان التسليم مسببًا عن الالتزام عُبر به عنه ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ولا جُناحَ عليكم أنْ تَنكِحوهنّ إذا آتيتموهنَّ أجورَهنَّ ﴾ [سورة الممتحنة : ١٠] أى إذا التزمتم لهن مهورهن . ويحتمل أن يكون من مجاز الحذف تقديره : إذا آتيتم أهلهن مهورهن ولا يدلّ قوله : ﴿ فانكحوهن بإذن أهلهن ﴾ على صحة النكاح بغير ولى لأنه لم يذكر المأذون له . ويجوز أن يكون المراد الوكيل ويجوز ويحتمل أن (تكون المرأة) [1] ، وحَمله على الوكيل أولى لأن الغالب فى الأنكحة أنه يتولى ذلك الرجال دون النساء ، فيجب الحمل على الغالب لأن مباشرة المرأة النكاحَ فى غاية الندور فلا يجوز حمل الكلام عليه إذ لا يوجد لمثل هذا نظير فى كلام العرب من أنهم أرادوا بيان شيء والإرشاد إلى مصلحة (فيبيّنوه بأندر) [2] / أحواله مع الاستغناء عنه ويهملوا الأغلب مع مسيس الحاجة إليه . ٢٠

* * *

---

(١) ما بين القوسين كذا فى (ط) . وما فى مطبوعة الإشارة : ٤١ (يكون المراد به الأمة) .

(٢) فى مطبوعة ابن عبد السلام : (مصلحته أن يبينوا أندر) .

القسم الرابع

إطلاق اسم الفعل على غير فاعله لما كان سببا له

وهو أربعة أقسام

الأول : نسبة الفعل إلى من كان سبباً له [١] . من ذلك قوله تعالى : ﴿ هو مِن عند أنفسكم ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٥] وهو من عند الله على الحقيقة ، ولكنه نسب ما أصابهم من قتل إخوتهم إلى سببه . ومنه قوله تعالى : ﴿ فلأنفسهم يَمْهَدُون ﴾ [سورة الروم : ٤٤] والماهد هو الله على الحقيقة ولكنه نسب إليهم تمهيد المرقد لتسببهم إليه بالعمل الصالح .

الثانى : إطلاق نسبة الفعل على سبب سببه [٢] ، وهو فى القرآن كثير . ومنه قوله تعالى : ﴿ رَّبنا مَن قَدَّمَ لنا هذا فزِدْهُ عذابًا ضِعْفًا فى النارِ ﴾ [سورة ص : ٦١] نسبوا صِلّى [٣] النار إلى سبب سببه لأن الكبراء أمروهم وهم امتثلوه والمقدّم على الحقيقة هو الله تعالى وسبب كفرهم أمر رؤسائهم إياهم بالكفر . ومنه ﴿ فأَخرَجَهما مما كانا فيه ﴾ [سورة البقرة : ٣٦] . ومنه قوله تعالى : ﴿ كما أخرجَ أبويكم من الجنة ﴾ [سورة الأعراف : ٢٧] ومنه ﴿ فلا يُخرِجنّكما من الجنة فتشقى ﴾ [سورة طه : ١١٧] المخرج والنازع على الحقيقة هو الله تعالى .

الثالث : نسبة الفعل إلى الآمر به [٤] . وهو فى القرآن كثير . منه قوله

---

(١) الإشارة : ٤٢ .
(٢) الإشارة : ٤٥ .
(٣) قال فى القاموس : صَلِيَ النّار كرضى : وبها صُلِيًّا وصِلِيًّا .
(٤) الإشارة : ٤٦ .

تعالى : ﴿ والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أَيْدِيَهُما ﴾ [سورة المائدة : ٣٨] ومنه ﴿ الزانيةُ والزانى فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما ﴾ [سورة النور : ٢] ومنه قوله تعالى : ﴿ فاجلدوهم ثمانين جلْدَةً ﴾ [سورة النور : ٤] فإن كان هذا أمراً للوُلاة فهو أمرٌ بالأمر بإقامة الحدود وإن كان أمراً لمستوفى الحقوق أو مباشرها فهو حقيقة ، فأما قوله : « رَجَمَ رسول الله ﷺ ماعزاً والغامدية » [1] ، وقوله : « لو أن فاطمة بنت محمد سَرَقَتْ لقطعتُ يدها » [2] ، فكل ذلك من باب نسبة الفعل إلى الآمر به ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ونادى فِرْعَوْنُ فى قومه ﴾ [سورة الزخرف : ٥١] أى أمر من ينادى فى قومه .

الرابع : نسبة الفعل إلى الآذن فيه [3] وهو فى القرآن كثير ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَ منكم ميثاقًا غليظًا ﴾ [سورة النساء : ٢١] . الآخذ على الحقيقة هو الولىّ والمرأة الآذنة فيه . وهذا أخذ مجازى / ونسبته إليهن مجازية أيضاً كما ذكرناه . وقد اختلف فى الميثاق ، فقيل إنه العقد ، وقيل إنه قول الولىّ : زوَّجتك على ما أمر الله به من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . ومنه قوله تعالى : ﴿ فلا تَعْضُلُوهُنَّ أن يَنْكِحْنَ أزواَجهنَّ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٢] وقوله تعالى : ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعدُ حتى تنكح زوْجًا غيرَهُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٠] نسب النكاح إليهن لإذنهن فيه . وهذا على قول من قال إن المرأة العاقلة البالغة الثيب لا تُنكح نفسها . وأما على قول من قال إنها تنكح نفسها فهو حقيقة فيهن مجاز فيما سواهن .

٢١

* * *

(١) انظر سنن أبى داود (٥٧٣/٤) – كتاب الحدود – باب رجم ماعز بن مالك .

(٢) صحيح البخارى (فتح البارى ٨٧/١٢) ، كتاب الحدود (٨٦) – باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع (١١) .

ومسلم (١٣١٥/٣) ، كتاب الحدود (٢٩) ، باب قطع السارق الشريف وغيره (٢) .

(٣) الإشارة : ٤٧ .

القسم الخامس (*)

الإخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم وفى خطابهم بما يتعلق ببعضهم

وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ ثم اتخذتمُ العجلَ من بعدِه وأنتم ظالمون ﴾ [سورة البقرة : ٥١ ، ٩٢] معناه : ثم اتخذ العجل بعض أسلافكم ، فإن جميع الخلف والسلف لم يتخذوا العجل إلهًا وإنما وُجِد من بعضهم فصار هذا كقول امرىء القيس (١) :

فــإنْ تَقْتُلونــا نُقَتِّلكُــمُ وإنْ تقصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ (٢)

معناه : فإن قتلتم بعضنا نُقتّلكم إذ لا يتصوّر أن يقتلوهم بعد استيعاب جميعهم بالقتل .

وهذا الباب كله من مجاز الحذف وله قاعدة يتفرع عليها وهى : إن كان البعض واحداً كان التقدير : وإذ فعل أحدكم . ومثاله قوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفساً ﴾ [سورة البقرة : ٧٢] وإن كان البعض أكثر من واحد كان التقدير : وإذ فعل بعضكم . ومثاله قوله تعالى : ﴿ وإذ قلتمْ يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى اللهَ جَهرةً ﴾ [سورة البقرة : ٥٥] وكان القائلون لذلك سبعين (٤) . ومن زعم

(*) الإشارة : ٤٧ .

(١) هو امرؤ القيس بن حُجْر أمير شعراءِ الجاهلية ، ذكر الزركلى فى الأعلام أنه توفى سنة ٨٠ قبل الهجرة .

(٢) ديوانه ١٨٦ ، وصدره فى كتاب العز بن عبد السلام : ٤٧ .

(٣) قال ابن عبد السلام : ٤٧ : (أصله وإذ قتل أحدكم نفسا) .

(٤) انظر الآثار المروية فى ذلك فى تفسير الطبرى : ٨٦/٢ . وتعليق أبى جعفر الطبرى عليها : (٨٩/٢) بما يفيد عدم ثبوت هذه المرويات .

أنه نسب الفعل إليهم لأنهم رضوا به لايستقيم قوله ؛ لأنا نعلم أنهم لم يتفقوا على الرضا فى قتل النفس ولا باتخاذ العجل ولا بقولهم « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » ولا بقولهم : ﴿ لن نصبر على طعام واحد ﴾ [سورة البقرة : ٦١] .
وأيضا فإن نسبة الفعل إلى الراضى به مجاز وإلى فاعله حقيقة فإذا حمل - على [١] - عليهما كان حملاً على حقيقة غالبة ومجاز مغلوب وذلك لايجوز .

* * *

---

(١) كذا فى (ط) . ولعلها زيادة من الناسخ أو الطابع .

/ القسم السادس

إطلاق اسم البعض على الكل (*)

وهو سبعة عشر قسما

الأول : التعبير بالقيام عن الصلاة : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قم الليل إلا قليلا ﴾ [سورة المزمل : ٢] أى صلّ الليل إلا قليلاً . وقوله تعالى : ﴿ لا تَقُمْ فيه أبداً ﴾ [سورة التوبة : ١٠٨] أى لا تصلّ فيه أبدًا .

الثانى : التعبير بالركوع عن الصلاة : وهو فى قوله تعالى : ﴿ واركعى مع الراكعين ﴾ [1] [سورة آل عمران : ٤٣] أى صلى مع المصلين . وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيلَ لهمُ اركَعوا لا يَرْكَعون ﴾ [2] [سورة المرسلات : ٤٨] أى : وإذا قيل لهم صلوا لا يصلون .

الثالث : التعبير عنها بالسجود : وذلك فى قوله تعالى : ﴿ ومن الليل فاسجد له ﴾ [سورة الإنسان : ٢٦] أى فصلِّ له . ومنه قوله تعالى : ﴿ فإذا سَجَدُوا فليكونوا مِن ورَائكم ﴾ [سورة النساء : ١٠٢] أى : فإذا صلوا فليكونوا من ورائكم [3] . ومنه قوله تعالى : ﴿ يَتلون آياتِ اللهِ آناءَ الليلِ وهمْ يسجدون ﴾

(*) انظر الإشارة : ٤٨ ، ٤٩ .

(١) ما فى كتاب ابن عبد السلام : ٤٨ ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ وهى آية أُخرى من سورة البقرة : ٤٣ .

(٢) هذه الآية ليست فى كتاب العز بن عبد السلام .

(٣) هذا فى صلاة الخوف . وهو مذهب جماعة من مفسرى السلف ولكنه ليس الرأى الوحيد بل ذهب آخرون إلى أن المراد بالسجود فى الآية السجود المعروف وأن المعنى : (فإذا فرغوا من السجدة الثانية من الركعة الأولى) انظر تفسير الطبرى ١٤٩/٩ .

[سورة آل عمران : ١١٣] أي وهم يصلون لأن التلاوة منهيٌّ عنها في السجود الحقيقي [١] فلا يصح المدح فيما نهى عنه .

الرابع : التعبير عنها بالقراءة . في قوله تعالى : ﴿ وقرآنَ الفجر ﴾ [سورة الإسراء : ٧٨] وفي قوله : ﴿ فاقرأوا ما تيَسَّرَ من القرآن ﴾ [سورة المزمل : ٢٠] .

الخامس : التعبير عنها بالتسبيح ، في قوله : ﴿ وسبِّحْهُ ليْلاً طويلاً ﴾ [سورة الإنسان : ٢٦] وفي قوله : ﴿ وسبِّحْ بحمد ربِّكَ قبلَ طُلوعِ الشمس وقبلَ الغُروبِ ﴾ [سورة ق : ٣٩] وفي قوله : ﴿ وسَبِّحوهُ بُكْرةً وأصيلاً ﴾ [سورة الأحزاب : ٤٢] وأمثاله في القرآن كثير .

السادس : التعبير عنها بالذكر . في قوله : ﴿ واذكُرِ اسم ربك بُكرَةً وأصيلاً ﴾ [سورة الانسان : ٢٥] وفي قوله : ﴿ فإذا أَمِنْتُمْ فاذكروا اللهَ كما عَلَّمَكُمْ ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٩] معناه : فإذا أمنتم فصلوا لله .

السابع : التعبير عنها بالاستغفار ، في قوله : ﴿ وهم يستغفرون ﴾ [سورة الأنفال : ٢٣] وحمله بعضهم على الحقيقة .

الثامن : التعبير بالذقن عن الوجه ، في قوله تعالى : ﴿ يخرون للأذقان سُجَّدًا ﴾ [سورة الإسراء : ١٠٧] وفي قوله : ﴿ يَخِرُّون للأذقان يبكون ﴾ [سورة الإسراء : ١٠٩] أي للوجوه .

التاسع : التعبير بالأنف عن الوجه : في قوله تعالى : ﴿ سَنَسِمُهُ على الخُرْطوم ﴾ [سورة القلم : ١٦] .

---

(١) هذا مذهب الفراء في معاني القرآن ٢٣١/١ . وقد استنكر ذلك أبو جعفر الطبري وذهب إلى أن معنى السجود في الآية هو « السجود » المعروف ، وأن المعنى : مِنْ أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم ، وهم مع ذلك يسجدون فيها » انظر تفسير الطبري ١٢٩/٧ .

العاشر : التعبير بالرقبة عن الجملة . فى قوله تعالى : ﴿ فتحريرُ رقَبةٍ ﴾ [سورة النساء : ٩٢ ، سورة المجادلة : ٣] وفى قوله : ﴿ وفى الرِّقابِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧ ، سورة التوبة : ٦٠] وفى قوله : ﴿ فظلَّت أعناقهم لها خاضعين ﴾ [سورة الشعراء : ٤] فإن هذه الأفعال لا تختصّ بالرقاب بل تعمّ الأجساد وكذلك ما أشبهه .

٢٣ / **الحادى عشر : التعبير باليدين عن الجملة** . وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ ذلك بما قدّمت يَدَاك ﴾ [سورة الحج : ١٠] .

الثانى عشر : التعبير باليمين عن الجملة . ومنه قوله تعالى : ﴿ لأخذنا منه باليمين ﴾ [1] [سورة الحاقة : ٤٥] .

الثالث عشر : التعبير بالعضُد عن الجملة . فى قوله تعالى : ﴿ سنشُدُّ عَضُدَك بأخيك ﴾ [سورة القصص : ٣٥] .

الرابع عشر : التعبير بالأصابع عن الكف والأرجل . كقوله تعالى : ﴿ فاضربوا فوق [2] الأعناق واضربوا منهم كلَّ بَنَان ﴾ [سورة الأنفال : ١٢] .

الخامس عشر : التعبير بالوجه عن الجسد . ومنه قوله عز وجل : ﴿ وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى ربها ناظرة ﴾ [3] [سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣] ومنه قوله تعالى : ﴿ وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشعةٌ [4] عاملة ناصبةٌ تصلى نارًا حامية ﴾ [سورة الغاشية : ٢ - ٤] عبر بالوجوه عن الأجساد ؛ لأن العمل والنصب صفتان للأجساد .

---

(١) هذه الآية لم ترد فى مطبوعة ابن عبد السلام ، ومثّل فيها ص ٤٩ ، للتعبير عن الجملة باليمين بقوله تعالى : ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ و ﴿ وما ملكت أيمانهن ﴾ .

(٢) وردت الآية فى (ط) : (فاضربوا منهم فوق الأعناق) وهو وهم .

(٣) هذه الآية ليست عند ابن عبد السلام . وما مثل به ص ٤٩ قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴾ .

(٤) « خاشعة » ساقطة من (ط) .

السادس عشر : التعبير بالمسجد الحرام عن الحرم كله . فى قوله تعالى : ﴿ إنما المشركون نَجَسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ [سورة التوبة : ٢٨] ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره : فلا يقربوا حرم المسجد الحرام .

السابع عشر : التعبير بمكة عن الحرم كله ، فى قوله عليه الصلاة والسلام « إن الله حَرَّمَ مكة يوم خلق السموات والأرض لا يُنَفَّرُ صَيْدُها ولا يُعْضَدُ شجرُها » [1] . ومعلوم أن البلد نفسه لا صيد فيه مباح ولا شجر أيضاً . وأما قوله تعالى : ﴿ ثم مَحِلُّها ... ﴾ [إلى البيت العتيق] [سورة الحج : ٣٣] فإنه تجوّز بالبيت العتيق عن الحرم كله إذ لا يجوز النحر فيما اتصل بالبيت من المسجد المحيط . ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره : ثم محلها إلى حرم البيت العتيق .

* * *

---

(١) رواه البخارى فى كتاب جزاء الصيد (٢٨) - باب لا يحل القتال بمكة (١٠) ، ومسلم فى كتاب الحج (١٥) - باب تحريم مكة (٨٢) .

القسم السابع

إطلاق اسم الكل على البعض (*)

وهو أحد عشر قسما

الأول : قوله تعالى : ﴿ وإذا رأيتهم تُعْجِبُكَ أجسامُهم ﴾ [سورة المنافقون : ٤] ومعلوم أنه لم ير جملتهم وإنما دائر وجوههم وما يبدأ منهم .

الثانى : قوله تعالى : ﴿ فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ [سورة النور : ٤] .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ وامسحوا [١] برؤوسكم ﴾ [سورة المائدة : ٦] على قول من قال استيعاب مسح الرأس ليس بواجب .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعَهم فى آذانهم ﴾ [سورة البقرة : ١٩] وإنما جعلوا بعض أناملهم .

٢٤ **الخامس** : / قوله تعالى : ﴿ ادخلوا مصر ﴾ [سورة يوسف : ٩٩] ومعلوم أنهم لم يستوعبوها .

السادس : قولهم : « خرجت من المسجد » ومثله فى القرآن كثير .

السابع : وصف البعض بوصف الكل . وهو فى قوله تعالى : ﴿ يعلم خائنة الأعين ﴾ [سورة غافر : ١٩] .

(*) انظر الإشارة : ٥٠ .

(١) فى (ط) ، ومطبوعة ابن عبد السلام : « فامسحوا » وهو وهم .

الثامن : قوله تعالى : ﴿ لَنَسْفَعَنْ بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ﴾ [سورة العلق : ١٥ ، ١٦] الخطأ صفة للكل فوصفت به الناصية وأما قوله « كاذبة » فالكاذب على الحقيقة هو اللسان ونسبة الكذب إلى الإنسان من مجاز وصفه بصفة بعضه ، وتجوز عن هذا المجاز بأن وصفت به الناصية فيكون مجازاً عن مجاز .

التاسع : نسبة الظن إلى الوجوه ، فى قوله تعالى : ﴿ تظن أن يُفعل بها فاقرة ﴾ [سورة القيامة : ٢٥] فإن الظن وصفٌ للقلوب على الحقيقة ويضاف إلى الأجساد على التجوز فيكون مجازًا عن مجاز .

العاشر : وصف الوجوه بالخشوع [١] ، فإن محل الخشوع القلوب ثم توصف به الجملة ثم توصف الوجوه بصفة الجملة .

الحادى عشر : وصفها بالرضا فى قوله تعالى : ﴿ لسعيها راضية ﴾ [سورة الغاشية : ٩] وصف لها بصفة القلوب وهذا كله من مجاز القلوب .

* * *

(١) لم يذكر فى (ط) التمثيل لهذا القسم ، وسياق كلام المؤلف يشير إلى أنه يريد قوله تعالى : ﴿ وجوهٌ يومئذ خاشعة ﴾ [سورة الغاشية : ٢] .

القسم الثامن (*)

فى التجوز بوصف الكل بصفة البعض

وهو أربعة أقسام

الأول : من ذلك قوله تعالى : ﴿ إنا منكم وجِلُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٥٢] والوَجَل : الخوف ومحله القلب ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ المخبِتين الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قلوبهم ﴾ [سورة الحج : ٣٤ ، ٣٥] .

الثانى : قوله تعالى : ﴿ لو اطَّلَعْتَ عليهم لولَّيتَ منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا ﴾ [سورة الكهف : ١٨] والرعب إنما يملأ القلوب فنسب إلى الأجساد ، ووصف القلوب بالامتلاء مجازٌ أيضًا .

الثالث : قولك زيدٌ عالم وجاهلٌ وراغبٌ وخائفٌ وآمنٌ ومتفكرٌ وشاكٌّ ومتذكرٌ وعاقلٌ ولينٌ وقاس وقانعٌ ، فهذه كلها من أوصاف القلوب وقد وصفت بها الجملة .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ كتاب فُصِّلَت آياتُهُ قرآنًا عربيا لقوم يعلمون (١) بشيرًا ونذيرًا ﴾ [سورة فصلت : ٣ - ٤] وصف القرآن بالبشارة والنذارة وكلاهما بعض من أبعاضه لاشتماله على الأمر والنهى والحدود والحلال والحرام وسائر الأحكام ونسبة البشارة والنذارة إليه مجازية أيضًا .

* * *

(*) انظر الإشارة : ٥٠ ، ٥١ .

(١) فى (ط) : (يعقلون) وهو خطأ .

/ القسم التاسع (*)

إطلاق اسم الفعل على مقاربه ومُساوِقه (١)

وهو قسمان

الأول : قوله تعالى : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف ﴾ [سورة البقرة : ٢٣١] معناه : وإذا طلقتم النساء فقاربن انقضاء عِددهن وشارفنه فأمسكوهن بمعروف .

الثانى : قوله تعالى : ﴿ والذين يُتَوَفَّوْنَ منكم ويذرون أزواجًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٤] معناه : والذين يقاربون الوفاة وترك الأزواج ويشارفونها . وكذلك ما أشبهه .

* * *

(*) انظر الإشارة : ٥١ .

(١) كذا فى (ط) وعنوان هذا القسم فى مطبوعة ابن عبد السلام : « التجوز بلفظ الفعل عن مقارنته ومشارفته » ويبدو أن كلا المطبوعتين قد لحقهما شيء من التحريف وأستظهر أن يكون صواب العنوان هكذا : « إطلاق اسم الفعل على مقاربه ومُشارفه » .

القسم العاشر (*)

إطلاق اسم الشيء على ما كان عليه

وهو قسمان :

الأول : من ذلك قوله تعالى : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ [سورة النساء : ٢] معناه : الذين كانوا يتامى إذ لا يتم بعد البلوغ .

الثانى : قوله تعالى : ﴿ فلا (١) تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٢] معناه الذين كانوا أزواجهن لأنها نزلت فى معقل بن يسار وأخته لما حلف أنه لا يزوجها من زوجها عبد الله بن رواحة (٢) .

* * *

(*) انظر الإشارة : ٥١ .

(١) فى ط : (ولا تعضلوهن) وهو خطأ .

(٢) كذا فى (ط) (عبد الله بن رواحة) وأخشى أن يكون لحق أصل المؤلف فى هذا الموضع شىء من التحريف فقد راجعت ما تهيأ لى من التفاسير وهى : تفسير الطبرى ، وابن كثير ، والدر المنثور للسيوطى وتفسير القرطبى ، وابن عطية ، وأبى حيان ، والبغوى ، والبيضاوى . والزمخشرى ، والبقاعى ، والماوردى ، والرازى ، وابن الجوزى ، والجلالين وحاشيتا الصاوى والجمل عليه . ولم أجد فى شىء منها ذكرًا لعبد الله بن رواحة ، رغم اختلافها فى تسمية هذا الزوج .

القسم الحادى عشر (*)

إطلاق اسم الشيء على [1] ما يؤول إليه

وهو قسمان

الأول : من ذلك قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عليكم القصاصُ فى القتلى ﴾ [سورة البقرة : ١٧٨] أى فيمن يقتل من القتلى .

الثانى : قوله تعالى : ﴿ إنى أرانى أعصر خمرًا ﴾ [سورة يوسف : ٢٦] أى أعصر عنبًا . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ولا يلدوا إلا فاجرًا كفّارًا ﴾ [سورة نوح : ٢٧] .

* * *

(*) انظر ابن عبد السلام : ٥٢ .

(١) ط : « بما يؤول إليه » وهو تحريف .

/ القسم الثاني عشر

إطلاق اسم المتوهم على المحقق (*)

وهو خمسة أقسام :

الأول : من ذلك قوله تعالى : ﴿ يرونهم [1] مثليهم رأىَ العين ﴾ [سورة آل عمران : ١٣] أى فى ظنكم وحسابكم .

الثانى : قوله تعالى : ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألفٍ أو يزيدون ﴾ [سورة الصافات : ١٤٧] أى فى ظن الناظر إليهم وحسبانه .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ والقمرَ قدّرْناه منازلَ حتى عاد كالعُرجون القديم ﴾ [سورة يس : ٣٩] ولم يصر كالعرجون القديم إلا فى الحسبان والظن ورأى العين . وكذلك تقديره منازل إنما هى منازل من رَأْيِ العينِ ، فإن القمر فى الفلك الأول ، والمنازل فى الفلك الثامن ، ولا يتصور نزوله فى شىء منها وإنما يقع ذلك فى نظر الناظرين وحسبان الظانين .

الرابع : قوله عز وجل : ﴿ لا الشمسُ ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ [سورة يس : ٤٠] أى يسبحون فى رأى العين فإن الناظر إلى الفلك يعتقده ساكنًا والكواكب جارية فيه وليس كذلك .

الخامس : قوله تعالى : ﴿ فكان قابَ قوسين أو أدنى ﴾ [سورة النجم : ٩] أى كان قاب قوسين أو أدنى فى ظن رائيه وحسبانه .

* * *

(*) انظر الإشارة : ٥٢ .

(١) كذا فى (ط) بالياء « يرونهم » ، وما في مطبوعة ابن عبد السلام : « ترونهم » بالتاء . وهو المناسب لسياق كلامه حيث قال بعدُ (فى ظنكم وحسابكم) بأسلوب الخطاب ، وقراءة (ترونهم) بتاء الخطاب هى قراءة نافع وأبى جعفر ويعقوب البصرى والباقون بالياء على الغيبة انظر (البدور الزاهرة : ٥٩) .

القسم الثالث عشر

إطلاق اسم الشيء على الشيء الذى يظنه المعتقد والأمر على خلافه (*)

وهو ستة أقسام :

الأول : من ذلك قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] ذلك بالنسبة إلى ظنهم وزعمهم إذ ليس له ضدّ ولانِدّ .

الثانى : قوله تعالى : ﴿ أين شركائى ﴾ [سورة النحل : ٢٧] (١) وليس هذا إثباتًا للشركاء بل هو يتنزل على قول الخصم معناه أين شركائى بزعمكم وقوله ﷺ حكاية عن ربه « من عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته لشريكى » (٢) معناه تركته لشريكى بزعمه .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ إن رسولكم الذى أُرْسِلَ إليكم لمجنون ﴾ [سورة الشعراء : ٢٧] . / لم يقر فرعون برسالة موسى عليه السلام بل المعنى بزعمه أنه رسوله . ٢٧

(*) انظر الإشارة : ٥٣ – ٥٤ .

(١) ووردت فى سورة القصص : ٦٢ ، ٧٤ ، وفصلت : ٤٧ .

(٢) رواه مسلم (٤/٢٢٨٩) – كتاب الزهد والرقائق (٥٣) باب من أشرك فى عمله غير الله (٥) وروايته : « من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه » وعلق عليه الأستاذ محمد فؤاد =

الرابع : قوله عز وجل : ﴿ يا أيها الذى نُزِّلَ عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ [سورة الحجر : ٦] ليس هذا إقراراً بتنزيل الذكر وإنما المعنى يا أيها الذى نزل عليه الذكر بزعمه [1] .

الخامس : قوله تعالى [2] ......

* * *

= عبد الباقى رحمه الله بقوله بهامش الصفحة : « تركته وشيْزكه » هكذا وقع فى بعض الأصول : « وشيْزكه » . وفى بعضها : « وشريكه » وفى بعضها : « وشركته » .

(١) الأقرب أن يكون قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذى نزل عليه الذكر ﴾ على لسانهم للاستهزاء والتهكم ومثله الآية السابقة على لسان فرعون (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) ولا حاجة لما ذهب إليه الشيخ من هذا التقدير . وباب الاستهزاء والتهكم باب واسع ومعروف فى كلام العرب وقد جوز ابن عبد السلام ص ٥٤ أن يكون ذلك من باب التهكم . وينظر تفسير الزمخشرى ٢/٣١٠ .

(٢) الآية وبعدها القسم السادس ساقط من الأصل المخطوط الذى أخرجت عليه المطبوعة نص على ذلك مصححها . وقد وصلت أمثلة هذا القسم عند ابن عبد السلام إلى ثمانية ولذا استحال معرفة مراد المؤلف فى هذا القسم .

القسم الرابع عشر

التضمين (*)

وهو أن يضمن اسما معنى اسم
لإفادة معنى الاسمين فتعديه تعديته
في بعض المواطن

وهو أربعة أقسام

الأول : قوله تعالى : ﴿ حقيقٌ على أنْ لا أقولَ على الله إلا الحق ﴾ (1) [سورة الأعراف : ١٠٥] « حقيق » معنى حريص ليفيد أنه محقوق يقول الحق وحريص عليه .

الثانى : من التضمين أيضًا ، أن تضمن فعلا معنى فعل آخر لإفادة معنى الفعلين وتعديه أيضاً تعديته فى بعض المواطن ، وهو فى القرآن كثير . منه قوله تعالى : ﴿ ألّا تُشرِكْ بى شيئًا ﴾ (2) [سورة الحج : ٢٦] ضمن « لاتشرك » معنى « لاتعدل » والعدل : التسوية ، أى لا تسوّى بالله شيئا فى العبادة والمحبة ،

(*) انظر الإشارة : ٥٤ ، والبرهان للزركشى : ٣/٣٣٨ .

(1) ضبط الآية فى (ط) بتشديد الياء المفتوحة من (على) ، وهى قراءة الإمام نافع ، وهذا الضبط لا يصح فى هذا الموضع فتضمين (حقيق) معنى « حريص » لا يتأتى على هذه القراءة ولكن على قراءة (حريص على) بالألف على أنها حرف جر ، وهى قراءة باقى القراء العشرة . أمّا « حقيق علىّ » فى قراءة نافع فحقيق بمعنى جدير أو خليق . وانظر البحر المحيط ٤/٣٥٥ ، والبدور الزاهرة : ١٢١ .

(2) (ط) : لا تشرك .

فإنهم عبدوا الأصنام كعبادة الله وحبوها [1] كحب الله ولذلك قال الذين فى النار ﴿ تالله إنْ كنا لفى ضلالٍ مبينٍ إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العالمين ﴾ [سورة الشعراء : ٩٧ ؛ ٩٨] وما سوَّوْهم به إلا في العبادة والمحبة دون أوصاف الكمال ونعوت الجمال والجلال .

الثالث : قوله عز وجل : ﴿ إنْ كادت لَتُبْدى به لولا أن رَبَطنا على قلبها ﴾ [سورة القصص : ١٠] ضمن « لتبدى به » معنى لتخبر به أو لتعلم ؛ ليفيد الإظهار معنى الإخبار ، لأن الخبر قد يقع سرًا غير ظاهر .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ عيناً يَشرَبُ بها عباد الله ﴾ [سورة الإنسان : ٦] ضمن يشرب معنى يروى أو معنى يلتذ ليفيد الشرب والريّ ، أو الشرب والالتذاذ جميعًا .

* * *

---

(١) فى مطبوعة الإشارة : (أحبوها) . قال فى القاموس : (وحبَبْتُه أُحِبُّهُ بالكسر شاذ حُبّاً بالضم والكسر) .

/ القسم الخامس عشر

فى مجاز اللزوم (*)

وهو ثمانية تحت كل قسم

أقسام قد بيناها فيه

الأول : التعبير بالإذن عن المشيئة : لأن الغالب أن الإذن فى الشىء لا يقع إلا بمشيئة الآذن واختياره ، والملازمة [1] الغالبة مصححه للمجاز . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تموتَ إلا بإذن اللهِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٥] أى إلا بمشيئة الله . ويجوز أن يراد فى هذا بالإذن أمرُ التكّوين ، والمعنى : وما كان لنفس أن تموت إلا بقول الله موتى . ونظيره ﴿ فقال لهم اللهُ موتوا ثم أحياهم ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٣] فحذف ، تقديره : فقال لهم الله موتوا فماتوا ، لدلالة قوله « ثم أحياهم » عليه . ومثله ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ﴾ [سورة يونس : ١٠٠] ومنه ﴿ وأُبرِىءُ الأكْمه وَالْأبَرصَ وأُحيى الموتى بإذن الله ﴾ [سورة آل عمران : ٤٩] أى بمشيئة الله أو بأمر التكوين فإن ملازمة المشيئة للأمر غالبًا كملازمة مشيئة المريد غالبًا .

الثانى : التعبير بالإذن عن التيسير والتسهيل وهو فى قوله تعالى : ﴿ واللهُ يدْعو إلى الجنةِ والمغفرَة بإذنه ﴾ [سورة البقرة : ٢٢١] أى بتسهيله وتيسيره ؛ إذ

(*) انظر الإشارة : ٥٨ .

(١) ط (اللازمة) بدون واو . وسقوطها يخل بالسياق .

لا يحسن أن يقال : دعوته بإذنى ولاقمت وقعدت بإذنى . هذا قول الزمخشرى [١] . ويجوز أن يراد بالإذن ههنا الأمرُ أى : يدعوكم إلى الجنة والمغفرة بأمره .

الثالث : تسمية المسافر بابن السبيل . وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وابن السبيل ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧ ، ٢١٥] [٢] لملازمته السبيل ، وهو الطريق ، كما يلازم الولد أمه . ومنه قيل للطير « ابنُ الماء » لملازمته للماء .

الرابع : نفى الشىء لانتفاء ثمرته وفائدتِه ؛ للزومها عنه غالبا ، فى مثل قوله تعالى : ﴿ كيف يكونُ للمشركين عهد ﴾ [سورة التوبة : ٧] أى وفاء عهد وإتمام عهد ، فنفى العهد لانتفاء ثمرته ، وهو الوفاء والإتمامُ . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ نَكَثوا أَيْمانَهم من بعد عهدهم وطَعَنُوا فى دينكم فقاتلوا أئمةَ الكفر إنهم لا أَيْمانَ لهم ﴾ [سورة التوبة : ١٢] نفى الأَيْمان بعد إثباتها لانتفاء ثمرتها وفائدتها ، وهو البر والوفاء . ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره : إنهم لا وفاء أيمان لهم .

الخامس : إطلاق اسم الريب على الشك لملازمة الشكِّ القلقَ والاضطرابَ ، فإن حقيقة الريب قلق النفس بدليل قوله : ﴿ نتربص به [٣] رَيْب المنون ﴾ [سورة الطور : ٣٠] أى مقلقات الدهور . وبدليل قوله عليه الصلاة والسلام فى الظبى الحاقف : « لا يَرِيُبه أحد » [٤] وقوله ﷺ : « إن فاطمة

---

(١) انظر الكشاف : ١٣٤/١ . والزمخشرى : هو محمود بن عمر ، أبو القاسم ، جار الله ، إمام كبير من أئمة اللغة والأدب والتفسير ، كان معتزلّى المذهب ، توفى سنة ٥٣٨ هـ .

(٢) وفى مواضع أخر هى : (سورة النساء : ٣٦ ، سورة الأنفال : ٤١ ، سورة التوبة : ٦٠ سورة الإسراء : ٢٦ ، سورة الروم : ٣٨ ، سورة الحشر : ٧) وقد أثبتها بالفهرست .

(٣) ط : (نتربص بكم) وهو خطأ .

(٤) أخرجه النسائى (١٨٣/٥) كتاب المناسك (٢٤) – باب مايجوز للمحرم أكله من الصيد (٧٨) ومالك فى الموطأ : ٣٥١ ، كتاب الحج (٢٠) – حديث ٧٩ .

بضعة / مِنّى يَرِيبُنى ما يريبها » [١] . ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى [٢] : ٢٩

* أَمِنَ المنونِ ورَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ * [٣]

السادس : التعبير بالمسافحة عن الزنا ، لأن السفح صب المنى ، وهو ملازم للجماع غالباً . لكنه خص بالزناء إذ لا غرض فيه سوى صبِ المنى بخلاف النكاح فإن مقصوده الولد والتعاضُدُ والتناصر بالأختان والأصهار والأولاد والأحفاد . ومثاله قوله تعالى : ﴿ محصنين غيرَ مسافحين ﴾ [سورة النساء : ٢٤] أى غير مُزانين . وقوله تعالى : ﴿ مُحْصَنَاتٍ غير مسافحات ﴾ [سورة النساء : ٢٥] أى غير مزانيات .

السابع : إطلاق اسم المحلّ على الحالّ فيه ، لما بينهما من الملازمة الغالبة ، كالتعبير باليد عن القدرة والاستيلاء ، وبالعين عن الإدراك ، وبالصدر عن القلب ، وبالقلب عن العقل ، وبالأفواه عن الألسن ، وبالألسن عن اللغات ، وبالقرية عن قاطنيها ، وبالساحة عن نازليها ، وبالنادى والندى ، عن أهلها ، وبالغائط – وهو المكان المنخفض – عما يخرج من الإنسان ؛ لأنهم كانوا فى الغالب يقضون الحاجة فى الأماكن المنخفضة تستّرا عن الناس .

أما التعبير باليد عن القدرة فهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى :

---

(١) عزاه صاحب كنز العمال (١٠٧/١٢) إلى « أحمد وأبى داود والترمذى عن المسور بن مخرمة والبيهقى وابن ماجه » وأخرج البخارى فى صحيحه (فتح البارى ١٠٥/٧) – كتاب فضائل الصحابة (٦٢) ، باب مناقب فاطمة عليها السلام (٢٩) : « فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى » ورواه الترمذى (٦٥٦/٥) فى كتاب المناقب (٥٠) ، فضل فاطمة بنت محمد ﷺ (٦١) بلفظ : « إنما فاطمة بضعة منى يؤذينى ما أذاها وينصبنى ما أنصبها » .

(٢) هو خويلد بن خالد أحد المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام . وقد جعله ابن سلام فى الطبقة الثالثة مع النابغة الجعدى ولبيد والشماخ . (طبقات فحول الشعراء : ١٣١/١) .

(٣) مطلع قصيدته الشهيرة في رثاء أبنائه الذين أصابهم الطاعون فماتوا جميعا بمصر . وعجزه (والدهر ليس بمعتب من يجزع) . المفضليات للضبى ٤٢١ ، وشرح أشعار الهذليين ٤/١ .

﴿ يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى ﴾ [سورة الأنفال : ٧٠] وقوله تعالى : ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ [سورة الملك : ١] .

وأما التعبير بالعين عن الإدراك فهو فى قوله تعالى : ﴿ أم لهم أعين يُبصرون بها ﴾ [سورة الأعراف : ١٩٥] أى يبصرون بإدراكها أو بنورها .

وأما التعبير بالصدر عن القلب فهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ فلا يكن فى صدرك حرج منه ﴾ [سورة الأعراف : ٢] أى فى قلبك . ومنه قوله تعالى : ﴿ وما تخفى صدورهم أكبر ﴾ [سورة آل عمران : ١١٨] .

وأما بالقلب عن العقل فهو فى القرآن فى موضعين . أحدهما : قوله تعالى : ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ [سورة ق : ٣٧] . والثاني : فى قوله تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٩] أى : لهم عقولٌ لا يفقهون بها . ويجوز أن يكون من مجاز الحذف ، تقديره : لهم قلوبٌ لا يفقهون بعقولها كما فى قوله : ﴿ ولهم آذانٌ لا يسمعون بها ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٩] .

وأما التعبير بالأفواه عن الألسن فهو فى قوله تعالى : ﴿ من الذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ [سورة المائدة : ٤١] أى بألسنتهم ؛ لأن القول إنما يكون باللسان ومنه قوله تعالى : ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ﴾ [سورة الفتح : ١١] . أى : لا يسمعون بأسماعها أو بإدراكها .

وأما التعبير بالألسن عن اللغات فهو فى القرآن كثير ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ فإنما يَسَّرْناه بلسانك ﴾ [سورة مريم : ٩٧] أى بلغتك . ومنه قوله / تعالى : ﴿ بلسان عربى مبين ﴾ [سورة الشعراء : ١٩٥] أى بكلام عربى مبين . ٣٠

وأما التعبير بالساحة عن نازليها ففى قوله تعالى : ﴿ فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين ﴾ [سورة الصافات : ١٧٧] معناه : فإذا نزل بهم .

وأما التعبير بالقرية عن قاطنيها ففى قوله تعالى : ﴿ واسئل القرية التي كنا فيها ﴾ [سورة يوسف : ٨٢] .

وأما التعبير بالنادى عن أهله ففى قوله تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نادِيَه ﴾ [سورة العلق : ١٧] .

وأما التعبير بالنَّدِىّ [١] **عن أهله ففى قوله** : ﴿ أىُّ الفريقين خيرٌ مقامًا وأحسنُ نَدِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٧٣] أى : أحسن أهل مجلس .

وأما التعبير بالغائط – وهو المكان المنخفض – عما يخرج من الإنسان ففى قوله تعالى : ﴿ أو جاءَ أحد منكم [٢] من الغائط ﴾ [سورة النساء : ٤٣ ، سورة المائدة ٦] .

ومن مجاز الملازمة (وهو) [٣] **التعبير بالإرادة عن المقاربة** ؛ لأن من أراد شيئاً قربت مواقعته إياهُ غالبًا . وهو فى قوله تعالى : ﴿ فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض فأقامه ﴾ [سورة الكهف : ٧٧] أى : قارب الانقضاض . ومنه قول الشاعر [٤] :

يُريد الرُّمْحُ صَدْرَ أبى رياحٍ ... وَيَرْغبُ عَنْ دِمَاءِ بنى عَقِيلِ

ومنه التعبير بترك الكلام عن الغضب ؛ لأن الهجران وترك الكلام يلزمان الغضب غالبا وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى : ﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ﴾ [سورة البقرة : ١٧٤] والآخر قوله تعالى : ﴿ ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ﴾ [سورة آل عمران : ٧٧] .

---

(١) قال فى القاموس : والنَّدِىُّ ، كغنى ، والنادى ، والندوة ، والمنتدى : مجلس القوم نهارا ، أو المجلس ماداموا مجتمعين فيه .

(٢) كان فى (ط) : (أحدكم) وهو خطأ .

(٣) كذا فى ط . وأظن هذه الكلمة زائدة من الناسخ أو الناشر بسبب انتقال النظر . وهذا النوع من المجاز هو القسم الثامن من أقسام مجاز الملازمة عند الشيخ ابن النقيب .

(٤) مجاز القرآن لأبى عبيدة (٤١٠/١) وروايته (صدر بنى براءٍ) وعزاه للحارثى . ولم أعرف من الحارثى هذا . وهو – غير معزو – فى (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة : ١٣٣ ، والصناعتين : ٢٨٤ ، والإشارة لابن عبد السلام : ٦٠ وروايتها كلها (صدر أبى براءٍ) .

ومنه التجوز بالإياس عن العلم ؛ لأن الإياس من نقيض (المعلوم ملازم للعلم غير منقلب عنه) [١] . من ذلك قوله تعالى : ﴿ أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا ﴾ [سورة الرعد : ٣١] .

ومنه التعبير بالدخول عن الوطء ؛ لأن الغالب من الرجل إذا دخل بامرأته أنه يطؤها ليلة عُرْسها . ومثاله قوله تعالى : ﴿ وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ﴾ [سورة النساء : ٢٣] .

ومنه وصف الزمان بصفة ما يشتمل عليه ويقع فيه [٢] ، وهو فى القرآن العظيم كثيرٌ . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فذلك يومئذ يومٌ عسيرٌ ﴾ [سورة المدثر : ٩] وصفه بالعسر . والعسرُ صفةٌ للأهوال الواقعة فى ذلك اليوم . ومنه قوله تعالى : ﴿ فيأخُذَكم عذابُ يوم عظيم ﴾ [سورة الشعراء : ١٥٦] وصف اليوم بالعِظَم ، وهو صفة للعذاب الواقع فيه . وأما قوله تعالى : ﴿ أو يأتيهم [٣] عذاب يوم عقيم ﴾ [سورة الحج : ٥٥] فإنه مجاز تشبيه شبه اليوم فى انقطاع خيره بانقطاع ولادة العقيم . ومنه قوله تعالى : ﴿ وقال هذا يوم عصيب ﴾ [سورة هود : ٧٧] وصفه بكونه عصيبا وهو صفةٌ للشر الذى يقع فيه .

* * *

---

(١) مابين القوسين كذا فى (ط) . وما فى الإشارة : ٦٢ « المعلوم ملازم للعلم غير منفك عنه » .

(٢) يلاحظ أن المؤلف ذكر فى صدر هذا القسم الخامس عشر أن مجاز الملازمة ثمانية . وقد زاد هنا بعد القسم السابع خمسة أقسام ، وترك عادته فى ذكر رقم القسم قبله ، واكتفى بقوله (ومنه) .

(٣) ط (فيأخذكم) وهو خطأ ومثله في مطبوعة الإشارة : ٦٢ .

/ القسم السادس عشر

التجوز بالمجاز عن المجاز (*)

وهو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر ، فيتجوز بالمجاز الأول عن الثانى ، بعلاقة بينه وبين الثانى . مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ ولكنْ لا تواعدوهنَّ سرًّا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٥] فإنه مجاز عن مجاز ؛ فإن الوطء تجوز [١] عنه بالسر ؛ لأنه لا يقع غالبًا إلا فى السر ، فلما لازم السر فى الغالب سمى سرًّا . وتجوز [١] بالسر عن العقد لأنه سبب فيه . فالمصحح للمجاز الأول الملازمة ، والمصحح للمجاز الثانى التعبير باسم المسبب الذى هو السر عن العقد الذى هو سببٌ ، كما سمى عقد النكاح نكاحًا لكونه سببًا فى النكاح وكذلك سمى العقد سراً لأنه سبب فى السر الذى هو النكاح فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المصحح فمعنى قوله « ولكن لا تواعدوهن سرًّا » : لا تواعدوهن عقد نكاح .

وكذلك قوله : ﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حَبِطَ عمله ﴾ [سورة المائدة : ٥] قال مجاهد [٢] : ومن يكفر بلا إله إلا الله فقد حبط عمله . فإن حمل قوله على ظاهره كان هذا من مجاز المجاز لأن قول « لا إله إلا الله » مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ ، والتعبير بلا إله إلا الله عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه ، والأول من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الْجَنان .

* * *

(*) الإشارة لابن عبد السلام : ١١٢ .

(١) فى الإشارة فى كلا الموضعين : (يتجوز) .

(٢) هو التابعى الجليل مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى شيخ القراء والمفسرين أخذ التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما توفى ١٠٤ هـ .

القسم السابع عشر

التجوز فى الأسماء (*)
وهو على سبعة أقسام

الأول : إطلاق اسم الأسد على الشجاع .

الثانى : التجوز بالبحر عن الجواد .

الثالث : إطلاق اسم النور [1] والحياة على الإيمان والعرفان .

الرابع : إطلاق اسم الظلمة والموت على الجهل والضلال .

الخامس : إطلاق اسم السراج والنور على الهادى .

السادس : إطلاق اسم الحطب [2] على النميمة بإثارتها نار الحقد والغضب .

السابع : إطلاق اسم الإنسان على تمثاله وكذلك الحيوان والبلدان وقد تقدم جميع أمثلة ذلك إلا الحطب المعبر به عن النميمة فإنه فى قوله تعالى : ﴿ حمالة الحطب ﴾ [سورة المسد : ٤] .

* * *

(*) الإشارة لابن عبد السلام : ٢٠ .

(١) كان فى (ط) : (الفوز) : بالفاء الموحدة من فوق والزاى وهو تصحيف . وقد أثبت نص لفظ الإشارة وهو الموافق للسياق حيث جعل فى القسم التالى (الظلمة والموت) مجازا عن الجهل والضلال ، فيكون ماهنا من (النور والحياة) مقابلا لما فيه من (الظلمة والموت) .

(٢) فى مطبوعة الإشارة (وبالحظر) وهو تصحيف .

/ القسم الثامن عشر

التجوز فى الأفعال (*)

وهو على عشرة أقسام

وتحت كل قسم منها أقسام

الأول : التجوز بالماضى عن المستقبل تشبيهًا له فى التحقيق والعرب تفعل ذلك لفائدة ، وهو أن الفعل الماضى إذا أخبر به عن المضارع الذى لم يوجد بعدُ كان أبلغ وآكد وأعظم موقعًا وأفخم بيانًا : لأن الفعل الماضى يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدوثها . ومنه قوله تعالى : ﴿ ويوم يُنْفَخُ فى الصور فَفَزِعَ مَنْ فى السموات ومَن فى الأرضِ إلا من [1] شاء اللهُ وكلٌّ أَتَوْهُ داخرين ﴾ [سورة النمل : ٨٧] فإنه إنما قال « ففزع » بلفظ الماضى بعد قوله : « يُنفخ » وهو مستقبل للإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض ؛ لأن الفعل الماضى يدل على وجود الفعل بكونه مقطوعا به .

ومن هذا الجنس قوله تعالى : ﴿ وبَرَزُوا لله جميعًا ﴾ [سورة إبراهيم : ٢١] « فبرزوا » بمعنى « يبرزون » يوم القيامة ، وإنما جيء به بلفظ الماضى لأن ما أخبر الله به لصدقه وصحته فإنه قد كان ووجد .

(*) انظر الإشارة : ٢٦ ، والمثل السائر : ١٨١/٢ ، والجامع الكبير : ١٠٢ ، وما يأتى فى قسم الالتفات .

(١) (ط) : (ما) ، وهو خطأ .

ومثل ذلك قوله عز اسمه ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ [سورة النحل : ١] « فأتى » ها هنا بمعنى « يأتى » وإنما حسن فيه لفظ الماضى لصدق إثبات الأمر ودخوله فى جملة ما لابد من حدوثه ووقوعه فصار « يأتى » بمنزله « أتى ومضى » . وكذلك قوله تعالى : ﴿ ويومَ نُسَيِّر الجبالَ وترَى الأرضَ بارزةً وحَشرناهم فلم نُغادِرْ منهمْ أحدًا ﴾ [سورة الكهف : ٤٧] فإنه إنما قال : « وحشرناهم » ماضيًا بعد « نسير » ، « وترى » وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الأهوال كأنه قال : وحشرناهم قبل ذلك . وهو فى القرآن العظيم كثير .

قال الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام فى كتابه المعروف بالمجاز [١] : أكثر ما يكون هذا فى الشروط وأجوبتها وقد يجىء فى غيرها . مثاله فى غير الشرط قوله تعالى : ﴿ وإذْ قالَ اللهُ يا عيسى بن مَريَمَ أأنتَ قلتَ للناس اتخذونى وأمّىَ إلهين مِنْ دُونِ الله ﴾ [سورة المائدة : ١١٦] ومنه ﴿ ونادى أصحاب الأعراف ﴾ [سورة الأعراف : ٤٨] ومنه ﴿ ونادى أصحابُ الجنة أصحابَ النار ﴾ [سورة الأعراف : ٤٤] ومنه ﴿ ونادَوا يامالك ﴾ [سورة الزخرف : ٧٧] ومنه ﴿ وقال قرينُهُ هذا ما لدَىّ / عَتِيدٌ ﴾ [سورة ق : ٢٣] ومنه ﴿ وقالوا لجلودهم ﴾ [سورة فصلت : ٢١] ومنه ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارًا ﴾ [سورة الكهف : ٢٩] . ومنه ﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ﴾ [سورة الأعراف : ٤٣] وأمثاله فى القرآن كثيرٌ .

٣٣

وأما مثاله فى الشرط فقوله تعالى : ﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣] معناه : وإن تكونوا فى ريب . ومنه ﴿ فإن [٢] تبتم فهو خيرٌ لكم ﴾ [سورة التوبة : ٣] معناه : وإن تتوبوا فهو خير لكم . ومنه ﴿ فإن

---

(١) هو كتاب الإشارة إلى الإيجاز فى أنواع المجاز . وهذا النص لم أجده فى النسخة التى بين يدىّ وكل ما فيه هو قول الشيخ العز ص ٢٦ « وأما الأفعال فالتجوز فيها أنواع : أحدها : التجوز بالماضى عن المستقبل تشبيها له فى التحقيق . وذلك فى الشرط وجوابه وفى غيرهما ..) .

(٢) (ط) : « وإن » وهو خطأ .

كنت فى شك مما أنزلنا [(١)] إليك ﴾ [سورة يونس : ٩٤] معناه : فإن تك فى شك . ومنه ﴿ إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ﴾ [سورة يونس : ٨٤] معناه : إن تكونوا مؤمنين بالله فعليه توكلوا .

وأما فى جواب الشرط فقوله تعالى : ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ﴾ [سورة الحج : ٤١] . ومنه ﴿ ولئن أرسلنا ريحا فرأوْهُ مُصْفَرًّا لظلوا من بعده يكفرون ﴾ [سورة الروم : ٥١] قال الخليل [(٢)] : معناه ليظلن . ومنه ﴿ وإن عدتم عُدنا ﴾ [سورة الإسراء : ٨] معناه : وإن تعودوا إلى قتال محمد عدنا إلى نصره ، والشرط لا يكون إلا مستقبلا والمرتب على المستقبل مستقبلٌ لا محالة . وهذا من مجاز التشبيه ، شبه المستقبل فى الحقيقة وثبوته بالماضى الذى دخل فى الوجود بحيث لا يمكن رفعه .

الثانى : التعبير بالمستقبل عن الماضى وهو فى القرآن العظيم كثير ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ واتَّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ﴾ [سورة البقرة : ١٠٢] . ومنه ﴿ فريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون ﴾ [سورة البقرة : ٨٧] معناه : وفريقاً قتلتم . ويجوز أن يكون القول فى هاتين الآيتين حكاية حال ماضية مثله فى قوله تعالى : ﴿ تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ﴾ [سورة إبراهيم : ١٠] ، وكما فى قوله تعالى : ﴿ ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل ﴾ [سورة هود : ١٠٩] . ومنه قوله تعالى : ﴿ وكانوا يُصِرُّون على الحِنْث العظيم ﴾ [سورة الواقعة : ٤٦] ومنه ﴿ وقد كانوا يُدْعَوْنَ إلى السجود ﴾ [سورة القلم : ٤٣] ومنه ﴿ إذ تقول للذى أنعم الله عليه ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٧] معناه : وإذ قلت . وهو فى القرآن كثيرٌ .

وإنما قصدت العرب بالإخبار [(٣)] عن الفعل الماضى بالمستقبل لأن الإخبار

---

(١) (ط) : « نزلنا » وهو تحريف فى الآية كالسابق .

(٢) هو الخليل بن أحمد الفراهيدى الإمام الجليل واضع علم العروض وصاحب معجم العين وشيخ سيبويه إمام النحاة ولد بالبصرة عام (١٠٠ هـ) ، وتوفى بها (١٧٠ هـ) .

(٣) كذا فى (ط) وأظن الأصوب فى سياق هذه العبارة أن يكون تعدى الفعل (قصد) بالحرف (إلى) فتكون العبارة : (وإنما قصدت العرب إلى الإخبار ... لأنّ ..) .

بالفعل المضارع إذا أتى به فى حالة الإخبار عن وجودٍ كان [١] ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضى ؛ وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيها ، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضى .

والفرق بينه وبين القسم الذى قبله هو أن الفعل الماضى يخبر به عن المضارع إذا كان الفعل المضارع من الأشياء الهائلة التى لم توجد والأمور المتعاظمة التى لم تحدث ، فتجعل عند ذلك فيما قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه . وأما الفعل المضارع إذا أخبر به عن الماضى فإن الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه / يعاينها ويشاهدها . ٣٤

الثالث : التجوز بلفظ الخبر عن الأمر ، وهو فى القرآن العظيم كثيرٌ . من ذلك قوله تعالى : ﴿ والوالداتُ يُرضِعْنَ أولادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كاملين ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٣] . ومنه قوله تعالى : ﴿ والذين يُتَوَفَّوْن منكم ويذرون أزواجًا يَتَرَبَّصْنَ بأنفسهن أربعةَ أشهر وعَشْرًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٤] ومنه قوله تعالى : ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ [سورة الصف : ١١] معناه : آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ولذلك أجيب بالجزم فى قوله : ﴿ يَغْفِرْ لكم ذنوبَكُمْ ويُدْخِلْكم جنات ﴾ [سورة الصف : ١٢] ولا يصح أن يكون جواباً للاستفهام فى قوله : « هل أدلكم » ؛ لأن المغفرة وإدخال الجناتِ لا يترتب على مجرد الدلالة . وهذا من مجاز التشبيه ، شبّه الطلب فى تأكيده بخبر الصادق الذى لابد من وقوعه . وإذا شبه بالخبر الماضى كان آكدَ . وكذلك الدعاء والأمر والنهى (بـالخبر الماضى) [٢]

---

(١) كذا فى (ط) وأظن هنا كلمة ساقطة هى تكرار للفعل (كان) وأن الناسخ أو الناشر أهملها فيكون السياق : (لأن الإخبار ... إذا أتى به فى حالة الإخبار عن وجود كان – كان ذلك) وتكون (كان) الأولى صفة (الوجود) ، و(كان) الثانية خبر قوله (لأنّ الإخبار) .

(٢) مابين القوسين كذا فى (ط) ، وأظنه زيادة من الناسخ أو الناشر لا موضع لها هنا . وهى غير موجودة بمطبوعة ابن عبد السلام : ٢٨ .

إذا أريد تأكيدها [١] عبر عنها بالخبر المستقبل ، فإن بالغت فى التأكيد تجوزت عنها بالخبر الماضى .

الرابع : التجوز بلفظ الخبر عن الدعاء : وهو فى القرآن العظيم كثيرٌ . من ذلك قوله تعالى : ﴿ لا تثريبَ عليكم اليومَ يغفرُ اللهُ لكم ﴾ [سورة يوسف : ٩٢] معناه : اللهم اغفر لهم . ومن ذلك قوله ﷺ : « يرحم الله أخى لوطًا لقد كان يأوى إلى ركن شديد » [٢] . ومن ذلك تشميت العاطس « يرحمُك الله » وفى إجابته : « يهديكم الله ويصلح بالكم » [٣] . المعنى : اللهم ارحمه ، اللهم أهدهم .

الخامس : التجوز بلفظ الخبر عن النهى وهو فى القرآن كثيرٌ . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٢] معناه : ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله . ومنه قوله تعالى : ﴿ لا تعبدون إلا اللهَ ﴾ [سورة البقرة : ٨٣] معناه : لاتعبدوا إلا الله . ومنه قوله تعالى : ﴿ لا تسفكون دماءَكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ [سورة البقرة : ٨٤] .

السادس : التجوز بلفظ الأمر عن الخبر توكيداً للخبر ، لأن الأمر للإيجاب فيشبه الخبر به فى إيجابه . وهو فى القرآن فى موضعين : قوله تعالى : ﴿ قلْ مَن كان فى الضلالة فَلْيَمْدُدْ له الرحمن مَدًا ﴾ [سورة مريم : ٧٥] تقديره : قل من كان فى الضلالة يمدد له الرحمن مدًا أو مد له الرحمن مدًا . الثانى : ﴿ اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ﴾ [سورة العنكبوت : ١٢] .

السابع : التجوز بجواب الشرط عن الأمر ، وهو فى القرآن العظيم كثير .

---

(١) كانت فى (ط) : تأكيد ما . وهو تحريف والتصويب من مطبوعة ابن عبد السلام .

(٢) رواه البخارى فى - كتاب التفسير (٦٥) ، ومسلم (١٣٣/١) - كتاب الإيمان (١) باب زيادة طمأنينة القلب (٦٩) - حديث : ٣٨ .

(٣) صحيح البخارى (فتح البارى : ٦٠٨/١٠) - كتاب الأدب (٧٨) - باب إذا عطس كيف يشمت (١٢٦) .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴾ [سورة الأنفال : ٦٥] معناه عند الجمهور : فليغلبوا مائتين . ومنه ﴿ وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفًا ﴾ [سورة الأنفال : ٦٥] معناه : فليغلبوا / ألفًا . ومنه ﴿ فإن يكن منكم مائةٌ صابرةٌ يغلبوا مائتين ﴾ [سورة الأنفال : ٦٦] معناه : فليغلبوا مائتين ، ﴿ وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين ﴾ [سورة الأنفال : ٦٦] معناه : فليغلبوا ألفين ، والمراد به التأكيد لأنه خبر تجوز به عن الطلب .

٣٥

الثامن : التجوز بلفظ النهى عن أشياء ليست مرادة بالنهى وإنما المراد بها ما يقاربها أو يلازمها أو تكون مسببة عنهُ ، وهو فى القرآن العظيم كثيرٌ . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا البيْعَ ﴾ [سورة الجمعة : ٩] نهى عن البيع فى اللفظ وهو مباحٌ ، وأراد ما يلزم عنه من ترك الواجب . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلا تموتُنَّ إلاَّ وأنتم مُسلمُون ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٢] النهى عن الموت نفسه لا يصح لأنه ينافى التكليف ، لكنه تجوز به عما يقارنه من الكفر فكأنه قال : ولا تكفروا عند موتكم . ومنه قولهم : « لا أرينَّكَ ها هنا » معناه : لا تحضرن فأراك ، فتجوز برؤيته عن سببها وهو الحضور . ومنه نهيه ﷺ عن البيع على بيع الأخ ، ليس النهى عن نفس البيع لأنه مجتمعٌ بشرائط الصحة . إنما النهى عن أذية الأخ المقترنة بالبيع . ومنه النهى عن الخطبة على خِطبة [٢] الأخ [٣] . ليس النهى عن الخطبة نفسها وإنما النهى عما يلزمها من تأذى الخاطب .

التاسع : التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيهُ والمراد به من يصح نهيه . وهو فى القرآن

---

(١) رواه البخارى (فتح البارى ٣٥٢/٤ ، ٣٥٣) - كتاب البيوع (٣٤) - باب لا يبيع على بيع أخيه ... ، وكتاب النكاح - فتح البارى (١٩٨/٩) .

(٢) ط : ضبطه . وهو تحريف .

(٣) رواه مسلم (١٠٢٩/٢) - كتاب النكاح (١٦) ، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها .

(٤) حديث ٣٨ . ورواه البخارى . انظر تخريج الأثر بالهامش قبل السابق .

كثير . فمنه قوله تعالى : ﴿ ولاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عنهُم ﴾ [سورة الكهف : ٢٨] . النهى فى اللفظ للعينين والمراد بذلك ذو العينين ، أى : لا تنظر إلى غيرهم . ومنه ﴿ لا تُلْهِكُمْ أموالُكم ولا أولادُكم عن ذكر الله ﴾ [سورة المنافقون : ٩] . النهى فى اللفظ للأموال والأولاد وفى المعنى لذوى الأموال والأولاد . ومنه ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الذين كفروا فى البلاد ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٦] النهى فى اللفظ للتقلب والمرادُ به النهى عن الاغترار بالتقلب . ومنه قوله : ﴿ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدُّنيا ﴾ [سورة لقمان : ٣٣ ، وسورة فاطر : ٥] النهى فى اللفظ للحياة الدنيا ، والمراد به نهى المخاطبين عن الاغترار بها ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فلا [1] تعجبك أموالُهم ولا أولادُهم ﴾ [سورة التوبة : ٥٥] النهى فى اللفظ للأموال والأولاد وفى المعنى نهى المخاطبين عن الإعجاب بهما . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تأخُذْكُمْ بهما رأفةٌ فى دين الله ﴾ [سورة النور : ٢] النهى للرأفة فى اللفظ وللمخاطبين فى المعنى ، ومنه قوله تعالى : ﴿ واتقوا فتنةً لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ [سورة الأنفال : ٢٥] النهى لضمير الفتنة فى اللفظ وللمخاطبين فى المعنى ، (والمعنى) [2] لا تتعرضُنَّ لإصابة الفتنة إياكم بسبب تقريرها وترك نكيرها ، والتقدير : واتقوا تقدير [3] فتنة لا تصيبن عقوبتها أو شؤمها أو وبالها الذين ظلموا / منكم خاصة . ٣٦

العاشر : التجوز بنهى من يصح نهيه والمنهىُّ فى الحقيقة غيره . وهو فى القرآن العظيم كثيرٌ . منه قوله تعالى : ﴿ ولا يَصُدُّنَّك عن آيات الله ﴾ [سورة القصص : ٨٧] معناه : ولا تصدن عن آيات الله بسبب صدهم إياك . ومنه ﴿ فلا يصدَّنَّك عنها من لا يؤمن بها ﴾ [سورة طه : ١٦] معناه : فلا تصدن عنها . ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا يَستَخِفَّنَّكَ الذين لا يوقنون ﴾ [سورة الروم : ٦٠] معناه : ولا تَخِفَّنَّ .

* * *

(١) (ط) : (ولا) وهو وهم . وأما الواو فهى فى الآية (٨٥) من نفس سورة التوبة : (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم) .

(٢) مابين المعقوفين ساقط من (ط) . وقد زدتها من مطبوعة الإشارة .

(٣) فى مطبوعة الإشارة : ٢٩ : تقرير .

القسم التاسع عشر

التجوز بالحروف بعضها عن بعض (*)

وهو عشرة أقسام

الأول : « هل » يُتجوز بها عن الأمر والنفى والتقرير [1] . وهو فى القرآن العظيم كثير . أما التجوز بها عن الأمر ففى مواضع . منها قوله تعالى : ﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾ [سورة هود : ١٤] معناه : أسلِموا . ومنه قوله تعالى : ﴿ فهل أنتم مُنتهون ﴾ [سورة المائدة : ٦١] معناه : فانتهوا .

أما التجوز بها فى النفى فهو فى مواضع . منها قوله تعالى : ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾ [سورة الحاقة : ٨] ، وقوله تعالى : ﴿ فهل يُهْلَكُ إلا القومُ الفاسقون ﴾ [سورة الأحقاف : ٣٥] معناه : فما ترى لهم من باقية ، فلا يهلك إلا القوم الفاسقون . وقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأْتيهم اللهُ فى ظُلَلٍ من الغَمَامِ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٠] معناه : ما ينظرون إلا أن يأْتيهم الله فى ظلل . ومثل هذا فى القرآن كثير . وأما قوله تعالى : ﴿ هل من مزيد ﴾ [سورة ق : ٣٠] فقيل : إنه [2] نفى الاستزادة معناه لا مزيد فى . وقيل : إنه طلب لها معناه : « زدنى » .

وأما التجوز بها فى التقرير فهو فى القرآن العظيم فى آيتين . إحداهما قوله

(*) انظر الإشارة : ٢٠ .

(١) ط : (والتقدير) ، والتصويب من ابن عبد السلام .

(٢) كذا فى (ط) ، ومطبوعة ابن عبد السلام .

تعالى : ﴿ هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ﴾ [سورة الأنعام : ١٤٨] الثانية فى قوله تعالى : ﴿ هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاءَ فيما رزقناكم ﴾ [سورة الروم : ٢٨] .

الثانى : « همزة الاستفهام » ويتجوز بها عن النفى وعن الأمر والإيجاب والتقرير والتوبيخ . أما التجوز بها عن النفى ففى القرآن العظيم منه كثير ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ أفأنت تُكْرِهُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين ﴾ [سورة يونس : ٩٩] معناه : لست مكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . وقوله تعالى : ﴿ أفأنت تنقذ من فى النار ﴾ [سورة الزمر : ١٩] معناه : لست منقذ من فى النار . وقوله تعالى : ﴿ أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ﴾ [سورة الزخرف : ٤٠] معناه : لست مسمع / الأصمّ ولا هادى الأعمى ومثله فى القرآن كثير . ٣٧

وأما التجوز بها فى الإيجاب فهو فى القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ أليس اللهُ بكافٍ عبدَهُ ﴾ [سورة الزمر : ٣٦] معناه : الوعد بكفاية العباد . وقوله : ﴿ أليس اللهُ بعزيزٍ ذى انتقامٍ ﴾ [سورة الزمر : ٣٧] ، وقوله تعالى : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ [سورة القيامة : ٤٠] . ومنها قول جرير [(١)] :

ألستُمْ خيرَ من ركبَ المطايا وأندَى العالمينَ بُطونَ راحِ [(٢)]

وقول الآخر :

ألستُ أرَى النَّجْمَ الذى هو طالعٌ عليها ، وهذا للمحبين نافعُ

وأما التجوز بها في التقرير فهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ أأنتَ قلت للناس اتخذونى وأمّىَ إلهين من دونِ اللهِ ﴾ [سورة المائدة : ١١٦] وقوله تعالى : ﴿ أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ﴾ [سورة الأنبياء : ٦٢] وقوله تعالى : ﴿ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أمِ الأُنثَيَيْنِ ﴾ [سورة الأنعام : ١٤٣ - ١٤٤] .

---

(١) هو جرير بن عطية الشاعر الأموي الشهير ، شاعر فحل من الطبقة الأولى من شعراء الإسلاميين . توفى ١١٠ هـ .
(٢) ديوان جرير : ٨٩/١ .

وأما التجوز بها فى التوبيخ فهو فى القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ أفغيرَ اللهِ تتقون ﴾ [سورة النحل : ٥٢] وقوله تعالى : ﴿ أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ [سورة الأعراف : ٢٨ ، سورة يونس : ٦٨] ، وقوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبرِّ وتَنسَوْنَ أنفسَكم ﴾ [سورة البقرة : ٤٤] وقوله تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [سورة البقرة : ٨٥] .

الثالث : التجوز بـ « فى » ، **وله حقيقة تتحقق فى قسمين : أحدهما** : احتواء جِرْمٍ على جِرْمٍ كقوله تعالى : ﴿ أفأنت تُنقذُ مَنْ فى النار ﴾ [سورة الزمر : ١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وهم فى الغُرُفاتِ آمِنون ﴾ [سورة سبأ : ٣٧] . **الثانى** : احتواء جِرْمٍ على معنى كقوله تعالى : ﴿ فى قلوبهم مَرَضٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٠] وقوله تعالى : ﴿ ويقولون فى أنفسهم لولا يُعذِّبنا اللهُ بما نقول ﴾ [سورة المجادلة : ٨] وكقوله : ﴿ إنْ فى صدُورهم إلاّ كِبْرٌ ما هم ببالغيه ﴾ [سورة غافر : ٥٦] وأمثاله فى القرآن كثير .

وأما التجوز بها فهو أنواعٌ . الأول : أن يجعل المعنى ظرفًا لتعلقه بمعنى آخر ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ﴾ [سورة التوبة : ٣١] [جعل سبيل الله [١]] وهو طاعته واجتناب معصيته ، أو القتال فى سبيله ظرفًا لتعلق الجهاد ، والجهاد قائم بالمجاهد [٢] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لا ريبَ فيه ﴾ [سورة البقرة : ٢] ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وأنّ الساعة آتية [٣] لا ريبَ فيها ﴾ [سورة الحج : ٧] جعل الساعة والكتاب ظرفين لتعلق الريب لا لنفس الريب ، فإن الريب حالٌّ فى المرتاب . ومنه قوله تعالى : ﴿ ويستفتونك فى النساء ﴾ [سورة النساء : ١٢٧] أى فى

---

(١) بين القوسين زيادة من الإشارة : ٢١ ، وهى ساقطة من (ط) ولا يستقيم السياق إلا بها .

(٢) فى الإشارة : (بالمجاهدين) .

(٣) فى ط : (وإن الساعة لآتية) وهو خطأ اشتبهت عليه آية الحج هنا بآية غافر : ٥٩ (إن الساعة لآتية) والآية رسمت على الصواب فى مطبوعة الإشارة .

توريثهن . جعل التوريث محلا لتعلق الاستفتاء ، ثم قال : ﴿ قل الله يفتيكم فيهن ﴾ [سورة النساء : ١٢٧] أى فى توريثهن ، فجعل التوريث / محلا لتعلق بيان الفُتْيا وهو قول المفتى . ومنه قوله تعالى : ﴿ فهدَى اللهُ الذين آمنوا لِما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه ﴾ [سورة البقرة : ٢١٣] جعل الحق محلا لتعلق الاختلاف ، والاختلاف قائم بالمختلفين . ومنه قوله تعالى : ﴿ فادَّارأتم فيها ﴾ [سورة البقرة : ٧٢] أى فادَّارأتم فى قتلها ، فجعل القتل محلا لتعلق الدرء . ومنه قوله تعالى : ﴿ فذلكن الذى لمتنَّنى فيهِ ﴾ [سورة يوسف : ٣٢] جعل حبه أو مراودته ظرفا لتعلق لومهن لا لنفس اللوم ، فإن لومهن قائم بهن . ٣٨

الثانى : التجوز بها عن الباء التى للسبب ، وهى فى القرآن العظيم كثير ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وليس عليكم جُناحٌ فيما أخطأتم به ﴾ [سورة الأحزاب : ٥] أى بسبب ما أخطأتم . ومنه قوله تعالى : ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله ﴾ [سورة البقرة : ١٩٠ ، ٢٤٤] أى بسبب نصرة سبيل الله [1] . وكذلك « الحب فى الله والبغض فى الله » أى بسبب تعظيم الله ، وله نظائر كثيرة ، ولما كان المسبب متعلقًا بالسبب جُعل السبب ظرفا لتعلق المسبب .

الثالث : من التجوز به ، وهو أن يجعل الجِرْمَ محلاً لتعلق المعنى : وهو فى القرآن المجيد كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ﴾ [سورة آل عمران : ١٩١] جعل الأجرام محلا لتعلق الفكر لا لنفس الفكر ، فإن الفكر قائم بالمتفكر . ومنه قوله تعالى : ﴿ أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٥] جعل السموات والأرض والمخلوقات كلها محلا لتعلق النظر لا لنفس النظر فإن الناظر قائم بالنظر حالٌ فيه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أوَ لم يتفكروا فى أنفسهم ﴾ [سورة الروم : ٨] .

الرابع : من التجوز به : أن يجعل المعنى محلا للجِرْم . وهو عكس الأول

---

(١) سقط من (ط) لفظ الجلالة .

فتجوز به عن كثرة ما جعل ظرفا مجازًا ، لما كان الحاوى أعظم من المحوى شبه به ما توالى أو كثر من المعانى . ومنه فى القرآن شىء كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ إنّا لنراكَ فى ضلالٍ مبين ﴾ [سورة الأعراف : ٦٠] ومنه ﴿ صُمٌّ وبُكمٌ فى الظلمات ﴾ (١) [سورة الأنعام : ٢٩] أى صم وبكم فى الضلالات . ومنه قوله تعالى : ﴿ فهم فى رَيبِهم يَترَدَّدُون ﴾ [سورة التوبة : ٤٥] ومنه قوله تعالى : ﴿ ألا إنهم في مِرْية من لقاء ربهم ﴾ [سورة فصلت : ٥٤] ، وأما قوله تعالى : ﴿ إنّ المتقين فى جنات ونعيم ﴾ [سورة الطور : ١٧] ﴿ فى جنات وَنَهر ﴾ [سورة القمر : ٥٤] ، ﴿ فى ظلالٍ (٢) وعُيون وفواكه ﴾ [سورة المرسلات : ٤١ ، ٤٢] .

فمن جمع بين الحقيقة والمجاز جعل « فى » بالنسبة إلى الجنان ظرفا حقيقيًا ، وبالنسبة إلى العيون والنهر والنعيم ظرفا مجازيًا ، ومن لم يجمع بينهما يقدر : إن المتقين فى جنات وفى نعيم وفى عيون وفى نهر ، فيكون فى الثانية مجازاً محضًا مشعرًا بكثرة النعيم والأنهار والعيون والفواكه ، ويدع الأولى على حقيقتها .

٣٩ ولك أن / تجعل الجميع مجازًا على حذف « لَذَّات » تقديره : إن المتقين فى لَذَّات جنات ونعيم ، وفى لَذَّات جنات وعيون ، وفى لَذَّات جنات ونهر ، وفى لَذَّات جنات ونعيم وفواكه (٣) . أو تُقدِّر : إن المتقين فى نعيم جنات وعيون وفواكه أو ما أشبهه . ولا تقدر مثل هذا فى قوله « فى جنات ونعيم » إذ يبقَى التقدير وفى نعيم نعيم ، وهو سمج لا يقدر مثله فى كتاب الله .

وأما قوله تعالى : ﴿ ألم ترَ أنّ الله يَسجدُ له مَن فى السمواتِ ومَنْ فى الأرض والشمسُ والقمرُ والنجومُ والجبالُ والشجرُ والدوابُ ﴾ [سورة الحج : ١٨]

---

(١) ط : « صم بكم » وهو خطأ .

(٢) ط : (جنات) وهو وهم تابع فيه المصنف مافي كتاب الإشارة : ٢٢ .

(٣) (ط) : « وفي لذات وفواكه » وهو كلام لا معنى له . وما أثبته نص المجاز لابن عبد السلام : ٢٣ .

فظاهره عند من جمع بين الحقيقة والمجاز بحمله [1]فيمن يعقل على السجود المعهود وفيما لا يعقل على الانقياد للقدرة والإرادة .

وأما قوله تعالى : ﴿ أفى اللهِ شك ﴾ [سورة إبراهيم : ١٠] فالتقدير فيه : أفى وحدانية الله شك ، فهو من جعل المعنى ظرفا لتعلق المعنى .

وأما قوله تعالى : ﴿ وهو الله فى السموات وفى الأرض ﴾ [سورة الأنعام : ٣] ، وقوله : ﴿ كلَّ يومٍ هو فى شأن ﴾ [سورة الرحمن : ٢٩] فليس الظرف هنا متعلقًا بجوهر ولا عَرَض ، وإنما هذا من مجاز التشبيه عبر بكونه فى السموات والأرض عن علمه بما فيهن لأن من حضر مكانا لم يخف عليه ما فيه .

وأما قوله : ﴿ كلَّ يوم هو فى شأن ﴾ [سورة الرحمن : ٢٩] فهو يشبه ﴿ إنّ أصحاب الجنةِ اليوم فى شُغُل فاكِهون ﴾ [سورة يس : ٥٥] وكقولهم : أنا فى شغلك وحاجتك ، ولا يخفى وجه التشبيه [2] فيه .

الخامس : التجوز بـ « على » . وحقيقتها استعلاء جِرْم على جِرْم ، كقوله تعالى ﴿ وعلى الأعرافِ رجال ﴾ [سورة الأعراف : ٤٦] ومنه قوله تعالى : ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ [سورة الزخرف : ١٣] .

وأما مجازها فعلى قسمين : أحدهما : التجوز عن الثبوت والاستقرار ، كقوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ [سورة البقرة : ٥] وقوله تعالى : ﴿ قل إنى على بَيِّنَةٍ مِن ربى ﴾ [سورة الأنعام : ٥٧] وقوله : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدىً ﴾ [سورة سبأ : ٢٤] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وإنك لَعلى خلُق عظيم ﴾ [سورة القلم : ٤] . وأيضًا من مجاز التشبيه . شبّه التمكن من الهدى والأخلاق العظيمة الشريفة والثبوت عليها بمن [3] علا على دابة يصرِّفها كيف شاء .

---

(١) (ط) : (لحكمه) وما أثبته عن ابن عبد السلام : ٢٣ – أظنه الأقرب للصواب .

(٢) فى مطبوعة المجاز لابن عبد السلام : ٢٣ : (النسبة) وواضح أنه تحريف .

(٣) (ط) : لمن .

الثانى : أن يجعل المعنى على الجِرْم تجوّزًا كقوله تعالى : ﴿ رحمةُ الله وبرَكاته عليكم أهلَ البيتِ ﴾ [سورة هود : ٧٢] وكقوله : ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمةٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٥٧] والغرض بذلك كثرة الصلاة والرحمة لأن ماعلاك وجلَّلك فقد أحاط بك .

وأما قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا عليكم المنَّ والسلوَى ﴾ [سورة البقرة : ٥٧] فهو من نزول جِرْمٍ على جِرْمٍ ، ولابد فيه من حذف ، تقديره : وأنزلنا على أشجاركم أو على محلتكم .

وأما قوله تعالى : ﴿ فخرَجَ على قومِه فى زينتِه ﴾ [سورة القصص : ٧٩] معناه : / فخرج على نادى قومه أو على محل قومه . ومثله قوله تعالى : ﴿ اخرُجْ عليهِّن ﴾ [سورة يوسف : ٢١] فمعناه : اخرج على مجلسهن أو مكانهن . ومثله قوله تعالى : ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحرابَ وجد عندها رزقا ﴾ [سورة آل عمران : ٣٧] معناه : كلما دخل مكانها أو محرابها .

٤٠

السادس : « عن » ، وهى حقيقة فى مجاوزة جِرْمٍ عن جِرْمٍ وتعديته عنه ثم يستعمل فى المعانى على طريق التشبيه كقوله تعالى : ﴿ وَمَن أعرَضَ عن ذِكرى فإن له معيشة ضنكا ﴾ [سورة طه : ١٢٤] . شبه انصراف البصيرة عن تأمل ذكره بانصراف المجاوز عما يجاوزه . وكذلك قوله تعالى : ﴿ فأَعْرِضْ عنهم ﴾ [سورة النساء ٤ ، ٨١ ، سورة الأنعام : ٦٨ ، سورة السجدة : ٣٠] إن حمل على ترك القتال كان المعنى فانصرف عن قتالهم وإن حمل على غيره فمعناه : تجاوز عن أذيتهم . وفى الحديث : « تجاوز عما تعلم » . المعنى ترك المؤاخذة ؛ لأن المتجاوز عن الشىء تاركٌ له . وكذلك قوله ﷺ : « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها »[1] .

---

(١) رواه مسلم (١/١١٦ – ١١٧) – كتاب الإيمان (١) – باب تجاوز الله عن حديث النفس (٥٨) .

السابع : حرف « مِنْ » ، وهى حقيقة فى ابتداء غاية الأمكنة ، ويتجوز بها عن ابتداء الغاية فى الأزمنة . مثل قوله تعالى : ﴿ لمسجدٌ أُسِّسَ على التقوى من أول يوم أحقُّ أن تقوم فيه ﴾ [سورة التوبة : ١٠٨] فاستعملها غايةً فى الأزمنة لشبهها بالأماكن . وكذلك تجوز بها عن التعليل فى مثل قوله تعالى : ﴿ مما خطاياهم أغرقوا ﴾ [١] [سورة نوح : ٢٥] أى : من أجل خطاياهم أغرقوا ؛ لأن ابتداء غاية المعلول صادر عن علة ، فشبه ذلك بابتداء الغاية بالمكان .

الثامن : حرف « ثم » ، ويستعمل حقيقة فى تراخى الزمان والمكان ، ثم يتجوز بها فى تراخى بعض الرتب عن بعض بالتباعد المعنوى فشبه التراخى المعنوى بالتراخى الزمانى والمكانى [٢] .

وهو فى القرآن العظيم كثيرٌ . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ [سورة البلد : ١٧] فجاء بـ « ثم » للتراخى الذي بين الإيمان والعمل الصالح ؛ فإن الإيمان أفضل من جميع أعمال الإنسان ، فهو متراخ فى الفضل عن فك الرقاب وإطعام السَّغْبان [٣] ، فهو مؤخر فى اللفظ مقدمٌ فى الفضيلة والرتبة على تباعد وتراخ . يدل على ذلك أن رسول الله ﷺ لما سئل : أىُّ الأعمال أفضل ؟ قال : « الإيمان بالله . قال : ثم ماذا ؟ قال : بر الوالدين . قال : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله » [٤] . ويدل أن « ثم » هاهنا لتراخى الرتب لا لتراخى الزمان ؛ لأن الإيمان شرط فى اعتبار فك الرقاب وإطعام السغابى

---

(١) كذا فى (ط) وهى قراءة أبى عمرو بن العلاء البصرى وحده ، وباقى القراء العشرة كحفص قرأوا (مما خطيئاتهم) انظر البدور الزاهرة : ٣٢٩ .

(٢) (ط) : والمكان . وهو تصحيف .

(٣) سَغِبَ كفرح ونصر : جاع ، أو لا يكون إلا مع تعب . فهو ساغب ، وسغبان ، وسَغِبٌ وهى (سَغْبَى) ، وجمعها : سِغاب (القاموس المحيط) .

(٤) روايته في مسند أحمد (٢/٢٦٨ – ٢٦٩) عن أبي هريرة : « قال : الايمان بالله قال : ثم ماذا ؟ قال الجهاد فى سبيل الله . قال : ثم ماذا قال : حج مبرور » . ولفظ رواية المؤلف – هنا – هو نفسه لفظ رواية العز ابن عبد السلام فى كتاب المجاز : ٢٤ .

فلا يجوز أن يتقدم المشروط على شرطه [١] . ومنه قال الشاعر [٢] :

* إنّ مَنْ سادَ ثُمّ سادَ أبوهُ *

٤١ / جاء بثم لتراخى مابين [٣] السؤددين من الفضل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ [سورة الأعراف : ١١] على قول بعضهم ، قال : جيء بثم لتفاوت مابين نعمة التصوير ونعمة السجود لآدم . قال : فإن إسجاد الملائكة له أكمل إحسانًا وأتم إنعامًا [٤] من التصوير . وقدّر بعضهم : ولقد خلقنا طينتكم ثم صورناكم فى ظهر أبيكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . وقال بعضهم : نسبة الخلق والتصوير إلينا من مجاز نسبة ما يتعلق بالواحد إلى جماعة ، ومثاله قوله عز وجل : ﴿ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾ [سورة التوبة : ١] نسب المعاهدة إلى الجماعة والمراد بها معاهدة رسول الله ﷺ . ومثل قوله تعالى : ﴿ ألا تقاتلوُنَ قوماً نكثوا أيمانهم ﴾ [سورة التوبة : ١٣] نسب النكث إلى الكل وإنما نكث بعضهم . ومثله قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود عُزَيْرٌ بنُ اللهِ وقالت النصارى المسيحُ ابن الله ﴾ [سورة التوبة : ٣٠] ولم تقل اليهود كلها ذلك ، وكذلك النصارى ؛ لأن بعضهم قال ذلك وبعضهم قال : هو الله ، وبعضهم قال : هو ثالث ثلاثة ، وقال بعضهم : هو عبد الله ورسوله ، فنسب إلى الفريقين ماوجد من بعضهم . ومثله قول امرىء القيس :

* فإن تَقتلونا نُقَتِّلْكُمُ * [٥]

---

(١) ط : شرط : والتصويب من كتاب بن عبد السلام : ٢٤ .

(٢) هو أبو نواس الحسن بن هانى الشاعر العباسى الشهير ولد بالأهواز ، ونُشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد ، وفى تاريخ ميلاده ووفاته خلاف ، واختار صاحب الأعلام أن ميلاده ١٤٦ ، ووفاته ١٩٨ هـ وهذا صدر بيت له وعجزه : قبله ثم قبل ذلك جده) ديوانه : ٤٩٣ . ورواية صدره فيه : (إن من ساد) .

(٣) ط : (لتراخ بين) . وما أثبته عن العز بن عبد السلام : ٢٤ .

(٤) ط : (أكمل احسان وأتم انعام) وهو خطأ ظاهر .

(٥) سبق فى القسم الخامس ص : ٤٤ .

وأما من يقولُ إن « ثم » تستعمل فى تراخى بعض الأخبار عن بعض فلا يستقيم فى هذه الآية ولا فى قول الشاعر :

* إنَّ من ساد ثم سادَ أبوه * [(١)]

لأنّا نعلم أن الله تعالى ما راخى بين الأخبار فى قوله – ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾ [وبين قوله [(٢)]] ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ [سورة الأعراف : ١١] وكذلك قول الشاعر :

إن مَنْ سادَ ثم سادَ أبوه

يعلم أنه لم يقل « إن من ساد » ، ثم وقف زمانًا طويلاً مترا خيًا ، ثم قال : « ثم [(٣)] ساد أبوه » : ولأن [(٤)] استعمالها فى تراخى الأخبار بعيدٌ فى استعمال العرب ؛ لأن التراخى الموجود فى كلامهم إنما يقع فى مداولات الألفاظ ، لا بين أنفس الألفاظ . وهذا إنما يصح استعماله فى الفاء ؛ لأن الأخبار [(٥)] فيها تعاقبٌ إن ثبت أنه قول من يعتمد على قوله فى هذا الشأن .

التاسع : حرف « الباء » ، قال سيبويه : هى للإلصاق والاختلاط [(٦)] . والإلصاق أضرُبٌ .

أحدها : حقيقى وهو إلصاق جِرْمٍ بجِرْمٍ كقولك : ألصقت القوس بالغراء ، والخشبة بالجدار .

والثانى : مجاز إلصاق المعنى بجِرْم / كقولك : لطفت بزيد ورأفت بعمرو ، ٤٢

---

(١) سبق . ص : ٨٤ .

(٢) مابين المعقوفين ساقط من (ط) ، وأثبته عن العز بن عبد السلام : ٢٥ .

(٣) (ثم) ساقطة من ط . وأثبتها عن ابن عبد السلام .

(٤) ط : (وأنّ) . وأثبت لفظ العز بن عبد السلام .

(٥) فى (ط) : (مقالات للأخبار) وهو تحريف وتصحيف صوابه ما أثبته عن ابن عبد السلام : ٢٥ .

(٦) انظر الكتاب : ٢١٧/٤ .

فكأنك ألصقت اللطف والرأفة به لتعلقهما به . وكقولك : مررت بزيد . ولابد فيه من حذف تقديره : مررت بمكان زيد أو بمحل زيد ، وهو من مجازات التشبيه . كأنك ألصقت المرور بالمكان .

الثالث : إلصاق المعنى بالمعنى كقوله تعالى : ﴿ أنَّ النفس بالنفس والعين بالعين ﴾ [سورة المائدة : ٤٥] أى النفس مقتولة بِقَتْلِ النفس والعين مفقوءة بفقء العين ، أتى بالباء ليكون المسبّب وهو القصاص منسوبا إلى الجناية نسبة التشبيه وهو جار فى جميع الأسباب .

العاشر : حرفان وهما « لعل ، وعسى » : وهما مجاز تشبيه أو تسبب ، وحقيقتهما الترجى والتوقع ؛ فالله – سبحانه – تعالى وتنزه أن يوصف بحقيقتهما بل يصح حملهما على مجاز التشبيه والتسبب . أما مجاز التشبيه فلأن معاملته بالأمر والنهى والوعد والوعيد مشبه بمعاملة ملك عامل عبيده بذلك على رجاء إجابتهم ، فإن كل من سمع الملك يأمر وينهى ويعد ويوعد يرجو إجابة (المأمور وإنابته) [1] لاسيما إذا كان ذلك الملك كريما صدوقًا لا يخلف الميعاد .

وأما مجاز التسبب فلأن رجاء الإجابة وما يترتب عليها من الفلاح مسبب عن لين الخطاب وحسن الترغيب والترهيب فكذلك أمر الرب ونهيه مع وعده وإبعاده يوجبان لكل من سمعهما خوفا ورجاءًا لا يوجد مثلهما فى حق غيره . ويحقق ذلك أن الكلام المنفّر لا يتوقع منه إجابة ولا إنابة . والكلام اللين المرغّب يتوقع كل من سمعه الإجابة والإنابة . فلذلك قيل لموسى وهرون عليهما السلام : ﴿ فقولا له قولا لينًا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [سورة طه : ٤٤] لما كان القول اللين سببًا للتذكر والخشية أمرهما به لتقوم عليه الحجة . فهذا الرجاء المتعلق بكلامه .

وأما الرجاء المتعلق بأفعاله فكما فى قوله سبحانه : ﴿ والله أخرجكم من

---

(١) كان فى (ط) : المأمول وإنابته) وعدلت إلى عبارة ابن عبد السلام : ٢٥ .

بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ [سورة النحل : ٧٨] لما ذكر هذه النعم الجسام التي لا يتصور وجودها من غيره أردفها بقوله : « لعلكم تشكرون » من جهة أن الشكر مرجو من المنعم عليه متوقع منه ، ولا سيما عند هذه النعم لأنه [١] عاملهم بهذه النعم معاملة الراجي كما عاملهم بالفتن [٢] معاملة الفاتن . فوصْفُه نفسَه بكونه راجيًا كوصفه نفسه بكونه فاتنًا ، وكذلك نظائره .

* * *

(١) عند ابن عبد السلام : (ولأنه) .

(٢) (ط) (بالفتن) وقد أثبت ما في مطبوعة ابن عبد السلام : ٢٦ .

٤٣ / القسم العشرون من أقسام المجاز

الاســتعارة (*)

وهى على أربعة أقسام

وقيل على قسمين ، وقيل على سبعة أقسام

وقد بيناها فى الوجه الثالث من الكلام عليها

اعلم وفقنا الله وإياك أن اللفظ إذا استعمل فيما وُضع له فهو حقيقة . وإن استعمل فى غير ما وضع له ، فإن لم يكن لمناسبة بينه وبين ما وُضع له ، فهو الموكل [1] ، وإن كان لمناسبة بينهما فإن حسن فيه أداة التشبيه فهو مجاز التشبيه ، وإن لم يحسن فيه إظهار أداة التشبيه فهو الاستعارة . وإذا تقرر هذا فالكلام فى الاستعارة على وجوه :

الأول : هل هى من أنواع المجاز أم [2] لا ؟

(*) الاستعارة بحثها فى : بديع ابن المعتز : ٣ ، وحلية المحاضرة ، ف ١٢ والصناعتين : ٢٩٤ ، والعمدة : ٢٦٨/١ ، وأسرار البلاغة : ٢٠ ، وبديع ابن منقذ : ٤١ ، ونهاية الإيجار : ٢٣١ ، والجامع الكبير : ٨٢ ، والمثل السائر : ٧٠/٢ ، والمعيار للزنجانى : ٢٧/٢ ، وتحرير التحبير : ٩٧ ، وبديع القرآن : ١٧ .

(١) كذا فى (ط) وعلّق عليها مصحح المطبوعة بقوله : (كذا فى الأصل وكتب بهامشه لعله المنقول فليحرر) اهـ وقد راجعت في هذه اللفظة العالم المحقق الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى ، فأفادنى أن هذه اللفظة (الموكل) فى موضعها صواب ، وأن المراد بها هذا النوع من النقل الذى يكون موكولاً للشخص يتصرف فيه دون دخول علاقة المناسبة بين المنقول منه والمنقول إليه . مثل الأعلام المنقولة من الصفات مثل أن تسمى إنسانًا « كريم أو نبيل » . فهنا حدث نقل ولكنه ليس لعلاقة المشابهة ولكن الأمر فيه موكول للشخص حيث يسمى الإنسان ابنه بهذا الاسم وقد يكون الابن بعد ذلك بخيلاً أو غير نبيل .

(٢) كذ فى (ط) .

الثانى : فى حدها .

الثالث : فى أقسامها .

الرابع : فى اشتقاقها .

الخامس : فيما تتهيأ به الاستعارة ومالا تتهيأ .

السادس : فى الاستعارة التخييلية .

السابع : فى الاستعارة المجردة .

الثامن : فى الاستعارة المرشحة .

التاسع : فى الاستعارة الحسنة .

العاشر : فى الاستعارة القبيحة .

الحادى عشر : فى بيان ما يظن أنه استعارة وليس باستعارة [١] .

الثانى عشر : فى الاستعارة بالكناية .

الثالث عشر : فيما تتنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة .

* * *

أما الأول : فقد اختار الإمام فخر الدين [٢] رحمه الله أن الاستعارة ليست من المجاز لعدم النقل [٣] . وجمهور علماء هذا الشأن عدوها من المجاز ؛ لاستعمال اللفظ فى غير ما وضع له .

---

(١) هذا الوجه الحادى عشر : (فى بيان ما يظن أنه استعارة وليس باستعارة) يبدو أن المصنف ذهل عنه فلم يتحدث عليه أو أنه ضرب عنه . والقسم الحادى عشر فى كلامه جعله عن « الاستعارة بالكناية .. والثانى عشر : فيما تتنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة ، وأما القسم الثالث عشر : فعن (شروط الاستعارة الكاملة) .

(٢) هو محمد بن عمر أبو عبد الله فخر الدين الرازى الإمام الكبير فى المعقول والمنقول ولد بالرى وإليها ينسب ويعرف أيضا بابن خطيب الرى . توفى ٦٠٦ هـ .

(٣) هذا النقل عن الرازى أنه اختار أنّ الاستعارة ليست من المجاز – أظن أنّ فيه تحريفًا وقع =

وأما الثانى : فقد اختلفت عبارات علماء هذا الشأن فى حدها . فقال على بن عيسى [(١)] : الاستعارة استعمال العبارة لغير ما وضعت له فى أصل اللغة [(٢)] .

وقد أبطل الإمام فخر الدين ما قاله ابن عيسى فى حد الاستعارة من وجوه أربعة [(٣)] : **الأول** : يلزم أن يكون كل مجاز لغوى استعارة . **الثانى** : يلزم أن تكون الأعلام المنقولة من باب المجاز . **الثالث** : استعمال اللفظ فى غير معناه للجهل بذلك [يجب أن يكون مجازاً [(٤)]] . **الرابع** : أنه يتناول الاستعارة التخييلية على ما سيأتى .

وقال قوم [(٥)] : الاستعارة جعل الشيءِ الشيءَ ، أو جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة فى التشبيه . فالأول كما تقول : لقيت أسدًا وتعنى الشجاع / فقد جعلت الشجاع أسدًا . فهذا جعلُ الشيء الشيء ، والثانى كقول الشاعر : ٤٤

* إذ أصبحتْ بيدِ الشمال زِمامُها [(٦)] *

= فى الأصل المخطوط أو من الناشر الأول أو هو وهم من ابن النقيب رحمه الله ؛ فمذهب الرازى أن المجاز أعمُّ من الاستعارة . فكل مجاز عنده ليس استعارة ، وكل استعارة هى مجاز . فهما يشتركان أنّ فيهما نقلا إلا أنّ النقل فى باب الاستعارة محدود بالتشبيه ، ولكنه فى المجاز أعم . انظر تفصيل ذلك فى نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز للرازى : ١٨٣ .

(١) هو أبو الحسن الرمانى النحوى المفسر المعتزلى المذهب المتوفى ٣٨٤ هـ .

(٢) عبارة الرمانى فى النكت : ٧٩ (الاستعارة تعليق العبارة علي غير ماوضعت له فى أصل اللغة علي جهة النقل للإبانة) ونقل هذا التعريف عنه ابن رشيق فى العمدة ٢٧١/١ ، والرازى فى نهاية الإيجاز : ٢٣١ ، وابن أبى الإصبع فى تحرير التحبير : ٩٧ ، وبديع القرآن : ١٧ .

(٣) انظر نهاية الإيجاز ٢٣١ – ٢٣٣ . وكلام الرازى فيه مستفاد من عبد القاهر فى أسرار البلاغة : ٤٠٢ – ٤٠٥ .

(٤) مابين المعقوفين ساقط من (ط) ، وهى زيادة من نهاية الإيجاز : ٢٣١ لابد منها ليستقيم المعنى .

(٥) هذا القول هو أحد تعريفى الرازى للاستعارة فى نهاية الإيجاز : ٢٣٢ ، وذكره الزنجانى فى المعيار : ٢٧/٢ وأما التعريف الآخر للاستعارة عند الرازى فسيلى فى آخر هذا الوجه الثانى .

(٦) سيأتى ص ١٠١ .

وسيأتى .

وقال المتقدمون من أرباب هذه الصناعة [١] : الاستعارة الاستدلال بالشىء المحسوس على المعنى المعقول . وهذا هو أحد أنواع الاستعارة فإن الاستعارة على أقسام وسيأتى بيانه [٢] .

وقال قوم [٣] : الاستعارة ادعاء معنى الحقيقة فى الشىء للمبالغة فى التشبيه مع طرح المشبه .

وقال الإمام فخر الدين رحمه الله [٤] : الاستعارة ذكر الشىء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة فى التشبيه .

فقوله : « ذكر الشىء باسم غيره » احترازاً عما إذا صرّح بذكر المشبه ، كقولك : « زيد أسد » فإنك ما ذكرت زيداً باسم الأسد بل ذكرته باسمه الخاص فلا جرمَ أن ذلك لم يكن استعارة . وأما قوله : « وإثبات ما لغيره له » ذكره لتدخل فيه الاستعارة التخييلية . وقوله : « لأجل المبالغة فى التشبيه » ذكره لتتميزّ به عن المجاز .

وأما الثالث : فقد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة فى أقسامها فقال قوم : أقسامها أربعة [٥] :

الأول : الأول : أن يكون المستعار والمستعار منه محسوسين .

---

(١) هذا التعريف عند ابن منقذ فى بديعه : ٤١ . وقد تتبعت أصوله الموجودة بيننا الآن التي نقل عنها كتابه فلم أجده فى واحد منها فلعله فى أصوله المفقودة : الحالى والعاطل للحاتمى أو اللمع للعجمى . وهما من أصول المصنف هنا . فلعلهما المقصودان بقوله : (وقال المتقدمون من أرباب هذه الصناعة) .

(٢) انظر ما يأتى فى آخر هذه الصفحة وحتى ص ٩٥ .

(٣) هو تعريف الزنجانى فى المعيار : ٢٧/٢ .

(٤) هذا هو التعريف الآخر للاستعارة عند الرازى ، وقد سبق الثانى . ص : ٩٠ ، وانظر بهامشها رقم (٥) .

(٥) انظر نهاية الإيجاز : ٢٥٨ ، والمعيار للزنجانى : ٢٤ وكلاهما مختصر من كلام الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٥٥ - ٧٤) . وما سيسوقه ابن النقيب - هنا - بعض عبارة الرازى ودون تصرف .

الثانى : أن يكونا معقولين .

الثالث : أن يكون المستعار معقولا والمستعار منه محسوسا .

الرابع : أن يكون على العكس .

أما استعارة المحسوس للمحسوس فهى على قسمين :

أحدهما : أن يكون الاشتراك فى الذات والاختلاف فى الصفات . **والثانى** : أن يكون العكس : فمثال الأول أن (يكونا حقيقتان تتفاوت إحداهما) [١] فى الفضيلة أو النقص والقوة والضعف فينقل اللفظ الموضوع للأكمل فى ذلك النوع إلى الانقص ، مثاله استعارة الطيران للعَدْو فإنهما يشتركان فى الحقيقة وهى الحركة المكانية إلا أن الطيران أسرع من العدو فلما تساويا فى الحقيقة واختلفا فى القوة والضعف فى السرعة – لا جرم – نقلوا اسم الكامل فى السرعة إلى الناقص فيها فسموا العدو طيراناً .

وقد يقع فى هذا الجنس ما يظن أنه مستعار ولا يكون كذلك وذلك إذا كانت جهة الاختلاف خارجة عن مفهوم الاسم كقول بعضهم [٢] :

وفي يدكَ السيفُ الذى امتنعتْ به صَفاةُ الهُدَى من أن تدِقّ فُتخرقَا [٣]

فالظاهر أن الخرق حقيقة فى الثوب مجاز فى الصفاة ، ولكن التحقيق يأباه لأن الشق يستعمل فى [موضع] [٤] فيقال : « شققت الثوب » والشق عيب فى الثوب وهذه الملاقاة [٥] على وجه / الحقيقة فلما قام الشق مقام الخرق وجب ٤٥

---

(١) كذا فى (ط) . ولفظ نهاية الإيجاز : (فالأول مثل أن يكون حقيقة تتفاوت أحادها) وفي نفس شيء من عبارة (ط) ولفظ نهاية الإيجاز .

(٢) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى ، الشاعر العباسيّ الكبير . ولد بمنبج ٢٠٦ هـ ، وتوفى بها ٢٨٤ هـ .

(٣) ديوان البحترى : ١٣٠/٢ ، وأسرار البلاغة : ٥٩ ، ونهاية الإيجاز : ٢٥٨ ، ورواية نهاية الإيجاز ، وأسرار البلاغة : (ترق) بالراء ، و(الصفاة) الحجر الضخم .

(٤) مابين المعقوفين زيادة عن نهاية الإيجاز .

(٥) نهاية الإيجاز : ٢٥٩ (إطلاقات) .

أن يقوم الخرق مقام الشق ظاهراً . (وإلا لو كان للخرق مفهوم سوى مفهوم الشق لكان) [١] لفظ الخرق مشتركا بينهما وهو خلاف الأصل ، فثبت أن الخرق والشق لفظان مترادفان .

ولما كان الشق حقيقة فى الصفاة كان الخرق المرادف له حقيقة أيضا فيه . نعم لو قلت : خرق الحشمة » لم يكن من الحقيقة فى شىء ؛ لأنه ليس هناك شق . فبهذا الطريق عرفنا أن الخرق ليس اسما للتفرق من حيث إنه (لاشق هناك كما تقدم خلاف ما تقدم من حيث إن الشق) [٢] حاصل فى الثوب بل هذه الخصوصية خارجة عن مفهوم لفظ الخرق . ولما كانت لفظة الخصوصية التى بها تتميز تفرق أجزاء الحجر بعضها من بعض عن تفرق أجزاء الثوب غير داخلة فى مفهوم الخرق كان استعمال الخرق فى الموضعين حقيقة . ولو قدرنا دخول تلك الخصوصية فى الخرق كان استعماله فى الحجر على طريق الاستعارة . فهذا هو القانون فى هذا الباب بعد أن لا تضايق فى المثال .

هذا كله إذا كان الاشتراك فى الحقيقة والاختلاف فى العوارض والصفات . وأما إذا كان بالعكس وهو أن يكون الاشتراك فى الصفات والاختلاف فى الحقيقة فمثل قولهم : « رأيت شمساً ؛ ويريدون إنسانًا يتهلل وجهه كالشمس [٣] ، فيشاركه فى الوصف .

وأما القسم الثانى : وهو استعارة اسم شيء معقول لشىء معقول وهذا أيضاً إنما يكون فى أمرين يشتركان فى وصف عدمى أو ثبوتى ، وأحدهما بذلك الوصف أولى وفيه أكمل : فينزل الناقص منزلة الكامل ثم إن المشتركين إما أن

---

(١) مابين القوسين كذا فى (ط) . وأما عبارة نهاية الايجاز : ٢٥٩ (والإلكان للخرق ... فيكون لفظ ..) وهما عبارتان كزازة فيهما . وانظر أسرار البلاغة : ٥٩ .

(٢) مابين القوسين كذا في (ط) وهو غير موجود في نهاية الايجاز وإسقاطه أولى ليستقيم السياق .

(٣) يبدو أنّ هنا سقطا فى (ط) وبعده فى نهاية الايجاز : ٢٦٠ : (فهنا الإنسان مخالفٌ فى الحقيقة للشمس ومشارك لها في الوصف .

يكونا متعاندين أولا يكونا كذلك فإن تعاندا فإما أن يكون التعاند بالثبوت أو الانتفاء أو بالتضاد . مثال الأول : استعارة اسم المعدوم للموجود أو الموجود للمعدوم .

أما الأول فعندما لا يحصل من ذلك الموجود فائدة مطلوبة فيكون ذلك الموجود مشاركا للمعدوم فى عدم الفائدة لكن المعدوم بذلك [١] أولى فيستعار لذلك الموجود اسم المعدوم . وأما الثانى فعند ما تكون الآثار المطلوبة من الشىء باقية عند [٢] عدم الشىء فيكون (عند) [٣] ذلك المعدوم مشاركا للموجود بتلك الفوائد لكن الموجود أولى بذلك فيستعار لذلك المعدوم اسم الموجود .

وأما إذا كان التعاند بالتضاد حقيقة كان أو ظاهرًا فمثاله تشبيه الجهال بالأموات [٤] لأن المقصود بالحياة الإدراك والعقل فإذا عدما فقد عدمت الآثار المطلوبة من الحياة فتصير تلك الحياة مساوية / للموت فى عدم الفائدة المطلوبة والموت أولى بذلك فتتنزل الحياة منزلته . ٤٦

ثم الضدان إذا (كانا قابلين للأشد والأنقص ، استعير للأنقص فى أحد الطرفين اسم الأزيد فى الطرف الآخر ، بشرط تساوى التشبيه) [٥] مثلا كل من كان أقلَّ علمًا وأضعف قوة كان أولى أن يستعار له اسم الميت . ولما كان الإدراك أقدم من الفعل فى كونه خاصية للإنسان لا جرَم كان الأقل علمًا أولى باسم الميت أو الجماد من الأقل قوة باسم الحياة ؛ فالأشرف علمًا أولى بذلك لقوله تعالى : ﴿ أَوَ مَن كان مَيْتاً فأحييناه ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٢] .

هذا إذا كانا متقابلين . أما إذا لم يكونا كذلك وهو أن يكونا موجودين يشتركان

---

(١) نهاية الإيجاز : لذلك .

(٢) نهاية الإيجاز : بعد .

(٣) بين القوسين ساقط من نهاية الإيجاز .

(٤) نهاية الإيجاز : الجاهل بالميت .

(٥) مابين القوسين عبارة نهاية الإيجاز : وعبارة (ط) : (متقابلين الأشد ، والأضعف ففي أحد الطرفين اسن الأزيد وفى الطرف الآخر اسم الأنقص فشرط مساوى التشبيه) . وهى مضطربة .

فى وصف معقول إلا أن ذلك الوصف لأحدهما أولى فيتنزل الناقص منزلة الكامل مثل قولهم : « فلان لقى الموت » إذا كان لقى شيئًا من الشدائد لأنها مشاركة للموت فى الكراهية [1] ، لكن الموت أولى بها فتتنزل تلك الشدائد منزلة الموت لاشتراكها فى المكروهية وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ ويأتيه الموتُ من كلّ مكان وما هو بميِّت ﴾ [سورة إبراهيم : ١٧] .

وأما الثالث : فهو أن يستعار للمعقول اسم المحسوس وهو كاستعارة الحجة للنور الذى هو محسوس بالبصر واستعارة العدل للقسطاس المدرك بحاسة العين .

وأما الرابع : فهو استعارة اسم المعقول للمحسوس وهو غير جائز إلا على التأويل الذى نذكره فى باب التشبيه إن شاء الله تعالى .

* * *

---

(١) فى نهاية الإيجاز : (المكروهية) .

فصـــل (*)

وهذه جملة مما احتوى عليه الكتاب العزيز من أقسام الاستعارة وصنوفها نذكرها مفصلة مبينة على حكم ما تقدم من الأقسام الأربعة ؛ إذ الغرض من هذا الكتاب معرفة ما تضمنه الكتاب العزيز من أنواع البيان وأصناف البديع وفنون البلاغة وعيون الفصاحة وأجناس التجنيس :

أما ما جاء فى الكتاب العزيز من استعارة المحسوس للمحسوس فآيات كثيرة . مها قوله تعالى : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [سورة مريم : ٤] إذ المستعار منه النار ، والمستعار له الشيب ، والجامع بينهما الانبساط ولكنه في النار يقوى .

وفى هذه الآية فائدتان [١] أخريان غير الاستعارة : الفائدة الأولى : أنه سلك فى الآية طريق ما أسند فيه الشيء [٢] وهو لشيء آخر لما بينه وبين الأول من التعلق فيرفع ذكر [٣] ما أسند إليه / ويؤتى بالذى الفعل له فى المعنى منصوباً بعده مبينًا أن ذلك الإسناد إلى ذلك الأول إنما كان من أجل هذا (الثانى ، ولما) [٤] بينهما من الاتصال كقولهم : طاب زيد نفساً وتصبّب [الفَرَسُ] [٥]

٤٧

(*) هذا الفصل منقول أيضا عن الرازى فى نهاية الإيجاز : ٢٦٣ - ٢٦٩ .

(١) ط (ثلاث فوائد آخر) وهذا تصرف من الناسخ أو الناشر الأول لوهم وقع له والحق أنهما فائدتان لا ثلاث انظر الهامش التالى رقم ٤ .

(٢) نهاية الإيجاز : ٢٦٣ (الفعل) .

(٣) نهاية الإيجاز : (به) .

(٤) (ط) : (الفائدة الثانيه بيان) . وهذا وهم من الناسخ أو الناشر توهم أن قوله (الثانى) منفصل عما سبق وابتداء لفائدة جديدة غير الأولى . وليس كذلك فالكلام متصل . وقد أوقعه هذا في أن يتصرف فى عبارة المؤلف ويجعلها (ثلاثة فوائد) بدلاً من فائدتين . انظر الهامش السابق رقم (١) ، وما يأتى برقم (٤) ص ١٤٠ ، والتصويب عن نهاية الإيجاز : ٢٦٤ .

(٥) زيادة من نهاية الإيجاز : ٢٦٤ .

عرقًا وأشباههما فيما تجد الفعل فيه منقولا عن الشيء إلى ماذلك الشيء من سببه . فإنا نعلم أن الاشتعال للشيب فى المعنى وهو للرأس فى اللفظ كما أن طاب للنفس وتصبّب للعرق وإن أسند إلى ما أسند إليه .

والدليل على أن شرف هذه الآية بسبب ذلك أنا لو تركنا هذا الطريق وأسندنا الفعل إلى الشيب صريحًا فقلنا : اشتعل شيب الرأس ، أو الشيب فى الرأس لانتفى ذلك الحسن ، فإن قلت : فما السبب فى أن كان « اشتعل » إذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له هذا الفضل ؟ فنقول : السبب فيه أن يفيد مع لمعان الشيب فى الرأس أنه شمل وشاع وأخذ به من نواحيه وعم بجملته حتى لم يبق من السواد شيء إلا القليل فهذه الفائدة لا تحصل إذا قيل : اشتعل الشيب فى (الرأس ، بل [1]) لا يوجب اللفظ أكثر من ظهور الشيب فيه ، بيانه أنك تقول [اشتعل البيت نارًا فيكون المعنى أن النار قد وقعت فيه وقوع الشمول وتقول] [2] اشتعلت النار فى البيت فلابد يفيد أكثر من إصابتها جانبا [منه] [3] . ومثاله من التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [سورة القمر : ١٢] فالتفجير للعيون فى المعنى لكنه وقع فى اللفظ على الأرض ليفيد أن الأرض بالكلية صارت عيونا .

الفائدة الثانية [4] : تعدية الرأس بالألف واللام وإفادة معنى الإضافة من غير إضافة [5] وهو أحد ما أوجب المزية ولو قيل « واشتعل رأسى [6] » لذهب [بعض [7]] الحسن .

---

(١) (ط) : (الناس) . والتصويب من نهاية الإيجاز .

(٢) مابين القوسين كله ساقط من (ط) وهو يخل بالسياق وزدته عن نهاية الإيجاز : ٢٦٥ .

(٣) زيادة من نهاية الإيجاز .

(٤) (ط) : (الفائدة الثالثة) . وهو خطأ وانظر الهامشين السابقين رقم : (١) ، (٤) ص ١٣٩ .

(٥) (ط) (الإضافة) وقد اخترت لفظ نهايه الإيجاز .

(٦) (ط) (رأس) والتصويب عن الرازى .

(٧) بين القوسين زيادة من نهايه الإيجاز .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وتركنا بعضَهم يومئذ يموجُ فى بعضٍ [(١)] ﴾ [سورة الكهف : ٩٩] أصل الموج لحركة [(٢)] الماء فاستعمل فى حركتهم على سبيل الاستعارة . وقوله عز وجل : ﴿ والصُّبحِ إذا تَنَفَّسَ ﴾ [سورة التكوير : ١٨] [استعار التنفس] [(٣)] للظهور .

وأما استعارة المحسوس للمحسوس لشبه عقلى فكقوله تعالى : ﴿ إذْ أرْسَلْنا عليهم الريحَ العقيم ﴾ [سورة الذاريات : ٤١] المستعار له الريح والمستعار منه المرأة العقيم ، والجامع بينهما المنع من ظهور النتيجة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وآية لهمُ الليلُ نَسْلَخُ منهُ النهارَ ﴾ [سورة يس : ٣٧] المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل والمستعار منه ظهور المسلوخ من جلدته والجامع أمر عقلى وهو ترتيب أحدهما على الآخر .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْناها حَصيدًا كَأَنْ لم تَغْنَ بالأَمْس ﴾ [سورة يونس : ٢٤] أصل الحصيد للنبات والجامع الهلاك وهو أمر عقلى . وقوله : ﴿ حصيدا خامدين ﴾ [سورة الأنبياء : ١٥] أصل الخمود للنار .

٤٨ ومنه / قوله تعالى : ﴿ وإنهُ فى أمِّ الكتاب ﴾ [سورة الزخرف : ٤] وهو أفصح من أن يقال فى أصل الكتاب .

وأما استعارة المحسوس للمعقول فكقوله تعالى : ﴿ بلْ نَقْذِفُ بالحقّ على الباطل فَيدمَغُهُ ﴾ [سورة الأنبياء : ١٨] فالقذف والدمغ مستعاران .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عليهم الذلةُ أينما ثُقِفوا إلا بحبلٍ من الله وحبلٍ من الناس ﴾ [سورة آل عمران : ١١٢] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فنبذوه وراء ظهورِهم ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٧] .

---

(١) (ط) : (وتركنا بعضهم يموج فى بعض) وهو تحريف وخطأ .
(٢) (ط) : (حركة) وما أثبته عن نهاية الإيجاز .
(٣) مابين القوسين من نهاية الإيجاز .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأَعْرِضْ عنهم ﴾ [سورة الأنعام : ٦٨] وكل خوض ذمه الله فى القرآن فلفظه مستعار من الخوض فى الماء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ ﴾ [سورة الحجر : ٩٤] استعارة لبيانه عما [1] أوحى إليه لظهور ما في الزجاجة عند انصداعها ومنه قوله تعالى : ﴿ أفمن أسَّسَ بنيانه ﴾ [سورة التوبة : ١٠٩] البنيان مستعار وأصله للحيطان .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ويبغونها عوجًا ﴾ [سورة الأعراف : ٤٥ ، وسورة هود : ١٩ ، وسورة ابراهيم : ٣] العوج مستعار .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لِتُخْرِجَ الناسَ من الظلمات إلى النور ﴾ [سورة إبراهيم : ١] وكل ما فى القرآن من الظلمات والنور مستعار .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فجعلناه هباءً منثورًا ﴾ [سورة الفرقان : ٢٣] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ألم تَرَ أنهم فى كل وادٍ يَهيمون ﴾ [سورة الشعراء : ٢٢٥] الوادى مستعار وكذلك الهيمانُ وهو على غاية الإفصاح .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ [سورة فصلت : ١١] جعل للسموات والأرض قولا وطاعة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا تجعل يَدَكَ مغلولةً إلى عُنُقِكَ ﴾ [سورة الاسراء : ٢٩] .

وأما استعارة المعقول للمعقول فمنه قوله تعالى : ﴿ مَنْ بعثنا من مرقدنا ﴾ [سورة يس : ٥٢] استعار الرقاد للموت وهما أمران معقولان والجامع عدم ظهور الأفعال .

---

(١) نهاية الإيجاز ٢٦٧ : (مما) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ولما سكت عن موسى الغضبُ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٤] والسكوت والزوال أمران [١] معقولان .

وأما استعارة المعقول للمحسوس فمنه قوله تعالى : ﴿ إنا لما طَغَى الماءُ حملناكم فى الجارية ﴾ [سورة الحاقة : ١١] المستعار منه التكبر [٢] والمستعار له الماء والجامع الاستعلاء المضر . ومنه قوله تعالى : ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صَرصرٍ عاتيةٍ ﴾ [سورة الملك : ٨] والعتو ههنا مستعار ، ومنه قوله تعالى : ﴿ تكاد تميَّزُ من الغيظ ﴾ فلفظ الغيظ مستعار . ومنه قوله تعالى : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرةً ﴾ [سورة الإسراء : ١٢] وهو أفصح من مضيئة . ومنه قوله تعالى : ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ [سورة محمد : ٤] هذا الذي اختاره الإمام فخر الدين [٣] ومن قبله من المحققين .

* * *

وقال قوم [٤] : **الاستعارة على قسمين** : **الأول** : أن يعتمد نفس التشبيه وهو أن يشترك شيئان فى وصف واحد ، أحدهما أنقص من الآخر فيعطى الناقص اسم [الزائد] [٥] مبالغة فى تحقيق / ذلك الوصف له كقولك : رأيت أسدًا ، وأنت تعنى : رجلا شجاعًا ، وعَنَّت لنا ظبيةٌ وأنت تعنى : امرأة . وتجيء الأقسام الأربعة وقد تقدمت . ٤٩

الثانى : أن تعتمد لوازمه وهو عند ماتكون جهة الاشتراك وصفًا إنما يثبت بكماله فى المستعار منه بواسطة شيء آخر فيثبت ذلك الشيء فى المستعار له مبالغة فى إثبات المشترك ويسمى استعارة تخييلية كقول لبيد [٦] :

---

(١) نهاية الإيجاز ٢٦٨ : (وصفان) .

(٢) نهاية الإيجاز ٢٦٩ : (المتكبر) .

(٣) آخر النقل عن نهاية الإيجاز : وهو نقل طويل شغل الصفحات من (٢٦٣ - ٢٦٩) فى كتاب الرازى وهو - وكله - مأخوذ من كلام عبد القاهر فى أسرار البلاغة .

(٤) انظر المعيار للزنجانى : ٣٣ ، وهذه القسمة الثنائية للاستعارة لا تخرج عما نقله المصنف عن الرازى من قبل . بل هى من نص كلامه انظر نهاية الإيجاز : ٢٥٦ .

(٥) ساقط من ط ، والزيادة من المعيار .

(٦) هو لبيد بن ربيعة العامرى ، أبو عقيل من الشعراء الفرسان الأشراف أدرك الإسلام =

وغداةِ ريحٍ قد وَزَعْتُ وقـرَّةٍ إذْ أُصْبَحَتْ بِيَدِ الشّمالِ زِمامُها [١]

استعار « اليد » للشمال ، وليس هناك مشارٌ إليه يمكن أن يجرى اسم اليد عليه كما أجرى الأسد على الرجل لكنه خيل إلى نفسه أن الشمال فى تصريف الغداة [٢] على حكم طبيعتها كالإنسان المتصرف فى بعيره وزمامُه ومقادتُه فى يده . وتصرفُ الإنسان إنما يكمل باليد ، فأثبت لها اليد تحقيقًا للغرض . وحكم الزمام فى الاستعارة للغداة حكمُ اليد فى استعارتها للشمال . وكذلك قول تأبط شرًا [٣] يصف سيفًا :

إذا هَزَّهُ فى عَظْمِ قِرْنٍ تَهَلَّلَتْ نَواجِذُ أَفواهِ المنايا الضَّواحِكِ [٤]

لما شبه المنايا عند هَزِّه السيف بالمسرور ، وكمالُ الفرح والسرور إنما يظهر بالضحك الذى تهلل فيه النواجذ ، لا جرمَ أثبته تحقيقًا للوصف المقصود ، وإلا فليس للمنايا ما ينقل إليه اسم النواجذ . وكذلك له في الحماسة [٥] :

= وأسلم ووفد على النبى ﷺ وترك الشعر فلم يقل فى الإسلام إلا بيتا واحدا وعاش عمرًا طويلا وتوفى ٤١ هـ .

(١) من معلقته الشهيرة . ديوانه : ١٧٦ ، والبديع لابن المعتز ١١ ، والعمدة ٢٦٩/١ ، ودلائل الإعجاز ٦٧ ، ٤٣٥ ، ٤٦٠ – وأسرار البلاغة : ٤٥ ، ونهاية الإيجاز ٢٥٦ ، والمعيار للزنجانى ٣٣ وعجزه فيه : ٢٧ .

(٢) ط : (الغداة فى تصريف الشمال) ، والتصويب عن المعيار : ٣٣ ، ونهاية الإيجاز : ٢٥٦ ، وأسرار البلاغة : ٤٦ .

(٣) هو ثابت بن جابر من شعراء الجاهلية الصعاليك ضرب به المثل في سرعة الْعَدْو ، توفى نحو ٨٠ قبل الهجرة .

(٤) ديوان الحماسه : ٧٦/٢ ، وديوانه المجموع : ١٥٥ ، ودلائل الإعجاز : ٤٣٦ ، ونهاية الإيجاز : ٢٥٧ ، والمعيار : ٣٣ .

والنواجذ : قال فى القاموس : (أقصى الأضراس . وهى أربعة ، أو هى الأنياب ، أو التى تلى الأنياب أو هى الأضراس كلها جمع ناجذ) والقرن : بالكسر : الشجاع .

(٥) فى ديوان الحماسة (٣٥٠/١) ، من قطعة غير منسوبة ، والمعيار للزنجانى : ٣٤ .
ولا يتوهمن أن الضمير في (له) يعود علي تأبط شرا ولكنه كعادة الكثير من المصنفين يعود على غير مذكور . أى : وللشاعر . والله أعلم .

سَقاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إذا سُلَّ أَوْمَضَتْ إليه ثنايا الموتِ من كلّ مَرْقَبِ [١]

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لهما جَناحَ الذُّلِّ من الرحمة ﴾ [سورة الإسراء : ٢٤] .

تحقيق هذا الخلاص عن التشبيه [٢] ؛ فإن من وضع فى نفسه أن كل اسم يستعار فلابد أن يكون هناك شيء يمكن [٣] الإشارة إليه يتناوله [٣] فى حال المجاز كما يتناوله [مسماه] [٤] في حال الحقيقة [ثم نظر إلى قوله تعالى : ﴿ ولتُصْنَعَ على عَيْنِي ﴾ [سورة طه : ٣٩] وقوله تعالى : ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ [سورة القمر : ١٤] ارتبك [٥] فى الشك وحام حول الظاهر ووقع فى التشبيه الذى هو الضلال البعيد [٦]] .

وقال ابن الأثير [٧] : تقسم الاستعارة إلى قسمين : الأول يجب استعماله : وهو ما كان بينه وبين ما استعير له تشابه وتناسُبُ . ولنضرب له أمثلة يستدل بها عليه . فمن ذلك قولُه تعالى : ﴿ وآيَةٌ لهمُ الليلُ نَسْلَخُ منه النهار ﴾ [سورة يس : ٣٧] وهذا الوصف إنما هو على ما يظهر للعين لا على حقيقة المعنى ، لأن الليل والنهار اسمان يقعان على هذا الجوّ عند إظلامه وإضاءته بغروب الشمس

---

(١) كان فى (ط) : (مرقد) وهو مصحف والصواب ما أثبت عن المعيار وديوان الحماسة .

(٢) يقصد هنا بالتشبيه – يعنى – تشبيه الخالق بالمخلوق وجعل صفاته سبحانه مشبهة للحوادث من خلقه ، وهذا يدل عليه ما يأتى من الكلام الذى سقط من (ط) وجعل العبارة مبهمة لا معنى لها .

(٣) ط : (تمكن) ، و(تتناوله) بالتاء ، وقد اخترت مافي المعيار وأسرار البلاغة .

(٤) زيادة من المعيار وأسرار البلاغة ..

(٥) (ارتبك) خبر إنّ في قوله في بداية الفقرة (فإن من وضع في نفسه ...) وما بينهما فصل طويل وعدم التنبه لذلك يؤدى إلى خلل الفهم واضطراب المعنى ، وهذا ماوقع فى مطبوعة المعيار للزنجانى : ٣٤ .

(٦) وانظر أسرار البلاغة : ٥٠ ، ونهاية الإيجاز : ٢٥٧ . ومابين المعقوفين كله ساقط من (ط) .

(٧) انظر الجامع الكبير لابن الأثير : ٨٤ .

وطلوعها وليس على الحقيقة شيئين ينسلخ أحدهما من الآخر إلا أنهما فى رأى العين كأنهما كذلك . « والسلخ » يكون فى الشيء الملتحم بعضه ببعض ، فلما كانت / هوادى الصبح عند طلوعه كالملتحِمة بأعجاز الليل أجرى عليهما اسم السلخ وكان ذلك لائقا فى بابه . وهو أولى من قوله : « يُخرج » لأن « السلخَ » أدلُّ على الالتحام المتوهم من الإخراج [١] . ٥٠

الثانى : ما لايجب استعماله وسيأتى بيانه ..

وقال قوم : الاستعارة على سبعة أقسام [٢] . **الأول** : الاستعارة للمناسبة وهى على أربعة أقسام كما تقدم . **الثانى** : الاستعارة التخييلية وقد تقدم بيانها . **الثالث** : الاستعارة المجردة . **الرابع** : الاستعارة المرشحة . **الخامس** : الاستعارة البديعة . **السادس** : الاستعارة القبيحة . **السابع** : الاستعارة فى الكناية وقد بينا متقدماً بعضها وسنبين الباقى إن شاء الله تعالى .

الوجه الرابع : من التقسيم الأول في اشتقاقها :

وهي مشتقة من العارية التى حقيقتها فى الأجرام ؛ ولهذا قال ابن الأثير : الاستعارة هى أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع الإفصاح بالتشبيه وإظهاره ، وتجيء على اسم المشبه به فتعبرَ به عن اسم المشبه تجريه عليه ، كقولك : رأيت رجلاً هو كالأسد فى شجاعته وقوة بطشه سواء ، فتدعَ ذلك وتقول : رأيت أسداً [٣] .

---

(١) لكلام ابن الأثير بقية مفيدة فى بيان هذه الاستعارة . قال بعد ماهنا مباشرة (وذلك أن انسلاخ الشيء عن الشيء هو أن يَميزَ أحدُهما من الآخر ، ويزولَ عنه بالتدريج ، حالا فحالا ، كما ينسلخ جلد الشاة عنها . وكذلك انفصال الليل عن النهار بالتدريج . فانظر أيها المتأمل لهذه الاستعارة شدة التناسب الذي بينها وبين ما استعيرت له ومشابهتها إياه . فإنها من الاستعارات التي لا أمد فوقها في الحسن) الجامع الكبير : ٨٥ .

(٢) هذا التقسيم السباعى للاستعارة لم أعرف أصحابه ولعله من مصادر المؤلف المفقودة .

(٣) الجامع الكبير : ٨٢ .

والسين التى فى الاستعارة ليست سين الالتماس والطلب التى هى فى قولهم « استعان » : إذا طلب المعونة و « استجار » : إذا طلب الجِيرة ، وإنما هى كالتى فى قوله تعالى : ﴿ فاستجاب لهم ربُّهم ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٥] . وكقول الشاعر [١] :

* فلم يَسْتَجِبْهُ عند ذاك مُجِيبُ [٢] *

الوجه الخامس : فيما تصح منه الاستعارة وفيما لا تصح :

قال الإمام فخر الدين وجماعة من المحققين [٣] : إن الأسماء على ثلاثة أقسام : أسماء أعلام وأسماء مشتقة وأسماء أجناس . فأما الأسماء الأعلام فلا استعارة فيها ؛ لأن المشابهة بين الأصل والفرع معتبرة فى الاستعارة وهى غير معتبرة فى الأعلام . وأما الأسماء المشتقة فالاستعارة أيضا لا تدخلها دخولا أوليًا .

(وهل تتحقق فى الفعل أم لا ؟) [٤] .

فنقول : الفعل شأنه الدلالة على ثبوت المصدر لشىء فى زمان معين ؛ فالاستعارة تقع أولاً فى المصدر وبواسطة [٥] ذلك فى الفعل فإذا قلت : « نطقت الحال » فهذا [٦] إنما يصح لأن الحال مشابهة النطق فى الدلالة على الشىء فلا جَرَم استعير النطق لتلك الحالة . فالاستعارة أولاً واقعة على المصدر وبواسطته [٧] فى الفعل : فإذاً الاستعارة فى الحقيقة ليست إلاَّ في المصدر .

---

(١) هو كعب بن سعد الغَنَوى .

(٢) وصدره :

وداعٍ دعا يامَنْ يجيب إلى النَدا

الأصمعيات : ٩٦

(٣) انظر نهاية الإيجاز ٢٤١ ، والمعيار : ٢٩ واللفظ – هنا – للرازى وهو تلخيص لكلام عبد القاهر في أسرار البلاغة ، ٥١ – ٥٤ .

(٤) كذا في ط . والذى في نهاية الإيجاز : (ولتحقق ذلك في الفعل أولا) .

(٥) ط (بواسطة) بدون الواو ، . وهذه الواو مهمة جدا وإسقاطها يحيل المعنى ، والتصويب من الرازى .

(٦) ط : وهذا ، واخترت مافي نهايه الإيجاز .

(٧) ط (بواسطته) دون واو وانظر ماسبق برقم : ٥ .

فإذا عرفت ذلك تبين لك أنّ الأسماء المشتقة أيضا كذلك فإن الاسم المشتق هو الذى يدل على ثبوت المشتق منه لشيء مع عدم / الدلالة على زمان ذلك الثبوت فظهر منه أن الاستعارة إنما تقع وقوعا أوليا فى أسماء الأجناس [١] .   ٥١

وتلخيص [٢] هذا الكلام أن المعنى يستعار أولا بواسطة استعارة اللفظ وأن الاستعارة تقع فى المصدر ثم بواسطةٍ فى الفعل .

واستعارة الفعل [٣] إما من جهة فاعله كقولك : « نطقت الحال بكذا » ، ولعبت به الهموم [٤] .

وإما من جهة مفعوله كقول ابن المعتز :

جُمِعَ الحقُّ لنا فى إمـامٍ   قَتَلَ الجوعَ وأحيا السَّماحَا [٥]

أو من جهة مفعوليه كقول القُطامى [٦] :

نَقْـــريهمُ لَهْذَمِيَّـــاتٍ نَقُـــدُّبها   ما كانَ خاطَ عليها كلُّ زَرَّادِ [٧]

أو لكليهما كقول الحريرى [٨] :

---

(١) آخر النقل عن نهاية الإيجاز : ٢٤١ – ٢٤٢ .

(٢) يبدو أن هذا من عبارة ابن النقيب نفسه وانظر المعيار : ٢٧ .

(٣) نهاية الإيجاز : ٢٤٣ ، والمعيار للزنجانى : ٢٩ ، وهو من كلام عبد القاهر فى أسرار البلاغة : ٥٣ .

(٤) مثال (ولعبت به الهموم) غير موجود بمطبوعة نهاية الإيجاز ، وهذا يبين أن نقل المؤلف فى هذا الموضع عن المعيار .

(٥) كذا فى (ط) : (قتل الجوع) وهو موافق لأصله الناقل عنه وهو المعيار للزنجانى : ٢٩ . أما روايةُ ديوانه ٤٦٨/١ ، وأسرار البلاغة : ٥٣ ، ونهاية الإيجاز : ٢٤٣ جميعا (قتل البخل) قال عبد القاهر : (« فقتل وأحيا » إنما صارا مستعارين بأن عُدِّيا إلى البخل والسماح ولو قال : « قتل الأعداء وأحيا » لم يكن « قتل » استعارة بوجه ولم يكن « أحيا » استعارة على هذا الوجه) أسرار البلاغة : ٥٣ .

(٦) القطامى (بفتح القاف وضمها) : هو عمرو بن شُيَيْم جعله ابن سلام فى الطبقة الثانية من فحول شعراء الإسلام وقال عنه : وكان القطامى شاعرا فحلا ، رقيق الحواشى ، حلو الشعر .

(٧) ديوانه : ٩٠ ، وأسرار البلاغة : ٥٤ ، ٦١ ، نهاية الإيجاز : ٢٤٣ ، المعيار : ٣٠ وقال فى القاموس : اللَّهْذَم ، كَجَعْفَر : القاطع من الأسنة .

(٨) هو أبو محمد القاسم بن على الحريرى الأديب الكبير صاحب المقامات الحريرية ودرة الغواص فى أوهام الخواص وملحة الإعراب وغيرها نسبته إلى عمل الحرير أو بيعه توفى بالبصرة ٥١٦ هـ .

وأقرِى المسامعَ إمّا نَطَقْتُ   بيانًا يقودُ الحَرُونَ الشَّمـوسا [(١)]

أو من جهة الفاعل والمفعول كقوله تعالى : ﴿ يكادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أبصارَهم [(٢)] ﴾ [سورة البقرة : ٢٠] .

وقال ابن الأثير فى جامعه [(٣)] : اعلم أن الاستعارة قد جاءت فى الأسماء والصفات والأفعال جميعًا ، تقول : رأيت ليوثا ، ولقيت صُمًّا عن الخير ، وأضاء الحقُّ ، إلا أنه قد استعمل الضرب الثانى الذى ذكرناه وهو قولنا : « زيد أسد » فى باب الاستعارة وأورده جماعة من العلماء مثل قدامة [(٤)] والجاحظ [(٥)] وأبى هلال العسكرى [(٦)] والغانمى [(٧)] وأبى محمد بن سنان الخفاجى [(٨)] فى تصنيفاتهم فى باب الاستعارة ، ولم يذكروا أن الأصل فيه أنه تشبيه بليغ . فما أعلم هل ذلك لخفائه عليهم أو أنهم عرفوه ولم يذكروه ، وهو الأصل المقيس عليه فى التشبيه الذى أجمع عليه المحققون من علماء البيان . وقد أوردناه نحن فى كتابنا هذا في باب الاستعارة تشبيهًا بالقوم واستنانًا بسنتهم لأنهم السابقون فى هذا الفن بالتصنيف ، إلا أن موضعه باب التشبيه فاعرف ذلك .

---

(١) من مقامته الطِّيبية (الثانية والثلاثين) ، ونهاية الإيجاز : ٢٤٣ ، والمعيار : ٢٩ .

(٢) آخر النقل عن المعيار .

(٣) انظر الجامع الكبير : ٨٢ ، ويبدو أن في مطبوعة الجامع سقطًا أبان عنه هذا النص الذى معنا .

(٤) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البليغ ، كان عارفا بالمنطق والفلسفة والحساب . وكان نصرانيا وأسلم . توفى سنة ٣٣٧ .

(٥) هو أبو عثمان عمرو بن بحر لقب بالجاحظ لجحوظ في عينيه ، شيخ الأدباء وإمام الفصاحة والبيان ضرب به المثل فى ذلك فقيل (جاحظى البيان) ، ولد بالبصرة سنة (١٥٠) وتوفى سنة (٢٥٥) هـ .

(٦) سبق التعريف به .

(٧) الغانمى : بفتح الغين وكسر النون ، قال السمعانى (هو الأديب محمد بن غانم الغانمى ، كان من أفاضل عصره ، وديوان شعره سائر فى الآفاق وهو من مدّاحى نظام الملك ولد بنيسابور ونشأ بطوس وسكن هراة كان إماما فاضلا عالما ورعا حسن السيرة كثير المحفوظ حسن الشعر بديع النظم ولد سنة ٤٦٤ وتوفى ٥٥٣ هـ) الأنساب : ٢٧٨/٤ - ٢٧٩ .

(٨) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الشاعر الأديب البليغ الشيعى الحلبى ، صاحب كتاب سر الفصاحة ، وكان أميرا على بعض ولايات حلب ، توفى مسمومًا سنة ٤٦٦) هـ .

الوجه السادس : الاستعارة التخييلية : وقد تقدم الكلام فيها ، ونزيد ذلك وضوحًا : وهو أن علماء البيان قالوا [١] : إن أكثر الآيات التي يتمسك بها أهل التشبيه من هذا . فمنها قوله تعالى : ﴿ واخْفِضْ لهما جَنَاحَ الذُّلِّ من الرَّحْمَةِ ﴾ [سورة الإسراء : ٢٤] إثبات الجناح للذل استعارة تخييلية .. وروى أن أبا تمامٍ [٢] لما نظم قوله : (هو حبيب بن أوس الطائى) [٣] .

لا تَسْقِنـى مـاءَ الملامِ فإننـى ... صَبٌّ قدِ اسْتَعْذَبْتُ ماءَ بكائى [٤]

جاءه رجل بقَصْعة وقال : أعطنى قليلا من « ماء الملام » فقال أبو تمام : لا أعطيكه حتى تأتينى / بريشة من « جناح الذل » فأفحم الرجل . ٥٢

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لكم أيها الثَّقَلان ﴾ [سورة الرحمن : ٣١] . ومنه قوله تعالى : ﴿ ذَرْنى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحيدًا ﴾ [سورة المدثر : ١١] ومنه قوله تعالى : ﴿ إلاَّ أَنْ يَعفون أو يَعْفُوَ الذى بيدِه عُقْدَةُ النِّكاحِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٧] . ومنه قوله تعالى : ﴿ واعتصِموا بحبل اللهِ جميعًا ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٣] وفى القرآن العظيم من ذلك كثير .

الوجه السابع : الاستعارة المجردة [٥] : وهى أن تنظر إلى المستعار من غير نظر إلى غيره كقوله تعالى : ﴿ فَأَذاقها اللهُ لِباسَ الجوعِ والخوف ﴾ [سورة النحل : ١١٢] وكقول زهير [٦] :

* لدَى أَسَدٍ شاكى السِّلاحِ مُقَذَّفِ [٧] *

---

(١) انظر : نهاية الإيجاز : ٢٦٩ ، والمعيار : ٢٤ وقد زاد المؤلف هنا بعض أمثلة ليست من هذين المصدرين فلعلهما من مصادره المفقودة .

(٢) هو حبيب بن أوس الطائى الشاعر العباسى الكبير ، أمير من أمراء البيان توفى ٢٣١ .

(٣) كذا فى ط .

(٤) ديوان أبى تمام : ٢٢/١ ، ونهاية الإيجاز : ٢٥٤ .

(٥) انظر نهاية الإيجاز : ٢٤٩ ، والمعيار : ٣٠ .

(٦) هو زهير بن أبى سلمى فحل متقدم من شعراء الجاهلية كان أبوه شاعرًا وخاله شاعرًا وأخته سلمى شاعرة وابنه كعب وبجير شاعرين توفى ١٣ قبل الهجرة .

(٧) صدر بيت له وعجزه ... له لِبَدٌ أظفارُه لم يقلم
ديوانه : ٣٠ ، ونهاية الإيجاز : ٢٥٠ ، والمعيار : ٣٠ .

لو نظر إلى المستعار منه لقال : « فكساهم الله لباس الجوع [١] » ولقال زهير : « لدى أسد وافى المخالب » ، أو « وافى البراثن » .

الوجه الثامن : الاستعارة المرشحة [٢] : وهى أن تنظر إلى جانب المستعار [منه] فتراعى جانبه وتواليه ما يستدعيه وتضم إليه ما يقتضيه مثل قول كثير [٣] :

* رَمَتْنى بِسهمٍ ريشهُ الْكُحْلُ لم يَضِرْ [٤] *

وقول النابغة [٥] :

* وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ هَمِّهِ [٦] *

المستعار في كل واحد منهما وهو الرمى والإراحة [٧] منظور إليه في لفظى - السهم والعازب - .

---

(١) يوضح ذلك عبارة الزنجانى (فإن الإذاقة لما وقعت عبارة عما يدرك من أثر الضرر والألم تشبيها له بما يدرك من طعم المر والبشع ، واللباس عبارة عما يغشى منهما ويلابس . فكأنه قال : فأذاقها ماغشيها من ألم الجوع والخوف .. ولو نظر إلى المستعار لقال فكساهم لباس الجوع ..) المعيار : ٣٠ - ٣١ .

(٢) انظر نهاية الإيجاز : ٢٤٩ ، والمعيار : ٣٠ .

(٣) هو كثير بن عبد الرحمن ، وكنيته أبو صخر ، الشهير بكثير عزة ، شاعر أهل الحجاز . عده ابن سلام فى الطبقة الثانية من طبقات الشعراء الإسلاميين . توفى سنة (١٠٥ هـ) فى آخر خلافة يزيد ابن عبد الملك أو أول خلافة هشام ، وقد زاد عمره على الثمانين .

(٤) وعجزه : (ظواهر جلدى وهو للقلب جارح) .

دوانه : ١٨٨ ، ودلائل الاعجاز : ٤٩٧ ، ونهاية الإيجاز : ٢٥٠ ، والمعيار : ٣٠ .

(٥) هو زياد بن معاوية أبو أمامة الشهير بالنابغة الذبيانى شاعر جاهلى فحل من الطبقة الأولى ، وتوفى نحو ١٨ قبل الهجرة .

(٦) وعجزه : (تضاعف فيه الحزن من كل جانب) ديوانه : ٤١ ، ودلائل الإعجاز : ٢٦٨ ، ونهاية الإيجاز : ٢٥٠ والمعيار : ٣٠ .

(٧) يقال : أراح الراعى ماشيته : إذا رجع بها من المرعى . والنابغة صور الليل هنا بصورة الراعى الذى يسوق الهموم البعيدة مع مَقْدَمه إلى مكان مبيتها وهو صدر الشاعر .

الوجه التاسع : الاستعارة البديعة البالغة وهي أن تتضمن المبالغة في التشبيه مع الإيجاز [١] . وغالب استعارات الكتاب العزيز كذلك وفي أشعار فصحاء العرب منها كثير .

الوجه العاشر : الاستعارة القبيحة [٢] : وليس فى الكتاب العزيز منها شيء ، وأما فى أشعار العرب وغيرهم فكثير . ومن قبيح الاستعارة قول أبي تمام :

سبعون ألفا كآساد الشَّرَى نَضِجَتْ أعمارُهم قبلَ نضجِ التين والعنبِ [٣]

وهذا البيت ليس فيه وجه من وجوه الحسن (وقد روى فى غير هذه الرواية « نضجت جلودهم قبل » وعلي هذه الرواية ليس فى البيت استعارة قبيحة فإن القتلى أنضجت الشمس جلودهم كما تنضج التين والعنب) [٤] . وكذلك قوله

* أيا من رمى قلبى بسهم فأدخلا [٥] *

أقام « أدخل » مقام « أنفذ » . وفى رواية « فأقصدا » وفى رواية « فأنفذا » فعلى / من روى فأقصدا وأنفذا فهى استعارة حسنة [٦] . ٥٣

ومما يزيد [٧] الاستعارة حسنًا – وهو أصل فى هذا الباب – أن يجمع بين عدة من الاستعارات قصدًا لإلحاق الشكل بالشكل لإتمام التشبيه ، كقول امرىء القيس فى وصف ليل طويل :

---

(١) نهاية الإيجاز : ٢٥٤ .

(٢) نهاية الإيجاز : ٢٥٤ .

(٣) ديوانه ٦٩/١ ، ونهاية الإيجاز : ٢٥٤ .

(٤) مابين القوسين زيادة من المؤلف علي مافي نهاية الإيجاز فلعلها مما اختص به أو نقلها عن بعض مصادره الأخرى .

(٥) نهاية الإيجاز : ٢٥٤ ، وروايته (فأنفذا) .

(٦) بيّن الرازى وجه الحسن في هذه الاستعارة بقوله : « فأنفذا » استعارة حسنة ، وكذلك لو قال بدل فأنفذا » فأقصدا ، فأما لو قال بدله « فأولجا » ، أو « فأدخلا » لكانت استعارة قبيحة لأن اللائق بهذا الموضع أن يبالغ في الوصف بالسهولة وتحقيق الإصابة ،. وقوله « فأقصدا » يفيد تحقيق الإصابة . وقوله « فأنفذا » يفيد تحقيق السرعة والسهولة فليست الأوصاف الأخر كذلك . « نهاية الإيجاز : ٢٥٤ .

(٧) انظر نهاية الإيجاز : ٢٤٩ ، والمعيار : ٢٨ ودلائل الإعجاز : ٧٩ .

فقلتُ لـه لمّـا تَمطّى بصُلْبِـهِ　　وأردف أعجازًا وناءَ بِكَلْكَـلِ [١]

لما جعل لليل صلبا قد تمطى به ، ثنى ذلك فجعل له أعجازا قد أردف بها الصلب ، وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به فاستوفي جملة أركان الشخص وراعى ما يدل الناظر من جميع جوانبه .

الوجه الحادى عشر [٢] : الاستعارة بالكناية وبيان ما تتنزل به الاستعارة بالكناية منزلة الحقيقة [٣] :

أما الاستعارة بالكناية [٤] فهى إذا لم يصرح بذكر المستعار بل بذكر بعض لوازمه تنبيها به عليه كقول أبي ذؤيب :-

وإذا المنية أَنْشَبَتْ أَظْفارَهـا　　أَلفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ [٥]

فكأنه حاول استعارة السبع للمنية لكنه لم يصرح بها بل بذكر لوازمها تنبيهًا بها على المقصود .

الثانى عشر : ما تتنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة [٦] : وهو أن يذكر لفظا يوهم به أن الاستعارة [لم توجد] [٧] أصلا كقول أبي تمام :

---

(١) من معلقته الشهيرة : ديوانه ١٨ ، ودلائل الإعجاز : ٧٩ ، ونهاية الإيجاز : ٢٤٩ ، والمعيار : ٢٨ ، والمثل السائر : ٢/١١٠ ، ٣/٢٠٢ ، والجامع الكبير : ٨٧ .

(٢) الوجه الحادى عشر في قسمته التي قدمها في صدر هذا الباب ص ٨٩ : « في بيان ما يظن أنه استعارة وليس باستعارة ... وأما الثاني عشر فيها فعن الاستعارة بالكناية والثالث عشر فيما تتنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة » ولم يأت ذكر في حديث المؤلف عن الاستعارة عما يظن أنه استعارة وليس كذلك .

(٣) قوله (وبيان ما تتنزل به الاستعارة بالكناية منزلة الحقيقة) في نفسى منه شيء ولعله تصرف من الناسخ أو الناشر أو ذهول منهما فالوجه التالى سيخصصه للحديث عما تتنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة

(٤) الكلام عن الاستعارة بالكناية – هنا – منقول عن نهاية الإيجاز : ٢٥١ .

(٥) ديوان الهذليين : ٣ ، والمفضليات : ٤٢٢ ، ونهاية الإيجاز : ٢٥١ ، والمعيار : ٣١ .

(٦) هذا الوجه في نهاية الإيجاز ٢٥ – ٢٥٣ والمعيار : ٣١ ، وهو مأخوذ من كلام عبد القاهر في أسرار البلاغة : ٣٠٢ .

(٧) بين المعقوفين زيادة من نهاية الإيجاز وهي لازمة .

وَيَصْعَدُ حتي يَظُنَّ الجهولُ   بأنّ له حاجةً في السماءِ [١]

لما استعار العلو لزيادة العلو في الفضل والقدر ذكره ذكر من يذكر علو مكان . وكقول ابن العميد [٢] :

قامت تُظَلِّلُني من الشمسِ   نفسٌ أعزُّ عليَّ من نفسي
قامت تظللني ومن عجبٍ   شمسٌ تظلِّلُني من الشمسِ

ومدار هذا النوع علي التعجب . وقد يجيء على عكسه كقوله :

لا تَعْجَبوا من بِلَى غِلاَلَتِهِ   قد زرَّ أزرَارَهُ علي القمرِ [٤]

وهذا إنما يتم بالحكم الجدي [٥] بكونه قمرًا ليكون من شأنه أن يبلي الكتّان .

الوجه الثالث عشر : شروط الاستعارة الكاملة : قال ابن الأثير [٦] لابد للاستعارة من ثلاثة أشياء : مستعار ، ومستعار منه ، ومستعار له . فاللفظ المستعار قد نقل من أصل إلي فرع للإبانة والمستعار منه والمستعار له لفظان حمل أحدهما على الآخر في معنى من المعانى هو حقيقي للمحمول عليه مجازى للمحمول . مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ واشتعل الرأس شيبًا ﴾ [سورة مريم : ٤] فهذا / مستعار ومستعار منه ومستعار له فالمستعار هو الاشتعال ، وقد نقل من الأصل الذى هو النار إلى الفرع الذي هو الشيب قصدًا للإبانة . وأما المستعار منه فهو النار والاشتعال لها حقيقة وأما المستعار له فهو الشيب والاشتعال له مجاز . ٥٤

* * *

---

(١) ديوانه ١/٣٥٠ ، وأسرار البلاغة : ٣٠٢ ، ونهاية الإيجاز : ٢٥٢ ، والمعيار : ٣١ .

(٢) هو أبو الفضل محمد بن الحسين وزير آل بويه ضرب به المثل في البلاغة حتى لقب بالجاحظ الثاني توفي ٣٦٠ هـ .

(٣) أسرار البلاغة : ٣٠٣ ، ونهاية الإيجاز : ٢٥٣ ، والمعيار : ٣٢ .

(٤) أسرار البلاغة : ٣٠٥ ، نهاية الإيجاز : ٢٥٣ ، والمعيار : ٣٢ ، كلها دون نسبة ، ونسبه صاحب معاهد التنصيص ٢/١٢٩ إلى أبي الحسن ابن طباطبا العلوي صاحب كتاب « عيار الشعر » المتوفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، والغلالة : (بكسر الغين) ثوب رقيق يلبس تحت الثوب .

(٥) كذا في (ط) ولفظ نهاية الإيجاز والمعيار : الجزم .

(٦) الجامع الكبير : ٨٣ .

القسم الحادى والعشرون

التشــبيه (*)

والكلام عليه من وجوه

الأول : هل هو من المجاز أوْلا ؟

الثانى : بيان الغرض بالتشبيه .

الثالث : فى حده .

الرابع : فى معرفة الأشياء التى يكون منها التشبيه .

الخامس : فى أقسامه .

السادس : فى ذكر أدوات التشبيه ، ما يكون بأداة وما يكون بغير أداة .

السابع : فى تشبيه الشيئين بالشىء الواحد .

الثامن : فى ذكر ما حسن به موقع التشبيه .

التاسع : فى الشرط الذى لا يكون التشبيه حسنًا إلا به .

العاشر : فيما يجوز عكسه من التشبيه ومالا يجوز .

الحادى عشر : التشبيه فى الهيئات التى تقع عليها الحركات .

الثانى عشر : الفرق بين الاستعارة والتشبيه .

(*) التشبيه بحثه فى : البديع لابن المعتز : ٦٨ ، والصناعتين : ٢٤٥ ، وحلية المحاضرة : ف ٧٥ ، والعمدة : ٢٨٦/١ ، وأسرار البلاغة : ٩٠ ، ونهاية الإيجاز : ١٨٨ ، والمعيار : ١٤ ، والجامع الكبير : ٩٠ ، والمثل السائر : ١١٥/٢ ، وتحرير التحبير : ١٥٩ ، وبديع القران : ٥٨ .

أما الأول : فالذى عليه جُمهور أهل هذه الصناعة أن التشبيه من أنواع المجاز ، وتصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير إليه . وذهب المحققون [(١)] من متأخرى علماء هذه الصناعة وحُذّاقها إلى أن التشبيه ليس من المجاز لأنه معنى من المعانى وله حروف وألفاظ تدل عليه وضعًا كان الكلام حقيقة أو مجازًا . فإذا قلت : زيد كالأسد ، وهذا الخبر كالشمس فى الشهرة ، وله رأى كالسيف فى المضاء ، لم يكن مثل [(٢)] نقل اللفظ عن موضوعه فلا يكون مجازًا .

وأما الثانى [(٣)] : فالغرض بالتشبيه وفائدته الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز والاختصار . والدليل على ذلك قولنا : « زيد أسد » فإن الغرض بهذا القول أن نبين حال زيد وأنه متصف بشهامة النفس وقوة البطش والشجاعة وغير ذلك مما جرى هذا المجرى إلا أنا لم نجد شيئًا يدل عليه سوى [أن [(٤)]] جعلناه شبيهًا بالأسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به مقصورة عليه فصار ما قصدناه من هذا القول أكشف / وأبين من أن لو قلنا : زيد شهم ، شجاع ، قوى البطش ، جرىء الجنان وأشباه ذلك ؛ لما قد عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات فى المشبه به فإنه معروف بها مشهور بكونها فيه . ٥٥

وأما الثالث : فقد اختلفت عبارات أهل هذا الشأن فى حده فقال قوم [(٥)] : حدّه أن يثبت للمشبه حكمًا من أحكام المشبه به . وقال قوم : حده الدلالة على اشتراك شيئين فى معنى من المعاني وأن أحدهما يسد مسد الآخر وينوب منابه سواء كان ذلك حقيقة أو مجازًا . أما الحقيقة فهو أن يقال فى شيئين أحدهما

---

(١) انظر نهاية الإيجاز : ٢٢٢ ، والمعيار : ٢٦ ، والبرهان للزركشى : ٤١٥/٣ .

(٢) فى نهاية الإيجاز : ٢٢٢ (منك) .

(٣) هذا الوجه الثانى فى الجامع الكبير : ٩٠ .

(٤) مابين المعقوفين ساقط من (ط) .

(٥) هذا تعريف ابن الأثير فى الجامع الكبير : ٩٠ . والوجه الثالث بأكمله – هنا – منقول عن الجامع الكبير .

يشبه الآخر فى (جميع أوصافه كالسوادين والبياضين ، أو ما جرى مجراهما . وليس هذا من غرضنا . وأما المجاز فهو أن يقال فى شيئين أحدهما شبيه بالآخر فى بعض أوصافه كقولنا : « زيدٌ أسدٌ » . فهذا القول صواب من حيث العرف وداخل فى باب المبالغة إلا أنه لم يكن زيد أسدًا على الحقيقة) [١] .

وأما الرابع : فقال المحققون من علماء هذا الشأن [٢] : الأشياء التى يكون منها التشبيه لا يخلو إما أن تكون صفة حقيقية أو حالة إضافية . فأما الأول فلا يخلو إما أن يكون كيفية جثمانية أو نفسانية . والأول لا يخلو إما أن تكون صفة محسوسة أو لا تكون محسوسة ، فإن كانت محسوسة ، فإما أن تكون محسوسة أولاً أو ثانيًا . والمحسوسات الأُوَل هى مدرَكات السمع ، والبصر ، والشم ، والذوق واللمس .

فالاشتراك فى الكيفية المبصرة مثل تشبيه الورد بالخد لاشتراكهما [في الحمرة] [٣] ، وكذلك تشبيه الوجه بالنهار ، والشعر بالليل .

والاشتراك فى كيفية مسموعة كتشبيه أطيط الرحل بأصوات الفراريج فى قول الشاعر [٤] :

---

(١) عبارة (ط) – فى هذا الموضع مضطربة – وما أثبته بين القوسين عن الجامع الكبير : ٩٠ ، وقد وقع فى مطبوعة الجامع الكبير شىء من التصحيف والتحريف فى قوله (من حيث العرف) حيث جاءت (العرب) بالباء الموحدة من تحت ، ولما لم يستقم السياق اضطر ناشراه إلى زيادة كلمة من عندهما لتلافى ذلك فصارت (من حيث [كلام] العرب) . والأمر أيسر من ذلك وهو ما تبينه عبارة الشيخ ابن النقيب معنا . ولله الحمد والمنة .

(٢) هذا الوجه منقول من كلام الرازى فى نهاية الإيجاز : ١٩٦ . وانظر المعيار : ١٤ . وكلامهما مأخوذ من كلام عبد القاهر فى أسرار البلاغة : ٩٠ .

(٣) مابين المعقوفين زيادة لازمة من نهاية الإيجاز : ١٩٦ .

(٤) هو ذو الرُّمَّة واسمه غَيْلانُ بن عقبة شاعر فحل من الطبقة الثانية من شعراء الإسلاميين ، واشتهر بحبه لمَى وأكثر شعره فيها وفى وصف الصحراء ، توفى ١١٧ هـ .

كأن أصواتَ مِنْ إيغالهن بنـا   أواخرِ المَيْسِ أصواتُ الفراريجِ [١]

التقدير : كأن أصواتَ أواخر الميس أصواتُ الفراريج من إيغالهن بنا – فصل بين المضاف والمضاف إليه .

والاشتراك فى كيفية مذوقة كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر .

والاشتراك فى كيفية مشمومة كتشبيه بعض الرياحين برائحة الكافور والمسك .

والاشتراك فى كيفية ملموسة كتشبيه لين ناعم [٢] بالخَزِّ والحرير ، والخشن بالمِسح [٣] من الشَّعَر .

هذا إذا كان [ما] فيه [٤] الاشتراك محسوسًا أولاً . أما إذا كان محسوسًا ثانيًا . فالمحسوسات الثانية هى الأشكال ، والمقادير ، والحركات .

والأشكال إما مستقيمة أو مستديرة . فالتشبيه لأجل الاشتراك فى الاستقامة مثل تشبيه المستوى المنتصب [قامته] [٥] بالرمح ، والقَدّ [اللطيف] [٦] بالقضيب والغصن . وإن كان الاشتراك فى الاستدارة فكتشبيه الشىء المستدير بالكرة تارة وبالحلقة أخرى .

وإن كان الاشتراك فى المقادير فكتشبيه عظيم الجثة بالجبل والفيل . / ٥٦

وإن كان فى الحركة مع اعتدال الاستقامة فكتشبيه الذاهب على الاستقامة بنفوذ السهم .

---

(١) ديوانه : ١٠٥ ، وأسرار البلاغة : ٩١ ، ونهاية الإيجاز : ١٩٧ ، والرَّحلُ : مركب يوضع فوق البعير للركوب عليه . والميس (بفتح الميم وإسكان الياء) : شجر عظام . يقول : إنّ أصوات أطيط هذا الرحل المصنوع من شجر الميس عند اشتداد سير الإبل يشبه صوت الفراريج .

(٢) نهاية الإيجاز : ١٩٧ (اللين الناعم) .

(٣) المسح : بكسر الميم : الكساء من شعر وثوب الراهب .

(٤) زيادة من نهاية الإيجاز .

(٥) زيادة من نهاية الإيجاز .

(٦) زيادة من نهاية الإيجاز .

وأما إذا كان الاشتراك فى كيفية جثمانية غير محسوسة فهو كالاشتراك فى الصلابة ، والرخاوة .

وأما إذا كان الاشتراك فى كيفية نفسانية فهو كالاشتراك فى الغرائز والأخلاق مثل الكرم ، والحلم ، والقدرة والعلم ، والذكاء [١] ، والفطنة ، والتيقظ ، والمعرفة .

وأما إذا كان الاشتراك فى حالة إضافية [٢] لا فى كيفية حقيقية فهو مثل قولك : « هذه حجة كالشمس » فاشتراكهما ليس فى شىء من الكيفيات الحقيقية ولكن فى أمر إضافى ، وهو أن كل واحد منهما مزيل للحجاب . ثم إن هذه الإضافات قد تكون جلية أو قد تكون خفية وربما يبلغ الجلى فى القوة إلى أن يقرب من القسم الأول . مثال الجلى تشبيه الحجة بالشمس . وكذلك قولهم فى صفة الكلام : « ألفاظه كالماء فى السلاسة ، وكالنسيم فى الرقة ، وكالعسل فى الحلاوة » يريدون أن اللفظ إذا لم تتنافر حروفه تنافرًا يثقل على اللسان ولم يكن غريباً حوشيا [٣] بل كان مألوفًا ، ثم إن القلب يرتاح له والنفس تنشرح به ، فلسرعة وصوله إلى النفس صار كالماء الذى يسوغ فى الحلق وكالنسيم الذى يسرى فى البدن ويتخلل المسالك اللطيفة [منه] [٤] ، ولأجل اهتزاز [٥] النفس به أشبه العسل الذى يلذ طعمه ويميل الطبع إليه . وهذا المثال أشد حاجة إلى التفسير [٦] من تشبيه الحجة بالشمس ولكنه مع ذلك غير بعيد عن الفهم . وأما المتوغل فى البعد عن الطبع وشدة الحاجة إلى التأويل فكقول من ذكر بنى المهلب « هم

---

(١) (ط) : (والعلى والذكر) . والتصويب من نهاية الإيجاز : ١٩٨ .

(٢) ط (الإضافية) . واخترت لفظ نهاية الإيجاز .

(٣) نهاية الإيجاز : (وحشيًا) .

(٤) زيادة من نهاية الإيجاز : ١٩٨ .

(٥) ط (اهتراز) براء مهملة وألف بعدها زاى وعلق عليها ناشرها بقوله : (كذا فى الأصل ، ولعله التذاذ ، فليحرر) اهـ . وقد أبعد النجعة فى هذا التصويب ، والأمر أقرب من هذا حيث تنقط الراء فتصير زاياً فيزول الإشكال ويتسق المعنى .

(٦) نهاية الإيجاز : إلى تصور النفس .

كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها » [١] . ألا ترى أنه لا يفهم المقصود من ذلك إلا من له طبع [٢] يرتفع عن طبع [٣] العامة .

ومن وجوه التشبيه [٤] أيضًا التشبيه بالوجه المعقول (وهو عندهم أقوى وأظهر من التشبيه بالمحسوس) [٥] لأن تشبيه المحسوس بالمحسوس يمكن أن يكون لأجل الاشتراك فى وصف محسوس ويمكن أن يكون لأجل الاشتراك فى وصف معقول ويمكن أن يكون لأجلهما جميعًا . مثال الأول [٦] تشبيه الخد بالورد .

ومثال الثانى [٦] قوله عليه الصلاة والسلام : « إياكم وخضراءَ الدِّمَن » [٧] الحسن الظاهر القبيح الباطن » وهو أمر عقلي . وكذلك تشبيه الرجل النبيه بالشمس فإن النباهة صفة عقلية . وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام « أصحابى

---

(١) ط : (لاينتهى طرفاها) . وقد اخترت لفظ نهاية الإيجاز : ١٩٩ . وقد ورد هذا القول (هم كالحلقة المفرغة) فى المعيار للزنجانى : ١٥ منسوباً لفاطمة بنت الخرشب حين مدحت بنها الكملة .

(٢) نهاية الإيجاز : ١٩٩ ، والمعيار : ١٥ (ذهن) .

(٣) نهاية الإيجاز : (طبقة العامة) ، والمعيار ، (طريقة العامة) . وإلى هنا نهاية الفصل الأول من الباب الثانى فى أقسام مابه التشبيه فى نهاية الإيجاز : ١٩٦ - ١٩٩ .

(٤) من هنا يبدأ نقل المصنف للفصل الثانى من الباب الثانى فى نهاية الإيجاز : ١٩٩ : (فى بيان أن التشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسى) .

(٥) كذا فى (ط) ولا شك أن فى هذا تحريفًا وهو ليس من ألفاظ الرازى فى مطبوعة نهاية الإيجاز حيث لم يتعرض لذكر القوة والظهور . وكل الذى فيها فى عنوان هذا الفصل أنه (أعم عن التشبيه بالوجه الحسى) انظر نهاية الإيجاز : ١٩٩ .

(٦) يريد بالثانى : أخذ الشبه من المحسوس للمحسوس ووجه الشبه عقلى . وبالأول : أن يكون وجه الشبه بينهما حسيًا .

(٧) حديث (إياكم وخضراء الدمن) سيورده المؤلف ثانية فى « الفن الثانى » عند حديثه عن السهل الممتنع . وفيه : (قالوا : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء » وهذا الحديث » ضعيف جدًا . رواه القضاعى فى مسند الشهاب ، وأورده الغزالى فى الإحياء وقال مخرجه العراق : رواه الدارقطنى فى الأفراد ، والرَّامَهُرْمزىّ فى الأمثال » . انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ ناصر الدين الألبانى : (٢١/١) . وهذا الحديث دائر فى كتب البلاغة . وقد أورده الرازى والزنجانى فى باب التشبيه ، وظاهر كلام الشيخ عبد القاهر أنه من باب التمثيل على حد الاستعارة . انظر (نهاية الإيجاز : ١٩٩ ، والمعيار : ١٨ ، وأسرار البلاغة : ٦٨ ، ٢٧٤ ، ودلائل الإعجاز : ٤٤١) .

٥٧ كالنجوم »[١] المعنى به أنه يهتدى بهم فى أمور الأديان / كما يهتدى بالنجوم فى الليالى المظلمة فالشبه فى أمر عقلى .

ومثال الثالث تشبيه الشخص الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس .

وأما الأقسام الثلاثة أعنى تشبيه المعقول بالمعقول والمعقول بالمحسوس والمحسوس بالمعقول (فيمتنع أن يكون وجه المشابهة غير عقلى لأن وجه المشابهة لو كان مشتركًا بين الجانبين لكان المعقول الموصوف به محسوسًا من ذلك الوجه وهو محال)[٢] : فثبت أن التشبيه بالوصف المعقول أعم من التشبيه بالوصف المحسوس[٣] . وإذا علم هذا وتبين الوجه الذى يكون منه التشبيه تعين ذكر أقسام التشبيه مبينة مُنَزَّلَةً على ما قدمناه .

وأما **الخامس** : فقد أطبق جمهور علماء هذه الصناعة على أن أقسامه أربعة[٤] **الأول** : تشبيه محسوس بمحسوس . **الثانى** : تشبيه معقول بمعقول . **الثالث** : أن يكون المشبه معقولاً والمشبه به محسوساً . **الرابع** : أن يكون المشبه مسحوساً والمشبه به معقولاً . وقد زاد ابن الأثير قسماً خامساً وسماه غلبة الفروع على الأصول[٥] وسيأتى بيانه . **أما الأول** : وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس

---

(١) حديث « أصحابى كالنجوم » : قال عنه الشيخ ناصر الدين الألبانى : « موضوع ، ورواه ابن عبد البر فى جامع العلم ، وابن حزم فى الأحكام » وانظر عدة ألفاظ له فى سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : ١/٧٤ - ٧٩ .

(٢) مابين القوسين كذا فى (ط) . وأما نص عبارة الرازى فى نهاية الإيجاز : ٢٠٠ (فوجه المشابهة إما أن يكون صفة أو أثرًا . فإن كان الأول فيمتنع أن يكون وجه المشابهة غير عقلى ، لأن وجه المشابهة مشترك بين الجانبين . فلو كان محسوسًا لكان المعقول الموصوف به محسوسًا من ذلك الوجه وهو محال . وإن كان الثانى صح ذلك لصحة أن يصدر عن الشيء الذى لا يكون محسوسًا أثر محسوس) .

(٣) آخر النقل عن نهاية الإيجاز : ٢٠٠ .

(٤) انظر نهاية الإيجاز : ١٩٩ - ٢٠٠ ، والمعيار : ١٤ ، والمثل السائر : ٢/١٢٧ .

(٥) الحق أن ابن الأثير لم يزد هذا القسم الخامس بل أورده ناقلاً وصرّح بذلك فى المثل السائر ٢/١٥٦ - وصاحب هذه التسمية هو أبو الفتح بن جنى . انظر الخصائص ١/٣٠١ . وانظر ما يأتى بهامش ٣ ص ١٢٢ .

فكقوله تعالى : ﴿ والقمرَ قدّرناهُ منازلَ حتى عاد كالعُرجون القديم ﴾ [سورة يس : ٢٩] وقوله تعالى : ﴿ كأنهم أعجاز نَخلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [سورة الحاقة : ٧] . ومن شرط هذا النوع أن يكون المشبه والمشبه به مشتركين من وجه مختلفين من وجه . ولا يخلو إما أن يكون اشتراكهما فى الذات واختلافهما فى الصفات وإما أن يكون بالعكس . **فالأول** : مثل تشبيه العَدْو بالطيران لأنه ليس الاختلاف بينهما إلا بالسرعة وبالبطء . **والثانى** : كتشبيه الشَّعَر بالليل ، والوجه بالنهار .

وأما القسم الثانى : وهو تشبيه المعقول بالمعقول فهو كتشبيه الموجود العارى عن الفوائد بالمعدوم أو تشبيه الشيء الذى تبقى فوائده بعد عدمه بالموجود . ومنه قول الشاعر :

فَرِحْتُ وآمَالِى كَحَظّى كَوَاسِفُ ۝ وَعَزْمِى يُحَاكِى سَعْيَهُ فِى الْمَكَارِمِ

وأما القسم الثالث ، الذى هو تشبيه المعقول بالمحسوس فهو كقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالُهم كسراب بِقِيعَةٍ ﴾ [سورة التوبة : ٣] ، وقوله ﴿ مثلُ الذين اتخذوا من دون الله أولياءَ كمثَلِ العنكبوت اتخذت بيتًا ﴾ [سورة العنكبوت : ٤] ، وقوله تعالى : ﴿ مثلُ الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدّت به الريح فى يوم عاصف ﴾ [سورة إبراهيم : ١٨] . وأيضًا مثل تشبيه الحجة بالشمس وبالنور الذى هو محسوس بالبصر . وليس لأحد أن يقول الحجة أيضًا مسموعة . قلنا : المفيد هو المعانى العقلية / الحاصلة فى الذهن ووجه المشابهة أن القلب مع الشُّبَه كالبصر مع الظلمة فى أن البصر فى الظلمة لا يفيد لصاحبه مكنة السعى ، ولو سعى فربما دُفع إلى الهلاك فتردى فى أهوية . ومن الأمثلة تشبيه العدل بالقسطاس . ٥٨

وأما القسم الرابع : وهو تشبيه المحسوس بالمعقول فهو غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها ؛ ولذلك قيل : « من فقد حسًا فقد علمًا » . وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً وللأصل فرعًا وهو غير جائز ، وكذلك لو حاول محاول المبالغة فى وصف الشمس بالظهور أو المسك بالطيب فقال الشمس فى الظهور كالحجة ، والمسك فى الطيب

كخلق فلان كان سُخفًا من القول مع أنه قد ورد فى الكلام الفصيح وأشعار العرب والمتأخرين منه مالا يحصى . فمن ذلك قول بعضهم [١] :

وَكَأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا ... سُنَنٌ لاح بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ [٢]

وكقول بعضهم [٣] :

ولقد ذكَرْتُكِ والظَّلامُ كَأَنَّهُ ... يَوْمُ النَّوى وَفُؤَادُ مَنْ لَمْ يَعْشَقِ [٤]

وكقول بعضهم [٥] :

كأن انْتِضَاءَ الْبَدْرِ مِنْ تَحْتِ غَيْمَةٍ ... نَجاءٌ من البأساءِ بَعْدَ وُقُوعِ [٦]

وقول التنوخى :

أَمَّا تَرَى الْبَرْدَ قَدْ وافَتْ عَسَاكِرُهُ ... وَعَسْكَرُ الْحَرِّ كَيْفَ انْصَاعَ مُنْطَلِقا
فانْهَضْ بنَارٍ إِلَى فَحْمٍ كَأَنَّهُمَا ... فِى الْعَيْنِ ظُلْمٌ وَإِنْصَافٌ قَدِ اتَّفَقَا
جَاءَتْ وَنَحْنُ كَقَلْبِ الصَّبِّ حِينَ سَلا ... بَرْدًا فَصِرْنا كَقَلْبِ الصَّبِّ إِذْ عَشِقَا [٧]

---

(١) هو القاضى التنوخى أبو القاسم على بن محمد بن داود ، قاضٍ أديب شاعر ، كان معتزلياً وتوفى بالبصرة ٣٤٢ هـ .

(٢) يتيمة الدهر ٣٣٦/٢ ، وأسرار البلاغة ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ونهاية الإيجاز : ١٩٠ ، والمعيار : ١٦ .

(٣) هو أبو طالب الرّقى شاعر غير مشهور قال عنه الثعالبى : (لم أجد ذكره إلا عند أبى بكر الخوارزمى . وسمعته يقول : إنه أحد المقلين المحسنين الذين يطبقون المفصل فى أغراضهم وينظمون الدر المفصل فى معانيهم وألفاظهم . ثم أنشدنى له قوله :

ولقد ذكرتك فى الظلام كأنـه ... يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
وكـأن أجـرام النجـوم لوامعـا ... درر نثرن على بساط أزرق
والفجر فيه كأنه قطر النـدى ... ينهل من سحّ الغمـام المغـدق

(٤) أسرار البلاغة ٢٢٧ ، ونهاية الإيجاز : ١٩١ ، والمعيار : ١٦ ، ويتيمة الدهر ٢٨٢/١ .

(٥) لابن طباطبا العلوى .

(٦) وقع البيت فى (ط) (كأن ابيضاض ... نجاه ... بعد وقوعه) والتصويب من أسرار البلاغة : ٢٢٧ ، ونهاية الإيجاز : ١٩١ ، والمعيار : ١٧ .

(٧) يتيمة الدهر : ٣٣٩/٢ ، وأسرار البلاغة ٢٣٠ ، ونهاية الإيجاز : ١٩١ ، والمعيار : ١٧ .

وقال آخر : [١]

رُبَّ لَيلٍ كَأَنَّهُ أَمَلِى فِيكَ ... وَقَدْ رُحْتُ عَنكَ بِالْحِرْمَانِ [٢]

وقول الصاحب حين أهدى العطر إلى القاضى أبى الحسن [٣] :

يَا أَيُّهَا الْقَاضِى الَّذِى نَفْسِى لَهُ ... فِى قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ مُشْتَاقَهْ
أَهْدَيْتُ عِطْرًا مِثْلَ طِيبِ ثَنائِهِ ... فَكَأَنَّمَا أُهدِى لَهُ أَخْلاَقَهْ [٤]

ومثل هذا فى أشعارهم كثير لا يحصى . والذى يجمع بين هذا وبين القواعد العقلية أن / هذه الأشياء المعقولة لتقررها فى الذهن وتخيلها فى العقل صارت بمنزلة ٥٩ المحسوسات ، فلما نزلت منزلة المحسوسات صح التشبيه وقويت ، وصار المعقول للمبالغة أثبت فى النفس وأقوى من المحسوس فصار لذلك أصلاً يشبه به . ومن هذا قوله تعالى ﴿ طَلْعُها كأنه رؤس الشياطين ﴾ [سورة الصافات : ٦٥] ولهذا قال امرؤ القيس يشبه نصول الرماح :

ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أَغْوَالِ [٥]

فإنهم وإن كانوا لم يشاهدوا الغول وأنيابها لكنهم لما اعتقدوا فيها – أى فى أنيابها – غايةَ الحدة حَسُنَ التشبيه .

---

(١) هو ابن طباطبا العلوى .

(٢) أسرار البلاغة : ٢٣١ ، ونهاية الإيجاز : ١٩١ ، والمعيار : ١٧ وبعده قوله :

جُبْتُه والنجوم تنعس فى الأفق ... وتطرفن كالعيون الرّوانى
هاربًا من ظلام فصلك بى نحو ... ضياء الفتى الأغر الهجان

(٣) هو الصاحب بن عَبّاد وزير البُوَيْهيِّين ، والقاضى أبو الحسن هو القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبى وخصومه » والمتوفى (٣٩٢ هـ) .

(٤) أسرار البلاغة : ٢٣٣ ، ونهاية الإيجاز : ١٩٢ ، والمعيار : ١٧ .

(٥) صدره : (أيقتلنى والمشرفى مضاجعى) ، ديوانه : ٢٣٣ ، ودلائل الإعجاز : ١١٧ ، ونهاية الإيجاز : ١٩٤ ، ٣٠٣ ، والمعيار : ١٧ .

والصحيح أن المحسوس أعرفُ من التشبيه بالوصف المعقول **لثلاثة أوجه** [١] : **فالأول** أن أكثر الغرض من الشبيه التخييل الذى يقوم مقام التصديق فى الترهيب والترغيب ، والخيالُ أقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الأمور الإضافية . **الثانى** : أن الاشتراك في نفس الصفة أسبق من الاشتراك فى مقتضاها . **الثالث** : أن المشابهة فى الصفة قد تبلغ إلى حيث يتوهم أن أحدهما الآخر . وأما المشابهة فى مقتضي الصفة فلا [٢] تبلغ إلى هذا الحد لأن من المستحيل أن لا يجد العاقل فصلاً بين ما يقتضيه ذوق العسل فى نفس الذائق وبين ما يحصل بالكلام المقبول فى نفس السامع .

وأما القسم الخامس : فقال ابن الأثير [٣] : ومن أقسام التشبيه قسم يقال له غلبة الفروع على الأصول وهو ضرب من الكلام ظريف لا يكاد يوجد منه شيء إلا والغرض به المبالغة فمما جاء من ذلك قول ذى الرُّمة :

وَرَمْلٍ كَأَوْرَاكِ الْعَذَارَى قَطَعْتُـهُ   إِذَا أَلْبَسَتْهُ الْمُظْلِمَاتُ الْحَنَادِسُ [٤]

ومثل ذلك قول بعضهم [٥] :

فِى طَلْعةِ الْبَدْرِ شَىءٌ مِنْ مَلاحَتِها   وَفِى الْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَثَنِّيها [٦]

والغرض بهذا النوع المبالغة فى وصف المشبه به كأن هذا المعنى ثبت له وصار أصلاً [٧] .

---

(١) منقول من الرازى فى نهاية الإيجاز : ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٢) ط : (لا) والتصويب من نهاية الإيجاز .

(٣) انظر المثل السائر : ١٥٦/٢ – ١٥٧ ، والجامع الكبير : ٩٧ والهامش السابق رقم (٥) ص ١١٨ .

(٤) ديوانه (٤٠٨) ، والمثل السائر : ١٥٦/٢ ، والجامع الكبير : ٩٨ ، والخصائص لابن جنى : ٣٠١/١ . ورواية الديوان (جللته المظلمات) .

(٥) هو أبو عبادة البحترى .

(٦) ديوانه : ٢٣/١ ، والخصائص : ٣٠٣/١ ، والمثل السائر : ١٥٧/٢ ، والجامع الكبير : ٩٨ . وصدر البيت فى الديوان : (فى حمرة الورد شكل من تلهبها) ورواية المثل السائر (شىء من محاسنها) .

(٧) لا أفهم مُسَوِّغًا لجعل ابن النقيب – رحمه الله – هذا القسم (غلبة الفروع على الأصول ، قسمًا برأسه – هنا – وهو نفسه التشبيه المعكوس الذى تحدث عنه فيما سبق فكان الأنسب أن يجمع بينهما فى موضع واحد .

وأما السادس : فى أدوات التشبيه .

فأدواته : أسماء وأفعال وحروف . أما الأسماء فمثل ، بسكون الثاء وتحريكها . وشبه بسكون الباء وتحريكها وأشباه ذلك . وأما الأفعال كحسبت وخلت ويحسب ويخال ونظائرها . وأما الحروف فالكاف مفردة وإذا أضيف إليها ما يجرى مجرى ذلك .

وقد نطق بذلك كله الكتاب العزيز والسنة . **أما الأسماء** فقال الله تعالى / ﴿ مَثَلُهم كمثل الذى استوقد ناراً ﴾ [سورة البقرة : ١٧] ، وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كَمَثَلِ ريح فيها صِرّ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٧] وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع ﴾ [سورة هود : ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ فأتوا بسورة من مِثْلِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣] . وقال تعالى : ﴿ فجزاءٌ مِثْلُ ما قتل من النَّعَمِ ﴾ [سورة المائدة : ٩٥] وقال تعالى : ﴿ وَأُتُوا به متشابهًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٥] وقال تعالى : ﴿ إن البقر تشابه علينا ﴾ [سورة البقرة : ٧٠] وفى الحديث الصحيح « فمن أين يكون الشبه والشبه »[1] . ٦٠

وأما الأفعال فكقوله تعالى : ﴿ يحسبه الظمآن ماء ﴾ [سورة النور : ٣٩] . وقال تعالى : ﴿ يُخَيَّلُ إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ [سورة طه : ٦٦] .

وأما الحروف فكقوله تعالى : ﴿ كالذى ينفقُ ماله رئاء الناس ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٤] وقوله تعالى : ﴿ كرماد اشتدت به الريح ﴾ [سورة إبراهيم : ١٨] . وقوله تعالى : ﴿ كَدَأْبِ آل فرعون ﴾ [سورة آل عمران : ١١] ، وأما « كأن » فكقوله تعالى : ﴿ كأنه رؤوس الشياطين ﴾ [سورة الصافات : ٦٥] ، وفى القرآن من هذا كثير . وأما فى كلام العرب الفصحاء منهم وأشعارهم فشىء كثير أضربنا عن ذكره لكثرته وشهرته .

---

(١) رواه النسائى : (١/١١٣ - ١١٤) ، كتاب الطهارة (١) ، باب غُسل المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل (١٣١) . وروايته دون تكرار (الشبه) .

وقال ابن الأثير : وقد وقع فى القرآن العزيز التشبيه بغير أداة فى مواضع كثيرة . منها قوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عمى فهم لا يرجعون ﴾ [سورة البقرة : ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غِشاوة ﴾ [سورة البقرة : ٧] ، وهو أبلغ فى التشيه [١] .

قال جمهور علماء هذا الشأن [٢] : التشبيه يكون بأداة تارة وتارة بغير أداة . لكن إذا كان بغير أداة كان أبلغ وأوجز لأن قولنا : « زيد أسد » يعطى ظاهره من المعنى أنا أخبرنا عن زيد أنه أسد وذكرنا أنه هو إلا أن حرف التشبيه فى ذلك مقدر . وإذا قلنا : « زيد كأنه أسد » فيكون قد أظهرنا فيه حرف التشبيه الذى كان مخفيًا فى الأول فيصير حينئذ تشبيهًا لزيدٍ بالأسد ، والأول كان قد جعل هو الأسد ، وحرف التشبيه يقدر فيه تقديرًا ، فمن هذا الوجه كان الأول أبلغ وأشد وقعًا فى النفس . وأما كونه أوجز فلأن قولنا : « زيد أسدٌ » أخص من قولنا : « زيدٌ كأنه الأسد » وإن كان المعنيان سواءً .

وأما السابع : فى تشبيه الشيئين بالشىء الواحد : اعلم وفقنا الله وإياك أن علماء علم البيان [٣] قالوا أصل التشبيه أن يشبه شيئًا بشىء ، وقد يشبه الشيئين بالشىء الواحد وإنما جاز ذلك ؛ لأن المشبه قد يأخذ صفة من صفات نفسه وصفة من [صفات] [٤] غيره ثم يشبههما [٥] بشىء آخر كقول الشاعر :

صُدْغُ الْحَبِيبِ وَحَالِى　　كِلاهُمَا كَاللَّيَالِى [٦]

---

(١) لم أعثر على نص ابن الأثير – هذا – ولعل هذا النص عن ابن الأثير لحقه شىء من التحريف ، ومعنى هذا النص فى الجامع الكبير : ٩٣ وليس فيه آية (ختم الله على قلوبهم ..) وفى نفسى منها شىء فى هذا الموضع يجعلنى أرجح لحاق التحريف لهذا النص فى هذا الموضع .

(٢) مانقله المصنف هنا فى الجامع الكبير لابن الأثير : ٩١ .

(٣) انظر : نهاية الإيجاز : ١٩٥ .

(٤) زيادة من نهاية الإيجاز .

(٥) ط : (يشبهما) بالياء وأثبت مافى نهاية الإيجاز .

(٦) نهاية الإيجاز : ١٩٥ ، والمعيار : ٢٢ بدون نسبة وبعده :

وثغره فى صفاء　　وأدمعى كاللآلى

وقد وقع تشبيه الشيئين بالشيء الواحد وإنما جاز ذلك لأنه لا يخلو [١] الشيئان فى تشبيه أحدهما / بالآخر **من ثلاثة أقسام** [٢] : **إما تشبيه معنى بمعنى ، وإما تشبيه معنى بصورة ، وإما تشبيه صورة بصورة ، وكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة لا يخلو من ثلاثة أقسام : إما تشبيه مفرد بمفرد ، وإما تشبيه مركب بمركب ، وإما تشبيه مفرد بمركب .** ٦١

فأما تشبيه المفرد بالمفرد فكقول البحترى :

تَبَسُّمٌ وقُطوبٌ فِـى نَـدًى وَوَغـًى ... كَالْغَيْثِ وَالْبَرْقِ تَحْتَ الْعَارِضِ الْبَرِدِ [٣]

ومنه قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأَ الذى آتيناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ منها فأَتْبَعَهُ الشيطانُ فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتَّبَعَ هواه فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلب ﴾ [٤] [سورة الأعراف : ١٧٥ ؛ ١٧٦] .

---

(١) من قوله (لايخلو الشيئان ..) وحتى نهاية الوجه السابع فى الجامع الكبير : ٩٢ .

(٢) هذه القسمة الثلاثية هى قسمة ابن الأثير فى الجامع الكبير . ومثل لتشبيه المعنى بالمعنى بقول : « زيد أسد » . ولتشبيه المعنى بالصورة بقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ ، ولتشبيه الصورة بالصورة بقوله : ﴿ وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام ﴾ انظر الجامع الكبير : ٩١ – ٩٢ وقد زاد قسمًا رابعًا فى المثل السائر . هو تشبيه الصورة بالمعنى . انظر المثل السائر : ١٢٨/٢ .

(٣) ديوان البحترى : ٥٧٥/١ ، والمعيار : ٩٣ ، والجامع الكبير : ٩٢ ، والمثل السائر : ١٣٤/٢ ورواية الديوان والمعيار : (كالبرق والرعد وسط العارض البرد) وما أثبته المؤلف هنا مطابق لرواية ابن الأثير فى الجامع الكبير . والذى يظهر لى أن هذه الرواية : (كالغيث والبرق) وهمٌ منه ، فالمعروف أن يشبه الابتسام بالبرق والقطوب بالرعد . أما تشبيه الابتسام بالغيث فهذا مالايعرف . ولعل الذى أوقع ابن الأثير فى هذا الوهم قول الشاعر فى صدر البيت : (فى ندى) : فسبق إلى وهمه أن الغيث يناسب الندى ولكن هذا غير مراد ، وإنما المراد تشبيه اجتماع تبسمه وقت الندى وقطوبه وغضبه وقت الوغى باجتماع البرق والرعد فى العارض الممطر : ولذا فالصواب – فى ظنى – رواية الديوان (كالرعد والبرق) . وقد استحسن ابن الأثير هذا التشبيه إلا أنه وجّه إليه نقداً لإخلاله بترتيب التقسيم فى قوله (كالرعد والبرق) ، وكان الأولى أن يقول : (كالبرق والرعد) ، ليلائم قوله (البرق) التبسم فى صدر البيت ، ويلائم « الرعد » « القطوب » (انظر : المثل السائر : ١٣٤/٢ ، والجامع الكبير : ٩٢) . والغريب أن ما اقترحه ابن الأثير من صواب الرواية هو المثبت فى نسخة ديوان البحترى التى بين أيدينا وما فى نسخة المعيار . فلعله كانت هناك رواية أخرى غير محررة بيد ابن الأثير . والله أعلم بالحال .

(٤) قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم ﴾ الآية غير موجودة فى مطبوعة الجامع الكبير .

وأما تشبيه المركب بالمركب فقوله تعالى : ﴿ إنما مَثَلُ الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض مما يأكل [١] الناس والأنعام ﴾ [سورة يونس : ٢٤] إلى قوله : ﴿ كأن لم تغن بالأمس ﴾ [سورة يونس : ٢٤] [٢] فشبه حال الدنيا فى سرعة زوالها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض [فى جفافه وذهابه طعامًا بعدما التف وتكاثر وزين الأرض] [٣] وذلك تشبيه معنى بصورة وهو أبدع ما يجيء فى هذا القسم .

ومثله فى حق المنافقين : ﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يُبصرون ﴾ [سورة البقرة : ١٧] تقديره : إن مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد ناراً فى ليلة مظلمة بمفازة فاستضاء بها ما حوله واتقى ما يخاف وأمن فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فبقى مظلمًا خائفًا متحيرًا وكذلك المنافق إذا أظهر كلمة الإيمان استنار بها واعتز بعزها وأمن على نفسه وماله وولده فإذا مات عاد إلى الخوف وبقى فى العذاب والنقمة . ويجوز أن يكون المعنى أنهم لما وصفوا - بأنهم « اشتروا الضلالة بالهدى » - عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل [٤] هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد « والضلالة » - التى اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، ثم قال الله ﴿ صمٌ بكمٌ عميٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٨] كانت حواسهم سليمة لكن لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق وأبوا أن يُنْطِقوا به ألسنتَهم [٥] وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جُعلوا كأنما أصابت هذه الحواس منهم الآفات وهذا من عجائب التشبيه . وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم : « ليوث » للشجعان ، « بحور » للكرام .

---

(١) ط : (تأكل) بالتاء وهو خطأ .

(٢) يقول تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس . كذلك نفصل الأيات لقوم يتفكرون ﴾ .

(٣) مابين المعقوفين زيادة من الجامع الكبير .

(٤) ط : (مثل) والتصويب عن الجامع الكبير : ٩٣ .

(٥) فى ط (ينطقوا به بألسنتهم) ، واستصوبت لفظ الجامع الكبير .

وبعض علماء هذه الصناعة يجعلون ما كان على مثال قوله تعالى : ﴿ صمٌّ بكمٌ عميٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٨ ، ١٧١] استعارة . وليس كذلك لأن المستعار مذكور / ومن هذا القسم قول الشاعر :

٦٢

بَكَيْتُ عَلَيهِ حِينَ لَمْ يَبْلُغِ المُنى   وَلَمْ يَرْوَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ الْمكَدَّرِ [(١)]

ومنه قول المتنبي [(٢)] :

كَأَنَّ الْجُفُونَ عَلَى مُقْلَتَيَّ   ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثَاكِلِ [(٣)]

وأما تشبيه المفرد بالمركب فمن ذلك قول بعضهم [(٤)] :

كأنَّ السُّهَى إنسانُ عَيْنٍ غَرِيقَةٍ   من الدَّمْعِ يَبْدُو كُلَّمَا ذَرَفَتْ ذَرفا [(٥)]

وأما الثامن : فى ذكر ما يحسن به موقع التشبيه : قال أئمة هذا الشأن [(٦)] : إن كثرة التقييدات يعظم بها حسن موقع التشبيه وتكون أدخل فى التشبيه من غيرها لأنها عقلية . مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إنما مثلُ الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ﴾ إلى قوله : ﴿ كأن لم تَغْنَ بالأمس ﴾ [(٧)] وهذه فيها عشر جمل قيد بعضها ببعض حتى صارت جملة واحدة وهى مع ذلك لا يمتنع أن تكون صور الجُمَل معناها حاصلاً يمكن أن يشار إليها واحدة واحدة ، ثم إن التشبيه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض فإنك لو حذفت منها جملة واحدة من أى موضع كان ، أخلّ ذلك بالمغزى من التشبيه [(٨)] .

وقد يقع [(٩)] من التشبيه جُمل لا يخل إسقاط بعضها بالتشبيه . وهى كل

---

(١) فى الجامع الكبير بغير نسبة : ٩٤ وبعده بيت ثانٍ :

كأن دم النجلاء تحت بروده   لطيمة مسكٍ فى إهاب غضنفر

(٢) هو أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبى شاعر العربية الخالد . ولد بالكوفة ، ومات مقتولاً (٣٥٤ هـ) .

(٣) ديوانه ١٥٤/٣ ، الجامع الكبير : ٩٤ .

(٤) فى الجامع الكبير دون نسبة : ٩٦ .

(٥) آخر النقل عن الجامع الكبير والذى بدأ من قوله (لا يخلو الشيئان) ص : ١٦٥ .

(٦) عن نهاية الإيجاز : ٢٠٤ ، وهو مأخوذ من كلام عبد القاهر فى أسرار البلاغة (١٠٩) .

(٧) انظر الآية كاملة بهامش ص : ١٢٦ .

(٨) آخر النقل عن نهاية الإيجاز .

(٩) فى نهاية الإيجاز : ٢٠٦ – ٢٠٧ مع اختلاف طفيف فى العبارة (الفصل الثامن فى التشبيهات =

جملة جمعت أغراضًا كثيرة كل واحد منها منفرد بنفسه ، ولهذا النوع خاصيتان .
الأولى : أنه لا يجب فيها الترتيب ، ألا ترى أنك إذا قلت : زيد كالأسد بأسًا ، والبحر جودًا ، والسيف مضاءً والبدر بهاءً — لم يجب عليك أن تحفظ فى هذه التشبيهات نظامًا مخصوصًا . وهو كقول بعضهم :

يا هِلالاً يُدْعَى أَبوهُ هِلالاً   جَلّ بَارِيكَ فِى الْوَرَى وَتَعَالى
أَنْتَ بَدْرٌ حُسْنًا وشَمْسٌ عُلُوًّا   وَحُسَامٌ حَزْمًا وَبَحْرٌ نَوَالاً

والثانية : إذا سقط البعض فإنه لا يتغير حال الباقى كقولهم يصفو ويكدر ويحلو ويمر ولو تركت ذكر الكدورة والمرارة [1] وجدت المعنى فى تشبيهك [له] [2] بالماء فى الصفاء والعسل فى الحلاوة باقيًا على حاله [3] .

وقد وقع فى بعض الأشعار ما يظن أن فيه تشبيهات مجموعة وليس كذلك بل هو تشبيه واحد وذلك كقول الشاعر : / ٦٣

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةٌ   فَلَمَّا رَجَوْها أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ [4]

وأما التاسع :فهو فى الشرط الذى لا يكون التشبيه حسنًا إلا به وهو أن يكون التشبيه جلياً ويكون بحال يتبادر الذهن إليه وإلى إدراكه ولا يحتاج إلى إطالة فكرة ولا إمعان نظر فإن الغرض بالتشبيه بيان حسن موقع التشبيه وظهور مزية

= المجتمعة) والبيتان المذكوران بعد ليسا فى مطبوعة نهاية الإيجاز .
(١) بعدها فى (ط) : (لو) ، وهى زيادة مخلة بالسياق حذفتها متابعًا نهاية الإيجاز .
(٢) زيادة من نهاية الإيجاز .
(٣) فصل مستقل عند الرازى فى نهاية الإيجاز : ٢٠٧ .
(٤) البيت فى أسرار البلاغة : ١١٠ ، ونهاية الإيجاز : ٢٠٧ ، والمعيار : ٢٣ .
وهذا البيت من وزن ورَوِىّ قصيدة كثير الشهيرة :

خليلىّ هذا ربعُ عزّةَ فاعقلا   قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلّت

ولم يورده فيها الدكتور إحسان عباس ، وذكره فى مجموعة أبيات تنسب لكثير ، وذكر أنه فى روضات الجنات : ٥٠٩ ، انظر : ديوان كثير : ١٠٧ .

المشبه بحسن حال المشبه به أو قبحه ولذلك هجنوا تشبيه من شبه الشمس بالمرآة فى كف الأشل [١] وكتشبيه البرق بأصبع السارق فى قول بعضهم [٢] :

أرِقْتَ أم نِمتَ لِضوءِ بارقِ مُؤتلِقًا مثلَ الفؤاد الخافقِ

كأنه إصْبَعُ كفِ سارقِ [٣]

وأما العاشر [٤] **فيما يجوز عكسه من التشبيه ومالا يجوز :**

فأما الذى لا يجوز عكسه فكل تشبيه كان الغرض به إلحاق الناقص بالزائد مبالغة فى إثبات الحكم للناقص فهذا يمتنع عكسه ، وهو كما إذا شبهت شيئًا أسود بما هو الأصل فى شدة السواد كخافيتى [٥] الغراب والقار امتنع فيه العكس ؛ لأن تنزيلَ الزائد منزلةَ الناقص تُضادُّ المبالغة فى الإثبات .

وأما الذى يجوز عكسه فهو الجمع بين شيئين فى مطلق الصورة أو الشكل أو اللون فالعكس مستقيم فيه ، فهو كتشبيه الصبح بغُرَّة الفرس لا لأجل المبالغة فى الضياء بل لأجل وقوع منير فى مظلم وحصول بياض فى سواد مع كون البياض قليلاً بالإضافة إلى السواد . وكذلك تشبيه الشمس بالمرآة المجلُوَّة ، والدينار الخارج من السِّكَّة كقول ابن المعتز :

[وَكَأَنَّ الشَمْسَ المنِيرَةَ دِينَارٌ جَلَتْهُ حَدَائِدُ الضَّرَّابِ] [٦]

فهذا حسن مقبول وإن عظم التفاوت بينهما [٧] لأنك لم تضع التشبيه

---

(١) انظر ما يأتى ص : ١٣٠ ، هـ ٨ .

(٢) لكُشَاجم ، أبو الفتح محمود بن الحسين شاعر سيف الدولة ، توفى ٣٥٠ هـ أو ٣٦٠ هـ .

(٣) ديوانه ١٣٣ ، أسرار البلاغة ١٥٨ ، نهاية الإيجاز : ٢١٠ .

(٤) نهاية الإيجاز : ٢٢٢ - ٢٢٣ ، وهو مأخوذ عن عبد القاهر فى أسرار البلاغة .

(٥) نهاية الإيجاز : (كخافية الغراب) . قال فى القاموس : والخوافى : ريشاتٌ إذا ضمّ الطائر جناحيه خفيت .

(٦) البيت ساقط من ط ، وأثبته عن نهاية الإيجاز : ٢٢٣ ، وهو فى أسرار البلاغة : ٢٢٢ .

(٧) فى نهاية الإيجاز : (بينها وبينهما) وعبارة الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة : ٢٢٢ (وإن عظُم التفاوتُ بين نور الشمس ونور المرآة والدينار أو الجِرم والجرم) .

على مجرد النور وإنما قصدت إلى مستدير يتلألأ ويلمع ، ثم خصوص جنس اللون الموجود فى المرآة المجلوة والدينار المتخلّص [١] من حمى المسبك [٢] [كما] [٣] يوجد فى الشمس . فأما مقدار النور بأنه زائد أو ناقص والجرم عظيم أو صغير فمما لم يتعرض له [٤] .

وعلى هذا خرج قوله تعالى : ﴿ اللهُ نورُ السمواتِ والأرضِ مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكاةٍ فيها مِصباحٌ المصباحُ فى زُجاجَةٍ الزجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرِّىٌّ ﴾ [سورة النور : ٣٥] فإنه سبحانه وتعالى لم يرد بالتشبيه بهذه الزجاجة الموصوفة بهذه الصفة المشاركة بين نوره وبين نور هذه الزجاجة إذ لا مناسبة بينهما بل كان ذلك من التشبيه الذى ينعكس بل الذى يتعين عكسه [٥] .

٦٤ وأما **الحادى عشر** [٦] فى الهيئات التى تقع عليها الحركات فهى عند / أرباب هذا العلم على **قسمين** : **أحدهما** : أن تقترن بغيرها [٧] من الأوصاف كالشكل واللون . **الثانى** : أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها . فمن الأول قول ابن المعتز [٨] :

والشمسُ كالمرآة فى كفّ الأشَلّ

---

(١) ط : (للتخلص) وأثبت لفظ نهاية الإيجاز .

(٢) نهاية الإيجاز : « السبك » ، ولفظ أسرار البلاغة : السكّة .

(٣) زيادة من نهاية الإيجاز .

(٤) آخر المنقول عن نهاية الإيجاز .

(٥) هذا كلام تنبو عنه النفس ، ولا يخفى مافيه من الكزازة فى بيان التشبيه فى الآية وأنه من قبيل التشبيه المعكوس . وأظن أنه مما تفرد به ابن النقيب أو أنه نقله عن بعض مصادره المفقودة . وانظر المثل السائر ١٢٥/٢ ، ١٤٦ فى بيان التشبيه فى الآية . وللأستاذ الدكتور محمد أبو موسى بحث بعنوان « أمثال سورة النور » ضمن كتابه « دراسة فى البلاغة والشعر » . غاية فى الإبانة عن حسن هذا التشبيه يقلّ أن تجد مثله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(٦) هذا الوجه الحادى عشر فى نهاية الإيجاز ٢٢٤ - ٢٢٧ .

(٧) ط (تعرف تغيرها) وهو تصحيف . والتصويب من نهاية الإيجاز : ٢٢٤ .

(٨) كذا فى ط ، ونهاية الإيجاز : ٢٢٤ ، والمعيار : ٢٥ معزوًّا إلى ابن المعتز ، وفى أسرار البلاغة : ١٥٨ ، ١٨٠ بدون عزو - وعزاه ابن رشيق فى قراضة الذهب : ١٦ - غير قاطع - إلى أبى نُخَيلة =

أراد أن يريك – مع الاستدارة والإشراق – الحركةَ التى تراها للشمس [١] إذا أنعمت التأمل ، ثم ما يحصل فى نورها من أجل تلك الحركة . وذلك أن للشمس حركة متصلة دائمة ولنورها بسبب ذلك تموج واضطراب ، ولا يتحصل هذا الشبه إلا بأن تكون المرآة فى يد الأشلِّ لأن حركته تدوم وتتصل ويكون لها سرعة . وبدوام الحركة يتموج نور المرآة ، وتلك حال الشمس لأنك ترى شعاعها كأنه يهم أن ينبسط حتى يفيض من جوانبها ، ثم يَبْدو له فيرجع من الانبساط الذى تراه إلى الانقباض كأنه يجمعه من جوانب الدائرة إلى الوسط [٢] .

وقد لمح هذا المعنى ابن سناء الملك [٣] فى أبيات هجا فيها الشمس قال فيها [٤] :

لاَ كَانَتِ الشَّمْسُ فكَمْ أَصْدَأَتْ ... صَفْحَةَ خَدٍّ كَالْحُسَامِ الصقِيـلْ
وَكَمْ وَكَمْ صَدَّتْ بِوَادِى الْكَرَى ... طَيْفَ خَيَالٍ زَارَنِى مِنْ خَلِيـلْ
تَكْذِبُ فى الوَعْـدِ ، وبُرهانُـه ... أَنَّ سَرَابَ القَفـرِ مِنها سَلِيـلْ
وَتَحْسَبُ النهرَ حُسَامًا ؛ فَتَـرَ ... ثَاع وتحكى فيهِ قلبَ الذَّليـلْ

ومما يشبه التشبيه الأول وإن صُوِّر فى غير [٥] المرآة قول المهلَّب بن أبى صُفْرَةَ الوزير [٦] :

= ونسبه ابن قتيبة فى كتاب « الأنواء » : ١٣٧ إلى الشماخ . والبيت فى ديوان الشماخ : ٣٩٤ – معزوًا إلى جبار بن جَزء ابن أخى الشماخ .

(١) ط : (فى الشمس) وهى زيادة لا معنى لها .

(٢) بعد بداية هذه الفقرة من قوله (وقد لمح ..) حتى نهاية أبيات ابن سناء الملك مقحم وسط كلام الرازى .

(٣) هو هبة الله بن جعفر بن سناء الملك أبو القاسم القاضى شاعر من النبلاء مصرى المولد والوفاة توفى ٦٠٨ هـ .

(٤) ديوان ابن سناء الملك : ٤٨١/٢ .

(٥) ط : عين . وهو تحريف . والتصويب عن نهاية الإيجاز : ٢٢٥ .

(٦) المهلب بن أبى صفرة ظالم بن سراق الأزدى أبو سعيد أمير جواد . اشتهر بمواقعه فى قتال الخوارج . وتوفى ٨٣ هـ . وقوله (الوزير) كذا فى ط . ولعله تحريف (الأمير) .

الشَّمْسُ مِنْ مَشْرِقِها قَدْ بَدَتْ مُشْرِقَةً لَيْسَ لَهَا حَاجِبُ
كَأَنَّهَا بَوْتَقَةٌ أُحْمِيَتْ يَجُولُ فِيها ذَهَبٌ ذَائِبُ (١)

وذلك أن الذهب الذائب يتشكل بشكل البوتقة [فيستدير ثم إذا كانت البوتقة] (٢) على النار فإنه يتحرك فيها حركة على الحد الذى وصفت لك وما فى طبع الذهب من النعومة وفى أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم يمنعه أن يقع فيها غليان كما فى الماء فيرتفع وسطه ارتفاعًا شديدًا ، وجملته كأنها تتحرك بحركة واحدة ويكون فيها ما ذكرناه من الانبساط إلى الجوانب ثم انقباض [إلى الوسط] (٣) ومنها قوله (٤) :

كَأَنَّ فِي غُدْرانِها حوَاجِبًا (٥)

٦٥ / أراد ما يبدو فى صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صغار ثم إنك تراها تمتد امتدادًا ينقص من انحنائها وتحدبها وكأنها تنتقل من التقوس إلى الاستواء ، وذلك أشبه شيء بالحواجب إذا مُدّت (٦) .

والثانى : ما يكون التشبيه فى هيئة الحركة فقط مجردة من كل وصف يقاربها . وهناك أيضًا لابد من اختلاط (٧) حركات كثيرة فى جهات مفترقة مختلفة وكلما كان التقارب أكثر كان التركيب فى الهيئة المتحركة أكثر .

وقد يقع التشبيه أيضاً بالسكون كقول الأُخَيْطل (٨) فى وصف مصلوب :

---

(١) أسرار البلاغة : ١٨١ ، ونهاية الإيجاز : ٢٢٥ .

(٢) زيادة من نهاية الإيجاز : ٢٢٥ .

(٣) زيادة من نهاية الإيجاز .

(٤) هو أبو بكر الصَّنَوْبَرِىّ ، أحمد بن محمد بن الحسن الضبّى شاعر اقتصر فى أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار . وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة . توفى ٣٣٤ هـ .

(٥) ديوانه : ٢٨٥ ، وأسرار البلاغة : ١٨١ ، ونهاية الإيجاز : ٢٢٥ ، وتمامه (ظلت تمط) .

(٦) ط : (بدت) وهو تحريف . التصويب عن نهاية الإيجاز : ٢٢٦ .

(٧) ط : (اخلاط) والتصويب من نهاية الإيجاز .

(٨) فى (ط) ، ونهاية الإيجاز : ٢٢٧ ، والمعيار : ٢٦ : (الأخطل) ، والصواب ما أثبته ، والأُخَيْطِل : بصيغة التصغير غير « الأخطل » الشاعر النصرانى معاصر جرير والفرزدق . والأُخَيْطِل – هذا =

كأنهُ عَاشِقٌ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَـهُ يَوْمَ الْوداعِ إِلَى تَوْديعِ مُرْتَحِلِ
أَوْ نائِمٌ مِنْ نُعَاسٍ فِيه لُوثَتُـهُ مُواصِلٌ لِتَمَطِّيهِ مِـنَ الْـكَسَلِ

فلطفه بسبب ما فيه من التفصيل ولو قال كأنه متمط من نعاس واقتصر عليه كان قريب التناول [1] .

وقد وقع فى القرآن العظيم آيات كثيرة شبه فيها الحركات بالحركات والسكون بالسكون . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَترَى الجبالَ تحسبُها جامِدةً وهى تمرُّ مَرَّ السحابِ ﴾ [سورة النمل : ٨٨] ، وقوله : ﴿ يكادُ البرقُ يَخْطَفُ أبصارَهم ﴾ [سورة البقرة : ٢٠] وقوله تعالى : ﴿ يومَ نَطْوى السَّماءَ كَطَىِّ السِّجلِّ للكتب ﴾ [سورة الأنبياء : ١٠٤] شبه سرعة سير الجبال مع سكون بسرعة سير السحاب مع سكون أيضًا . وشبه سرعة وميض البرق بسرعة يد المختطف . وشبه حركة التفاف جِرْمِ السماء بحركة التفاف جِرْمِ الكتاب بعضه على بعض ، وكذلك السكون .

ومنه قوله تعالى : ﴿ واتْرُكِ البحرَ رَهْوًا ﴾ [سورة الدخان : ٢٤] والرَّهْو : الساكن شبّه ذَهابَ حركة البحر بذَهابِ حركة الخيل عند سكونها . تقول العرب : « جاءت الخيل رَهْوًا » ، أى ساكنة ، فشبّه البحر بها . وذلك أنه قام فِرْقاه ساكنين ، فقال لموسى عليه الصلاة والسلام : دع البحر ساكنًا قائمًا ماؤه . كما أخبر الله سبحانه وتعالى : ﴿ فأوحينا إلى مُوسى أنِ اضربْ بعصاكَ البحر فانفلق فكانَ كل فِرْقٍ كالطَّوْد العظيم ﴾ [سورة الشعراء : ٦٣] .

وأما الثانى عشر : فهو الفرق بين الاستعارة والتشبيه :

= شاعر عباسى كان معاصرًا لأبى تمام ، ولقبه (بُرْقُوقا) . قال عنه ابن المعتز فى طبقات الشعراء : ٤١٢ : (وله البيت العجيب فى تشبيه المصلوب الذى ليس لأحد مثله) وأنشد البيتين .

(١) آخر النقل من نهاية الإيجاز : ٢٢٧ . قال الزنجانى : (شبهه بالمتمطى إلا أن المتمطى يمد ظهره ويديه ثم يعود إلى حاله ، فزاد فيه أنه مواصل لذلك ثم ذكر علته وهو قيام اللوثة والكسل فى القائم من النعاس) ، المعيار : ٢٦ . وانظر أسرار البلاغة : ١٨٧ . واللُوثة ، بضم اللام : الاسترخاء والضعف .

ذهب جماعة من أهل هذا الشأن إلى أن التشبيه والاستعارة شيئان . وفرّق الحذاق [1] وقالوا : إن التشبيه حكم إضافى لابد فيه من ذكر مشبه ومشبه به . فإنك إذا قلت : رأيت أسدًا . فهو استعارة لم تذكر شيئًا حتى تشبهه بالأسد ، ولو كان تشبيهًا لَتَعَيَّن أن تقول زيد أسد ، أو زيد كالأسد ، ولم يكن غرضك فى قولك زيد أسد إلا المبالغة / فى مدح زيد بالشجاعة .

فرق ثان : أن التشبيه لا يكون إلا بأداة التشبيه غالبًا والاستعارة لا تحتاج إلى أداة فإنك إذا قلت : « لعبت به يد الصبا » لم يكن كقولك : « فلان له خلق كالصبا » .

فرق ثالث : أن الاستعارة أوجز من التشبيه فإنك إذا قلت : « زيد أسد » أوجز من قولك « زيد فى بسالة الأسد » فثبت على هذا التقدير أن التشبيه أحد غرضى الاستعارة .

* * *

(١) انظر نهاية الإيجاز : ٢٤٥ ، والمثل السائر : ٧٢/٢ – ٧٨ . وانظر ماسبق : ١٠٦ .

فصل

ومنها التمثيل . قد أطلق علماء هذه الصناعة اسم « التمثيل » على كل تشبيه [(١)] منتزع من أمور مجتمعة بتقييد البعض بالبعض ، وهو قريب من الاستعارة .

ومنه فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الذين يُنْفِقون أموالَهم فى سبيل اللهِ كمثلِ حبةٍ أنبتتْ سبعَ سَنابلَ فى كلّ سُنْبُلَةٍ مائةُ حَبةٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢٦١] . وقوله تعالى : ﴿ مَثَل ما يُنفقون فى هذه الحياة الدُّنيا ﴾ [سورة آل عمران : ١١٧] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إنْ تَحمِلْ عليه يَلْهَثْ أو تترُكْهُ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٦] . وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الذين حُمِّلوا التَّوراةَ ثُمّ لَم يَحْمِلوها ﴾ [سورة الجمعة : ٥] ومثله فى القرآن كثير .

ومن هذا النوع المثل السائر [(٢)] . ومعنى السائر أنه كثر استعماله واستعماله [(٣)] على أن الثانى بمعنى الأول لأن ذكرها على تقدير أن يقال فى الواقعة المعينة أنها بمنزلة من قيل له هذا القول . والأمثال كلها حكايات لا تغيّر وهى أكثر من أن تحصى وقد صنف العلماء فيها كتبًا وشرحوا معانيها . والخوض فى ذكرها يطول وقصدت الاختصار لا الإكثار .

---

(١) ط (قد أطلق ... اسم التشبيه على كل تمثيل) وهو خطأ . وانظر نهاية الإيجاز : ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، والمعيار : ٢٣ .

(٢) ابن النقيب متابع هنا للرازى الذى عرف « المثل » بأنه تشبيه سائر . انظر نهاية الإيجاز : ٢٣٠ . وقد أفرد ابن رشيق باباً مستقلاً للحديث عن المثل السائر مفصولاً عن التشبيه والتمثيل . انظر العمدة (١/٢٨٠ - ٢٨٦) ، وألحقه ابن أبى الإصبع بباب التمثيل (انظر تحرير التحبير : ٢١٧ ، وبديع القرآن : ٨٧) .

(٣) كذا فى (ط) .

ومن الأمثال السائرة فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ ليس لها من دون اللهِ كاشفةٌ ﴾ [سورة النجم : ٥٨] . وقوله تعالى : ﴿ وترَى الجبالَ تحسبها جامدةً وهى تمرُّ مرَّ السحابِ ﴾ [سورة النمل : ٨٨] . وقوله تعالى : ﴿ صبغَةَ اللهِ وَمَن أحسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَة ﴾ [سورة البقرة : ١٣٨] .

ومنه فى السُنة قوله ﷺ « الآن حَمِيَ الوطيس » (١) ورسول الله ﷺ أول من فاه بهذا المثل ثم صار مثلاً سائراً . ومنه قوله ﷺ « إياكم وخضراءَ الدِّمَن (٢) ، وفى غضون كلامِه ﷺ من هذا كثير .

وأما أشعار العرب فقد ورد فيها من ذلك كثير . منها ما فى البيت مَثَل واحد . ومنها ما فى البيت مَثَلان . ومنها / ما فيه ثلاثة . ومنها ما فيه أربعة . ومنها ما فيه خمسة . ومنها ما فيه ستة . ٦٧

فأما ما فيه مَثَل واحد فكقول أبى فراس (٣) :

تهونُ علينا في المعالى نفوسُنا ... ومَن طَلَب الحسناء لم يُغلِهِ المَهْرُ (٤)

وقول أبى تمام :

فلو صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَم تَزِدْها ... على مَا فيكَ مِنْ كَرَمِ الطِّبَاعِ (٥)

---

(١) مسند أحمد : ٢٠٧/١ ، وفى صحيح مسلم (١٣٩٩/٣) – كتاب الجهاد (٣٢) – باب فى غزوة حنين (٢٨) – حديث ١٧٧٥ بلفظ « هذا حين حَمِيَ الوطيس » . قال ابن الأثير فى النهاية (٢٠٤/٥) : الوطيس : شِبْهُ التنّور . وقيل : هو الضراب فى الحرب . وقيل هو الوطء الذى يطس الناس : أى يدقهم . وقال الأصمعى : هو حجارة مُدَوَّرة إذا حَمِيت لم يقدر أحدٌ يطؤها . ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبى ﷺ . وهو من فصيح الكلام . عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق .

(٢) سبق ص ١١٧ .

(٣) هو الحارث بن سعيد بن حمدان أمير شاعر فارس وهو ابن عم سيف الدولة الحمدانى مات مقتولا سنة ٣٥٧ هـ .

(٤) ديوانه (٢١٤/١) ، وروايته : (ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر) ، والمعيار : ١١٢ وروايته : (ومن ينكح الحسناء لم يغلها مهر) .

(٥) ديوانه (٣٤٠/٢) ، وتحرير التحبير : ٢١٩ .

ومما جاء من الشعر فيه مَثَلان قول بعضهم [١] :

اللهُ أنجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ   والْبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ

فى كل قسم منه مَثَل قائم بنفسه غير محتاج إلى صاحبه .

ومنه قول الحطيئة [٢] :

مَن يَفْعَلِ الْخَيْرَ لا يَعْدمْ جَوَازِيَهُ   لا يَذْهَبُ العُرْفُ بين اللهِ والنَّاسِ [٣]

وقول أبى فراس :

ومَن لَمْ يُوَقِّ اللهُ فَهْوَ مُضَيَّعٌ   ومَنْ لَمْ يُعِزَّ اللهُ فَهْوَ ذَلِيلُ [٤]

وقول المتنبى :

وكُلُّ امْرِىءٍ يُولى الْجَميلَ مُحَبَّبٌ   وكُلُّ مكَان يُنبِتُ الْعِزَّ طَيِّبُ [٥]

وأما ما فيه ثلاثة أمثال فكقول زهير بن أبى سُلْمَى :

وَفِى الْحِلْمِ إِدْهَانٌ وَفِى الْعَفْوِ ذِلَّةٌ   وَفِى الصِّدْقِ مَنْجَاةٌ مِنَ الشَّرِّ فَاصْدُقِ [٦]

وأما ما فيه أربعة أمثال فكقول بعض العرب :

فَالهَمُّ فَضْلٌ وطُولُ الْعَيْشِ مُنْقَطِعٌ   والرِّزْقُ آتٍ وَرِزْقُ اللهِ مُنتَظَرٌ [٧]

---

(١) هو امرؤ القيس : ديوانه ٢٣٨ ، والعمدة : ٢٨٣/١ .

(٢) هو جرول بن أوس أبو مليكة شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . اشتهر بالهجاء . توفى نحو سنة ٤٥ هـ .

(٣) ديوانه : ٥١ ، والعمدة ٢٨٣/١ ، وتحرير التحبير : ١٤٩ .

(٤) ديوانه (٣١٧/١) ، ورواية الديوان (فهو مُمَزَّقٌ) ، والمعيار : ١١٣ .

(٥) ديوانه (٣٠٨/١) ، والمعيار ١١٣ .

(٦) ديوانه : ٢٥٢ – وروايته (وفى العفو دُرْبَةٌ) ، ولسان العرب : (درب) و (درس) ، والعمدة : ٨٣/١ ، وحلية المحاضرة : ف ٢٠٢ . قال فى اللسان : الدُّرْبة : عادةٌ وجرأة على الحرب وكل أمر وقد درب بالشىء يدرب : إذا اعتاده وضرى به . تقول : « مازلت أعفو عن فلان حتى اتخذتها دربة » . وفى مادة « درس » روى البيت (وفى العفو درسة) وقال : الدُّرْسة : الرياضة . ومنه : درست السورة أى : حفظتها .

(٧) العمدة ٢٨٤/١ ورواية عجزه (وروح الله منتظر) .

وأما فى فيه خمسة فكقول الشاعر :

خَاطِرْ تُفِدْ وارْتَدْ تَجِدْ واكرُمْ تَسُدْ وَانقدْ تَقُدْ وَاصْغرْ تُعَدُّ الأكْبَرَا [١]

وأما ما فيه ستة فكقول ابن اللبّانة الأندلسى [٢] :

تِهْ أحْتَمِلْ واستَطِلْ أصْبِرْ وَعِزَّ أهُنْ وَوَلِّ أقْبِلْ وقُل أسْمعْ وَمُرْ أُطِعِ

« والمثل » جمعه أمثال وسمى « المثل » لأنه ماثل بخاطر الإنسان ، أى شاخص يُتَأَسَّى به ويُتَّعَظ ويخشى ويرجو [٣] . والشاخصُ : المنتصب ، وهو من قولهم : « طَلَلٌ مَاثِلٌ » أى شاخص . وهذا رسمه اللغوى والذى تقدم فى أول الباب حدُّه الصناعى .

* * *

(١) العمدة (١/٢٨٥ وقال ابن رشيق عن هذا النوع الخماسى الأمثال : (ولا أعرف منه فى حفظى إلا بيتًا واحدًا للقزاز السناط فى بسط [كذا – ولعلها وسط] قصيدة مدح بها الأمير تميم بن المعز .. وأنشد البيت .

(٢) كذا فى (ط) ، وهذا البيت موجود فى ديوان ابن زيدون الأندلسى : ١٧٠ ، رابع أبيات أربعة . وفى تحرير التحبير منسوبًا لابن زيدون أيضًا : ٢٩١ . ويبدو أنه اختلط الأمر على المؤلف فكلا الشاعرين أندلسى . وانظر ترجمة ابن اللبانة فيما يأتى ص ٢٤٣ قسم التضمين .

(٣) كذا فى (ط) ولعلها (ويرجى) .

/ القسم الثانى والعشرون

من المجاز
الإيجاز والاختصار (*)

وهو على قسمين : وجيز بلفظه ووجيز بحذف (١) .

فأما الوجيز بلفظه فهو عند أرباب هذه الصناعة أن يكون اللفظُ بالتشبيه (٢) إلى المعنى أقلَّ من القدر المعهود عادة . وسبب حسنه أنه يدل على التمكن فى الفصاحة ، والملكة فى البلاغة ، وحصول ملاذٍّ كثيرة ، دفعةً واحدةً .

واللفظ لا يخلو إما أن يكون مساويًا لمعناه وهو المقدَّر ، أو أقلَّ منه وهو المقصور .

أما المقدر فكقوله تعالى : ﴿ إن اللهَ يأمُرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذى القُرْبَى ويَنْهَى عن الفحشاءِ والمنكرِ والبغيِ يَعِظُكُم لعلكم تَذَكَّرون ﴾

[سورة النحل : ٩٠]

أمر الله فى أول هذه الآية (٣) بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، ونهى

(*) الإيجاز والاختصار بحثه فى : الصناعتين : ١٨١ ، والعمدة : ١/٢٥٠ ، ونهاية الإيجاز : ٣٣٧ ، والمعيار ٧٠ ، ٧٥ ، والجامع الكبير ١٢٢ ، والمثل السائر : ٢/٢٥٥ - ٣٤١ ، وتحرير التحبير : ٤٥٩ ، واعتماد ابن النقيب هنا على المثل السائر ونهاية الإيجاز .

(١) هذه القسمة عند أبى هلال فى الصناعتين ، والزنجانى فى المعيار ، وقد أطلقا على ما أسماه المؤلف هنا (الوجيز بلفظه) : « إيجاز القِصَر » وعرّفاه بأنه تقليل اللفظ وتكثير المعنى . انظر الصناعتين : ١٨١ ، والمعيار : ٧٠ . وانظر المثل السائر : ٢/٣١٩ وما بعدها .

(٢) أى بالمقارنة إلى المعنى . وفى نفسى من هذه اللفظة شىء .

(٣) حديث ابن النقيب على هذه الآية فى تحرير التحبير : ٤٦٥ ، ٤٦٦ مع شىء من التصرف .

فى وسطها عن الفحشاء والمنكر والبغى ، ووعظ فى آخرها وذَكّر : فجمع فى هذه ضروبًا من البيان وأنواعًا من الإحسان .

فَذَكَرَ العدل والإحسان والفحشاء والمنكر [(١)] بالألف واللام التى هى للاستغراق ، أى استغراق الجنس المحتوى على جميع أنواعه وضروبه .

وجمع فيها بين الطِّبَاقِ اللفظىّ والطِّبَاق المعنوىّ . أما اللفظى ففى قوله : « إن الله يأمر ، وينهى » . أما المعنوى ففى قوله : « العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى » وقوله : « الفحشاء والمنكر والبغى » فإن الثلاثة الأواخر أضداد الثلاثة الأُوَل ؛ لأن الثلاثة الأُوَل من الفعل الحسن والثلاثةَ الأواخرَ من القبيح فطابق بين الحسن والقبيح مطابقةً معنويةً .

ثم بَيَّنَ خصوصية ذوى القربى بإعادة الإيصاء عليهم والإيتاء لهم مع أن الأمر بالإحسان قد تناولهم .

وبدأ بالعدل لأنه فرض وتلاه بالإحسان لأنه مندوب إليه وقد يجب . فاحتوت الآية على حسن النسق وعطف الجمل بعضها على بعض فقدم العدل وعطف عليه الإحسان الذى هو جنس عام ، وخص منه نوعًا خاصًا وهو إيتاء ذى القربى . ثم [(٢)] أتى بالأمر مقدمًا وعطف عليه النهى بالواو ، ثم رتب جمل المنهيات كما رتب جمل المأمورات فى العطف بحيث لم يتأخر فى الكلام ما يجب تقديمه ولم يتقدم عليه ما يجب تأخيره .

ثم ختم ذلك كله بأمور مستحسنة ودعا إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة : فاحتوت الآية على ضروب من المحاسن والقضايا / ، وأشتات من الأوامر والنواهى والمواعظ والوصايا ما لو بُثَّ فى أسفار عديدة لما أسفرت عن وجوه ٦٩

---

(١) لعل هنا سقطا من الناسخ تقديره : (والبغى) .

(٢) (ثم) : كذا فى (ط) .

معانيها ولا احتوت على أصولها ومبانيها . سبحان من لا يشْبِه خَلْقَه ذاتًا ولا كلامًا ولا إحكامًا ولا أحكامًا ؟؟

وفى القرآن العظيم من هذا النمط كثير وقد وقع آيات كثيرة قلت حروفها وكثرت معانيها وظهرت دلائل الإعجاز فيها مثل قوله تعالى : ﴿ وإما تخافن (١) من قوم خيانةً فانْبِذْ إليهم على سواء ﴾ [سورة الأنفال : ٥٨] وقوله تعالى : ﴿ ومن يُطعِ الله ورسولَهُ ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ [سورة النور : ٥٢] . وقوله تعالى : ﴿ من كفر فعليه كفرُه ﴾ [سورة الروم : ٤٤] . وقوله تعالى : ﴿ قُتِلَ الإنسان ما أكفرَهُ ﴾ [سورة عبس : ١٧] .

ومن ذلك فى السنة كثير كقوله ﷺ « الأعمال بالنيات » (٢) « والمجالس بالأمانات » (٣) . وكقوله : « الضعيف أمير الركب » (٤) يعنى أنه ينبغى متابعته فى السير كما ينبغى متابعة أمير الركب وقد صرح بذلك فى قوله ﷺ : « سيروا سير أضعفكم » (٥) .

ومن ذلك فى أشعار العرب وخطبهم كثير ، وكثرته وشهرته أغنت عن ذكره .

---

(١) ط : « فإما » وهو خطأ .

(٢) الرواية المشهورة : « إنما الأعمال بالنيات » . رواه البخارى - كتاب بدء الوحى (١) فتح البارى ٩/١ . أما لفظ (الأعمال بالنيات) فقال عنه فى إتحاف السادة المتقين : رواه ابن حبان فى صحيحه ومثله فى مسند أبى حنيفة ، انظر إتحاف السادة المتقين : ٢٦٦/٣ ، ٢٢/١٠ .

(٣) فى كنز العمال (١٣٦/٩ - حديث ٢٥٣٧٧) بصيغة الإفراد : « المجالس بالأمانة » وعزاه إلى الخطيب البغدادى فى التاريخ عن علىّ .

(٤) « الضعيف أمير الركب » هذا الحديث رغم شهرته لم أقع عليه فى كتب السنة ، وقد ذكره أبو السعادات بن الأثير فى النهاية فى غريب الحديث ٨٨/٣ ، وذكره صاحب المثل السائر (٣٢٧/٢) بلفظ (المضعف أمير الركب) .

(٥) قال السخاوى فى المقاصد الحسنة ٢٤٧ : « حديث : سيروا على سير أضعفكم » لا أعرفه بهذا اللفظ ولكن معناه فى قول النبى ﷺ : « اقدر القوم بأضعفهم فإن فيهم الكبير والسقيم والبعيد وذا الحاجة » وهن عند الشافعى فى سننه ، والترمذى وقال : حسن ، وابن ماجه من حديث عثمان بن أبى العاصى عن أبى هريرة رفعه : « يا أبا هريرة إذا كنت إمامًا فقس الناس بأضعفهم » وفى لفظ « فاقتد بأضعفهم » الحديث ، وانظر : كشف الخفا للعجلونى ٥٦٣/١ ، والأسرار المرفوعة لملاقارى : ٢٢١ .

وأما المقصور : فإما أن يكون من نقصان لفظه عن معناه لاحتمال لفظه معانى كثيرة أو لا يكون كذلك .

الثانى : كما فى قوله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعُرْف وَأَعْرِضْ عن الجاهلين ﴾ (1) [سورة الأعراف : ١٩٩] . وكذلك قوله تعالى : ﴿ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ (2) [سورة الأنعام : ٨٢] . وكقوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياةٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٩] .

وهذا أحسن من قولهم : « القتل أنفى للقتل » لوجوه سبعة (3) :
الأول : أن قولهم القتل أنفى للقتل فى ظاهره متناقض ، لأنه جعل حقيقة الشيء منافية لنفسه . وإن قيل إن المراد منه أن كل واحد من أفراد هذا النوع ينفى غيره فهو أيضًا [على عمومه خطأ ، لأن القتل ظلمًا] (4) ليس أنفى للقتل قصاصًا بل أدعى له . وإنما يصح إذا خُصِّص فقيل : القتل قصاصًا أنفى للقتل [ظلمًا] (5) فيصير كلامًا طويلاً . مع أن هذه (6) التقييدات بأسرها حاصلة فى الآية .

الثانى : أن القتل قصاصًا لا ينفى القتل ظلمًا من حيث إنه قتل بل من حيث إنه قصاص وهذه الجملة غير معتبرة فى كلامهم .

الثالث : أن حصول الحياة هو المقصود الأصلى ، ونفى القتل إنما يراد لحصول الحياة ، والتنصيص على الغرض الأصلى أَوْلى من التنصيص على غيره .

---

(١) قال ابن الأثير معلقاً على الآية (فجمع فى الآية جميع مكارم الأخلاق ، لأن فى الأمر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الغيبة ، وعن الكذب ، وغض الطرف عن المحرمات ، وغير ذلك . وفى الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وغيرهما « المثل السائر » : ٣٣٦/٢ .

(٢) قال ابن الأثير : (فإنه دخل تحت الأمن جميع المحبوبات ، وذلك بأنه نفى به أن يخافوا شيئًا من الفقر والموت وزوال النعمة ونزول النقمة ، وغير ذلك من أصناف المكاره) المثل السائر : ٣٣٦/٢ .

(٣) انظر نهاية الإيجاز : ٣٤٨ .

(٤) مابين المعقوفين ساقط من (ط) وأثبتها عن نهاية الإيجاز وهى زيادة لازمة .

(٥ ، ٦) زيادة من نهاية الإيجاز .

الرابع : أن التّكرار عيب ، وهو موجود فى كلامهم دون الآية .

الخامس : أن حروف « فى القصاص حياة » اثنا عشر وحروف « القتل أنفى للقتل » أربعة عشر .

السادس : أنه ليس فى كلامهم كلمة يجمع فيها حرفان متلاصقان متحركان إلا فى موضع / واحد بل ليس فيها [إلا أسباب خفيفة] [١] متوالية وقد عرف أن ذلك مما ينقص من سلاسة الكلام بخلاف الآية . ٧٠

السابع : أن الدافع لصدور القتل عن الإنسان كراهته لذلك وصارفه القوى عنه ، حتى أنه ربما يعلم أنه لو قَتَلَ قُتِلَ ثم لا يرتدع وإنما رادعه القوى هو إما الطمع فى الثواب أو الذكر الجميل وإذا كان كذلك فليس أنفى الأسباب للقتل هو القتل بل الأنفى لذلك هو الصارف القوى .

وقوله تعالى : ﴿ فى القصاص حياة ﴾ ، لم يجعل القصاص مقتضيًا الحياة على الإطلاق بل الحياة مُنَكَّرَةٌ . والسبب فيه أن شرعية القصاص تكون رادعةً عن الإقدام على القتل غالبًا . ثم لتعلم أن فى هذا التنكير فائدةً أخرى لطيفةً . وهى أن الإنسان إذا علم أنه إذا قَتَلَ قُتِلَ ارتدع بذلك عن القتل فسلم صاحبه فصارت حياةُ هذا الموهوم قتله فى المستقبل مستفادةً بالقصاص وصار كأنه قد حى فى باقى عمره ؛ ولذلك وجب التنكير وامتنع التعريف من جهة أن التعريف يقتضى أن تكون الحياة قد كانت بالقصاص من أصلها وليس الأمر كذلك .

ومثل هذا التنكير قوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حياةٍ ﴾ [سورة البقرة : ٩٦] ، وفائدة التنكير أن الحريص لابد وأن يكون حيًا ، وحرصه لا يكون على الحياة الماضية والراهنة بل على الحياة المستقبلة ولما لم يكن الحرص متعلقًا بالحياة على الإطلاق بل بالحياة فى بعض الأحوال لا جَرَمَ جاءت بلفظ التنكير .

---

(١) ط (الأسباب حقيقة) وهو تحريف . وما أثبت عن نهاية الإيجاز : ٣٤٩ والسبب الخفيف - عند العروضيين - حركة يتبعها ساكن مثل : « من » ، « عن » .

واعلم أن للتنكير فى قوله تعالى : « فى القصاص حياة » فائدةً أخرى وهى أن الرجل قد يرتدع بالقصاص حتى لا يقدم على القتل لكن من الجائز أن لا يكون للإنسان عدوّ فيقصد قتله حتى يمنعه خوف القصاص وحينئذ لا تكون حياة ذلك الإنسان لأجل الخوف من القصاص ؛ ولما دخل الخصوص فى هذه القصة وجب أن يقال « حياة » ولا يقال « الحياة » . وكذلك يقال : « شفاء » ولا يقال « الشفاء » فى قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ من بطونها شَرَابٌ مختلفٌ ألوانُهُ ﴾ [سورة النحل : ٦٩] حيث لم يكن شفاء للجميع [1] .

ومن بديع هذا النوع أن أبا جعفر المنصور سأل مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ [2] : أيما أحبُّ إليك دولتنا أو دولة بنى أمية ؟ فقال : ذلك إليك . ومعناه : أنّ زيادة هذه المحبة ونقصانها بيدك ؛ لأنها على قدر إحسانك .

والفرق بين هذا القسم وبين (المقدم وهو) [3] أن يكون نقصان اللفظ لأجل احتماله معانى كثيرةً وذلك كاللفظ المشترك أو الذى له مجازات أو حقيقة ومجاز إذا / أريدت معانيه كما فى قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يُصلون على النبى ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٦] والصلاة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة استغفار . ٧١
وكذلك قوله تعالى : ﴿ ألم تر [4] أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمسُ والقمرُ والنجومُ والجبالُ والشجرُ والدواب ﴾ [سورة الحج : ١٨] والسجود من الناس وضع الجبهة على الأرض وهو حقيقة شرعية ، وأيضًا « الخشوع » وهو حقيقة لغوية ، ومن غير الناس الانقياد لصنع الله تعالى وهو مجاز . ومن ذلك قول المتنبى :

---

(١) نهاية النقل من نهاية الإيجاز : ٣٤٨ – ٣٥ .

(٢) ط (زبا) وهو خطأ والتصويب من المثل السائر : ٣٤٠/٢ . ومعن بن زائدة من أشهر أجواد العرب الشجعان أدرك العصرين الأموى والعباسى . ومات مقتولا سنة ١٥١ هـ وأبو جعفر المنصور هو ثانى خلفاء بنى العباس وبانى مدينة بغداد ، توفى ١٥٨ هـ .

(٣) مابين القوسين كذا فى (ط) ولم أفهم المراد بهذا اللفظ وسياقه . فليحرر ! .

(٤) ط (إن الله يسجد) وهو خطأ .

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا   لَمِنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ [(١)]

وهذا يحتمل ثلاثة معان . الأول : من بات فى نعماء المحسود . الثانى : من بات فى نعماء الحاسد . والثالث : من بات فى نعماء غير الحاسد والمحسود فيكون ذلك مدحًا للذى يبيت فى نعمائه . وبيانه أن كل أحد يتمكن من تحصيل تلك النعمة بمدح هذا المنعم فيكون حينئذ ممن أنعم عليه .

وأما الوجيز بالحذف : فالكلام عليه من وجوه : الأول : المعنى الذى حسن الحذف من أجله . **الثانى** : فى فائدته . **الثالث** : فى شرطه . **الرابع** : فى أقسامه . **الخامس** : فى توابعه . **السادس** : فيما يقبح منه .

أما الأول : فإن المعنى الذى حسن الحذف من أجله طلب الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى الكثير فى اللفظ القليل .

وأما الثانى : ففائدته زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسرَ كان الالتذاذُ به أشدَّ وأكثر وكان ذلك أحسن .

وأما الثالث : فشرطه أن يكون فى اللفظ دلالة على المحذوف وإلا لم يتمكن من معرفته ، فيكون اللفظ مخلاً بالفهم .

وتلك الدلالة قد تحصل من إعراب اللفظ . وذلك كما إذا كان منصوبًا فيعلم أنه لابد له من ناصب . وإذا لم يكن ظاهرًا لم يكن بُدٌّ من أن يكون مقدَّرًا وذلك كقولنا : « أهلاً وسهلاً ومرحبًا » ومعناه : وجدت أهلاً ، وسلكت سهلاً ، وصادفت رُحْبًا .

ومنه فى القرآن كثير كقوله تعالى : ﴿ الحمدَ لله ﴾ [سورة الفاتحة : ٢] على قراءة من قرأ بالنصب [(٢)] . وقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به

---

(١) ديوان المتنبى ٣٠٩/١ ، والمثل السائر : ٢٦٧/٢ من قصيدة له فى مدح كافور .

(٢) من القراءات الشاذة عزاها أبو حيان فى البحر المحيط (١٨/١) إلى هارون العتكى ورؤبة وسفيان بن عُيَيْنَة .

والأرحامَ ﴾ [سورة النساء : ١] والتقدير : أحمد الحمدَ أو أقرأ الحمدَ واحفظوا الأرحامَ . وقوله تعالى : ﴿ صبغةَ الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾ [سورة البقرة : ١٣٨] وقوله تعالى : ﴿ ملةَ إبراهيم ﴾ [سورة البقرة : ١٣٥] وفى القرآن منه كثير وفى الكلام الفصيح منه كثير . وكثرته تغنى عن ذكره . غير أن ٧٢ سيبويه [١] ذكر منه أشياء جعلها حجة فى الباب . من ذلك / قول العرب : « اللهم ضَبُعًا وذئبًا » [٢] أى : اجعل فيها ضَبُعًا وذئبًا ، وقول بعضهم حين قيل له لم أفسدتم مكانكم ؟ فقال : « الصبيانَ بأبى » أى : لُمِ الصبيانَ [٣] ، ومنه ما قدمناه أولاً وهو « أهلاً وسهلاً ومرحبًا » .

وقد تحصل تلك الدلالة بالنظر فى المعنى والعلم بأنه إنما يتم بمحذوف مقدّر وهذا يكون أحسن من الأول لزيادة غموضه كما فى قولهم : « فلانٌ يَحُلُّ ويربط » ومعناه : أنه يحل الأمور ويربطها . أى : ذو تصرف .

وقد عقد بعض علماء هذه الصناعة عقداً [٤] ، فقال : اللفظ المحذوف إما أن يكون مفرداً أو مركبًا فإن كان مفردًا فسيأتى بيانه ، وإن كان مركبًا فإما أن يكون كلامًا مفيداً أو لا يكون كذلك . فهذه ثلاثة أقسام :

الأول أن يكون كلامًا مفيداً وهذا أحسن ، والكلام المفيد المحذوف قد يكون قليلاً . وهو على وجهين : **أحدهما : أن يكون المحذوف استفهامًا** ويسمى ما يدل عليه استئنافًا وهذا إما أن يكون بإعادة اسم أو صفة أوْلا يكون كذلك .

---

(١) هو عمرو بن عثمان بن قَنْبَر أبو بشر إمام النحاة صاحب الكتاب الذى وصف بأنه قرآن النحو توفى ١٨٠ هـ .

(٢) كتاب سيبويه : ٢٥٥/١ . وقد جعل سيبويه هذا المثل دعاءً على غنم رجل أن يُسلَّط عليها ذئب من هنا وضَبُعٌ من هناك . وُنقِل عن المبرد أن هذا دعاء له لا عليه ، لأن الضبع والذئب إذا اجتمعا تقاتلا فأفلتت الغنم . وانظر هامش صفحة سيبويه السابقة .

(٣) الكتاب : ٢٥٥/١ .

(٤) هو ابن الأثير . انظر المثل السائر : ٢٦٩/٢ وما بعدها . والنقل هنا عنه بمعناه لابنصه .

أما الذى بإعادة اسم فكما إذا أعقب اسم من تقدم الحديث عنه كقولنا : « أحسنت إلى زيدٍ ، زيدٌ أحق بإحسانك » . وقولنا : « زيدٌ أحق بإحسانك » جواب عن سؤال كأنه قيل : وما وجه الإحسان إلى زيد ؟ فقيل : زيد أحق بإحسانك . فيكون هذا السؤال محذوفًا .

وأما الذى بإعادة صفة فكقولنا : « أحسنت إلى زيدٍ ، صديقُك القديم ، هو أحق بذلك » . تقديره : وما وجه الإحسان إلى زيد ؟ فتقول : « لأنه صديقك القديم » وهذا أحسن من إعادة الاسم لاشتماله على سبب الإحسان .

وأما الذى ليس كذلك فكقوله تعالى : ﴿ الم ذلك الكتاب لا رَيب فيه ﴾ إلى قوله ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ [سورة البقرة : ١ – ٥] فقوله : « أولئك على هدىً من ربهم وأولئك همُ المفلحون » استئناف ، وهو جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل : وما يحصل لهؤلاء الموصوفين بهذه الصفات ؟ فقيل : إنهم على هدى من ربهم وإنهم مفلحون .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ إنى آمنتُ بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة ﴾ [سورة يس : ٢٥ – ٢٦] فقوله : « قيل ادخل الجنة » جواب عن سؤال كأنه قيل وما فُعِل بهذا ؟ فقيل : قيل له ادخل الجنة . وإنما لم يقل : « قيل له » لأن ذلك معلوم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وياقوم [1] اعملوا على مكانتكم ﴾ [سورة هود : ٩٣] فإن قرىء ﴿ فسوف تعلمون ﴾ لم يكن فيه استئناف وإن قرىء « سوف تعلمون » كان ذلك كأنه قيل [وماذا] [2] إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت على مكانتك / ؟ فقيل : ﴿ سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ [سورة هود : ٣٩] . ٧٣

---

(١) كان فى ط : « قل ياقوم » وهو وهم اشتبهت عليه آية (الأنعام : ١٣٥) ، بآية (هود : ٩٣) . وهى موضع الحديث هنا .

(٢) كان فى (ط) : (ومن يكون) .

وثانيهما : أن لا يكون المحذوف استفهامًا : وذلك كما إذا كان مسببًا وقد دل عليه سببه ، كقوله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمرَ وما كنتَ من الشاهدين ﴾ (١) [سورة القصص : ٤٤] (كأنه قال وما كنت من الشاهدين لما جرى لموسى عليه ولكنا أوحينا إليك ، وسبب هذا الوحى أنا أنشأنا قرونا إلى زمانك فتطاول عليهم العُمُرُ أى مدة الفترة فنُسى ما كان جرى فأوحينا إليك ، فيكون المحذوف هو السبب والمذكور الدالّ عليه هو سببه) (٢) . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ [سورة القصص : ٤٦] .

وأما الرابع فى أقسامه : أما أقسامه فقد تظافرت أقوال أرباب علم البيان على أن المحذوفات على قسمين : حسنة وقبيحة . أما القبيحة فهو أن يخل المحذوف بالمعنى أو يحطه عن رتبته وسيأتى بيانه . وأما الحسنة فهى على قسمين : جمل ، ومفردات . فأما الجمل فهى على قسمين : موجزة . ومطولة ، فالموجزة مثل قوله تعالى : ﴿ واللائى يَئِسْنَ من المحيض من نسائكم إنْ ارتبتم فَعِدَّتُهُنَّ ثلاثةُ أشهر واللائى لم يحضن ﴾ [سورة الطلاق : ٤] تقديره : واللائى لم يحضن فعدتهن كذلك . وقد تقدم فى الفصل الذى قبل هذا من نظائره كثير . والقرآن العظيم مشحون به .

وأما الجُمل المطولة فكقوله تعالى : ﴿ اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ﴾

---

(١) وبعدها الآية : ٤٥ ﴿ ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر ﴾ .

(٢) مابين القوسين كذا فى (ط) . وهى عبارة قلقة غير مفهومة يبدو أنه لحقها شيء من التحريف . ويوضحها عبارة ابن الأثير حيث يقول : (كأنه قال : وماكنت شاهدًا لموسى وما جرى له وعليه ، ولكنا أوحيناه إليك ، فذكر سبب الوحى الذى هو إطالة الفترة ، ودل به على المسبب الذى هو الوحى ، على عادة اختصارات القرآن ، لأن تقدير الكلام . ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحى الى موسى الى عهدك قرونًا كثيرة ، فتطاول على آخرهم ، وهو القرن الذى أنت فيهم — العمر ، أى أمد انقطاع الوحى ، فاندرست العلوم ، فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك وعرّفناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى ، فالمحذوف إذن جملة مفيدة ، وهى جملة مطولة ، دل السبب فيها على المسبب) المثل السائر : ٢٧٢/٢ .

[سورة النمل : ٢٨] . فأعقبه بقوله حكاية عنها ﴿ قالت يا أيها الملأ إنى ألقى إلىَّ كتابٌ كريم ﴾ [سورة النمل : ٢٩] تقديره : فأخذ الكتاب فألقاه إليهم فرأته المرأة بلقيس وقرأته « وقالت يا أيها الملأ » .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيًا ﴾ [سورة مريم : ١٢] فيه محذوف مطول تقديره : فلما وُلِدَ يحيى ونشأ وترعرع قلنا له : « يايحيى خذ الكتاب بقوة .

ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿ لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى قال ياهرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى [1] أفعصيت أمرى ﴾ [سورة طه : ٩١ - ٩٧] تقديره : فلما جاءهم موسى ووجدهم على تلك الحالة « قال ياهارون » .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فلما رآه مستقرًا عنده قال هذا من فضل ربى ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قال نكروا لها عرشها ﴾ [2] [سورة النمل : ٤٠ - ٤١] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ [سورة الزمر : ٢٢] فيه محذوف تقديره : أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى / قلبه وتركه على ظلمة من كفر . ودل على المحذوف قوله تعالى : ﴿ فويل ٧٤

---

(١) كذا فى ط ، بإثبات الياء بعد النون وهى قراءة ابن كثير ويعقوب ونافع وأبى عمرو حال الوصل وحذفها وقفًا . وقرأ أبو جعفر بإثباتها مفتوحة فى الوصل ساكنة فى الوقف . والباقون من العشرة كحفص بحذف الياء حالى الوصل والوقف . انظر البدور الزاهرة : ٢٠٧ .

(٢) يقول تعالى فى قصة سليمان عليه السلام على لسانه : ﴿ قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم . قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾ [سورة النمل : ٣٨ - ٤١] . وعلق على ذلك ابن الأثير بقوله : (وفى هذا محذوف تقديره : فلما جاء به قال : نكروا لها عرشها ، لأن تنكيره لم يكن إلا بعد أن جىء به إليه . وقد أغنى عن المحذوف صدر الكلام وآخره وكان ذلك دليلاً عليه) المثل السائر : ٢٨١/٢ .

للقاسية قلوبهم من [1] ذكر الله ﴾ [سورة الزمر : ٢٢] وذلك فى القرآن العظيم كثير جدًا .

وأما المفردات : فهى ثلاثة أقسام : أسماء وأفعال وحروف . أما الأسماء فهى أنواع . الأول : حذف الفاعل : وقد اختلف فى حذفه فنص على منع حذفه ابن جنى وكثير من النحويين [2] . والحقُّ جوازه إذا وُجد ما يدل عليه كقوله تعالى : ﴿ كلا إذا بلغت التراق ﴾ [سورة القيامة : ٢٦] تقديره : إذا بلغت الروح التراق .

ومنه قوله تعالى : ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ [سورة ص : ٣٢] تقديره : حتى توارت الشمس ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فلما جاء سليمان ﴾ [سورة النمل : ٣٦] تقديره : فلما جاء الرسول سليمان .

الثانى : حذف المفعول وهو على ثلاثة أقسام :

الأول : حذفه من كل فعل ليس له مفعول معين بل يكون المقصود من الكلام بيان حال الفاعل فقط . ومنه قوله تعالى : ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [سورة الزمر : ٩] أى : هل يستوى ذو العلم ومن لا علم له . وفى مثل هذا يتعين أن لا يعدى الفعل لفظًا ولا تقديرًا ويكون حاله كحال غير المتعدى (فإن عديته تخصه بما تعديه إليه فينقص الغرض) [3] .

ومن ذلك المحذوف من الأفعال التى لها مفعول معين وحذفه لأمور : **الأول** : أن يكون المراد بيان حال الفاعل وأن ذلك دأبه لا بيان حال المفعول . مثاله قوله تعالى : ﴿ ولما وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عليهِ أُمَّةً من الناسِ يَسْقُون ﴾

---

(١) ط : (عن) وهو خطأ .

(٢) انظر نهاية الإيجاز : ٣٣٧ - ٣٤١ ، وانظر همع الهوامع ٢٥٥/٢ . وابن جنى هو عثمان بن جنى أبو الفتح من كبار أئمة الأدب والعربية ، توفى ٣٩٢ هـ .

(٣) مابين القوسين كذا فى ط . وعبارة الرازى فى نهاية الإيجاز (٣٣٨) : « لأن تعديته تنقض الغرض » .

إلى قوله : ﴿ فسقى لهما ﴾[١] [سورة القصص : ٢٣ - ٢٤] فحذف المفعول من أربعة مواضع إذ لو أضافه إلى الغنم مثلاً لتوهم أن الإنكار إنما جاء من ذَوْدِ الغنم لا من مطلق الذَّوْدِ ، كما تقول مالك تمنع أخاك ! وكلّ مخل بالمقصود[٢] .

ومثله قول الشاعر[٣] :

هُمْ خَلَطُونا بِالنُّفوسِ وَأَلْجَـؤُا ... إِلَى حُجُراتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظَلَّتِ[٤]

أراد : ألجؤونا وأظلتنا وأدفأتنا فحذف ، فكأنه قد أبهم أمره ولم يقصد شيئًا يقع عليه . فلو قال : « أدفأتنا وأظلتنا » لكان الأمر مختصًا بهم وبطل الغرض .

الثاني : أن يكون المقصود ذكره إلا أنك لا تذكره إيهامًا بأنك لا تقصد ذكره كقول البحتري :

شَجْـوُ حُسَّادِهِ وَغَيْـظُ عِـدَاهُ ... أن يَرَى مُبصِرٌ ويسمعَ واعِ[٥]

---

(١) قال تعالى : ﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان ، قال ما خطبكما ، قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير ﴾ [سورة القصص : ٢٣ - ٢٤] .

(٢) عبارة (ط) مقتضبة جدًا . وتفسرها عبارة الرازى فى نهاية الإيجاز ، يقول الرازى : (إذ المعنى : وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم ومواشيهم ، وامرأتين تذودان غنمهما ، وقالتا : لا نسقى غنمنا ، فسقى لهما غنمهما . والسبب ما قلنا من أن المقصود أنه كان من الناس فى تلك الحالة سَقْى ، ومن المرأتين ذَوْد ، وأنهما قالتا : لا يكون منا سَقْىٌ حتى يصدر الرعاء ، وأنه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك سَقْى ، فأما ماكان المسْقِىُّ غنمًا كان أم إبلاً ، فخارج عن الغرض ، وموهِمٌ خلافه ، لأنه لو قيل : « ووجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما » جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود بل من حيث هو ذود غنم ، حتى لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر ، كما أنك إذا قلت : مالك تمنع أخاك ؟! كنت منكرًا المنع لا من حيث هو منع ، بل من حيث هو منع أخ » نهاية الإيجاز : ٣٤٠ .

(٣) هو طفيل الغَنَوِى شاعر جاهلى فحل ، وهو أوصف العرب للخيل . كان معاصرًا لزهير والنابغة الجعدى .

(٤) ديوان طفيل : ٩٨ ، ودلائل الإعجاز ١٥٨ ، ونهاية الإيجاز : ٣٣٨ ، وهو من مدحه لبنى جعفر بن كلاب ، وقبله قوله :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت ... بنا نعلنا فى الواطئين فزلّت

أبوا أن يملونا ، ولو أن أمنا ... تلاق الذى لاقوه منا لملّت

(٥) ديوانه : ٨١/٢ ، ودلائل الإعجاز : ١٥٦ ، ونهاية الإيجاز : ٣٤١ .

المعنى [لا محالة] (١) أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واع أخباره (٢) .

الثالث : أن يحذف لكونه مبينًا كقولك : « أصْغَيْتُ إليك » أى : أذنى ، « أغضيت عنك » أى : جفنى .

٧٥ وقال : / ابن الأثير (٣) : حذف المفاعيل على قسمين : الأول : حذف مفاعيل غلب حذفها على إثباتها كمفعول المشيئة والإرادة فى باب الشرط وباب لَوْ ، أو كمفعول الأقسام .

فأما حذف مفعول المشيئة والإرادة فى باب لو وباب الشرط ففى القرآن العظيم منه كثير . منها قوله تعالى : ﴿ ولو شاء اللهُ ما اقتتلوا ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٣] تقديره : ولو شاء الله أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا فحذف مفعول المشيئة لدلالة ما بعده عليه . ومنه قوله تعالى : ﴿ ولو شاءَ لهَدَاكم ﴾ [سورة النحل : ٩] تقديره : ولو شاء الله هدايتَكم كلكم لهداكم أجمعين . ومنه قوله تعالى : ﴿ ولو شاء اللهُ ما فعَلوهُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٣٧] ومثله فى القرآن كثير . وقد (٤) ومنه قوله تعالى : ﴿ لو أَرَدْنا أن نتّخذَ لهْوًا لا تّخذْناهُ من لدُنّا ﴾ [سورة الأنبياء : ١٧] . ومنه قوله تعالى : ﴿ لو أرادَ اللهُ أنْ يتّخذَ وَلَدًا ﴾ [سورة الزمر : ٤] .

وقد ظهر مفعول المشيئة فى قول الشاعر (٥) :

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبكِى دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْكَ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ (٦)

---

(١) زيادة من نهاية الإيجاز .

(٢) كذا فى ط وهى عبارة مقتضبة . يفصلها قول الرازى بعد ذلك : (ولكنه تغافل عن ذلك لأنه أراد أن يقول : إنّ فضائله يكفى فيها أن يقع عليها بصر ، ويعيها سمع حتى يعلم أنه المنفرد بالفضائل ، وأنه الشخص الذى ليس لأحد أن ينازعه فيها ، فليس شيء أشجى لهم من علمهم بأنّ ها هنا مبصرًا وسامعًا) . نهاية الإيجاز : ٣٤١ .

(٣) النقل هنا عن ابن الأثير بالمعنى وليس بنص ألفاظه مع الاختصار .

(٤) علّق ناشر المطبوعة على هذه الكلمة بقوله (كذا فى الأصل ... والظاهر أنه أراد وأما حذف مفعول الإرادة فى باب الشرط وباب لو ففى القرآن منه كثير ومنه الخ) .

(٥) هو للخُرَيْمِىّ : أبو يعقوب إسحاق بن حسان ، كان من العجم ؛ وتوفى ٢١٢ هـ .

(٦) دلائل الإعجاز : ١٦٤ ، ونهاية الإيجاز : ٣٤٢ ، والمثل السائر : ٢٩٥/٢ ، والجامع الكبير : ١٢٧ ، ومعاهد التنصيص : ٢٤٦/١ .

وأما حذف مفعول الإفساد فمنه قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لا يُحبُّ المفسدين ﴾ [سورة القصص : ٧٧] وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيلَ لهم لا تفسدُوا فى الأرض قالوا إنما نحنُ مصلِحون ﴾ [سورة البقرة : ١١] وقوله تعالى : ﴿ يُفسدون فى الأرض ولا يُصلِحون ﴾ [سورة الشعراء : ١٥٢ ، سورة النمل : ٤٨] . وقوله تعالى : ﴿ ولا تفسِدُوا فى الأرض بعد إصلاحِها ﴾ [سورة الأعراف : ٥٦ ؛ ٥٨] وهو كثير .

الثانى : ما يحذف لدلالة السياق عليه .

فمنه قوله تعالى : ﴿ يَبسُطُ الرِّزقَ لَمن يشاءُ ويَقدِرُ ولكنَّ أكثرَ الناس لا يَعلمون ﴾ [سورة سبأ : ٣٦] تقديره : ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله القابض الباسط . وقوله تعالى : ﴿ وما يخادعون [1] إلاّ أنفسَهم وما يَشعُرُون ﴾ [سورة البقرة : ٩] تقديره : وما يشعرون أنهم لأنفسهم يخادعون ونحوه .

ونذكر هاهنا قاعدة ينبنى عليها حكم الفاعل ، والمفعول وهو أن العرب ينظرون إلى مقصود الإفادة فى هذا الباب ونحوه فإن كان المقصود نسبة الفعل إلى الفاعل اقتصروا عليه فقالوا : « فلان يُعطى ويمنع ويصل ويقطع » . ﴿ والله يحيى ويميت ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٦] — لأنه ليس الغرض ذكر المعطى والممنوع والموصول والمقطوع والمحيا والممات ولكن الغرض وصف الفاعل بهذه الأفعال . فإن كان الغرض ذكر المفعول لا غير لم يتعرَّضوا للفاعل كقوله تعالى : / ﴿ قُتِلَ الخرَّاصون ﴾ [سورة الذاريات : ١٠] . وقوله تعالى : ﴿ قُتِلَ الانسانُ ما أكفَرَه ﴾ [سورة عبس : ١٧] . وقوله تعالى : ﴿ كُبِتوا كما كُبِتَ الذين من قبلهم ﴾ [سورة المجادلة : ٥] . وقوله تعالى : ﴿ أولئك الذين أُبسِلوا بما كَسبوا ﴾ [سورة الأنعام : ٧٠] . وقوله تعالى : ﴿ لُعِنوا بما قالوا ﴾ [سورة المائدة : ٦٤] ليس الغرض من هذا ذكر الكابت ولا القاتل ولا اللاعن ولا المبسل وإنما الغرض نسبة القتل واللعن والكبت والإبسال إلى المذكورين .

٧٦

---

(١) هى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو بضم الياء وألف بعد الخاء . وقرأ الباقون كحفص : انظر البدور الزاهرة : ٢١ .

وإن تعلق الغرض بالفاعل والمفعول أتوا بهما كقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ اللهُ السموات والأرض ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٤] . وقوله : ﴿ وخَلَقَ كلَّ شيء ﴾ [سورة الأنعام : ١٠١] . وقوله : ﴿ بل لَعنهمُ الله بكفرِهم ﴾ [سورة البقرة : ٨٨] . وقوله : ﴿ فبما نقْضهمْ ميثاقَهم لَعنّاهم ﴾ [سورة المائدة : ١٣] .

ومن ذلك حذف ضمائر الموصولات .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أهذا الذى بَعثَ اللهُ رسولا ﴾ [سورة الفرقان : ٤١] . تقديره : أهذا الذى بعثه الله رسولا . وقوله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبُدون من دونِ اللهِ حَصَبُ جهنمَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٨] تقديره : إنكم وما تعبدونه أو تعبدونهم . وقوله تعالى : ﴿ وما ذَرَأَ لكم فى الأرض ﴾ [سورة النحل : ١٣] تقديره : وما ذرأه . وقوله تعالى : ﴿ وما خلقَ اللهُ من شيء ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٥] تقديره : خلقه الله . ومنه فى القرآن العظيم كثير .

الثالث : حذف المضاف تارة والمضاف إليه أخرى وإقامة أحدهما مقام الآخر .

أما حذف المضاف فكقوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ التى كنّا فيها ﴾ [سورة يوسف : ٨٢] وكذلك ﴿ إذا فُتِحَتْ يأجوجُ ومأجوجُ ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٦] أى فتحت سُدَدُهم [1] . وربما نكرت المحذوف كما فى قوله : ﴿ فقبَضتُ قَبْضةً من أثَرِ الرَّسولِ ﴾ [سورة طه : ٩٦] يريد من أثر حافر فرس الرسول [2] . ومنه قول الشاعر [3] :

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا الْقَرَنْفُلِ [4]

---

(١) سُدَّة الدار : أى بابها ، والجمع : سُدَد .

(٢) انظر تفسير الطبرى : ٢٠٥/١٦ .

(٣) هو امرؤ القيس من معلقته .

(٤) شرح القصائد السبع الطوال لابن الانبارى : ٢٩ ، وتحرير التحبير : ٤٥٤ ، أما رواية ديوانه : (١٥) فهى :

إذا التفتت نحوى تضوّع ريحها

والحذف للمضاف هنا فى قوله (تضوع المسك) أى مثل المسك أو ريح المسك .

وأما حذف المضاف إليه فهو أقلّ استعمالا . ومنه قوله تعالى : ﴿ للهِ الأمرُ مِن قبلُ ومن بعدُ ﴾ [سورة الروم : ٤] أى من قبل ذلك ومن بعده .

الرابع : حذف الصفة تارة وحذف الموصوف أخرى .

أما حذف الصفة فكقول النبى ﷺ : « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » [١] . أى لا صلاة تامة أو كاملة . وأما حذف الموصوف فأكثره فى النداء والمصدر . أما النداء ففى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الساحر ﴾ [سورة الزخرف : ٤٩] تقديره : يا أيها الرجل الساحر . وكذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ تقديره : يا أيها القوم الذين آمنوا . وقوله تعالى : ﴿ أيها المؤمنون ﴾ [٢] [سورة النور : ٣١] تقديره : يا أيها القوم المؤمنون . وأما المصدر فكقوله تعالى / ﴿ ومَن تابَ وعمِلَ صالحًا ﴾ [سورة الفرقان : ٧١] وقد يجىء فى غير النداء كما فى قول البحترى : ٧٧

فِى اخْضِرارٍ مِنْ اللباس عَلى أصفرَ (م) يَخْتَالُ فِى صَبِيغَةِ وَرْسِ [٣]

يريد على فرس أصفر .

الخامس : حذف الشرط تارة وحذف الجزاء أخرى وإقامة أحدهما مقام الآخر .

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك (٢٤٦/١) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (١١١/٣) ، والدارقطنى (٤٢٠/١) . وحكم الشيخ ناصر الدين الألبانى على هذا الحديث بالضعف . انظر : إرواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل (٢٥١/٢) .

(٢) ط : ﴿ يا أيها المؤمنون ﴾ وهو وهم .

(٣) وقع البيت محرفاً فى ط حيث جاء :

فى أخضر مـاس على أصفـر يخال فى صيغتـه ورسُ

والصواب ما أثبته عن ديوان البحترى (١١٥٧/٢) ، والمثل السائر : ٢٩٩/٢ وهو من سينية البحترى المشهورة فى وصف إيوان كسرى وقبله قوله :

وإذا مـا رأيت صورة أنطـا كيةَ ارتعت بين رومٍ وفـرس

والمنايـا مواثـل وأنـوشِرْ وانُ يزجى الصفوف تحت الدّرفس

وهو هنا يصف التصاوير التى فى الإيوان والمعركة التى كانت بين الروم والفرس فى مدينة أنطاكية =

الخامس : حذف الشرط تارة وحذف الجزاء أخرى وإقامة أحدهما مقام الآخر .

أما حذف الشرط فكقوله تعالى : ﴿ ياعبادى الذين آمنوا إنَّ أرضى واسعةٌ ﴾ [سورة العنكبوت : ٥٦] أى : فإذا كنتم فى أرض لا تتمكنون [1] فيها من عبادتى فإياى فاعبدون فى غيرها . وقوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذىً مِن رأسهِ فَفِدْية ﴾ [سورة البقرة : ١٩٦] أى فإن لم يحلق فعليه فدية .

وأما حذف جزاء الشرط فكقوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به ﴾ [سورة الأحقاف : ١٠] معناه : إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين . ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَهدِى القومَ الظالمين ﴾ [سورة المائدة : ٥١] .

السادس : حذف القسم تارة وجوابه أخرى :

أما حذف القسم فكقولك : لأضربنّ زيدًا . أى والله لأضربنّ زيدًا . وكقوله تعالى : ﴿ وإنْ منكم إلا وارِدُها ﴾ [سورة مريم : ٧١] تقديره : وإن منكم والله إلا واردها . ولهذا أشار ﷺ بقوله : « لن يَرِدَ النار إلا تحلّة القسم » [2] . ومنه قوله تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فى أموالكم وأنفسكم ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٦] . وقوله تعالى : ﴿ لَتَرَوُنَّ الجحيمَ ﴾ [سورة التكاثر : ٦] وهو فى القرآن العظيم كثير .

أما حذف جواب القسم فكقوله تعالى : ﴿ والشَّفْعِ والوَترِ والليل إذا يَسْرِ هلْ فى ذلك قَسَمٌ لذى حِجْرٍ ﴾ [سورة الفجر : ٣ - ٥] معناه : وحق هذه لأعذبن هؤلاء . يدلّ على المحذوف قوله تعالى : ﴿ ألم تَرَ كيف فعَلَ ربّكَ بعادٍ ﴾ [سورة الفجر : ٦] . وقوله تعالى : ﴿ ق والقرآن المجيد بلْ عجبوا أن جاءهم مُنْذِرٌ منهم

= وصورة كسرى أنو شروان يقود المعركة تحت الدرفس وهو العلم الكبير مرتديا لباسًا أخضر ممتطيا فرسًا أصفر . فالشاهد فى قوله : (أصفر) أى فرس أصفر ، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه :

(١) كان فى (ط) : (الاتتمكنوا) وهو خطأ .

(٢) انظر تفسير الطبرى وابن كثير عند الآية (٧١) من سورة مريم .

فقالَ الكافرون هذا شيءٌ عجيبٌ ﴾ [سورة ق : ١-٣] معنى « ق والقرآن المجيد » لتبعثنّ ويدل على ذلك قوله : ﴿ أإذا مِتنا وكنّا ترابًا ذلك رَجعٌ بعيدٌ ﴾
[سورة ق : ٣]

السابع : حذف جواب « ولو » .

وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ ولَوْ ترَى إذْ فَزِعوا فلا فَوْتَ وَأخِذوا منْ مَكانٍ قريب ﴾ [سورة سبأ : ٥١] تقديره : لرأيت أمرًا هائلا ونحو ذلك . وكذلك قوله تعالى : ﴿ لو أنَّ لى بكم قُوَّةً أوْ آوى إلى رُكْن شديدٍ ﴾ [سورة هود : ٨٠] تقديره : لمنعتكم ونحو ذلك . وكذلك قوله تعالى : ﴿ ولوْ أنّ قرآناً سُيِّرت به الجبالُ ﴾ [سورة الرعد : ٣١] تقديره : لكان هذا القرآن .

الثامن : حذف جواب « لولا » .

كقوله تعالى : ﴿ ولولا فضلُ اللهِ عليكم ورحمتُهُ وأنَّ الله توابٌ حكيمٌ ﴾ [سورة النور : ١٠] تقديرهُ : لما / أنزلَ عليكم ستر هذه الفاحشة . وكذلك قوله ٧٨ تعالى : ﴿ ولولا فضلُ اللهِ عليكم ورَحمَتُهُ وأنَّ اللهَ رؤفٌ رحيمٌ ﴾ [سورة النور : ٢٠] تقديره : لعجل لكم العذاب . ويدل على المحذوف فى هاتين الآيتين ما تقدمهما .

التاسع : حذف جواب « لمّا » :

وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ فلما أسلما وتَلَّهُ للجَبين وناديناهُ أن ياإبراهيمُ قد صَدَّقْتَ الرُّؤيا ﴾ [سورة الصافات : ١٠٣ – ١٠٥] تقديره : كان ما كان من اغتباطهما بما أنعم الله عليهما من دفع ذلك البلاء .

العاشر : حذف جواب « أما » كقوله تعالى : ﴿ فأما الذين اسوَدَّتْ وُجوهُهم أكفرتمْ بعد إيمانكم ﴾ [سورة آلم عمران : ١٠٦] تقديره : فيقال لهم ؛ أكفرتم بعد إيمانكم .

الحادى عشر : حذف جواب « إذا » كقوله تعالى : ﴿ وإذا قيلَ لهمُ اتقوا ما بين أيديكم وما خَلفَكم لعلّكم تُرحمون ، وما تأتيهم من آية من آياتِ ربهم إلاَّ كانوا عنها مُعرِضين ﴾ [سورة يس : ٤٥] تقديره : وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون « أعرضوا » وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلاّ كانوا أيضاً عنها معرضين .

قال المصنف عفا الله عنه : هذه الأجوبة المحذوفة بعضها يصلح أن يكون فى باب حذف الجمل وبعضها يصلح أن يكون فى باب الأفعال لكن الأئمة أوردوها هكذا فأوردناها كما أوردوها والمتأمل اللوذعى لا يخفى عليه ذلك .

الثانى عشر : حذف المبتدأ تارة والخبر أخرى :

أما حذف المبتدأ فكقول المستهِل : « الهلالُ والله » معناه : هذا الهلال . وكذلك قول من شمّ رائحة طيّبة . « المسكُ واللهِ » وكذلك من رأى شخصًا فقال : « عبدُ الله ورب الكعبة » أى هذا عبد الله .

وحذف المبتَدأ فى القرآن العظيم كثير . منه قوله تعالى : ﴿ فقالوا [1] ساحرٌ كذّابٌ ﴾ [سورة غافر : ٢٤] تقديره : فقالوا : « هذا ساحر كذاب » ومنه : ﴿ إلاّ قالوا ساحرٌ أو مجنونٌ ﴾ [سورة الذاريات : ٥٢] ، ﴿ وقالوا أساطيرُ الأوّلين ﴾ [سورة الفرقان : ٥] وأما حذف الخبر فكقول بعضهم : « خرجتُ فإذا السبعُ » تقديره : قائم أو رابض . وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وطعامُ الذين أوتوا الكتابَ حِلٌّ لكم وطعامُكم حِلٌّ لهم * والمحصنَاتُ من المؤمنات ﴾ . [سورةالمائدة : ٥] تقديره : والمحصنات من المؤمنات كذلك .

وقول الله تعالى : ﴿ فصبرٌ جميل ﴾ [سورة يوسف : ١٨ ، ٨٣] شاهد للوجهين يجوز أن يكون من باب حذف الخبر ومن باب حذف المبتدأ فإن جعلته من حذف المبتدأ كان التقدير : فالأمر أو فأمرى صبر جميل ، وإن جعلته من باب حذف الخبر يكون التقدير / فصبر جميل أجمل . ٧٩

---

(١) ط : (وقالوا) وهو وهم .

وقد يحذفان جملة وهو قليل . ومنه قوله تعالى : ﴿ واللائى يئسن من المحيضِ من نسائكم إنِ ارتبتم فعِدَّتُهنَّ ثلاثةُ أشهُرٍ واللائى لم يَحِضْنَ ﴾ [سورة الطلاق : ٤] تقديره : واللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر .

وأما الأفعال : فحذفها على قسمين :

الأول : ما دلَّ على حذفه بيان مفعوله كما فى قوله تعالى : ﴿ ناقةَ اللهِ وسُقياها ﴾ [سورة الشمس : ١٢] وكقول النبى ﷺ لجابر وقد تزوّج : « هَلاّ بكرًا تلاعبها وتلاعبك » [(١)] . أى : هلا تزوجت جارية بكرًا . وكذلك قولهم : « أهلكَ والليلَ » أى أدرِك أهلك وبادر الليل . ومنه فى القرآن كثير .

الثانى : ما لا يدل عليه مفعوله ولكن يعرف بالنظر .

كقوله تعالى : ﴿ وعُرِضوا على ربك صفا لقد جئتمونا ﴾ [سورة الكهف : ٤٨] ، وقوله تعالى : ﴿ ولقد جئتمونا فُرادَى كما خلقناكم ﴾ [سورة الأنعام : ٩٤] معناه : فقيل (لهم لقد) [(٢)] جئتمونا . وكذلك ﴿ ويومَ يُعرَضُ الذين كفرْوا على النارِ أذْهبتم طيّباتِكم ﴾ [سورة الأحقاف : ٢٠] . وكذلك [(٣)] ﴿ فأجمِعوا أمرَكم وشركاءَكم ﴾ [سورة يونس : ٧١] والمراد فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم . وكذلك قوله تعالى : ﴿ فإذا لقيتُم الذين كفروا فضرْبَ الرقابِ ﴾ [سورة محمد : ٤] أى فاضربوا رقابهم ضربا . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وقالَ الملِكُ ائتونى به أستخلِصْه لنفسى فلمّا كلَّمَهُ قالَ إنك اليومَ ﴾ [سورة يوسف : ٥٤] تقديره : فأتوا به ، فلما كلمه .

---

(١) رواه البخارى (فتح البارى ١٢١/٩) - كتاب النكاح (٦٧) - باب تزويج الثيبات (١٠) . ومسلم (١٠٨٧/٢) - كتاب الرضاع (١٧) - باب استحباب نكاح ذات الدين (١٥) .

(٢) مابين القوسين صوبته عن المثل السائر : ٢٨٧/٢ وكان فى ط (فقيل فقد جئتمونا) .

(٣) هذا يوهم أن آية ﴿ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ﴾ تشبه ما سبقها من آيتين فى قوله : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى ... ﴾ وقوله : ﴿ ويوم يعرض ... ﴾ . وهذا ليس صحيحًا فلا تقدير للقول فى آية : ﴿ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ﴾ مثل سابقتها ولكن التقدير هنا للفعل (ادعوا) . فوجه المشابهة بين هذه الآية وما سبق فى مطلق الحذف للفعل لا فى خصوصه .

(وأما حذف فعل الأمر فله مثال واحد كقوله تعالى : ﴿ إنما أُمِرْتُ أن أعبدَ ربَّ هذه البلدة ﴾ [سورة النمل : ٩١] وقوله تعالى : ﴿ أفغيرَ الله أبتغى حَكما ﴾ [سورة الأنعام : ١١٤] تقديره : قل « أفغير الله أبتغى حكما » [١]) .

وأما الحروف .

أعنى حذف الحروف التى لها معان ، وليست حروف الهجاء التى تكلم النحويون على إثباتها وحذفها وإبدالها ، لأنهم أرادوا بذلك تصحيح الألفاظ وردّها إلى أصولها . وليس هذا من غرضنا فى هذا الكتاب إنما غرضنا الحروف التى يفيد حذفها وإثباتها معنًى لم يكن . وهى عند علماء البيان على قسمين : **مفردة ومركبة** .

فالمفردة : مثل – الواو – التى حذفها مع ما فيه من الإيجاز يجعل للكلام بلاغة ويكون فى معناه أشد وذلك لأن إثباتها يقتضى تغاير المعطوف والمعطوف عليه فإذا حُذِفت أشعر ذلك بأن الكل كالشىء الواحد . ومن ذلك قول أنس ابن مالك رضى الله عنه : « كان أصحاب النبى ﷺ ينامون ثم يصلون ولا يتوضؤون أو قال ثم يصلون لا يتوضؤون فقوله : « لا يتوضؤون » بحذف الواو أبلغ فى تحقيق عدم الوضوء من قوله : (ولا يتوضؤون بإثباتها) [٢] .

٨٠ ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين / آمنوا لا تتخذوا بِطانةً من دُونِكم لا يألونكم خَبالاً وَدُّوا ما عَنتمْ قَد بَدَتِ البغضاءُ من أفواههم ﴾ [سور آل عمران : ١١٨] تقديره : ولا يألونكم خبالا (وودوا ما عنتم) [٣] وقد بدت البغضاء .

---

(١) مابين القوسين كذا فى (ط) ، ولا شك أنه كلام لحقه التحريف والتبديل أو وهم من المصنف .

(٢) كان فى (ط) : (كان أصحاب النبى ﷺ ينامون ثم يصلون لا يتوضءون – إثبات الواو أدل على عدم الوضوء من قوله لا يتوضءون) . وهى عبارة محرفة . وقد أثبت نص عبارة ابن الأثير فى المثل السائر (٢/٣١٥ ، ٣١٦) . وانظر تحقيق هذه المسألة الفقهية فى : نيل الأوطار للشوكانى ١/١٩٣ .

(٣) مابين المعقوفين زدتها من المثل السائر : ٢/٣١٦ .

وقد ثبت الواو فيما من شأنه أن لا يكون فيه واو فيكون ذلك أيضًا أبلغ وأحسن كما فى قوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم ﴾ [سورة الحجر : ٤] .

وأما المركب فكثير وهو على أقسام :

الأول : حذف – لا – فى قوله تعالى : ﴿ تاللهِ تَفتأُ تَذكُرُ يوسُف ﴾ [سورة يوسف : ٨٥] تقديره : لا تفتأ تذكر يوسف ، أى لا تبرح . ومنه قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يُطيقونهُ فِدْيةٌ طعامُ مسكينٍ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٤] تقديره : وعلى الذين لا يطيقونه ، على قول بعض المفسرين . ومثله فى القرآن العظيم كثير . ومنه قول امرىء القيس :

فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْـرَحُ قَاعِـدًا ... ولَوَ قَطَّعُوا رَأْسِى لَدَيْكِ وَأَوْصَالى [1]

معناه : لا أبرح قاعدًا .

الثانى : حذف – لو – وهو فى قوله تعالى : ﴿ ما اتخذَ اللهُ من وَلد وما كان معهُ من إلهٍ إذًا لذَهبَ كلُّ إله بما خلَقَ ولَعَلاَ بعضُهم على بعضٍ ﴾ [سورة المؤمنون : ٩١] تقديره : لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق . وقوله تعالى : ﴿ وما كنتَ تتلو من قبلِهِ من كتابٍ ولا تخُطهُ بيمينكَ إذاً لارتابَ المبطلون ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٨] معناه : لو فعلت ذلك لارتاب المبطلون . ومن هذا النوع قول الشاعر [2] :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إبلى ... بَنُو اللَّقيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بنِ شَيْبَانَا

إذاً لَقَامَ بنصرى مَعْشَرٌ خُشُنٌ ... عِنْدَ الْحَفِيظَةِ إنْ ذُو لُوثَةٍ لانَا [3]

تقديره : إذ [4] لو كنت منهم لقام بنصرى .

---

(١) ديوانه : ٣٢ ، والصناعتين : ١٩٠ ، والمثل السائر : ٣١٤/٢ .

(٢) هو قُرَيْط بن أنيف بصيغتى التصغير من قُرْط وأنف شاعر جاهلى ، افتتح أبو تمام ديوان الحماسة بمقطوعته التى منها هذا الشعر .

(٣) ديوان الحماسة ٥٧/١ ، والمثل السائر : ٣٠٨/٢ .

(٤) ط : (إذاً) وهو خطأ والتصويب من المثل السائر .

الحذف القبيح : وسبب قبحه إخلاله بالمعنى . قال ابن الأثير [(١)] : ومن الحذف أيضاً المخلّ بالمعنى . وهو يُطلق على ما يحذف من أصل اللفظ وهو إسقاط بعض حروفه . ولا يجوز استعماله فى القرآن العظيم ولا فى التأليف لكنه يجوز فى الشعر لأن العرب قد أوردته فى أشعارها واستعملته فى كلامها فحذفت بعض الألفاظ استخفافا حذفا لا يخل بالباق (ويعرض له بالشبهة) [(٢)] . فمنها قول عَلْقَمةَ [(٣)] :

كَأَنَّ إِبْرِيقَهُمْ ظَبْىٌ عَلَى شَرَفٍ ... مُفَدَّمٌ بِسَبا الْكَتَّانِ مَلْثُـومُ [(٤)]

فقوله : بسبا الكتان – يريد بسبائب الكتان . وكذلك قول لبيد :

٨١ / * دَرَسَ المَنا بمُتَالعٍ فأَبانِ * [(٥)]

أراد المنازل . وعلى نحو من هذا جاء قول أبى دُوَاد : [(٦)]

يُذْرِينَ جَنْدَلَ حَائِرٍ لِجُنُـوبِها ... فَكَأَنَّها تُذكى سَنَابِكَها الحُبا [(٧)]

أراد الحُباحِب . « والحُباحِب » طائر على مثال الجُنْدُب الصغير يُرى

---

(١) الجامع الكبير : ١٤١ .

(٢) ط : (وتعَرّض بالشبهة) . وهو كلام لا معنى له . وما أثبته لفظ الجامع الكبير .

(٣) علقمة بن عَبَدَه (بفتح العين والباء) شاعر جاهلى كان معاصرًا لامرىء القيس .

(٤) ديوانه : ٧٠ ، والعمدة ٢٥٣/١ ، ونقد الشعر لقدامة (٢١٩) ، والمثل السائر ٣١٨/٢ ، والجامع الكبير : ١٤١ .

(٥) وعجزه : وتقادَمَتْ بالحُبْسِ فالسُّوبانِ .

ديوانه : ٢٠٦ والعمدة ٢٥٤/١ ، والجامع الكبير : ١٤١ .

(٦) هو جارية بن الحجاج الإيادى شاعر جاهلى قديم . كان من وُصّاف الخيل المعدودين .

(٧) وقع البيت محرفًا فى (ط) حيث جاء :

يذرين جندل جابر بجنوبها فكأنما ...

وقد صوبته عن لسان العرب (حبحب) يقول : تُصيب بالحصى فى جريها جنوبها . و(الحائر) فى البيت : المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف . راجع اللسان مادة (حير) ، والبيت فى شعر أبى دؤاد الذى جمعه غرنباوم ضمن (دراسات فى الأدب العربى : ٣٤٩) ، والمثل السائر : ٣١٩/٢ .

منه نور ضعيف ليلا [١] . وهذا وأمثاله قليل جدًا . وإياك أيها المؤلف أن تستعمله فى كلامك وإن كان جائزًا ، وقد ورد فى أشعار العرب مثله .

قال المصنف عفا الله عنه : هذا الذى ذكره ابن الأثير فيه نظر لأنه قد صح عن ابن عباس وجماعة من أكابر الصحابة والسلف الصالح أن هذه الحروف التى فى أوائل السور كل حرف منها دال على كلمة حُذف أكثرها ودل هذا المنطوقُ به على المحذوف . وقالوا إن معنى ﴿ آلم ﴾ أنا الله الملك . وقالوا ﴿ كهيعص ﴾ [سورة مريم : ١] أن الكاف من « كافٍ » والهاء من « هادٍ » . واستدلوا على ذلك بأن العرب استغنت بذكر حرف من الكلمة عن ذكرها فى كثير من كلامها وأشعارها ففهمت المراد من ذلك الحرف . ومنه قول الشاعر :

جاريةٌ قد وعدَتنى أن تـا　　　تدْهنَ رأسى أو تفلى أو تا [٢]

أراد : أن تأتى وتدهن رأسى تفلى أو تمسح . وقال آخر :

نَادَوْهُمُ أن تُلْجموا أَلا تا　　　قَالُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ أَلاَفَا [٣]

وقال آخر :

قلتُ لها ألا قفى قالت قافْ　　　لا تحسبنْ أنّا نسينا الإلحافْ [٤]

أى قف أنت . ومثل هذا فى أشعار العرب وكلامهم كثير ، وإذا كثر استعماله كان من الكلام الفصيح معدودًا وحسن فى التركيب وكلما بَعُدَ غَوْرُ

---

(١) وقيل الحُباحب : ذباب يطير بالليل كأنه نار ، له شعاعٌ كالسراج . وانظر اللسان (حبحب) .

(٢) شرح شواهد الشافية : ٢٦٩ ، وفى الخصائص : ٢٩١/١ ، واللسان (نتأ ، وقنف ، وفلى) مع اختلاف يسير فى لفظيهما .

(٣) شرح شواهد الشافية : ٢٦٤ . وأراد بقوله : (ألاتا) : أى (ألا تركبون) ، و (ألافا) : أى (ألافاركبوا) .

(٤) للوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط . شرح شواهد الشافية : ٢٧١ ، والخصائص : ٣٠/١ .

الكلمة واستعجم معناها كان فهمه بأول وهلة دليلا على صحة الأفهام وجودة الغرائز وسلامة الطباع وحسن موقع اللفظ به [١] .

* * *

(١) هذا ليس صحيحًا ، وهو كلام على إطلاقه دون دليل ، ولو فتحنا باب القول بالحذف دون دليل لكان فى هذا من الفساد واضطراب اللغة مافيه ، ولجاز لكل واحد أن يدعى فى كلامه ما لا يشير إليه بحال معتمدًا على القول بالحذف . وكلام ابن النقيب فى هذه الجزئية مضطرب مع أول كلامه فى هذا الباب ونقله اشتراط الدليل على المحذوف . وإشباع القول فى هذه المسألة له مكان آخر غير هذا إن شاء الله تعالى .

فصـــل

82 ومن أنواع المحذوف أن يكون اللفظ مركبًا ولكن ليس بكلام وذلك / كقوله تعالى : ﴿ قال كذلك قال ربكِ هو عليَّ هَيِّنٌ ولنجعله آيةً للناس ﴾ [سورة مريم : ٢١] تقديره : وجعلناه لنجعله آية للناس فيكون المحذوف ههنا هو السبب والدال عليه هو سببه [١] . وقد يكون بعكس هذا كما فى قوله تعالى : ﴿ فإذا قرَأتَ القرآنَ فاستعِذْ باللهِ من الشيطانِ الرجيم ﴾ [سورة النحل : ٩٨] تقديره : وإذا أردت قراءة القرآن ، فالمحذوف هنا الإرادة وهى سبب القراءة . ويجوز أن يكون التقدير : وإذا قرأت القرآن وحضرك الشيطان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم [٢] .

* * *

(١) انظر المثل السائر : ٢/٢٧٣ .

(٢) انظر المثل السائر : ٢/٢٧٤ .

القسم الثالث والعشرون
في
التقديم والتأخير (*)
والكلام عليه من وجوه ثلاثة

الأول : فى ذكر المعنى الذى أتى به من أجله .

الثانى : فى هل هو من المجاز [١] أم لا .

الثالث : فى أقسامه .

أما الأول : فإنهم أتوا به دلالة على تمكنِهم فى الفصاحة ، وملكتِهم للكلام وتلعبِهم به ، وتصرفِهم فيه على حكم ما يختارونه ، وانقيادِه لهم لقوة ملكتهم فيه وفى معانيه ؛ ثقةً بصفاء أذهانهم . وغرضهم فيه أن يكون اللفظ وجيزًا بليغًا وله فى النفوس حسن موقع وعذوبة مذاق .

وأما الثانى : فقد اختلف أرباب علم البيان فيه ، فقال قوم : هو من المجاز لأن فيه تقديمَ ما رتبته التأخير كالمنقول ، وتأخيرَ ما رتبته التقديم كالفاعل والمفعول به ، فى نقل كل واحد منهما [٢] على رتبته وحقه .. وقال قوم : ليس هو من المجاز ، لأن المجاز نقل مما وضع له إلى ما لم يوضع له .

وأما الثالث : فقال علماء هذا الشأن [٣] : أقسامه أربعة . وقالوا :

(*) بحث التقديم فى : دلائل الاعجاز : ١٠٦ ، ونهاية الإيجاز : ٢٩٨ ، والمعيار : ٤٢ ، والجامع الكبير : ١٠٨ ، ١٧٦ ، والمثل السائر : ٢/٢١٠ .

(١) كذا فى ط .

(٢) كذا فى (ط) ، ولعل صوابها (عن) .

(٣) مأخوذ بشىء من التصرف عن ابن الأثير .

التقديم والتأخير لا يخلو إما أن يكون مُوجبًا لزيادة فى المعنى ، أو لا يكون كذلك . وإما أن يكون ما قُدّم الأولى به التقديمُ ، أو الأَوْلَى به التأخيرُ ، أو يتكافأ الأمران فيه .

أما الأول : – فهو ما يلزم فيه زيادة معنى – فلا يخلو إما أن يكون المقصود بتقديمه زيادةُ المعنى خاصة كقوله تعالى : ﴿ إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعينُ ﴾ [سورة الفاتحة : ٥] فإنّ المقصود بتقديم « إيَّاك » تعظيمُ الله سبحانه وتعالى والاهتمامُ بذكره مع إفادة اختصاص العبادة والاستعانة بالله تعالى ؛ ليصير الكلام حسنًا متناسقًا . ولو قال : نعبدك ونستعينك ، لم يكن الكلام متناسبًا [١] . / وكذلك ٨٣ قوله تعالى : ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبها ناظرةٌ ﴾ [سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣] فإن هذا مع إفادته أن نظرها لا يكون إلا إلى الله تعالى يفيد فى [٢] جودة انتظام الكلام . وكذلك قوله تعالى : ﴿ والتفت الساقُ بالساقِ إلى رَبِّك يومئذٍ المساقُ ﴾ [سورة القيامة : ٢٩ ، ٣٠]

وأما [٣] ما يراد بتقديمه زيادة المعنى فقط . فمنه تقديم المفعول فى قوله

---

(١) فى قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ خلاف بين علماء البيان فى النكتة التى من أجلها تقدّم المفعول به على عامله ، فذهب الزمخشرى إلى أن ذلك للاختصاص أى ما نعبد إلا إياك ولا نستعين إلاّ بك . وخالف جماعة منهم ابن الأثير الذى ذهب إلى أن ذلك مراعاة لنظم الكلام وتحسينه فلو قال « نعبدك ونستعينك » لم يكن فيه هذا الحسن الذى للتقديم والتأخير فى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

وقد جمع هنا – ابن النقيب – بين هذين الرأيين ، وجعلهما فى معرض واحد . وقد ذهب إلى مثل ذلك ابن أبى الحديد حيث لم يرد مانعًا من الجمع بين القولين : القول بالاختصاص والقول بمراعاة نظم الكلام وحسنه . انظر : الفلك الدائر : ٢٤٨ بنهاية الجزء الرابع من المثل السائر . مع ملاحظة اضطراب موقف ابن الأثير من هذه الآية حيث ذهب فى الجامع الكبير : ١٠٩ إلى أنّ العلة فى التقديم والتأخير فى الآية الاختصاص ، وخالف ذلك فى المثل السائر . وانظر فى الآية : الكشاف ، والبحر المحيط ، وتفسير ابن عطية .

(٢) كذا فى (ط) . وقياس قوله السابق فى ص ١٦٦ : « أما الأول فهو ما يلزم فيه زيادة معنى – فلا يخلو إما أن يكون المقصود بتقديمه زيادة المعنى خاصة ... الخ » أن يعطف على (إما) بالحرف (أو) ، أو بإمّا مكررة . والكلام أشعر أن فيه شيئًا من البتر .

(٣) كذا فى (ط) .

تعالى : ﴿ قل أفغيرَ الله تأمرونّى أعبدُ أيها الجاهلونَ ﴾ [سورة الزمر : ٦٤] . وكذلك : ﴿ بلِ الله فاعبدْ وكن منَ الشاكرين ﴾ [سورة الزمر : ٦٦] فإن المراد ها هنا بتقديم المفعول لتخصيصه [١] بالعبادة ولو أخّره ما أفاد ذلك ، فإنه لو قيل : « ضَربتُ زيدًا » ، لم يشعر ذلك باختصاص زيد بالضرب ، ولا كذلك لو قيل : « زيدًا ضربت » .

ومنه تقديم الخبر على المبتدأ كما فى قوله تعالى : ﴿ وظنوا أنهم مانِعَتُهُمْ حُصُونُهمْ من الله ﴾ [سورة الحشر : ٢] ولو قال : وظنوا أن حصونهم من الله مانعتهم لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها إياهم . وكذلك ﴿ أراغبٌ أنت عن آلهتى يا إبراهيم ﴾ [سورة مريم : ٤٦] ولو قال : « أأنت راغب عنها » ما أفاد زيادة الإنكار على إبراهيم بالرغبة عنها . وكذلك : ﴿ واقترب الوعدُ الحقُّ فإذا هى شاخِصةٌ أبصارُ الذين كفروا ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٧] ولم يقل : فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة ، وكان يستغنى عن الضمير : لأن هذا لا يفيد اختصاص الذين كفروا بالشخوص ولا اختصاص الذين كفروا بالضمير [٢] . وكذلك قوله ﷺ فى البحر : « هو الطهور ماؤه الحِلُّ مَيْتَتُه » [٣] .

وكذا تقديم الظرف فى الإثبات [٤] كقوله تعالى : ﴿ إن إلينا إيابهم ثم إنّ علينا حسابَهم ﴾ [سورة الغاشية : ٢٥ - ٢٦] .

وتقديم الجار والمجرور كقوله تعالى : ﴿ له الملكُ وله الحمدُ ﴾ [سورة

---

(١) كذا فى (ط) .

(٢) كذا فى (ط) .

(٣) رواه أبو داود (٦٤/١) فى كتاب الطهارة (١) - باب الوضوء بماء البحر (٤١) ، والترمذى (١٠١/١) فى أبواب الطهارة ، ماجاء فى ماء البحر أنه طهور ، والنسائى (٥٠/١) فى كتاب المياه ، باب الوضوء بماء البحر (٤٧) ، وابن ماجه (١٣٦/١) كتاب الطهارة (١) ، باب الوضوء بماء البحر (٣٨) قال ابن الأثير « وتقدير الكلام : هو الذى ماؤه طهور ، وميتته حِلّ ، لأن الألف واللام هاهنا بمعنى الذى » المثل السائر : ٢١٦/٢ .

(٤) كان فى ط : (المهيات) وهو تحريف . والتصويب عن المثل السائر : ٢١٧/٢ .

التغابن : ١] فإن هذا يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى وأما إذا كان الظرفُ فى النفى فإن تقديمه يفيد تفضيل المنفى عنه كما فى قوله تعالى : ﴿ لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنزَفون ﴾ [سورة الصافات : ٤٧] أى ليس فى خمر الجنة ما فى خمر غيرها من الغَول . وأما تأخيره فإنما يفيد النفى فقط كما فى قوله تعالى : ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ [سورة البقرة : ٢٠١] وكذلك إذا قلت : « لا عيب فى الدار » كان معناه نفى العيب عن الدار . وإذا قلت : « لا فى الدار عيب » كان معناه أنها تفضل على غيرها بعدم العيب .

وأما الثانى فهو مالا يلزم تقديمه زيادة فى المعنى ومع ذلك يكون تقديمه أحسن وهذا إنما يكون كذلك لأمر يتعلق بالمتقدم والمتأخر أو لأمر خارج عنهما . والذى لأمر يتعلق بهما إما أن يكون ذلك بالنسبة إلى شيء خارج عنهما أولا يكون كذلك .

فالأول : كما إذا كان التقدم أدل على قدرة الخالق من التأخر كقوله تعالى : ﴿ فمنهمْ من / يمشى على بطْنِهِ ومنهمْ مَنْ يمشى على رجلينِ ومنهمْ منْ يمشى على أربع ﴾ [1] [سورة النور : ٤٥] .

٨٤

والثانى : إما أن يكون للمتقدم تأثير فى وجود المتأخر أو لا يكون كذلك [2] ...

والثانى [3] كما إذا كان المتقدم أكثر وجوبا [4] كما فى قوله تعالى : ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ [5] [سورة فاطر : ٣٢]

---

(١) قال ابن الأثير : فإنه إنما قدّم الماشى على بطنه ، لأنه أدلّ على القدرة من الماشى على رجلين ، إذ هو ماشٍ بغير الآلة المخلوقة للمشى ، ثم ذكر الماشى على رجلين ، وقدمه على الماشى على أربع لأنه أدلّ على القدرة أيضا حيث كثرت آلات المشى فى الأربع . وهذا من باب تقديم الأعجب فالأعجب . (المثل السائر ٢/٢٢٤) .

(٢) أشار مصحح (ط) – عند هذا الموضع – إلى أنّ هنا بياضا فى الأصل .

(٣) أى : ماليس للمتقدم تأثير فى وجود المتأخر .

(٤) كذا فى (ط) .

(٥) قال ابن الأثير : (وإنما قدّم الظالم لنفسه للإيذان بكثرته ، وأنّ معظم الخلق عليه ، ثم أتى =

والأول : إما أن يكون المتقدم فى الوجود المتأخر [١] بالذات أو بالعرض . أمّا الذى بالذات فكما فى قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا من السماء ماءً طهورا لنحييَ به بلدة ميتًا ونسقيَهُ مما خلَقنا أنعامًا وأناسيَّ كثيرًا ﴾ [سورة الفرقان : ٤٨] فإنه قدم الأنعام لأن صلاح حالها سبب لصلاح حال الناس . وأما الذى بالعَرَض فكما فى قوله تعالى : ﴿ إياكَ نعبُدُ وإياكَ نستعين ﴾ [سورة الفاتحة : ٥] فإنه قدم العبادة لأنها وسيلة إلى تحصيل الاستعانة . وأما الذى يكون كذلك لأمر خارج عن المتقدم والمتأخر فإما أن يكون ذلك لأجل كلام تقدم أو لا يكون كذلك . والذى لأجل الكلام المتقدم إما أن يكون لتعلق المذكور أوّلا به أو لتعلقه هو بالمذكور أوّلا .

والأول : كما فى قوله تعالى : ﴿ وما يَعزُبُ عن ربك من مثقال ذَرَّةٍ فى الأرضِ ولا فى السماءِ ﴾ [سورة يونس : ٦١] فإنه قدم « الأرض » لأن هذا بعد قوله تعالى : ﴿ ولا تعمَلون من عمل إلا كنّا عليكم شُهودًا إذ تُفيضون فيه ﴾ [سورة يونس : ٦١] وهذا الخطاب لأهل الأرض وعملهم يكون فى الأرض .

والثانى : إما أن يكون ذلك لما يتعلق بمعنى الكلام الأول أو بلفظه . والمتعلق بمعناه كما فى قوله تعالى : ﴿ فمنهم شقى وسعيدٌ ﴾ [سورة هود : ١٠٥] فإنه قدم الشقى لأن المراد بهذا وما قبله التخويف . والمتعلق بلفظه كما فى قوله تعالى : ﴿ فأما الذين شَقُوا ففى النارِ ﴾ [سورة هود : ١٠٦] ثم قال : ﴿ وأما الذين سُعدوا ففى الجنة ﴾ [سورة هود : ١٠٨] فإن تقديم حال الأشقياء ها هنا لأجل تقديمه أوّلا الشقى .

= بعده ، بالمقتصدين ، لأنهم قليل بالإضافة إليه ، ثم بالسابقين وهم أقلّ من القليل . أعنى من المقتصدين – فقدّم الأكثر . وبعده الأوسط ، ثم ذكر الأقل آخرا . ولو عكست القضية لكان المعنى أيضًا واقعًا فى موقعه ، لأن يكون قد روعى فيه تقديم الأفضل فالأفضل) المثل السائر : ٢/٢٢٤ .

(١) كذا فى (ط) .

والذى يكون كذلك لا لأجل المتقدم إما أن يكون لأجل حال فى الكلام نفسه أولا يكون كذلك .

والثانى كما فى قوله تعالى : ﴿ يَهبُ لمن يشاءُ إناثاً ويَهَبُ لمن يشاء الذُّكور ﴾ [سورة الشورى : ٤٩] فإن تقديم الإناث هنا إنما كان لأن المقصود بيان أن الخلق كله بمشيئته سبحانه وتعالى لا على وفق العباد .

والأول كما إذا كان يتم بذلك السجع وذلك كما فى هذه الآية وكما فى قوله تعالى ﴿ خذوه فغلّوهُ ثم الجحيمَ صلّوهُ ﴾ [سورة الحاقة : ٣٠ ، ٣١] ولو قال : « ثم صلوه الجحيم » لأفاد المعنى ولكن كان يفوت السجع فلذلك كان الأحسن تقديم الجحيم . وقيل / أن هذه الصورة تفيد أيضًا الاختصاص كما فى القسم الأول .. ٨٥ قال الإمام فخر الدين وهو الذى يظهر لى وإن منعه الآخرون .

فهذه أسباب عشرة ، وقد يجتمع فى شىء واحد عدة منها فيكون تقديمه أولى ، وإذا تعارضت أسباب روعى أقواها ، وإن تساوت كان المتكلم بالخيار فى تقديم أى الأمرين معًا .

وأما الثالث فهو الذى لا يلزم تقديمه زيادة فى المعنى ويكون الأحسن تأخيره ، فإذا قُدّم كان ذلك مفاضلة معنوية . وذلك كتقديم الصفة على الموصوف والعلة على المعلول ونحو ذلك . وهذا لا يمكن وروده فى القرآن لركته وَسَمَاجته . مثاله قول الفرزدق [١] :

وَمَا مِثْلُهُ فِى النَّاسِ إلا مُمَلَّكًا أَبُو أُمِّهِ حَىٌّ أَبُوهُ يُقارِبُهْ [٢]

معناه : وما مثله فىَ الناس حى يقاربه إلا مُملكا أبو أمه أبوه . وقال أيضًا :

---

(١) هو هَمام بن غالب أبو فراس الشهير بالفرزدق . من الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين . وتوفى ١١٠ هـ .

(٢) ديوانه ١٠٨/١ ، والصناعتين : ١٦٨ ، ودلائل الإعجاز : ٨٣ ، والجامع الكبير : ٢٣١ ، والمثل السائر : ٢٢٢/٢ .

إلى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلا كَانَتْ كُلَيْبٌ تُصَاهِرُهْ (١)

معناه إلى ملك أبوه ما أمه من محارب ، أى ما أم أبيه منهم . وقال أيضًا :

وَلَيْسَتْ خُرَاسَانُ التى كان خالدٌ بها أسدٌ إذ كان سَيفًا أميرُها (٢)

معناه ليست خُراسانُ بالبلدة التى كان خالد بها سيفًا إذ كان أسد أميرها . والغرض مدح خالد وذم أسد المتولى بعده .

وأما الرابع : فهو ما يتكافأ تقديمه وتأخيره : وهذا كالحال فإنه يقدّم كقولك : « جاء راكبًا زيد » ، ويؤخر كقولك : « جاء زيد راكبًا » وهما سواءٌ ، وكذلك المستثنى كقولنا : « ما قام إلا زيداً أحد » « وما قام أحد إلا زيدًا » .

وقد وقع فى الكتاب العزيز (٣) آيات فيها تقديم وتأخير جارية على نمط ما تقدّم . من ذلك قوله تعالى : ﴿ حتى تستأنسوا وتُسلّموا على أهلِها ﴾ [سورة النور : ٢٧] وقوله تعالى : ﴿ ولقد كتبنا فى الزّبور من بعَدِ الذّكرِ ﴾ [سورة الأنبياء : ١٠٥] على قول من قال إن الذكر ها هنا القرآن .

وقال بعض العلماء فى قوله تعالى : ﴿ ولقد هَمَّت به وهمَّ بها لولا أن رَأى بُرْهانَ ربهِ ﴾ [سورة يوسف : ٢٤] إن فى الكلام تقديمًا وتأخيرًا تقديره :

---

(١) ديوان الفرزدق ٣١٢/١ ، والمثل السائر : ٢٢١/٥٢ ، والجامع الكبير : ١١٣ فى مدح الوليد ابن عبد الملك بن مروان .

(٢) المثل السائر : ٢٢١/٢ ، والجامع الكبير : ١١٣ ، وكان فى ط (الذى) قال ابن الأثير : (وحديث هذا البيت ظريف ، وذلك أنه فيما ذكر يمدح خالد بن عبد الله القَسْرِى ، ويهجو أسدًا ، وكان أسدٌ وليها بعد خالد ، وكأنه قال : وليست خراسان بالبلدة التى كان خالدٌ بها سيفا إذ كان أسدٌ أميرها وعلى هذا التقدير ففى (كان) الثانية ضمير الشأن والحديث ، والجملة بعدها خبر عنها ، وقُدّم بعض ما (إذ) مضافة إليه ، وهو (أسد) عليها . وفى تقديم المضاف إليه أو شىء منه على المضاف من القبح مالاخفاء به) المثل السائر ٢٢١/٢ .

(٣) من هذه الفقرة إلى آخر الحديث عن التقديم والتأخير لم أقع عليه فى مصادر المؤلف التى بين يدىّ ، فلعلها من مصادره المفقودة : نهاية التأميل أو اللمع . أو من زياداته هو .

ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه همّ بها . وهذا حَسنٌ لكن فى تأويله قلَق . ولا يُضطر إلى هذا التأويل إلا على قول من قال : إن الأنبياء معصومون من الكبائر والصغائر . وأما على قول من قال : إن الصغائر يجوز وقوعها منهم ، فلا يضطر إلى هذا التقديم والتأخير .

ومنه أيضًا قوله تعالى : ﴿ اقتربت / الساعةُ وانشقّ القمرُ ﴾ [سورة القمر : ١] وقوله تعالى : ﴿ فجعلهُ غُثاءً أحوَى ﴾ [سورة الأعلى : ٥] والتقدير : فجعله أحوى غثاء ، ومثله قول الشاعر [(١)] : ٨٦

طَافَ الْخَيَالُ وأين منكَ لماما فَارْجِعْ لِزَوْرِكَ بالسَّلامِ سَلاما [(٢)]

تقديره : طاف الخيال لمامًا وأين منك . وقال الفرزدق :

نُفلّقُ – ها – مَن لم تَنلْهُ سُيُوفُنَا بأسيافِنا هامَ الملوكِ القَماقم [(٣)]

تقديره نفلّق بأسيافنا هام الملوك القماقم ومن لم تنله سيوفنا ، و« ها » للتنبيه تقديره : تنبهوا لهذا المعنى . وإنما دعاه إلى التقديم والتأخير إيقاع اللبس على السامع وجعله من باب الألغاز .

* * *

(١) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفَى . من الطبقة الأولى من شعراء الإسلاميين . توفى ١١٠ هـ .

(٢) مطلع قصيدة له فى هجاء الفرزدق والبعيث . شرح ديوان جرير : ٥٤١ .

(٣) لم أجده فى ديوانه .

القسم الرابع والعشرون
فى
الجمع بين الحقيقة والمجاز
فى لفظة واحدة

والجمع بينهما – عند من رآه مجازًا [1] ؛ لأنه استعمال اللفظ فى غير ما وضع له فإنه وضع للحقيقة وحدها ثم استعمل فيها وفى المجاز . وله أمثلة .

أحدها : فى قوله تعالى : ﴿ أولئك عليهم لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين ﴾ [سورة البقرة : ١٦١] – « ولعنة الله » إبعاد ، « ولعنة الملائكة والناس » – دعاؤهم بالإبعاد . وقد جمعهما فى لفظة واحدة . ومن لا يرى ذلك يُقَدِّر : أولئك عليهم لعنة الله ولعنة الملائكة فيكون من مجاز الحذف .

والثانى : منه قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصَلُّون على النبى ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٦] « الصلاة » حقيقة فى الدعاء مجاز فى إجابة الدعاء ، لأن الإجابة مسببة عن الدعاء . فصلاة الملائكة حقيقة لأنها دعاء ، وصلاة الله من مجاز التعبير بلفظ السبب الذى هو الدعاء عن المسبب الذى هو الإجابة ، وقد جمع بينهما فى قوله – ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى ﴾ فيكون الضمير فى « يصلون » لله والملائكة ، وجمعه معهم فى الضمير مستكره فإن رسول الله ﷺ أنكر على بعض خطباء العرب قوله : « ومن يعصهما فقد غوى » / ، – وقال : « بئس خطيبُ القوم أنت » [2] . وقد جمع بينهما عليه الصلاة والسلام فى قوله : « أن

٨٧

---

(١) كذا فى (ط) .

(٢) أخرجه مسلم (٥٩٤/٢) – كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة – حديث رقم ٤٨ بلفظ (بئس الخطيب أنت) وقال له ﷺ : (قل : ومن يعص الله ورسوله) .

يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما (١) » وفى قوله عليه الصلاة والسلام : « فإن الله ورسوله يُصَدِّقانكُمْ ويَعْذُرانِكُم (٢) » .

وإنما أنكر على الأعرابى الجمع لاعتقاده التسوية بينهما والرسول عليه الصلاة والسلام آمنٌ من ذلك . ومن لا يرى الجمع بين الحقيقة والمجاز يقدر : إن الله يصلى على النبى ، وملائكته يصلون على النبى ؛ فيكون « يصلون على النبى » حقيقة فى حق الملائكة ويكون « يصلى » المقدرة مجازًا فى حق الله . وكذلك القول فى قوله تعالى : ﴿ هو الذى يصلى عليكم وملائكته ﴾ [سورة الأحزاب : ٤٣] فى الجمع بين الحقيقة والمجاز وإفرادهما .

ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ واللهُ ورسولهُ أحقُّ أن يُرضوهُ ﴾ [سورة التوبة : ٦٢] لو قال أحق أن يرضوهما لكان جامعًا بين الله ورسوله فى الضمير وبين الحقيقة والمجاز فإن رضا الرسول عليه الصلاة والسلام ورضا الله تعالى مجازى . ومن لا يرى ذلك يقول : والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه كقول الشاعر :

نحنُ بما عندنـــا وأنت بما عندك راضٍ والرَّأىُ مختلفٌ (٣)

* * *

(١) فى صحيح البخارى (فتح البارى : ١/٦٠) : كتاب الإيمان (٢) - باب حلاوة الإيمان (٩) عن أنس : « ثلاثٌ مَنْ كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممّا سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يُقْذَف فى النار » .

(٢) قاله رسول الله ﷺ للأنصار لما قال ﷺ : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » وكان النبى ﷺ قد أباح لهم دم القرشيين قبل ذلك ، فقال الأنصار عند ذلك عن النبى ﷺ : « أخذته رأفة بعشيرته ورغبة فى قريته » فنزل الوحى على رسول الله ﷺ بذلك فعاتبهم ، فقالوا « والله ما قلنا إلا ضنًّا بالله ورسوله ، فرد عليهم عندئذ بقوله : « فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم » . انظر : صحيح مسلم (٣/١٤٠٦ ، ١٤٠٨) - كتاب الجهاد والسير (٣٢) - باب فتح مكة (٣١) - حديث رقم ٨٤ ، ٨٦ .

(٣) اختلف العلماء فى قائل هذا البيت ، فعزاه بعضهم إلى عمرو بن امرىء القيس من الخزرج =

وهذه الأربعة وعشرون قسما التى ذكرناها من أقسام المجاز تحت كل قسم منها أقسام كثيرة يعرف ذلك من تأملها ونظر فيها .

* * *

وحيث انتهى الكلام فى الفصاحة والبلاغة والحقيقة والمجاز فلنأخذ فى ذكر ما تضمنه الكتاب العزيز من فنون البلاغة وعيون الفصاحة وضروب علم البيان وبدائع البديع وأجناس التجنيس .

ولنبدأ من ذلك فيما يتعلق بالمعانى ثم نتلوه بما يتعلق بالألفاظ والاعتماد فى ذلك معونة الله تعالى وتوفيقه وتيسيره وهدايته إلى الصواب والإرشاد إلى ما يؤدى إلى جزيل الثواب وحسن المآب .

أما ما يختص بالمعانى فينقسم إلى أقسام [1] :

* * *

= شاعر جاهلى ، وبعضهم إلى قيس بن الخطيم (انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٣٩/١ ، وحاشية الدكتور سزكين عليها وكتاب سيبويه ٧٥/١) .

وهذا البيت من أبيات سبعة قطع الدكتور ناصر الدين الأسد بأنها ليست لقيس بن الخطيم (انظر ديوان قيس بن الخطيم : ١١٤ - ١١٥) وأنها لعمرو بن امرىء القيس وذكرها البغدادى فى خزانة الأدب معزوة له (٢٧٥/٤) .

(١) هذا هو الفن الأول : « فيما يتعلق بالمعانى من البلاغة » وجعله المؤلف أربعة وثمانين قسمًا ، ثم بعده الفن الثانى : « فيما يتعلق بالألفاظ من الفصاحة » وتحته أربعة وعشرون قسمًا .

القسم الأول

التناسب

ويسمى التشابه أيضا (*)

وهو ترتيب المعانى المتآخية التى تتلاءم ولا تتنافر [١] . والقرآن العظيم كله متناسب / لا تنافر فيه ولا تباين . ومنه قول النابغة : ٨٨

الرِّفْقُ يُمْنٌ والأَنَاةُ سَعَادَةٌ فَاسْتَأْنِ فِي رِفْقٍ تُلاقِ [٢] نَجَاحَا
وَالْيَأْسُ عَمَّا [٣] فَاتَ يُعْقِبُ رَاحَةً وَلَرُبَّ مَطْعَمَةٍ تَعُودُ ذُبَاحَا [٤]

(*) « التناسب » تسمية الزنجانى فى المعيار : ٨٦ ، قال : « ويسمى التشابه أيضا . وعقد ابن الأثير بابا سماه « التناسب بين المعانى » وهو النوع الرابع والعشرون من مقالته الثانية فى الصناعة المعنوية (المثل السائر : ١٤٣/٣) ، وتحدث في ثنايا ذلك عما أسماه « المؤاخاة بين المعانى والمؤاخاة بين المبانى » (المثل السائر : ١٥٣/٣ - ١٥٩) . وسمّى ابن أبى الإصبع هذا الفن « المناسبة » وقسّمها إلى لفظية ومعنوية (تحرير التحبير : ٩٢ ، وبديع القرآن : ١٤٥) . وذكر السيوطى أن هذا الفن يسمى أيضًا « مراعاة النظير ، والتوفيق ، والائتلاف ، والمؤاخاة » ، وجعله أقساما ثلاثة : أن يناسب اللفظ المعنى الثانى : أن يناسب اللفظ اللفظ . الثالث : أن يناسب المعنى المعنى (شرح عقود الجمان ١٠٨ ، ١٠٩) وهو متابع فى هذا الطيبى فى التبيان : ٣٤٩ .

وسيفرد ابن النقيب - فيما يلى - القسم الخامس للحديث عن « المؤاخاة » : والحق أنه لا فارق بينها وبين « التناسب » الذى خصص له هذا القسم الأول : فهما اسمان لمسمى واحد .

(١) هذا تعريف الزنجانى في المعيار : ٨٦ . ومن هنا وحتى بيت الشعر : (وبعض قريض القوم) منقول عن الزنجانى لم يزد فيه ابن النقيب سوى قوله (والقرآن العظيم كله متناسب لا تنافر فيه ولا تباين) .

(٢) ط : تنالُ . وهو تحريف .

(٣) الديوان : ممَّا .

(٤) البيتان في ديوان النابغة : ٢٠٠ (تحقيق أبو الفضل) . والمعيار : ٨٦ - ٨٧ . ورواية عجز البيت الثانى فى ديوان النابغة (بشرح الشيخ ابن عاشور : ٧٢٣) :

ولربَّ مُطْعِمة تكون ذباحا

وعلّق عليها الشيخ بقوله : (مطعمه) بميم بعد الطاء كما رُسم في نسخة عتيقة موسومة بالصحة =

ويسمى التشابه أيضًا .. وقيل التشابه أن تكون الألفاظ غير متباينة ولكن متقاربة فى الجزالة ، والمتانة ، والدقة ، والسلاسة ، وتكون المعانى مناسبة لألفاظها من غير أن يكسى اللفظ الشريف المعنى السخيف أو على الضد بل يصاغان معًا صياغة تتناسب وتتلاءم حتى لا يكون الكلام كما قيل :

وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلادُ عَلَّةٍ   يَكُدُّ لِسَانَ النَّاطِقِ المَتَحفِّظِ (١)

قال المصنف عفا الله عنه : (٢) المناسبة عند أرباب هذا الشأن على قسمين معنويةٍ ولفظيةٍ . فالمعنوية : أن يبتدىء المتكلم بمعنى ثم يتمّم كلامه بما يناسبه فى المعنى دون اللفظ . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللهُ الذين كَفَروا بغَيْظهمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ المُؤمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٥] أخبر سبحانه فى فاصلة الآية بأنه قوى عزيز ليدل على أن تلك الريح التى أصابت المشركين ليست اتفاقًا وليست هى من أنواع السحر بل هى من إرساله على أعدائه كعادته وسنته فى أمثاله من نصره لعباده المؤمنين مرة بالقتال كيوم بدر ، ومرة بالريح كيوم الأحزاب ومرة بالرعب كبنى النضير . وأن النصر من عند الله لا من عند

= من شرح أبي جعفر علي الديوان . أى حالة مطمعة أى تطمع من يحسبها نافعة له فتكون داءً (ذُباحا) بضم الذال المعجمة وتخفيف الموحدة : وهو وجع الحلق ، ووقع في كتاب شعراء النصرانية (مطعمة) بتقديم العين على الميم وهو تحريف) انتهى كلام الشيخ ابن عاشور .

(١) من إنشاد خلف الأحمر فى البيان والتبيين : ٦٦/١ ، والعمدة : ٢٥٧/١ ، وحلية المحاضرة : ف ٦ ، والمعيار : ٨٧ .

وكان في (ط) « يكل » والتصويب من المصادر السابقة ، وأولاد العلّة : بفتح العين : أولاد الرجل الواحد من أمهات شتى . وعلق على البيت الجاحظ بقوله : (يقولُ : إذا كان الشعر مستكرهًا وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر مابين أولاد العلاّت ، وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيًا موافقًا كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة) البيان والتبيين : ٦٦/١ .

(٢) ماساقه المصنف – هنا – وحتى آخر هذا القسم منقول عن ابن أبي الإصبع إلا أمثلة معدودة سأنبه عليها . وقسمة المناسبة إلى لفظية ومعنوية هى قسمته انظر : (تحرير التحبير : ٣٦٣ – ٣٧١ ، وبديع القرآن : ١٤٥ – ١٥٠) .

غيره ولهذا لم ينصرهم حين خالفوا نبيهم يوم أحد وحين أعجبتهم كثرتهم يوم حنين ، وبعد ذلك كانت العاقبة لهم (وقد [(١)] صرح سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿ وما النصر إلا من عندِ اللهِ ﴾ [سورة الأنفال : ١٠] وقوله تعالى : ﴿ إنْ يَنصرّكُمُ اللهُ فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذِى يَنصرُّكُم مِن بعده ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٠]) ولو اقتصر على الآية ولم يذكر فيها « والله قوى عزيز » لخفى هذا المعنى وغَمُض والتبس الأمر فيه وأشكل .

وأما المناسبة اللفظية [(٢)] فهى أيضًا على قسمين : تامةٍ وغير تامة . فالتامةُ أن تكون الكلمات مع الاتزان [(٣)] مُقَفَّاة . والأُخرى ليست بمقفاة فالتقفية غير لازمة للمناسبة . فمن المناسبة التى ليست بمقفاة قوله تعالى : ﴿ ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءَهم مُنذرٌ منهمّ فقالَ الكافرون هذا شيء عجيب ﴾ [سورة ق : ١ ، ٢] وما سوى هذه التامة [(٤)] كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ن والقلمِ وما يَسطرُون ما أنت / بنعمة ربّك بمجنونٍ وإنَّ لك لأجرًا غيرَ ممنون ﴾ [سورة القلم : ١ - ٣] . ٨٩

ومن [شواهد] [(٥)] التامة فى السنَّة قول النبى ﷺ ما كان يَرقى به الحسن والحسين عليهما السلام : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان

---

(١) مابين القوسين ليس في تحرير التحبير أو بديع القرآن ، ويبدو أن في العبارة سقطا يمكن فهمه من السياق تقديره مثلا : (وقد صرح سبحانه وتعالى بذلك) أى بأن النصر من عنده .

(٢) هذه المناسبة اللفظية لا علاقة لها بهذا القسم الذى معنا والذى خصصه ابن النقيب للحديث عن المعانى وكان الصواب حذفها من هنا ، وتأخير الحديث عنها إلى القسم الثاني المتعلق بفصاحة الألفاظ فى باب التسجيع وهذه المناسبة بقسميها التامة والناقصة سيذكرها هناك ولكن تحت اسم آخر . فالمناسبة التامة أطلق عليها « التسجيع المتوازى » ، والناقصة سماها التسجيع المتوازن ولكنه ساق الحديث هنا عنها متابعة لنقله عن ابن أبي الأصبع ، وذهل عن مخالفة ذلك لمنهجه الذي رسمه للكتاب .

(٣) ط : (الابراز) والتصويب عن ابن أبى الإصبع .

(٤) مابين القوسين ليس في مطبوعة تحرير التحبير ، وهو في بديع القرآن : ١٥٠ .

(٥) زيادة عن ابن أبى الإصبع .

وهامَّة ومن كل عين لامَّة [(١)] » فقال ﷺ : « لامَّة » ولم يقل « ملمة » .
(وقوله ﷺ : « مرحبًا بالوَفد غير خزايا ولا ندامى » بحسن المناسبة) [(٢)]
ومثله قوله ﷺ : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » [(٣)] والمستعمل « موزورات » لأنه من « الوزر » غير مهموز فلفظ به ﷺ لمكان المناسبة اللفظية التامة .

وأما ما جاء من السنة الغير مقفاة فكقوله ﷺ « إن أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكِم أخلاقًا الموطؤن أكنافًا [(٤)] » فناسب ﷺ بين – « أخلاق » « وأكناف » مناسبة اتزان [(٥)] دون تقفية .

ومما جمع بين المناسبتين قوله ﷺ فى بعض أدعيته « اللهم إنى أسألك رحمةً تهدى بها قلبى ، وتجمع بها أمرى ، وتلُمُّ بها شعَثى ، وتصلح بها غائبى [(٦)] ، وترفعُ بها شاهدى ، وتُزَكّى بها عملى وتُلهِمُنى بها رُشْدى ، وتردُّ بها ألفتى [(٧)] ، وتعصمنى بها من كل سوء . اللهم إنى أسألك الفوزَ فى القضاء ، ونُزُلَ [(٨)] الشهداء ، وعيشَ السعداء ، والنصرَ على الأعداء [(٩)] » فناسب ﷺ

---

(١) رواه البخارى (فتح البارى ٤٠٨/٦) – كتاب الأنبياء (٦٠) .

(٢) مابين القوسين ليس فى مطبوعة تحرير التحبير أو بديع القرآن .

والحديث رواه البخارى (فتح البارى ٢٤٢/١٣) – كتاب أخبار الآحاد – باب وصاة النبى ﷺ وفود العرب أن يبلغوا من وراءهم . ورواه مسلم (٤٧/١) – كتاب الإيمان (١) – باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ .

(٣) سنن ابن ماجه (٥٠٣/١) – كتاب الجنائز – باب ماجاء في اتباع النساء الجنائز حديث : ١٥٧٨ . وسنن البيهقى : ٧٧/٤ ، وشرح السنة للبغوى : ٤٦٥/٥ – باب زيارة القبور .

(٤) انظر في مُخرِّجيه وألفاظه : مجمع الزوائد : ٢١/٨ ، وسيورده ابن النقيب مرة أخرى في قسم « تنسيق الصفات بغير حرف نسق » .

(٥) ط : (إبراز) والتصويب عن تحرير التحبير : ٣٦٨ .

(٦) لفظ الترمذى : غائبتى .

(٧) ط : (ألفى) . وأثبت لفظ تحرير التحبير والترمذى .

(٨) ط : (منزل) . وأثبت لفظ الترمذى وتحرير التحبير .

(٩) هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذى في جامعه (٤٥٠/٥) ، كتاب الدعوات باب =

بين – قلبى وأمرى [وغائبى وشاهدى] [(١)] – مناسبة غير تامة بالزنة دون التقفية ثم ناسب بين – الشهداء والسعداء [والأعداء] [(٢)] – مناسبة تامة بالزنة والتقفية .

* * *

= رقم ٣ ، حديث ٣٤١٩ . وقال بعده : هذا حديث غريب ، وانظر فتح البارى ١١٨/١١ ، والشفاء للقاضى عياض : ١٧٦/١ .

(١) مابين المعقوفين زيادة من تحرير التحبير : ٣٧٨ .

(٢) زيادة عن تحرير التحبير .

القسم الثانى

التكميل (*)

وهو أن يأتى المتكلم أو الشاعر بمعنى من معانى المدح أو غيره من

(*) يلاحظ – هنا – أن ابن النقيب فرّق بين « التكميل » وبين « التتميم » حيث جعل « التتميم » قسمًا برأسه وجعله « القسم الثالث » وفرّق بينهما وبين « الاحتراس » ، وجعله قسما برأسه (القسم التاسع والعشرون) .

ويظهر لى أنه متابع فى ذلك لابن أبى الإصبع الذى فرّق بين هذه الثلاثة فقال : والفرق بين الاحتراس والتكميل والتتميم أنّ المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم يأتى التكميل بزيادة يكمل بها حسنه إمّا بفن زائد أو بمعنى . والتتميم يأتى ليتمم نقص المعنى ونقص الوزن . والاحتراس لاحتمال دخل على المعنى وإن كان تاما كاملا ، ووزن الكلام صحيحا » تحرير التحبير : ٢٤٥ ، وانظر أيضا : ٣٦٢ ، ٥٤٣ وبديع القرآن : ٤٦ ، ١٤٣ .

والناظر فيما ساقه ابن النقيب فى قسم « الاحتراس » – القسم التاسع والعشرون – وفيما ساقه هنا لايجد فارقا بين القسمين يُسَوِّغ فصله بينهما . ولم يفرق بينهما القزوينى فجعلهما قسما واحدا من أقسام الإطناب . (انظر شروح التلخيص : ٢٣١/٣ ، والمطول ٢٩٥ ، والأطول : ٤٦/٢) وهو ماذهب إليه السيوطى فقال : « لا يكاد يتبين لى الفرق بين الاحتراس والتكميل) شرح عقود الجمان : ٧٥ . وانظر معترك الأقران ٣٦٩/١ والإتقان : ٢٢١/٣ .

أمّا المتقدمون فلم يعنوا بمثل هذه الفروق فنرى أبا هلال يعقد للتتميم والتكميل فصلاً واحدا ويعرفهما تعريفا سهل المأخذ فيقول : (وهو أن توفي المعنى حظه من الجودة وتعطيه نصيبه من الصحة ، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده ، أو لفظا يكون فيه توكيده إلا تذكره » الصناعتين : ٤٠٤ . ولم يفرق ابن رشيق بين الاحتراس والتتميم فجعلهما بابًا واحدًا . (انظر العمدة : ٥٠/٢ – ٥٢) وانظر نقد ابن أبى الإصبع له فى ذلك (تحرير التحبير : ٢٤٥) . وكذلك لم يفرّق الزنجانى بين التكميل والتمام (المعيار : ١٥٠) ، وتعريفه له لا يخرج عن تعريف العسكرى وابن رشيق . ولم يذكر ابن منقذ إلا مصطلح « التتميم » وتعريفه له لا يخرج عن هذه التعاريف السالفة (بديع بن منقذ : ٢٥٣ ، وعقد للاحتراس بابًا مستقلاً) : (ص ٥٥) .

وقد أرهقنى النظر فى التماس الفارق بين هذه الأبواب الثلاثة وتطبيق ذلك على النصوص ، فلم أظفر بكثير طائل . ولو أنّ مثل هذا المجهود في التفرقة بينها وُجّه إلى تذوق النص واستجلاء جانب الحسن والتميز =

فنون النظم والنثر ثم يرى مدحه فيه اقتصاد وقصور عن الغرض وأنه يحتاج إلى تكميل يزيده بيانًا وإيضاحًا فيكمله بمعنى آخر .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يأتِى اللهُ بقومٍ يُحبّهم ويُحبونهُ أذلّةٍ على المؤمنينَ أعِزّةٍ على الكافرين ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] فانظر إلى هذه البلاغة فإنه سبحانه / وتعالى علم – وهو أعلم – أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين وإن كانت صفة مدح – إذ وصفهم بالرياضة لإخوانهم المؤمنين والانقياد لأمرهم – كان المدح غير كامل ؛ فكملَ مدحهم بأن وصفهم بالعزة على الكافرين ، فأتى بوصفهم بالامتناع منهم والغلبة لهم . وكذلك قوله تعالى : ﴿ محمّدٌ رسولُ اللهِ والذين معه أشداءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] ٩٠

ومثاله من النظم قول كُثَيِّر عزة :

ولو انَّ عَزَّةَ خاصَمَتْ شَمْسَ الضّحَى ... فى الْحُسْنِ عِنْدَ مُوَفَّقٍ لقضى لَها [1]

* * *

= فيه لكانت الفائدة أظهر . وليس من بأس على طالب البلاغة – بعد ذلك – أن يعرف هل هذا من قبيل التتميم أو التكميل أو الاحتراس . وإنّ فى فعل أئمة البلاغة المتقدمين فى عدم التفرقة بينها ما يستأنس به لذلك .

(١) ديوانه : ٣٩٤ ، وتحرير التحبير : ٣٥٩ ، والمعيار : ١٥٠ .

القسم الثالث

التتميم (*)

وهو أن تردف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس وتقربه إلى الفهم وتزيل عنه الوهم وتقرره في النفس. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ولا طائرٍ يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم ﴾ (١) [سورة الأنعام : ٣٨] وقوله تعالى: ﴿ ثلاثةِ أيامٍ في الحج وسبعةٍ إذا رجعتم تلك عشرةٌ كاملة ﴾ [سورة البقرة : ١٩٦] ومثاله فى القرآن كثير. ومثله قول امرىء القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا ... لَدَى وَكْرِها العُنَّابُ والْحَشَفُ الْبَالى (٢)

(*) انظر ماسبق عن التتميم والتكميل بهامش القسم السابق ص ١٨٢ .

(١) هذا التعريف للتتميم ذكره أبو حيان في البحر المحيط: ١١٧/٢ عند قوله تعالى: ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ﴾ يقول أبو حيان: « وفي قوله أخذته العزة بالإثم – نوع من البديع يسمى « التتميم » وهو إرداف الكلام بكلمة يرفع عنه اللبس وتقربه للفهم كقوله تعالى: « ولا طائر يطير بجناحيه » ... وهذا يدعم أن يكون مابين أيدينا – هنا – هو مقدمه شيخ أبي حيان لتفسيره: مقدمة ابن النقيب والتي ذكرها أبو حيان في مقدمة تفسيره وجعلها مرجعه الأول من كتب البلاغة؛ فهذا التعريف للتتميم لم أقع عليه بهذا اللفظ فى أى من كتب البلاغة إلا في هذا الكتاب – الذي بين أيدينا – وفي تفسير البحر المحيط. ولله الحمد والمنة. وهذا التعريف للتتميم لا يخرج في معناه عما ساقه المصنف سابقا فى قسم التكميل في تعريفه، وانظر تعريف الحاتمى « للتتميم » فى حلية المحاضرة: ف ٤١، والعمدة ٥٠/٢، وبديع ابن منقذ: ٥٣، وتحرير التحبير: ١٢٧، وبديع القران: ٤٥، والبرهان للزركشى: ٧٠/٣، والإتقان: ٢٢٢/٣، ومعترك الأقران: ٣٦٩/١، وشرح عقود الجمان: ٧٤. وقد جعله السيوطى من أنواع الإطناب متابعا في ذلك الخطيب القزوينى وشراح التلخيص. انظر: شروح التلخيص: ٢٣٥/٣، والمطول: ٢٩٦، والأطول: ٤٧/٢ .

(٢) ديوانه: ٣٨٠، وطبقات فحول الشعراء: ٨١/١، وبديع ابن المعتز: ٦٩، وحلية المحاضرة =

وقال آخر [١] :

كأنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَولَ خِبَائِنا   وَأَرْحُلِنَا الْجَزْعُ الذى لم يُثَقَّبِ [٢]

تمّم المعنى بقوله : « الحشف البالى » . « والجزع الذى لم يثقب » [٣] .

* * *

= ف ٧٥ ، والصناعتين : ٢٥١ ، ٢٥٦ ، والعمدة : ٢٦٢/١ ، ٢٩٠ ، ودلائل الإعجاز : ٩٥ ، ٥٣٦ ، وأسرار البلاغة : ١٩٢ ، ١٩٩ .

والبيت في صفة العُقاب تصطاد الطير وتحمله إلى وكرها فتأكله وتدع القلوب لا تأكلها فلا يزال بعضها طريا غضا كالعناب ، وهو ثمر أحمر غض ذو ماء كثير ، وبعضها قد جف وتقبض حتي كان كالحشف البالى وهو التمر لم يكد يظهر له نوى ، فإذا تقادم صلب وتجعد . والبالي : القديم الفاسد . (من شرح شيخنا أبي فهر على طبقات فحول الشعراء) .

(١) هو نفسه امرؤ القيس .

(٢) ديوانه : ٥٣ ، والصناعتين : ٢٥٢ ، ٣٩٦ ، وحلية المحاضرة : ف ٤٩ ، ٨٠ ، والعمدة : ٥٧/٢ وروايتها : (عيون الطير) ، وبديع ابن منقذ : ٥٤ ، والجامع الكبير : ٢٤١ ، وأورده السقا في مختار الشعر الجاهلى : ٤٤٠ من قصيدة : علقمة بن عبدة

(ذهبت من الهجران في كل مذهب   ولم يك حقا كل هذا التجنب)

وكان في (ط) : (كأن قلوب الطير) ويبدو أنه تحريف أو انتقال نظر إلي بيت امرىء القيس السابق ؛ فصوبته عن المصادر السابقة .

والجزع : الخرز اليمانى والصينى الأسود الذى يشوبه بياض ، شبّه عيون الوحش بهذا النوع من الخرز وجعله (لم يثقب) حيث تكون درجة الشبه في هذه الحالة بينهما أقوى ما تكون . وقد يتجه سؤال حول هذا التشبيه : إذ كيف شبه الشاعر عيون الوحش بهذا الخرز الأسود المشوب بالبياض ، ومعروف أن عيونها سوداء لا بياض فيها ؟ والإجابة : أنه قصد إلى وصفها وهي ميتة وعيون الوحش إذا ماتت تكون أشبه ما يكون بهذا الجزع حيث يظهر البياض فيها . (وانظر شرح الأعلم الشنتمرى بهامش ديوان امرىء القيس : ٥٣ ، ومواد البيان لعلى بن خلف الكاتب (مجلة المورد – العدد الثانى – المجلد ١٨ – ص ١٠٢) .

(٣) يريد أن التتميم في قوله : « البالى » ، وفي « الذي لم يثقب » .

القسم الرابع

التقسيم (*)

وهو آلة الحصر ومظنة الإحاطة بالشيء ، مثل قوله تعالى : ﴿ والله خلق كل دابة من / ماءٍ فمنهمْ من يمشى على بَطنه ومنهمْ منْ يمشى على رجلين ﴾ [١] إلى قوله : ﴿ ما يشاء ﴾ [سورة النور : ٤٥] ومنه قوله تعالى : ﴿ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نَسِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٦٤] . ومثله فى القرآن كثير وخصوصًا فى سورة براءة . ومثله فى كلام العرب قول زهير بن أبى سُلْمَى :

وَأَعْلَمُ مَا فِى اليومِ والأمسِ قبلَهُ ... ولكنّنى عن علمِ ما فى غدٍ عمِ [٢]

وذكر ابن الأثير فى جامعه أن أرباب علم البيان [٣] لم يريدوا بالتقسيم

(*) التقسيم : هو أول أبواب قدامة فى بديع المعانى الشعرية (نقد الشعر : ١٣١) ، وبحثه فى الصناعتين : ٣٥٠ ، وحلية المحاضرة : ف ٢٦ ، والعمدة : ٢/٢٠ ، وبديع ابن منقذ : ٦١ ، والجامع الكبير : ٢١٨ ، والمثل السائر : ٣/١٦٦ تحت اسم « التناسب بين المعانى » ، والمعيار : ١٤٩ ، وتحرير التحبير : ١٧٣ ، وبديع القرآن : ٦٥ ، كلاهما تحت اسم « صحة الأقسام » .

(١) تكملة الآية : (ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله مايشاء) .

(٢) شعر زهير (صنعة الأعلم) : ٢٦ ، وتحرير التحبير : ١٧٨ . وبديع القرآن : ٧١ . قال ابن أبى الإصبع فى تحرير التحبير : وأحسب أن أول من نطق بصحة التقسيم زهير حيث قال ..) وقال فى بديع القرآن : وهو أجلُّ بيت جاءت فيه صحة التقسيم وأبلغه .

(٣) من هنا إلى آخر هذا القسم نقله ابن النقيب عن ابن الأثير فى الجامع الكبير : ٢١٨ - ٢٢٢ . وقد افتتح ابن الأثير كلامه بقوله : (اعلم أنّا لم نرد بالتقسيم ها هنا ما تقتضيه القسمة العقلية ..) فتوهم ابن النقيب - رحمه الله أنّ الضمير فى (أنّا) لجماعة أرباب البيان فأسند إليهم هذه المقالة ، وتصرف فى قوله بعد ذلك « وإنما نريد نحن بالتقسيم » . فحوله لصيغة الغائب فى قوله « وإنما أرادوا » ، وانظر الهامش التالى رقم (٢) ، ص ١٨٧ .

القسمة العقلية كما يذهب إليه المتكلمون فإن القسمة العقلية تقتضى أشياء مستحيلة ، كما قالوا : الجواهر لا تخلو [١] إما أن تكون مجتمعة أو مفترقة ، أولا مجتمعة ولا مفترقة ، أو مجتمعة ومفترقة معًا أو بعضها مجتمع وبعضها مفترق ، ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاستيفاء الأقسام جميعها ، وإن كان من جملتها ما يستحيل وجوده ، فإن الشىء لا يكون مجتمعًا مفترقا فى حالة واحدة .

وإنما أرادوا بالتقسيم [٢] ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده وهو أن يأتى المؤلف إلى جميع أقسام الكلم المحتملة فيستوفيها غير تارك منها قسما واحدًا فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ ثم أَوْرَثْنا الكتاب الذين اصطَفَيْنا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مُقْتَصِدٌ ومنهم سابِقٌ بالخيراتِ بإِذْنِ الله ﴾ [سورة فاطر : ٣٢] فإنه لا يخلو العالم جميعه من هذا التقسيم [٣] : إما عاصٍ ظالم لنفسه ، وإما مطيع مبادر إلى الخيرات ، وإما مقتصد بينهما . وهذا من أصح التقسيمات وأكملها فاعرفه .

ومن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وكنتم أزواجًا ثلاثةً فأصحابُ الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحابُ المشئمةِ ما أصحابُ المشئمةِ والسابِقون السابقون ﴾ [سورة الواقعة : ٨ - ١٠] اعلم أن هذه الآية مماثلة فى المعنى لما سبق ذكره ، « وأصحاب المشئمة » هم الظالمون لأنفسهم ، « وأصحاب الميمنة » هم المقتصدون ، « والسابقون » هم السابقون بالخيرات .

وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى : ﴿ هو الذى يُريكُمُ البرق خوفًا وطَمعًا ﴾ [سورة الرعد : ١٢] ألا ترى إلى براعة هذه القسمة فإن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع وليس لهم ثالث !

---

(١) (ط) : يخلو .

(٢) الجامع الكبير : (وإنما نريد نحن بالتقسيم) .

(٣) الجامع : (لا يخلو العالم من هذه الأقسام الثلاثة) .

وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة المنتصبين فى صدرها يعجبون بقول بعض العرب فى هذا المعنى ، ويقولون إن ذلك من أصح التقسيمات ، وهو قوله : « النعم ثلاث : نعمة فى حال كونها [نعمة] [١] ، ونعمة ترجى مستقبلة ، ونعمة تأتى غير محتسبة ، فأبقى الله عليك ما أنت فيه ، وحقّق ظنك فيما ترتجيه ، وتفضّل عليك بما لم تحتسبه . فقالوا : إنه ليس فى / أقسام النعم التى يقع الانتفاع بها قسم رابع سوى ما ذكره الأعرابى . ٩٢

وهذا القول فاسد ، وهو أن فى أقسام النعم التى قسّمها ههنا نقصًا لابد منه ، وزيادة لا حاجة إليها . أما النقص فإغفاله ذكر النعمة الماضية . وأما الزيادة فقوله بعد النعمة المستقبلة « التى تأتى غير محتسبة » ، وهذا خطأ فإن النعمة التى تأتى غير محتسبة هى داخلة فى قسم المستقبلة ، وذلك أن النعمة المستقبلة تنقسم إلى قسمين . أحدهما : يرجى حصوله ويتوقع بلوغه . والآخر : لا يحتسب ولا يشعر بوجوده . فقوله : « ونعمة تأتى غير محتسبة » يوهم أن هذا القسم غيرُ المستقبل ، وهو داخل فى جملته . ولو قال : « ونعمة مستقبلة » من غير أن يقول : « ونعمة تأتى غير محتسبة » لكان قوله كافيًا ؛ إذ النعمة التى ترتجى والنعمة التى لا تحتسب يدخلان تحت قسم المستقبل . وكان ينبغى أن يقول : « النعم ثلاث : نعمة ماضية ، ونعمة حال كونها ، ونعمة تأتى مستقبلة ، فأحسن الله آثار النعمة الماضية وأبقى عليك النعمة التى أنت فيها ووفر حظك من النعمة التى تستقبلها » . ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طبّق به مفصل الخطاب فافهم ما ذكرناه وقس عليه .. وقف [٢] أعرابى على مجلس الحسن فقال : « رحم الله من أعطى من سعة ، أو آسى [٣] من كفاف ، أو آثر من قلة » ؛ فقال الحسن : « ما ترك لأحد عذرًا . فانصرف الأعرابى بخير كثير .

---

(١) زيادة عن الجامع .

(٢) كذا فى (ط) .

(٣) الجامع : (واسى) .

ومن هذا الضرب ما ذكره أبو هلال العسكرى في كتابه [١] وذلك أنه أخذ على جميل [٢] قوله :

لو أنَّ فى قلبى كقَدْرِ قُلامَـةٍ حُبًّا وَصَلْتُكِ أَوْ أَتَتْكِ رَسَائِلِى [٣]

فقال أبو هلال : « إن إتيان الرسائل داخل فى جملة الوصل » وليس الأمر كما وقع له [٤] فإن جميلا إنما أراد بقوله : « وصلتك » أى أتيتك زائرًا أو قاصدًا أو كنت راسلتك مراسلة ، والوصل لا يخرج عن هذين القسمين : إما رسالة أو زيارة .

وقال ابن الأثير [٥] : ومن أعجب ما شاهدته فى هذا الباب ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمى [٦] وهو قول العباس بن الأحنف [٧] :

وِصَالُكُمْ هَجْرٌ ، وهَجْرُكُمْ قِلًى وَعَطْفُكُمْ صَدٌّ وَسِلْمُكُمْ حَرْبُ [٨]

---

(١) الصناعتين : ٣٥٤ .

(٢) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذرى أبو عمرو شاعر من عشاق العرب اشتهر بحب بثينة عاش فى العصر الأموى وتوفى بمصر وافدًا على عبد العزيز بن مروان سنة ٨٢ هـ .

(٣) الصناعتين : ٣٥٤ ، والمثل السائر : ١٦٩/٣ ، والجامع الكبير : ٢٢٠ .

(٤) الحقُّ أنّ أبا هلال لم يغب عنه ما احتج به ابن الأثير . وكلام أبى هلال الذى ساقه ابن الأثير ناقص ، فبعده مباشرة يقول أبو هلال : (على أنّ هذا أصلح من الأول وللمحتج به حجة) الصناعتين : ٣٥٤ . والإشارة فى قوله (هذا) لبيت جميل الذى معنا . ومراده بالأول بعض ما أنشده من شعرٍ ساقه قبل بيت جميل ، وعابه برداءة التقسيم ، فبان من آخر كلام أبى هلال أنه لم تغب عنه حجة من احتج لهذا البيت .

(٥) اعتراض من المصنف ينبه به على أن سياق الكلام مازال لابن الأثير لم ينته بعد .

(٦) هو الأديب الشاعر محمد بن غانم أبو العلاء الغانمىّ . قال عنه السمعانى : كان إماما فاضلا عالما ورعا حسن السيرة كثير المحفوظ ، حسن الشعر بديع النظم .. ولد بنيسابور سنة (٤٦٤ هـ) ، وتوفى بهراة ٥٥٣ هـ . انظر الأنساب للسمعانى : ٢٧٨/٤ - ٢٧٩ . والغانمى من شيوخ السمعانى صاحب الأنساب .

(٧) هو العباس بن الأحنف أبو الفضل شاعر غَزِل رقيق . قال فيه البحترى : أغزل الناس . توفى ببغداد أو البصرة ١٩٢ هـ .

(٨) ديوانه : ١٩ برواية (وصالكم صرمٌ وحبكم قلى) ، والعمدة : ٢٥/٢ ، والجامع الكبير : ٢٢٠ ، والمثل السائر : ١٧٠/٣ .

ثم روى المشار إليه عن أبي القاسم الآمدى [١] أنه قال إن بعض نقدة الكلام من البلغاء لما سمع هذا البيت قال : والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس [٢] .

٩٣ ومن العجب كيف / ذكر الغانمى ذلك في كتابه وفاته النظر فيه مع تقدمه فى هذه الصناعة !! وأعجب منهما جميعًا استحسان ناقد الكلام لهذا التقسيم ! ألا ترى أن هذا البيت ينبى عليه شيء آخر من جنسه فإنه لو أضيف إليه بيت غيره فقيل :

وَلِينُكُمُ عُنْفٌ وَقُرْبُكُمُ نَـوًى ... وإعطاؤُكُمْ منعٌ وصِدْقُكُمُ كِذْبُ

لجاز ذلك ، ويحتمل أن يزاد على هذا البيت بيت آخر ثالث ورابع ، ولو كان التقسيم فى البيت الأول صحيحا لما احتمل أن يضاف إليه شيء آخر البتة ، لأن من صحة التقسيم أن لا يحتمل الزيادة .

ومن نحو هذا قول بعضهم في حق مكسورين فى الحرب : « فمن بين جريح مضرّج بدمائه ، وهارب لا يلتفت إلى ورائه » ، فإن الجريح قد يكون هاربًا ، والهارب قد يكون جريحا . ولو قال : « فمن بين قتيل ومأسور وناج » لصح له التقسيم ؛ لأن المكسورين فى الحرب الذين دارت عليهم الدائرة لا يخرجون عن هذه الأقسام الثلاثة : فإما قتيل أو مأسور أو ناج . وأما الجريح فإنه يدخل فى جملة الناجي والمأسور ؛ لأن كلا منهما يجوز أن يكون جريحًا ، وأن لا يكون . فاعرف ذلك ، وقس عليه [٣] .

* * *

---

(١) الحسن بن بشر أبو القاسم العالم الأديب والناقد الكبير . من أهم كتبه الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، والمؤتلف والمختلف . وتوفى ٣٧٠ هـ .

(٢) عالم يونانى اشتهر بعلم الرياضة والهندسة .

(٣) هذا آخر النقل عن الجامع الكبير لابن الأثير . وهناك بعض الفوارق الطفيفة بين العبارة هنا – وبين ما في مطبوعة الجامع لم أر داعيًا لإثباتها .

القسم الخامس

المؤاخاة (*)

وهى على قسمين : **الأول** : المؤاخاة فى المعانى . **الثانى** : المؤاخاة فى الألفاظ .

ويكون للكلام بها رونق ؛ لأن النفس يعرض لها (عند الشعور شىء يُطلع إلى مناسبة فلا يرد إلا بعد تشوف ولا كذلك المباين فلذلك يقبح ذكر الشىء مع مباينه فى المعنى المذكور فيه) [١] . ولذلك قبح قول الكميت [٢] :

أم هل ظَعَائِنُ بالعَلياء رافعةً وقد تكاملَ منها الدَّلُّ والشَّنَبُ [٣]

(*) لا أفهم معنى لإفراد ابن النقيب « المؤاخاة » بقسم خاص وفصلها عن القسم الأول (التناسب أو التشابه) . انظر ماسبق فى ضبط مصطلح التناسب » . ومادةُ هذا القسم الخامس مأخوذة عن ابن الأثير فى المثل السائر (١٥٣/٣ - ١٥٩) حيث تحدث عن « المؤاخاة » فى ثنايا حديثه عن « المقابلة » ولم يفرد لها بابا مستقلا ، واعتذر عن ذلك بقوله « وكان ينبغى أن نعقد له بابًا مفردًا ، لكنّالما رأيناه ينظر إلى التقابل من وجه وصلناه به » المثل السائر : ١٥٣/٣ .

(١) مابين القوسين كذا فى (ط) . وهو كلام غير ملتئم .

(٢) هو الكميت بن زيد الأسدى أبو المستهل شاعر الهاشميين من أهل الكوفة . توفى ١٢٦ هـ وهو الذى يتبادر إلى الذهن إذا أطلق اسمه دون تقييد ، وإلا فهم ثلاثة : الكُمَيْت بن ثعلبة (الكميت الأكبر) شاعر مخضرم ، والكميت بن معروف (الكميت الأوسط) سمى بذلك لتوسطه بين جده (الكميت الأكبر) والكميت الأسدى .

(٣) المثل السائر : ١٥٤/٣ ، والجامع الكبير : ٢١٣ ، وسيرد مرة أخرى ص ٣٠٩ ، ٣١٢ ، والدَّلّ : قال فى القاموس ، دلُّ المرأة ودلالها : تدلُّلها على زوجها تريه جراءة عليه فى تَغَنُّج وتشكل ، وكأنها تخالفه وما بها خلاف . والشَّنَب : بفتح الشين والنون : ماء ورقة وبرد وعذوبة فى الأسنان أونقط بيض فيها . وقد أرجع ابن الأثير القبح فى بيت الكميت لجمعه بين الدلّ والشنب وهما معنيان متباعدان ، فإن الدلّ يذكر مع الغُنْج (بضم الغين وسكون النون) - وهو كما فى لسان العرب : تدللُ وتكَسُّر فى الجارية ، والشَّنب يذكر مع اللَّعَس وما أشبهه (واللَّعَسُ : سواد يستحسن فى الشفة) .

فإن « الدَّلَّ والشَّنَبَ » لا مناسبة بينهما .

وكذلك يقبح الشىء مع مباينه فى البناء . ولذلك قبح قول أبى تمام :

٩٤ / مُثقَّفاتٍ سَلَبْنَ العُرْبَ سُمْرَتَها والرُّومَ زُرْقَتَها والْعَاشِقَ القَضَفَا [١]

وكان ينبغى أن يقول : « والعُشّاق قَضْفَتها » [٢] ، لكن منعه الوزن والقافية ، فذلك لا يعاب هذا على الشاعر كما يعاب على الناثر إذ المجال للناثر متسع .. ومما استقبح قول أبى نواس [٣] :

ألا يا ابن الذين فَنُوا فماتوا أما واللهِ ما ماتوا لتبقَى [٤]
ومالكَ فاعْلَمَنْ فيها مقامٌ إذا اسْتَكْمَلْتَ آجالاً ورزقا

وكان ينبغى أن يقول : « وأرزاقا » [٥] . واعلم أن استقباح تباين المبانى دون استقباح تباين المعانى .

قال المصنف عفا الله عنه : [٦] التباين في المبانى ليس بمستقبح وقد ورد

---

(١) كان فى (ط) : (والروم رقتها والعاشق القصفا) وهو تحريف . والبيت في ديوانه (٣٧١/٢) وروايته فيه (سلبن الروم زرقتها والعرب سمرتها ..) ، والمثل السائر : ١٥٦/٣ . يصف الرماح المثقفة فى سمرة لونها مشبهة سمرة العرب ، وفى زرقة أسنانها بزرقة الروم . وفى ضمورها بضمور العاشق . و(القضف) : بفتح القاف والضاد : النحافة .

(٢) (ط) : (قصفها) ، وهو تحريف . قال ابن الأثير : (وهذا البيت من أبيات أبى تمام الأفراد ، غير أنّ فيه نظرا ، وهو قوله : (العرب والروم) ثم قال : العاشق ، ولو صح أنْ يقول : – العشاق – لكان أحسن ، إذ كانت الأوصاف تجرى علي نهج واحد ، وكذلك قوله (سمرتها وزرقتها) ثم قال : (القضفا) . وكان ينبغى أن يقول : (قضفتها أو دقتها) المثل السائر : ١٥٦/٣ .

(٣) هو الحسن بن هانىء الشاعر العباسى الكبير . ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد قيل عنه : كان للمُحْدَثين كامرىء القيس للمتقدمين . مات سنة ١٩٨ .

(٤) لم أهتد إليه في ديوانه ، وهو فى المثل السائر : ١٥٧/٣ .

(٥) قال ابن الأثير : (وموضع الإنكار هنا أنه قال : آجالا ورزقا ، وكان ينبغى أن يقول : « أرزاقا » أو أن يقول : أجلا ورزقا . وقد زاده إنكارا أنه جمع الأجل فقال : آجالا ، والإنسان ليس له إلا أجل واحد ، ولو قال : أجلا وأرزاقا لما عيب ، لأن الأجل واحد والأرزاق كثيرة ، لاختلاف ضروبها وأجناسها) المثل السائر : ١٥٧/٣ .

(٦) عبارة (قال المصنف عفا الله عنه) هنا – تُوهِم أن مابعدها زيادة زادها ابن النقيب على مانقله =

فى القرآن العظيم منه كثير ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين [١] ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارِهم ﴾ [سورة النحل : ١٠٨] . وكذلك قوله تعالى : ﴿ حتى إذا ما جاؤها شَهِدَ عليهم سَمْعُهم وأبصارُهم وجلودُهم ﴾ [سورة فصلت : ٢٠] .

* * *

= عن ابن الأثير والحق أنه من كلام ابن الأثير في المثل السائر : ١٥٨/٣ . وهو رجوع منه عما قدمه من وجوب التزام هذه المؤاخاة ، وهو إنصاف منه رحمه الله .

(١) (ط) : ﴿ ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴾ وهذا وهم اختلطت فيه آية البقرة بآية النحل .

القسم السادس

الاعتراض والحشو (*)

وهو أن يدخل في خلال الكلام كلمة تزيد اللفظ تمكنا وتفيد معنى آخر ، مع أن اللفظ يستقل بدونها ويلتئم بغيرها .

مثل قوله عز وجل : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمسجدَ الحرامَ إِنْ شاء اللهُ آمِنين ﴾ [سورة الفتح : ٢٧] وقوله تعالى : ﴿ ولا تُكْرِهوا فَتَيَاتكم على البِغاءِ إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [سورة النور : ٢٣] أو لم يردن ، ولكن أفاد قوله : « إن أردن تحصنًا »

(*) الاعتراض : هو النوع الثانى من محاسن الكلام والشعر عند ابن المعتز ، بعد فنون البديع الخمسة . قال ابن المعتز : « ومن محاسن الكلام أيضًا والشعر اعتراض كلام فى كلام لم يتمم معناه ثم يعود إليه فيتممُه في بيتٍ واحد » . بديع ابن المعتز : ٥٩ ولا تخرج تعريفات التالين له عن ذلك . (انظر الصناعتين : ٤١٠ ، ونهاية الإيجاز : ٢٨٧ ، والمعيار : ١٠٥ ، وبديع ابن منقذ : ١٣٠ ، والمثل السائر : ٤٠/٣) . وقد أطلق الحاتمى على هذا النوع « الالتفات » وذكر أنه سماه قوم « الاعتراض » (انظر حلية المحاضرة ف ٥١) . وقد فرّق ابن منقذ فى بديعه بين الاعتراض وبين الحشو ، فجعل كلّ واحد منهما فنا مستقلا ، والاعتراض عنده « أن تذكر فى البيت جملة معترضة لا تكون زائدة بل يكون فيها فائدة » بديع ابن منقذ : ١٣٠ ، أما الحشو فأن « تأتى فى الكلام بألفاظ زائدة ليس فيها فائدة » . بديع ابن منقذ : ١٤٢ . وابن النقيب – هنا – متابع لابن الأثير والزنجانى حيث لم يفرّقا بينهما ، وقد قسّم الرازى فى نهاية الإيجاز الاعتراض إلى ثلاثة أقسام : مذموم ووسط ولطيف . وقد نقل الزنجانى هذه القسمة فى المعيار وجعل « المذموم » الذى لايفيد شيئا ، و « الوسط » الذى يفيد تأكيدا ، و « اللطيف » الذى يفيد المعنى جمالا ، ويزيد به النظم فصاحة والمعنى بلاغة ، أما ابن الأثير فالاعتراض عنده علي نوعين : ما يأتى لفائدة وما يأتي لغير فائدة (انظر الجامع الكبير : ١١٨ والمثل السائر : ٤١/٣) ، وهذا يكشف بوضوح أنه ليس كل اعتراض – عنده – من قبيل مالا فائدة منه ، وأن إطلاق البعض تسمية « الحشو » علي الاعتراض » لا يعنى التسوية التامة بينهما وأن منه ما يزيد المعنى بلاغة والنظم فصاحة . وبهذا يمكن القول : إن الخلاف في التفرقة بين الاعتراض والحشو وهل هما فنان مستقلان أو فن واحد خلاف لفظى . وقد تناول ابن أبي الإصبع هذا القسم تحت عنوان « التمام » (انظر تحرير التحبير : ١٢٧ ، وبديع القرآن: ٤٥) .

الإعلام بترغيب الشرع فى التحصين وأنه مطلوبه . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فى جيبِك تَخْرُجْ بيضاءَ من غير [١] سوء ﴾ [سورة النمل : ١٢] وقوله تعالى : ﴿ ويجعلون لله البناتِ سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ [سورة النحل : ٥٧] .

قال المصنف عفا الله عنه : قال ابن الأثير في كتابه الموسوم بالجامع الكبير [٢] : الاعتراض الصناعى عند أرباب علم البيان على قسمين : **الأول** : لا يأتى فى الكلام إلا لفائدة ، وهو جار مجرى التوكيد فى كلام العرب ، والقسم الآخر أن يأتى فى الكلام لغير فائدة . فإما أن يكون دخوله فى التأليف كخروجه منه وإما أن يؤثر فى التأليف نقصًا وفى المعنى فساداً / . ٩٥

فالأول وهو الذى يأتى فى الكلام لفائدة ، فمنه قوله تعالى : ﴿ فلا أقسمُ بمواقعِ النجومِ وإنه لَقَسَمٌ لو تعلمون عظيمٌ إنه لقرآنٌ كريمٌ فى كتابٍ مكنونٍ ﴾ [سورة الواقعة : ٧٥ - ٧٨] هذا كلام فيه اعتراضان : أحدهما قوله : « وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » لأنه اعتراض بين القسم الذى هو « فلا أقسم بمواقع النجوم » وبين جوابه الذى هو « إنه لقرآن كريم » وفى نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو « قَسَمٌ » وبين صفته التى هى « عظيم » وهو قوله تعالى : ﴿ لو تعلمون ﴾ فذانك اعتراضان ولو جاء الكلام غير معترض فيه لوجب أن يكون : « فلا أقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم » .

وفائدة هذا الاعتراض بين القسم وجوابه إنما هو تعظيم لشأن المقسَم به فى نفس السامع ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ لو تعلمون عظيم ﴾ كيف هذا الاعتراضُ بين الصفة والموصوف ؛ وذلك أوقع فى النفس لتعظيم المقسَم به ، أى أنه من عظيم الشأن وفخامة الأمر بحيث لو علم ذلك لَوُفِّى حقه من التعظيم .

---

(١) سيورد المؤلف هذه الآية فى قسم الاحتراس « القسم التاسع والعشرون » مثالا له .

(٢) انظر الجامع الكبير : ١١٨ - ١٢١ . وبمقارنة مانقله ابن النقيب - هنا - عن الجامع الكبير يتبين لنا أن بمطبوعة الجامع سقطا كبيرًا ص (١١٨) فليستدرك من هنا .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنا الإنسان بوالديه حملته أمه ﴾ إلى ﴿ والديك ﴾ (١) [سورة لقمان : ١٤] ألا ترى إلى هذا الاعتراض (١) الذى طبّق مفصل البلاغة ! فإنه لم يؤت به إلا لفائدة كبيرة ، وذلك أنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم من المشاق والمتاعب فى حمل الولد مما لا يتكلفه الوالد . ومن ثم قال النبى ﷺ للذى سأله فقال : يارسول الله مَنْ أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : « أمك » قال ثم مَنْ ؟ قال : « أمك » . قال ثم مَنْ ؟ قال : « أمك » قال ثم مَنْ ؟ . قال : « أبوك » ، وفى رواية « أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك فأدناك » (٢) .

ومما جاء على هذا الأسلوب قوله تعالى : ﴿ وإذْ قتلتم نفسًا فادّارَأْتُمْ فيها والله مخرجٌ ما كنتم تكتمون ﴾ [سورة البقرة : ٧٢] إلى قوله تعالى : ﴿ تعقلون ﴾ (٣) [سورة البقرة : ٧٣] فقوله تعالى : ﴿ والله مخرج ما كنتم تكتمون ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه . وفائدته أن يقرر فى أنفس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارء بنى إسرائيل فى قتل تلك النفس لم يكن نافعا لهم فى إخفائه وكتمانه لأن الله تعالى مظهر لذلك ومخرجه . ولو جاء الكلام خاليا من هذا الاعتراض

---

(١) ط : (ووصينا الانسان بوالديه حسنًا حملته ...) وهو وهم ، قال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير ﴾ [سورة لقمان : ١٤] .

(٢) لفظ الحديث هنا غيره في مطبوعة الجامع الكبير : ١١٩ وفيها (... قال رسول الله ﷺ لمن قال له : من أبر ؟ قال : أمك ، ثم أمك ، ثم أمّك بعد ذلك « أباك » .

وحديث « من أحق بحسن صحابتى » رواه البخارى (فتح البارى ٤٠١/١٠) - كتاب الأدب (٧٨) - باب من أحق الناس بحسن الصحبة (٢) ،. ومسلم (١٩٧٤/٤) - كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) - باب بر الوالدين (٦) .

ورواية (قال أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك » في صحيح مسلم (١٩٧٤/٤) . وفى سنن ابن ماجه (١٢٠٧/٢) بلفظ « أمك ثم أمك ثم أباك فالأدنى فالأدنى » فى كتاب الأدب (٣٣) - باب بر الوالدين (١) .

(٣) قال تعالى : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ [سورة البقرة : ٧٣] .

لكان : « وإذ قتلتم نفسا فادرأتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها » . ولا يخفى على العارف بهذه الصناعة الفرق بين ذلك وبين كونه معترضا فيه . ومن هذا الجنس قول النابغة : / ٩٦

لعَمْرى وَمَا عَمْرِى عَلَىَّ بِهَيِّنٍ لَقَدْ نَطَقَتْ بُطلاً عَلَىَّ الأَقَارِعُ [١]

فقوله : « وما عمرى على بهين » من محموده ونادره لما فيه من تفخيم المقسم به .

وعلى نحوٍ من هذا جاء قول كُثَيِّر :

لَوَ انَّ الباخِلِينَ وَأَنْتِ مِنْهُمْ رَأَوْكِ تَعَلَّمُوا مِنْكِ المِطالا [٢]

فقوله : « وأنت منهم » من الاعتراض الذى يؤكد به المعنى المقصود ويزداد به مزية ونبلاً . وفائدته هنا أن التصريح بما هو المراد يثبته فى النفس ويقرّره فى الأذهان . وقال بعضهم [٣] لعبد الله بن طاهر [٤] – وهو أحسن ما قيل فى هذا الباب – :

إنَ الثمانين وَبُلِّغْتَهَــــــا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِى إِلَى تَرْجُمَانِ [٥]

وأمثاله كثيرة .

---

(١) ديوانه : ٣٤ ، والجامع الكبير ، ١٢٠ .

والبطل : بضم الباء وسكون الطاء ، والباطل بمعنى واحد ، وأراد بالأقارع بنى قريع بن عوف ، وهم من بنى تميم ، وكانوا قد وشوا به إلى النعمان ، وذكروا أنه يصف في شعره زوجته المتجردة (من شرح الأعلم) .

(٢) البديع لابن المعتز : ٦٠ ، والصناعتين : ٥٥ ، ٤١٠ ، وحلية المحاضرة : ف ٥٢ ، والعمدة : ٤٥/٢ ، وبديع ابن منقذ : ١٣٠ ، والجامع الكبير : ١٢٠ . وهو من الأبيات المفردة فى ديوانه جمع د. إحسان عباس : ٥٠٧ .

(٣) هو عوف بن مُحَلِّم الْخُزاعيّ أبو المنهال أحد العلماء الأدباء الرواة الشعراء أصله من حرّان من موالى بني أمية أو بنى شيبان توفى نحو ٢٢٠ هـ .

(٤) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين أبو العباس ، أمير خراسان ، من أشهر الولاة في العصر العباسي وتوفى بنيسابور أو مرو سنة ٢٣٠ هـ .

(٥) الصناعتين : ٥٥ ، ٤١٠ ، والجامع الكبير : ١٢٠ وتحرير التحبير : ٢٩٢ ، ٣٦٠ .

وأما الثانى و هو الذى يأتى فى الكلام لغير فائدة فهو ضربان :

الأول : أن يكون دخوله فى التأليف كخروجه منه لا يؤثر حسنًا ولا قبحًا . فمن فمن ذلك قول النابغة :

يقولُ رِجَالٌ يَجْهَلون خَليقَتى   لَعَلَّ زِيَاداً – لا أباللكَ – غافلُ [(١)]

فقوله : « لا أباللك » اعتراض لا فائدة فيه وليس مؤثرًا فى هذا البيت حسنًا ولا قبحًا .

الضرب الثانى منه : وهو الذى يكون مؤثرًا فى الكلام نقصًا ، وفى المعنى فسادًا . ومنه قول بعضهم :

فَقَدْ والشَكُّ بَيَّنَ لى عناءٌ   بِوَشْكِ فِراقِهِمْ صُرَدٌ يَصيحُ [(٢)]

فإن فى هذا البيت من ردىء الاعتراض ما أذكره : وهو الفصل بين « قد » والفعل الذى هو « بَيَّنَ » ، وذلك قبيح لقوة اتصال « قد » بما تدخل عليه من الأفعال . ألا تراها تعد مع الفعل كالجزء منه ؛ ولذلك دخلت اللام المراد بها توكيد الفعل على « قد » فى قوله تعالى : ﴿ ولقد أُوحِىَ إليك وإلى الذين من قبلك ﴾ [سورة الزمر : ٦٥] . وفى قوله تعالى : ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ﴾ [سورة البقرة : ١٠٢] . وقول الشاعر : (وهو الفراة السلمى) [(٣)] .

---

(١) ديوانه ١١٩ ، والجامع الكبير : ١٢٠ . ورواية الديوان : ينكرون .

(٢) الجامع الكبير : ١٢١ ، والمثل السائر : ٤٨٠/٣ دون نسبة وكانت رواية (ط) فقد – وأبيك – بين لى عشاءٌ .

وهى رواية ليس فيها من القبح ما سيشير إليه المؤلف ، فما فيها من التقديم محتمل ، ومثله كثير ، وقد قال المصنف بعد ذلك بقليل : إن الفصل بالقسم بين قد والفعل معا لا بأس به ؛ ولذلك عدلت إلى مافي المثل السائر والجامع الكبير .

والصرد : بضم الصاد وفتح الراء : طائر كانت العرب تتشاءم من صوته .

(٣) مابين القوسين – كذا – فى (ط) (الفراة بالهاء المربوطة) ، وهى زيادة ليست في مطبوعتي الجامع والمثل السائر ، وهي زيادة فيها وهم وتحريف ، فهذا البيت من شعر الفارس الشاعر عمرو بن معد يكرب وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، والبيت مطلع مقطوعة له فى ديوان الحماسة لأبى تمام : ١٠٦/١ ، وبعدها بمقطوعتين مقطوعة من ثلاثة أبيات للفرار السلمي الشاعر واسمه حيان بن الحكيم =

وَلَقَـدْ أُجْمَـعُ رِجْلَـىَّ بِهَـا حَـذَرَ المَوْتِ وإنِّـى لَفَـرورُ [١]

إلا أنه إذا فصل بين « قد » والفعل بالقسم فإن ذلك لا بأس به نحو قولك : قد والله / كان ذلك . وقد [فصل بين المبتدأ الذى هو « الشك » وبين الخبر الذى هو « عناء » بقوله : « بيّن » ، وفصل بين الفعل الذى هو « بيّن » وبين فاعله الذى هو « صرّد » بخبر المبتدأ الذى هو عناء] [٢] فجاء هذا البيت لاخفاء بقبحه . ومن بديع الاعتراض قول المتنبى : ٩٧

وَيَحْتَقِـرُ الدُّنْيَـا احتقَـارَ مُجَـرِّبٍ يَرَى أَنَّ مَا فِيها – وَحَاشَاكَ – فَانيا [٣]

وهذا البيت حشوه يصلح أن يكون من باب الحشو ويصلح أن يكون من باب الاحتراس .

« قال المصنف عفا الله عنه : ذكر أسامة فى بديعه أن الحشو غير المفيد أن تأتى فى الكلام بألفاظ زائدة ليس فيها فائدة مثل قول النابغة :

تَوَهَّـمْتُ آيَـاتٍ لها فَعَرَفْتُهـا لِستَّةِ أَعْوامٍ وذا العامُ سابِعُ [٤]

= أو حبان (بالباء) الموحدة (وهو شاعر مخضرم أيضًا أدرك الجاهلية والإسلام وكان يسمى فى الجاهلية الفرار لأنه فر من بنى عوف .

والبيت فى الأشباه والنظائر للخالدين : ٣٠٤/٢ ، وقوله (وإنى لغرور) وقع بالغين المعجمة فى (ط) ، وديوان الحماسة (عسيلان) ، وهو تصحيف . والصواب بالفاء صيغة مبالغة من (فرّ) ، والمعنى : أنه يقاتل إذا كان يرى وجها للقتال ، ويفرّ إذا لم ير لذلك وجها . كما ذكر الخالديان . انظر الأشباه والنظائر : ٣٠٤/٢ .

(١) ديوان الحماسة : ١٠٦/١ والجامع الكبير : ١٢١ ، والمثل السائر : ٤٨/٣ ، وكان فى ط (وقد أجمع) .

(٢) مابين المعقوفين زيادة من الجامع الكبير : ١٢١ ، وعند هذا الموضع أشار مصحح المطبوعة إلى أنه كان بياضًا فى الأصل .

(٣) ديوانه : ٤٢٧/٤ ، وبديع ابن منقذ : ١٤٢ ، ورواية الديوان (وتحتقر) بالتاء .

(٤) ديوانه : ٣٠ ، والصناعتين : ٥٥ ، وبديع ابن منقذ : ١٤٢ .

قال الأعلم : الآيات : علامات الدار التى تعرف بها ، وقوله : « لستة أعوام » يريد بعد ستة أعوام كما يقال : « وكتبت لليلة خلت من الشهر » . أى بعد ليلة . وعلق ابن منقذ على البيت بقوله : وكان الأجود أن يقول لسبعة أعوام فيستغنى عن قوله ستة أعوام وعام سابع .

وقال آخر [١] :

نــأت سلمــى فعــاوَدَنى   صُداعُ الرأسِ والوَصَبُ [٢]

فقوله : « الرأس » حشو لا فائدة فيه : لأن الصداع لا يكون إلا فى الرأس .

وفى الحماسة [٣] :

أَنْعَى فَتًى لَمْ تَذُرَّ الشمسُ طالعةً   يَوْمًا مِنْ الدَّهْرِ إلا ضَرَّ أَوْ نَفَعا

فقوله : « طالعة » حشو لا فائدة فيه لأن قولهم : « ذرّت الشمس » ، أى : طلعت [٤] .

---

(١) هو أبو العيال الهذلى ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وعمّر إلى خلافة معاوية .

(٢) شرح أشعار الهذليين : ٤٢٤/١ ، وديوان الهذليين : ٢٤٢/٢ ، وبديع ابن منقذ : ١٤٣ ، والصناعتين : ٤١ .

وهذه الرواية رواية ابن منقذ فى بديعه : ١٤٣ ، وصدره فى غيره : (ذكرت أخى فعاودنى) .

وهى فى رثاء ابن عمّ له قتل بالقسطنطينيه قتلته الروم زمان معاوية . أمّا رواية شرح أشعار الهذليين فعجزه فيها :

رُداعُ السُّقم والوصبُ

وشرحه السكرى بأن « الرّداع » : النّكس : يقال قد ارتدع فى مرضه . وعلى هذه الرواية لا يتوجه عليها شىء من النقد . وهذه الرواية هى الأجود والملائمة لسياق الشعر – إن شاء الله – فبعد هذا البيت قوله :

كما يعتادُ ذاتَ البو بعد سُلُوِّها الطرب

وذاتُ البَوّ : الناقة التى مات ولدها فحشى جلده تبنًا لترأمه ، و « الطرب » خفة وضيق فى النفس يكون من الفرح والحزن ، و « الوصب » صُداع الرأس . فهذا التشبيه هو الملائم لوصف حاله من انتكاسه فى مرضه بعد أن كاد يبلّ ، مثل هذه الناقة التى قاربت على السلو عن وليدها ثم فجأة يعاودها الحنين والتذكر فيعتادها ماكان يعتادها ، وهذا التشبيه لا يستقيم مع غير رواية :

« رُداع السقم والوصبُ »

(٣) ديوان الحماسة ٤٨٣/١ لامرأة من كِنْدَةَ ، والصناعتين : ٥٤ ، وبديع ابن منقذ : ١٤٣ .

(٤) الحشو فى البيت عند العسكرى فى قوله (يومًا من الدهر) ، « لأن الشمس لا تطلع ليلاً ، إلا أنه ليس بقبيح وهو داخل فى طريقة التوكيد » انظر الصناعتين : ٥٤ .

قال المصنف عفا الله عنه : وهذه الكلمات التى ذكرها ليست بزائدة ، بل لها معان . فقوله : « لستة أعوام وذا العام سابع » – فليس بزائد وقد ورد مثله فى القرآن وهو قوله تعالى : ﴿ ثلاثَةِ أيامٍ فى الحجّ وسبعة إذا رَجَعْتُمْ تلك عَشَرَةٌ كاملةٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٩٦] . وإنما قال ذلك ؛ للذى تقدم بيانه فى باب التتميم وهو رفع اللبس وتقرير المعنى فى النفس .

وأما قوله : « صداع الرأس » – فهو من الإصابة والشق . ومثل ذلك يتهيأ فى سائر الأعضاء .

وأما قوله : « تَذُرُّ الشمسُ طالعةً » فهما وإن كانا بمعنى واحد فالعرب من عادتها أن تكرر لفظين بمعنى واحد للتأكيد . كقول الشاعر :

وهندٌ أتى مِنْ دُونها النأْىُ والْبُعْدُ [١]

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَهِّلِ الكافرين أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [سورة الطارق : ١٧] . والذى اقتضاه قول أسامة وغيره من العلماء أن الحشو على قسمين . قبيح وحسن . فالقبيح ما أشار إليه أسامة . والحسن ما أشار إليه غيره والله أعلم .

* * *

(١) عجز بيت للحطيئة : ديوانه ٦٤ : وصدره

ألا حبذا هند وأرض بها هند

/ القسم السابع

الالتفات (*)

وهو نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى . وأرباب هذا الشأن فيه على ثلاثة مذاهب . ذهب قوم أنه على ثلاثة أقسام (1) :

الأول : الانتفال من الغيبة إلى الحضور ، ومن الحضور إلى الغيبة كقوله تعالى : ﴿ مَلكِ (2) يوْمِ الدين إيّاك نَعبُدُ وإياكَ نستعين ﴾ [سورة الفاتحة : ٥] وعكسه ﴿ الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ﴾ (3) [سورة الفاتحة : ٧] ولم يقل غير الذين غضبت عليهم . وكذلك قوله تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لِنُرِيَهُ مِن آياتِنا إنه هو السميعُ البصير ﴾ [سورة الإسراء : ١] وقوله تعالى : ﴿ وأَوْحى فى كل سماء أمرَها وَزَيَّنّا السماءَ الدُّنيا بمصابيحَ وحِفْظًا ﴾ [سورة فُصِّلَت : ١٢] وقوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرّحمنُ وَلدًا لقد جِئتُمْ شيئًا إدًّا ﴾ [سورة مريم : ٨٩] ومثله فى القرآن كثير .

(*) الالتفات بحثه فى : بديع ابن المعتز : ٥٨ ، ونقد الشعر لقدامه : ١٥٠ ، والصناعتين : ٤٠٧ ، والعمدة : ٤٥/٢ ، ونهاية الإيجاز : ٢٨٧ ، والمعيار ١٠٣ ، والجامع الكبير : ٩٨ ، والمثل السائر : ١٦٧/٢ ، وتحرير التحبير : ١٢٣ . ويطلق الحاتمى « الالتفات » على ما سمّاه ابن المعتز « الاعتراض » انظر : حلية المحاضرة ف ٥١ .

(1) هذه قسمة ابن الأثير فى المثل السائر : ١٦٧/٢ - ١٨٦ .

(2) هى قراءة العشرة إلا عاصما والكسائىّ ويعقوب وخلف فى اختياره ، فقد قرأوا بألف بعد الميم (مالك) : انظر البدور الزاهرة : ١٦ .

(3) الانتقال - هنا - فى الآية من الخطاب فى (أنعمت) إلى الغيبة فى (المغضوب عليهم) حيث إنّ إسم المفعول يبنى من الفعل المبنى للمجهول ، فكأنه قال : غير الذين غُضِبَ عليهم ؛ فعدل عن أسلوب الخطاب . هذا ما يظهر لى - والله أعلم .

ولا يخلو شيء من ذلك من حكم جزئية تليق بذلك الكلام الخاص كما في هذا الموضع ، وأنّ القول إذا اشتمل على سوء أدب على عظيم كان الأَوْلى التعبير عنه بلفظ الغائب ؛ إذ الإقدام على ذلك قُدّامَ الحاضر أفحش وأكثر جرأة . والجناب العظيم ينبغي أن يُحاشى من ذلك . يبين ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئًا إدًّا ﴾ [سورة مريم : ٨٩] ثم لما أن أراد توبيخهم على هذا القول عبَّر عنه بالحضور ؛ لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة .

الثاني : الالتفات من الماضي إلى الأمر [١] كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بالقسط وأقيموا وُجوهكم عند كل مسجد وادْعوهُ مخلِصين ﴾ [سورة الأعراف : ٢٩] . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَأُحِلَّتْ لكم الأنعامُ [٢] إلا ما يُتلى عليكم فاجتنبوا الرِّجْسَ من الأوثانِ واجتنبوا قوْل الزورِ ﴾ [سورة الحج : ٣٠] .

الثالث : الالتفات من الماضي إلى المستقبل وبالعكس كقوله تعالى : ﴿ فكأنما خرّ من السماء فتَخطَفُه الطيرُ أو تهوِي به الريحُ في مكان سَحيق ﴾ [سورة الحج : ٣١] وقوله تعالى : ﴿ والله الذى أرسلَ الرياحَ فتُثيرُ سَحابًا فسُقناهُ إلى بلدٍ مَيْت [٣] فأحيينا به الأرض بعدَ موتِها كذلك النشور ﴾ [سورة فاطر : ٩] ، وقوله تعالى : ﴿ ويومَ يُنفَخُ في الصُور فَفَزِعَ مَنْ في السمواتِ ومَن في الأرض ﴾ / [سورة النمل : ٨٧] وقوله تعالى : ﴿ ويوم نُسيِّرُ الجبال وتَرى الأرض بارِزةً وحشرناهم فلم نُغادر منْهُم أحدًا ﴾ [سورة الكهف : ٤٧] وقوله تعالى : ﴿ ألم تَرَ أن الله أنزل من السماءِ ماءً فتُصبحُ الأرض مخضرةً إن الله لطيفٌ خبيرٌ له ما في السمواتِ ﴾ [سورة الحج : ٦٣ – ٦٤] وقوله تعالى : ﴿ إنّ الذين كفروا ويصدُّون عن سبيلِ الله ﴾ [سورة الحج : ٢٥] .

٩٩

---

(١) ط (المضارع) وهو خطأ .

(٢) كان في ط : (أحلت لكم بهيمة الأنعام) وهو وهم .

(٣) (مَيْتٍ) ضبطها كذا في (ط) بفتح الميم وسكون الياء . وهي قراءة العشرة إلا حفصًا والمدنيين وحمزة والكسائيّ وخلف فقرؤوا بتشديد الياء (انظر البدور الزاهرة : ٢٦٢) .

ولا يخلو هذا عن حكمة كما فى هذه الآية فإن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبّر عنه بالماضى ليفيد ذلك مع كونه باقيًا أنه قد مضى عليه زمان ، ولا كذلك الصد عن سبيل الله فإن حكمه إنما يثبت حال حصوله نعنى بذلك فهو فى كل وقت كافر ما لم يأت بالإيمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله ومع ذلك فإن الفعل المستقبل فيه إشعار بالكثير فيكون قوله : ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ – مشعرًا بأنهم فى كل وقت كذلك . ولا كذلك لو قال وصدوا لأن ذلك يكون مشعراً بأن صدهم قد انقطع .

وذهب قوم [١] إلى أن الالتفات إذا انقطع الكلام يعقبه بجملة ملاقية إياه فى المعنى ليكون تتميمًا له على جهة المثل والدعاء أو غيرهما كقوله تعالى : ﴿ وقل جاءَ الحق وزهَق الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقًا ﴾ [سورة الإسراء : ٨١] ومن هذا النوع قول جرير :

مجازيعُ عندَ البأس والحُرُّ يَصْبِرُ [٢]

وذهب قوم [٣] إلى أن الالتفات هو أن تذكر معنى فتتوهم أن السامع اعترضه شك فى ذلك أو فى سببه أو علته فتذكر ما يزيل شكه كقول المُعَطَّل [٤] :

تَبِينُ صُلاةُ الْحَرْبِ مِنَّا وَمِنْهُـمُ إِذاَ مَا الْتَقَيْنَا والْمُسَالِمُ بَادِنُ [٥]

---

(١) انظر : المعيار للزنجانى : ١٠٣ .

(٢) لم أقع عليه فى ديوانه أو لعله صدر بيت له وهذا من الصعب العثور عليه .

(٣) انظر الصناعتين : ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، والمعيار : ١٠٣ – ١٠٤ .

(٤) كان فى (ط) ، (الأخطل) وهو تحريف ، وصوابه : (المُعَطّل) الهُذَلِى أخو بنى زُهْم ابن سعد بن هذيل . انظر : شرح أشعار الهذليين : ٤٥٠/١ ، وديوان الهذليين : ٤٤٥/١ ، ونقد الشعر لقدامة : ١٤٧ ، والصناعتين : ٣١١ .

(٥) كان فى (ط) : (صلاتُ ، ويأذنُ) وهوتحريف .

قال السكرى : (صُلاة الحرب) : الذين يصلون الحرب . يقول : يستبينون بهزالهم وشحوبهم . « والمسالم بادن » : سالمٌ . يقول : الذى ليس بمحارب هو سمين ، لأنّ الحرب إنما تهزل أهلها ، فهذا مسالم ونحن حرب » شرح أشعار الهذليين : ٤٥٠/١ .

فتبيّن بقوله : « والمسالم بادن [١] » كيفية ظهور المحارب منه . [٢]
والصحيح القول الأول وما ذكره بعده يجوز أن يكون من أنواع الالتفات .

ومن بديعه قوله تعالى : ﴿ يوسفُ أَعْرِضْ عن هذا واستغفرى لِذَنْبِكِ ﴾ [سورة يوسف : ٢٩] خاطب يوسف بأعرض عن هذا والتفت إلى زليخا . ومنه أيضًا قوله عز وجل ﴿ حتى إذا كنتم فى الفلك وَجَرَيْنَ بهم بريح طيبة ﴾ [سورة يونس : ٢٢] . ومن بديع ما جاء منه فى النظم قول امرىء القيس :

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالأَثْمُدِ ... وَنَامَ الْخَلِىُّ وَلَمْ تَرْقُدِ
وباتَ وباتتْ له ليلةٌ ... كليلةِ ذى العائرِ الأَرْمَدِ
وذلك عن خبرٍ جاءَنى ... وخُبِّرتُهُ عن أبى الأَسوَدِ [٣]

/ قال المصنف عفا الله عنه : ذكر ابن الأثير فى جامعه أن الالتفات على ثمانية أقسام [٤] : ١٠٠

الأول : الرجوع من الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى : ﴿ الحمدُ للهِ رب العالمين ﴾ [سورة الفاتحة : ٢] إلى قوله : ﴿ إياك نعبُدُ وإياك نستعين ﴾ [سورة الفاتحة : ٥] .

---

(١) (ط) : (يأذن) وهو تحريف كما سبق .

(٢) الضمير فى (منه) يعود على « المسالم » فى قوله : (والمسالم بادن) .

(٣) ديوانه : ١٨٥ ، وذكر محقق الديوان أنه اختلف فى نسبة هذه الأبيات فنسبها ابن الكلبى لعمرو ابن معد يكرب ، وابن دريد لامرىء القيس بن عابس . انظر ديوان امرىء القيس : ٤٢٩ .

(٤) ابن الأثير ليس صاحب هذه القسمة الثمانية للالتفات . وهو تلفيق وتصرف من ابن النقيب رحمه الله فى نص كلام ابن الأثير فى الجامع الكبير . والذى – فى الجامع الكبير – من أقسام الالتفات ثلاثة : الأول : الالتفات بين الضمائر ، والثانى : الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، والثالث : الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب ، الجمع ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد . وأما الإخبار عن الفعل الماضى بالمضارع وعن الفعل المضارع بالماضى ، فهو قسم مستقل برأسه فى الجامع الكبير : ١٠٢ ، وجعله القسم الثالث من النوع الثالث : فى شجاعة العربية ، وبعده : عكس الظاهر : (١٠٥) ، وهذا النهج خالف فيه ابن الأثير فى المثل السائر : (١٨١/٢) فجعل الإخبار عن الماضى بالمضارع وعكسه من الالتفات . وعكس الظاهر عنده فن مستقل برأسه (المثل السائر : ٢٤٨/٢) ، فقام ابن النقيب بالتلفيق بين هذه الأقسام وأخرج منها هذه القسمة الثمانية للالتفات ونسبها لابن الأثير فى الجامع الكبير . وهو منها براء .

وإنما فعل ذلك لفوائد : وهى أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفاتِ العظامَ من الربوبية العامة والملك الخاص فعلم المُعلَم [١] بمعلومٍ عظيمِ الشأن حقيقٍ بالخضوع له والاستعانة به فى المهمات ؛ فخوطبَ ذلك المعلوم الموصوف بتلك الصفات فقيل : ﴿ إياك نعبدُ وإياك نستعين ﴾ يامن هذه صفاته .

والفائدة الأخرى أن قوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ليس العدول فيه اتساعًا [٢] ، وإنما عُدِل إليه ؛ لأن الحمد دون العبادة فإنك تحمد نظيرك ولا تعبده ؛ فلما كان الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة فى الخبر فقال : ﴿ الحمد لله ﴾ ولم يقل « لك » ولما صار إلى العبادة التى هى أقصى الطاعات قال : ﴿ إياك نعبد ﴾ تصريحًا بها وتقربًا منه عز اسمه بالانتهاء إلى محدوده منها . وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [سورة الفاتحة : ٧] فصرح بالخطاب لمّا ذكر النعمة ثم قال : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ ولم يقل غير الذين غضبت عليهم ؛ لأن الأول موضع التقرب إلى الله بذكر النعمة فلما صار إلى ذكر الغضب قال : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ فجاء باللفظ منحرفًا به عن ذكر الغضب فأسند النعمة إليه لفظًا وزوى عنه لفظ الغضب تحننًا ولطفًا (ومن هذا الجنس قوله تعالى : ﴿ الحمدُ لله الذى لم يتخذ وَلدًا ﴾ [٣] وشبهه .

الثانى : الرجوع من الخطاب إلى الغيبة كقوله عز وجل : ﴿ هو الذى يُسَيِّرُكم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفُلْك وجَرَيْنَ بهم بريح طيبةٍ وفرحوا بها ﴾ [سورة يونس : ٢٣] صرف الكلام ههنا من خطاب المواجهة إلى الغيبة وإنما فعل ذلك [لفائدة] [٤] وهو أنه ذكر لغيرهم حالهم لِيُعَجِّبَهم منها كالمخبِر لهم

---

(١) لفظ الجامع : (العالم) .

(٢) أى العدول عن الغيبة إلى الخطاب .

(٣) يبدو أن الشيخ ابن النقيب – رحمه الله – وهم فى سياقة هذه الآية أو أنه وقع تحريف فى الأصل ؛ فهذه الآية الأخيرة من سورة الإسراء ﴿ وقل الحمد لله .. ﴾ لا التفات فيها ؛ حيث بدأت بالخطاب فى قوله وقل الحمد لله) وانتهت بالخطاب فى قوله (كبّره تكبيرًا) . ومافى مطبوعة الجامع الكبير : ٩٩ التمثيل بقوله تعالى ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئًا إدًا ﴾ [سورة مريم : ٨٨ – ٨٩] وهو الصواب .

(٤) ساقطة من (ط) .

ويستدعى منهم الإنكار عليهم والتقبيح لفعلهم ولو قال : « حتى إذا كنتم فى الفلك وجرَين بكم » ، وساق الخطاب إلى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التى أنتجها خطاب الغيبة .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن هذه أمّتكم أمةً واحدةً وأنا ربُكم فاعبدون وتقطّعوا أمرَهم بينهم ﴾ [1] [سورة الأنبياء : ٩٢ - ٩٣] الأصل أن يعطف على الفعل الأول [2] إلا أنه صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه يَنْعَى عليهم ما أفسدوه إلى قوم آخرين ويُقَبّح عليهم ما فعلوه ، ويقول : ألا ترون إلى عظيم ما / ارتكب هؤلاء فى دين الله فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعًا ! ١٠١ وذلك مَثَل لاختلافهم فيه وتباينهم . ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوه .

ومما ينخرط فى هذا السلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ ياأيها الناسُ إنى رسولُ الله إليكم جميعًا الذى له مُلكُ السموات والأرض ﴾ الآية [3] فإنه إنما قال : [« فآمنوا بالله ورسوله » ولم يقل] : [4] « فآمنوا بالله وبى » [5] حيث قال أولاً : « إنى رسول الله إليكم » لكى تجرى عليه الصفات التى أجريت عليه ، وليعلم أن الذى وجب الإيمان به والاتباع له هو هذا الشخص المستقبَل بأنه النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته كائنًا من كان أنا أو غيرى إظهارًا [6] للنَّصَفَة [7]

---

(١) وقعت الآية فى (ط) ، ومطبوعة الجامع : (فاتقون فتقطعوا) وهو وهم .

(٢) مافى الجامع الكبير : ١٠٠ (الأصل فى « تقطعوا » تقطعتم ، عطف على الأول) .

(٣) تكملة الآية : ﴿ لا إله إلا هو يحى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمّى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٨] .

(٤) مابين المعقوفين زيادة من الجامع لازمة .

(٥) فى (ط) ، ومطبوعة الجامع الكبير : ١٠٠ ، ﴿ فآمنوا بالله ربى ﴾ . وهذا تصحيف ، والسياق يحكم لما أثبت بالصحة ، وهو فى المثل السائر : ١٧٩/٢ .

(٦) ط : (اضطرارًا) . وأثبت لفظ الجامع : ١٠١ ، والمثل السائر : ١٧٩/٢ .

(٧) فى مطبوعة الجامع : (النَّصَف) ، وكلاهما صواب . قال فى القاموس : « الإنصافُ » : العَدْلُ ، والاسم : النَّصَفُ ، والنَّصَفَةُ ، محركتين » .

وبُعدًا للتعصب لنفسه فقرر أولاً فى صدر الآية بأنه رسول الله إلى الناس وأثبت ذلك فى أنفسهم ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى الغيبة لغرضين كبيرين قد ذكرتهما : **الأول** : إجراء تلك الصفات عليه . **الثانى** : الخروج من تهمة العصبية لنفسه . فافهم ذلك .

الثالث : الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر فعل ذلك تعظيمًا لمن أجرى عليه الفعل المستقبل وتفخيمًا لأمره ، وبالضد من ذلك فى حق من أجرى عليه فعل الأمر . فمما جاء من ذلك قوله تعالى : ﴿ قالوا يا هُودُ ما جئتنا ببيِّنة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ﴾ إلى قوله : ﴿ مما تشركون ﴾ الآية [(١)] . فإنه إنما قال : « أشهِدُ اللهَ واشهَدوا » ولم يقل : « وأشهدكم » ليكون موازيًا [(٢)] له وبمعناه لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت فى معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده . وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم ؛ ولذلك عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجىء به على لفظ الأمر كما تقول للرجل تهكمًا به واستهانة :— « اشهد على أنى أحبك » . وأمثال هذا كثير فاعرفه .

الرابع : الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّءا لقومِكما بمصرَ بُيوتًا واجعلوا بُيوتَكم قِبلةً وأقيموا الصلاة وبشرِ المؤمنين ﴾ [سورة يونس : ٨٧] [(٣)] . فإنه توسع فى هذا الخطاب فثنى ثم جمع ثم وحد ، فخاطب موسى وهارون فى ذلك عليهما السلام بالتبوء . والاختيارُ فى ذلك مما يفوض [(٤)] [إلى الأنبياء] ، ثم ساق / الخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد ١٠٢

---

(١) تكملة الآية : ﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء . قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون ﴾ [سورة هود : ٥٣ ، ٥٤] ، وكان فى (ط) : ما تشركون . وهو خطأ .

(٢) فى الجامع : ١٠١ ، والمثل : ١٨٠/٢ : (موازنًا) بالنون الموحدة من فوق .

(٣) أشار فى (ط) عند هذا الموضع إلى أنه موجود بهامش الأصل المخطوط مانصه : (لعله خطاب لهما ولهم كتبه أبو الوفا) .

(٤) ط : (يفوض إلى) وما أثبته لفظ الجامع : ١٠١ .

وإقامة الصلاة ؛ لأن [١] ذلك واجب على الجمهور ، ثم خص موسى ﷺ بالبشارة التى هى الغرض ، تعظيمًا له وتفخيمًا لأمره لأنه الرسول على الحقيقة .

ومن هذا النحو قوله تعالى حكايةً عن حبيب النجار [٢] ﴿ ومالى لا أعبُدُ الذى فَطَرَنى وإليه تُرجَعون ﴾ [سورة يس : ٢٢] . هذا عدول عن خطاب الواحد إلى خطاب الجماعة . وإنما صرف [٣] الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم لأنه أفرد [٤] الكلام لهم فى معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم لتلطفه بهم ومداراتهم فإن ذلك أدخل فى إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه . وقد وضع قوله : « ومالى لا أعبد الذى فطرنى » موضع قوله : « ومالكم لا تعبُدُون الذى فطركم » ألا ترى إلى قوله : « وإليه ترجعون » ولولا أنه قصد ذلك لقال : الذى فطرنى وإليه أرجع . وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال « إنى آمنتُ بربكم فاسمعون » [سورة يس : ٢٥] يريد فاسمعوا قولى وأطيعون فقد نبهتكم على الصحيح الذى لا معدل عنه ؛ لأن العبادة لاتصح إلا لمن منه مبدؤكم وإليه ترجعون .

الخامس : الإخبار عن الفعل الماضى بالمضارع ، وهو قسم من الالتفات لطيف المأخذ دقيق المغزى :

اعلم أن الفعل المضارع إذا أتى به فى حالة الإخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضى ؛ وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يسمعها ويشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى . فمما جاء منه قوله تعالى : ﴿ والله الذى أرسل الرياحَ فتُثيرُ

---

(١) لفظ الجامع : ١٠٢ (كأن) .

(٢) هو مؤمن مدينة أنطاكية الذى آمن بالرسل الثلاثة المبعوثين إليها ، وهو الرجل المعنّى فى قوله تعالى : ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجلٌ يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون . ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون ... ﴾ الخ الآيات [سورة يس ٢٠ - ٢٧] .

(٣) ط : (وإنمام) . والتصويب من الجامع .

(٤) الجامع : (أبرز) .

سحابًا فسُقناه إلى بلدٍ ميْتٍ [١] فأحيينا به الأرض بعدَ موتها كذلك النشور ﴾ [سورة فاطر : ٩] فإنه إنما قيل : « تثير » مضارعًا وما قبله وما بعده ماض لذلك المعنى الذى أشرنا إليه ، وهو حكاية الحال الذى يقع فيها إثارة الريح للسحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع تميز وخصوصية بحال تستغرب أوتهم المخاطب أو تميز ذلك . ومنه قول تأبط شرًا :

لَقِيتُ الْغُولَ تَهْوِى نَحْو وَجْهِى ... بِقَفْرٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ [٢]
فَأَضْرِبُهَا بَلا دَهَشٍ فَخَرَّتْ ... صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ

لأنه قصد أن يصور صورة الحال التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنهُ يُبصِّرهم ويُطْلِعُهم على كنهها مشاهدةً للتعجب من جُرأته على ذلك الهول [٣] ١٠٣ وثباته عند تلك الشدة . ولو قال / « فضربتها » لزالت تلك الفائدة التى ذكرناها ونبهنا عليها .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ألم تَرَ أن اللهَ أنزلَ من السماءِ ماءً فتُصبحُ الأرض مُخْضَرَّةً إن اللهَ لطيفٌ خبير ﴾ [سورة الحج : ٦٣] ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضى هاهنا إلى المضارع فقال : « فتصبح الأرض مخضرة » وذلك لإفادة بقاء المطر زمانًا بعد زمان كما يقال [٤] : « أنعم عَلَىَّ فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرًا » ، ولو قال : « فَرحتُ وغدوت شاكرًا له » لم يقع ذلك الموقع . فافهم ما أشرنا إليه .

---

(١) ضبط فى (ط) لفظ « ميْت » بسكون الياء . وانظر هامش : ٣ ، ص ٢٠٣ .

(٢) ديوانه : ٢٢٤ – ٢٢٥ ، وروايته (بأنى قد لقيت الغول تهوى بسهب ..) والجامع الكبير : ١٠٣ ، والمثل السائر : ١٨٣/٢ . وقال جامع الديوان : والصحصحان : الأرض المستوية الواسعة العارية . والجران : مقدم العنق .

(٣) ط : (الغول) والتصويب عن الجامع : ١٠٣ ، والمثل السائر : ١٨٣/٢ .

(٤) ط : (قال) والتصويب من الجامع .

السادس : الإخبار بالفعل الماضى عن المضارع وهو عكس ماتقدم ذكره . وفائدته أن الفعل الماضى إذا أخبر به عن الفعل المضارع الذى لم يوجد كان أبلغ وآكد وأعظم موقعًا وأفخم شأنًا ؛ لأن الفعل الماضى يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد وحدث وصار من الأمور المقطوع بكونها وحدوثها .

والفرق بينه وبين الإخبار بالفعل المضارع عن الماضى هو أن الفعل الماضى يُخْبَرُ به عن المضارع إذا كان الفعل المضارع من الأشياء الهائلة التى لم توجد والأمور المتعاظمة التى [لم] [1] تحدث فيجعل عند ذلك مما قد كان ووُجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه . وأما الفعل المضارع إذا أخبر به عن الفعل الماضى فإن الغرض بذلك تبيان [2] هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يعاينها ويشاهدها .

فمن الإخبار بالفعل الماضى عن المضارع قوله تعالى : ﴿ ويوم يُنفخُ فى الصُور ففزع مَن فى السمواتِ ومَن فى الأرض إلا مَن شاء اللهُ وكلّ أتَوْهُ داخرين ﴾ [سورة النمل : ٨٧] فإنه إنما قال : « ففزع » بلفظ الماضى بعد قوله : « ينفخ » وهو مستقبل للإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض ؛ لأن الفعل الماضى يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعًا به . ومنه قوله تعالى : ﴿ وبرزوا للهِ جميعًا ﴾ [سورة إبراهيم : ٢١] فبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيامة . وإنما جيء به بلفظ الماضى لأن ما أخبر الله به لصدقه وصحته كأنه قد كان ووجد .

ومثل ذلك قوله عز وجل : ﴿ أتى أمرُ اللهِ فلا تستعجلوهُ ﴾ [سورة النحل : ١] فإن « أتى » هاهنا بمعنى « يأتى » وإنما حسن فيه لفظ الماضى لصدق

---

(١) زيادة عن الجامع : ١٠٤ .

(٢) ط : (شيئان) . وفى الجامع : (تبيين) وما أثبته هو ما استظهرته بمقارنة اللفظين – فهذا – كأنه تصحف على ناشر المطبوعة قراءة (تبيان) فحرفها إلى (شيئان) . أو أنه خطأ قديم فى الأصل المخطوط .

إثبات [١] الأمر ودخوله فى جملة مالابد من حدوثه ووقوعه فصار « يأتى » بمنزلة « قد أتى ومضى » .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ ويوم نُسيِّر الجبالَ وتَرى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نُغادر منهم أحدًا ﴾ [سورة الكهف : ٤٧] فإنه إنما قال : « وحشرناهم » ماضيًا بعد « نسير » ، و« ترى » وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم / قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الأهوال كأنه قال : وحشرناهم قبل ذلك . ١٠٤

السابع : الإخبار باسم المفعول عن الفعل المضارع : وإنما فُعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضى وقد سبق الكلام عليه . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن فى ذلك لآيةً لمن خافَ عذابَ الآخرةِ ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلك يومٌ مشهودٌ ﴾[سورة هود : ١٠٣] فإنه إنما آثر اسم المفعول هاهنا على الفعل المضارع ؛ لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع [لليوم] [٢] وأنه لابد من أن يكون ميعادًا مضروبًا لجمع الناس وأنه الموصوف بهذه الصفة . وإن شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى : ﴿ يومَ يجمعكم ليوم الجمعِ ذلك يوم التغابُن ﴾ [سورة التغابن : ٩] فإنك تعثر على صحة ما قلت .

الثامن : عكس الظاهر [٣] : وهو أن العرب قد توسعوا فى كلامهم وتجوزوا إلى غاية فيذكرون كلامًا يدل ظاهره على معنى وهم يريدون به معنى آخر عكسه وخلافه . والأصل فى ذلك أنك تذكر كلامًا يعطى معناه أنه نفى لصفة شىء قد كان ، وهو نفى الموصوف أنه ما كان أصلاً . فمن ذلك قول

---

(١) الجامع : إتيان .

(٢) زيادة من الجامع : ١٠٥ .

(٣) « عكس الظاهر » قسم متفردٌ برأسه عند ابن الأثير فى الجامع الكبير : ١٠٥ ، والمثل السائر : ٢٤٨/٢ ، وهو فيه – النوع الثالث عشر من أقسام الصناعة المعنوية ، أما « الالتفات » فهو النوع الرابع (المثل السائر : ١٦٧/٢) وانظر ماسبق هامش ٤ ص :٢٠٥

على رضى الله عنه فى وصفه مجلسَ رسول الله ﷺ أنه « لا تنثى فلتاته »[١] أى لا تذاع ، فظاهر ذلك أن ثَمَّ فلتاتٍ غير أنها لاتذاع ، وليس المراد ذلك . بل المراد أنه لم يكن ثَمَّ فلتات أصلاً فتذاع . وهذا مثل قول الشاعر :

ولا ترَى الضبُّ بها ينْجَحِرْ[٢]

أى ليس بها ضب فينجر .

* * *

(١) فى الشمائل المحمدية للترمذى : باب ماجاء فى خَلقه ﷺ (مختصر الشمائل للشيخ ناصر الدين الألبانى : ٢٣) ، وذكره ابن الأثير فى النهاية : ١٦/٥ .

(٢) عَجُز بيت لعمرو بن أحمر الباهلىّ من أبيات يصف فيها فلاة ، وصدره :

لا تُفزع الأرنب أهوالها

الجامع الكبير : ١٠٦ ، والمثل السائر : ٢٤٨/٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

وابن أحمر – هذا – شاعر مخضرم عاش فى الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وجاهد . وتوفى فى خلافة عثمان وقيل أدرك زمان عبد الملك بن مَروان .

القسم الثامن

الحمل على المعنى (*)

وذلك كتأنيث المذكر ، وتذكير المؤنث ، وتصور معنى الواحد للجماعة ، والجماعة للواحد ، وحمل الثانى على لفظ الأول أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً ، أو غير ذلك (١) . وقد ورد فى القرآن العظيم وفصيح الكلام منثورًا ومنظومًا من ذلك كثير ..

١٠٥ فأما تأنيث / المذكر فكقوله تعالى : ﴿ يأأيها الناسُ اتقوا رَبَّكُمُ الذى خَلَقكم من نفس واحدة ﴾ [سورة النساء : ١] والمراد به آدم عليه السلام ، وأنث رَدًّا إلى النفس ، وقرىء فى الشواذ : « من نفس واحد (٢) » . ومنه قوله تعالى : ﴿ وإذ قالت الملائكة ﴾ [سورة آل عمران : ٤٢] والقائل جبريل عليه السلام وله نظائر كثيرة فى القرآن .. ومنه قول الشاعر .

أَبـوكَ خَلِيفَـةٌ وَلَدَتْـهُ أُخْـرَى وَأَنْتَ خَلِيفَـةٌ ذَاكَ الْكَمَـالُ

وقال آخر :

طُولُ اللَّيَالِى أَسْرَعَتْ فِى نَقْضِى (٣)

(*) الحمل على المعنى : فى الجامع الكبير : ١٠٦ . وقد نقله ابن الأثير عن الخصائص (٢/٤١١) وقد صرح هو بسبق ابن جنى إلى الحديث عن هذا الفن .

(١) هذه عبارة ابن جنى فى الخصائص : ٢/٤١١ .

(٢) قال القرطبى : هى قراءة ابن أبى عبلة « تفسير القرطبى : ٥/٢ » .

(٣) كتاب سيبويه : ١/٥٣ ، والخصائص : ٢/٤١٨ .

وقال آخر :

أَتَهْجُـرُ بَيْتًـا بِالْحِجَـازِ تَلَفَّـعَتْ بِهِ الْخَوفُ وَالأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ [١]

وقال آخر :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ المُزْجِى مَطِيَّتَهُ سَائِلْ بَنِى أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ [٢]

فإنه ذهب بالصوت إلى الاستغاثة . وذهب الآخر بالخوف إلى المخافة ..

وأما تذكير المؤنث ، فقد كثر عن العرب تأنيث فعل المضاف المذكر إذا كانت إضافته إلى مؤنث فكان المضاف بعض المضاف إليه أو به أو منه ولذلك قرىء قوله تعالى : ﴿ لا تنفَعُ نفسًا إيمانها ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٨] [٣] بالتأنيث فأنّث فعل الإيمان إذ كان من النفس وبها . وأمثال هذا كثير فى القرآن .. ومنه قول الشاعر [٤] :

لما أتى خبرُ الزبيرِ تـواضعَتْ سورُ المدينة والجبالُ الـخُشَّعُ [٥]

وقول الآخر [٦] :

كما شَرِقَتْ صدْرُ القناةِ من الدّم [٧]

* * *

(١) الخصائص : ٤١٥/٢ .
(٢) الخصائص : ٤١٦/٢ .
(٣) هى قراءة ابن سيرين وأبى العالية . وانظر البحر المحيط : ٢٥٩/٤ - ٢٦٠ .
(٤) هو جرير .
(٥) ديوانه : ٩١٣/٢ ، وكتاب سيبويه : ٥٢/١ ، والخصائص : ٤١٨/٢ .
(٦) الأعشى الكبير .
(٧) عجز بيت له ديوانه : ١٥٩ ، وسيبويه : ٥٢/١ ، والخصائص : ٤١٧/٢ .

/ القسم التاسع

الزيادة فى البناء (*)

وهو أن يقصد المتكلم معنى يعبر عنه لفظتان إحداهما أزيد بناء من الأخرى فيذكر الكلمة التى تزيد حروفها عن الأخرى قصدًا منه إلى الزيادة فى ذلك المعنى الذى عبر عنه ولهذا إن (1) « اعشوشب » ، « واخشوشن » فى المعنى أكثر وأبلغ من « خشن » « وأعشب » . ولهذا وقعت الزيادة بالتشديد أيضًا فإن « ستّار » أبلغ من « ساتر » ، « وغفار » أبلغ من « غافر » . ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفّارًا ﴾ [سورة نوح : ١٠] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وكان الله على كل شيءٍ مقتدِرًا ﴾ [سورة الكهف : ٤٥] عدل عن « قادر » إلى « مقتدر » ليشعر (2) – بالزيادة – على زيادة قدرة الله تعالى ، والبيان عن عظم شأنه . ومن هذا المعنى قول أبى نواس :

فَعَفَـوْتَ عَنِّـى عَفْـوَ مُقْتَـدِرٍ   أَحَـلَّتْ لَـهُ نِقَـمٌ فَأَلْغَاهَـا (3)

والعرب عادتها أن تزيد فى بناء الاسم ليشعر بزيادة المعنى الدال عليه . قال الزمخشرى رحمه الله : رأيت أعرابيًا بالحجاز يسوق جملاً عليه شُقْدُف فقلت : ما اسم هذا ؟ فقال : شُقْدُف . ثم مرَّ علينا جمل عليه « كجاوة » . فقلت :

(*) الزيادة فى البناء : تناولها فى المثل السائر : ٢٤١/٢ ، والجامع الكبير : ١٩٣ تحت (قوة اللفظ لقوة المعنى) . وذكر ابن الأثير أنه مسبوق فى ذلك بابن جنى الذى ذكر هذا الفن فى كتاب الخصائص .

(١، ٢) كذا فى (ط) .

(٣) ديوانه : ٤٥٩ فى مدح الفضل بن الربيع وكان فى (ط) ، (نعم) بالعين المهملة وصوبتها من الديوان والبيت فى المثل السائر : ٢٤٢/٢ . وعلق عليه ابن الأثير بقوله : أى : عفوت عنّى عفو قادر متمكن القدرة لا يرده شىء عن إمضاء قدرته .

ما اسم هذا ؟ فقال : شِقِنْدَاف [1] ، فزاد فيه ؛ لكون الكجاوة أكبر وأعلى فى القدر والقيمة .

وقد رجَّحَ بعض أهل المعانى « الرحمن » على « الرحيم » لما فيه من زيادة البناء وهو الألف . ومثل هذا فى كلام العرب كثير ليس هذا موضع استقصائه .

* * *

(١) قال فى القاموس : الشُقْدُف : مركب معروف بالحجاز ، وأما الشِّقِنْداف فليس من كلامهم .

القسم العاشر

الإطالة والإسهاب ويسمى الإطناب (*)

والكلام عليهما من وجوه :

الأول : فى ذكر الغرض الذى أتى بهما من أجله . **الثانى** : فى حقيقتهما وبجازهما . / **الثالث** : فى اختلاف علماء البيان فيهما . **الرابع** : فيما يستحسن فيهما وما يستقبح . **الخامس** : فى أقسامها . **السادس** : فى الفرق بينهما . ١٠٧

* * *

أما الأول : فإن العرب جرت سنتهم على ذلك فى خطبهم ومخاطباتهم ومفاخراتهم ومقاولاتهم ، يقصدون بذلك إظهار قدرتهم على الكلام وتوسعهم فى النثر والنظام فيوجزون تارة ويطيلون أخرى . هذا فى الحقيقة ، وأما فى المجاز فمرادهم الدلالة على قوة مشاهدة المعنى المجازى .

وقال ابن الأثير [1] : أتى بالإطالة والإطناب للمبالغة . والمبالغة تنقسم إلى أقسام كثيرة وقد سبق ذكر شىء منها كالإخبار بالفعل الماضى عن المضارع وبالمضارع عن الماضى . ومن جملة أقسام المبالغة الإطناب ، وفائدته زيادة التصور للمعنى المقصود إما حقيقة أو مجازًا . وهو على الحقيقة ضرب من ضروب التأكيد .

وأما الثانى : فحقيقة الإطالة الامتداد والاسترسال ، وأصله فى الأَجْرَام . وأما الإطناب فحقيقته لغةً الزيادة والمبالغة . وأما حقيقته الصناعية فهو زيادة فى

(*) الصناعتين : ١٩٦ ، والمثل السائر : ٢٤١/٢ ، والجامع الكبير : ١٤٦ ، وبديع ابن منقذ : ١٨٢ ، و« الإسهاب » مصطلح ابن منقذ .

(١) مختصر من كلامه فى الجامع الكبير : ١٤٨ ، ١٥١ ، وانظر المثل السائر : ٣٤٢/٢ .

اللفظ لتقوية المعنى [١] . فأما ما جاء من ذلك على سبيل الحقيقة [٢] فقوله تعالى : ﴿ ما جعل اللهُ لرَجُلٍ من قلبين فى جَوْفِه ﴾ [سورة الأحزاب : ٤] فإن الفائدة فى قوله : « فى جوفه » كالفائدة فى قوله : « القلوب التى فى الصدور » وذلك لما يحصل للسامع من زياد التصور المدلول عليه ؛ لأنه إذا سَمِعَ صَوَّر لنفسه جوفًا يشتمل على قلبين وكان ذلك أسرع إلى الإنكار .

وأما الذى جاء منه على سبيل المجاز [٣] فمنه قوله تعالى : ﴿ فإنها لا تعمى الأبصارُ ولكن تَعْمَى القلوبُ التى فى الصدور ﴾ [سورة الحج : ٤٦] ففائدة ذكر « الصدور » هاهنا أنه قد يعرف أن العمى على الحقيقة مكانه البصر ، وهو مصاب الْحَدَقَة بما يطمس نورها ، واستعماله فى القلب استعارة ومَثَلٌ ؛ فلما أريد إثبات ماهو بخلاف المتعارف من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ، ونفيُه عن الأبصار احتاج هذا الأمر إلى زيادة تصوير وتعريف ليتقرر أن مكان العمى إنما هو القلوب لا الأبصار . وهذا نوع من أنواع البيان عظيم اللطائف كثير المحاسن .

وأما الثالث : فقد اختلف علماء البيان فيهما . فقال المحققون : إنهما متغايران . وقال أبو هلال العسكرى : الإطالة والإطناب سواء ، وهما عنده ضد الإيجاز [٤] ووافقه جمهور الأئمة . وقال أبو هلال أيضاً فى كتابه [٥] : الإطناب فى الكلام إنما هو بيان ، والبيان لا يكون إلا بالاتساع . وأفضلُ الكلام أبينُه . والإيجاز للخواص ، والإطناب يشترك فيه الخواص والعوام ؛ ولهذا / أطنب فى الكتب السلطانية لإفهام الرعايا . وكما أن الإيجاز له مواضع فكذلك الإطناب له ١٠٨

---

(١) انظر المثل السائر : ٣٤٢/٢ - ٣٤٣ .

(٢) انظر المثل السائر : ٣٤٧/٢ .

(٣) المثل السائر : ٣٥٠/٢ .

(٤) لم ينصّ أبو هلال على هذا صراحةً فى كلامه ، بل هذا فهم ابن الأثير لنص كلامه فى الصناعتين ومايؤول إليه . والمؤلف هنا ناقل عن ابن لأثير (انظر الجامع الكبير والمثل السائر) .

(٥) انظر الصناعتين : ١٩٦ . واعتماد ابن النقيب - هنا - فى النقل على الجامع الكبير : ١٤٧ ، ١٤٨ .

مواضع ، والحاجة إلى الإيجاز فى موضعه كالحاجة إلى الإطناب فى موضعه . قال النبى ﷺ : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » .

ومن استعمل الإيجاز فى موضع الإطناب والإطناب فى موضع الإيجاز فقد أخطأ . فلا شك أن الكتب الصادرة عن السلطان فى الأمور العظيمة فى الفتوح وتفخيم مواقع النعم المتجددة أو فى الترغيب فى الطاعة والتحذير من العصيان وغير ذلك ينبغى أن تكون مشبعة مستقصاة . وأما كتاب المهلّب إلى الحجاج فى فتح الأزارقة وهو : « الحمد لله الذى كفى الإسلام فقد ما سواه ، وجعل الحمد متصلاً بنعمه وقضى أن لا يقطع المزيد من فضله حتى ينقطع الشكر مِنْ خَلْقِه . ثُم إنا وعدوَّنا على حالين مختلفين ، نرى فيهم ما يسرنا أكثر مما يسوؤنا ، ويرون فينا ما يسوؤهم أكثرَ مما يسرهم . فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم . ينصرنا الله ويخذلهم ، ويمحّصنا ويمحقهم حتى بلغ الكتاب أجله ، فقُطِعَ دابرُ القومِ الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » . فإنما حسن هذا الكتاب لكونه فى موضعه . وأما لو كُتب إلى العامة وقد تطلعت نفوسهم إلى معرفة ذلك الفتح العظيم وتصرفت بهم ظنونهم فى أمره لجاء فى أقبح صورة عندهم وأهجنها .

واعلم أن الإطنابَ بلاغةٌ ، والتطويل عِيٌّ فإن الإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيدة تحتوى على زيادة فائدة بما تأخذ النفس منه من اللذة ، والتطويلَ بمنزلة سلوك [1] ما يبعد جهلاً بما يفوت . فهذا حكاية كلام أبى هـلال العسكرى [2] .

وقد ذكر ابن الأثير فى جامعه على قول أبى هلال مأخذًا فقال : أما قول أبى هلال : « الإطناب فى الكلام إنما هو بيان » ، فإن البيان فى أصل اللغة هو

---

(١) (ط) : شكوك . والتصويب عن الجامع الكبير : ١٤٨ .

(٢) هذه عبارة ابن الأثير فى جامعه : ١٤٨ . وهو يختلف بعض الشيء عما فى نسخة الصناعتين التى بين أيدينا اليوم ، فلعله كانت بحوزة ابن الأثير نسخة أخرى غير هذى التى معنا . وانظر الصناعتين : ١٩٦ ، ١٩٧ .

الظهور والوضوح فيكون الإطناب على قوله ظهورًا فى الكلام ووضوحًا لا غيره . ويلزم على ذلك أنّ كل كلام ظاهر واضح إطناب سواء كان ذلك الكلام إيجازاً أو غيره من أصناف علم البيان . وهذا مما لم يذهب إليه أحد ؛ لأن أبا هلال قد جعل الإطناب وصفًا من الأوصاف التى يشترك فيها جميع ضروب الكلام . وذلك أن البيان وصف يعم كل كلام ظاهر واضح من إيجاز أو تطويل أو تكرير أو غير ذلك . وليس الأمر كما وقع له بل الإطناب نوع واحد من أنواع الكلام . فإن أصله فى وضع اللغة من : أطْنَبَ فى الكلام : إذا بالغ فيه كما تقدم [1] .

الرابع : فيما يستحسن / فيهما وما يستقبح : ١٠٩

أما الذى يستقبح منهما فهو أن يُطنبَ فيما لا ينبغى فيه الإطناب ، ويُطَوَّلَ فيما ينبغى فيه الإيجاز ، أو يطوِّل فيما ليس فى إطالته فائدة ولا فيه زيادة معنى . كما روى أن رجلاً استُدعى لأداء شهادة على نكاح فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق لِيُظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وأشهد أنى كنت فى يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا فى الدار الفلانية (ووصفها) ، من الحارة الفلانية (ووصفها) ، وسمّى الساكنين بها ، من البلد الفلانى ، وقت كذا من النهار ، وقد طرق الباب غلام ، وذكر جنسه وأوصافه وحكاية تطول جداً . وهذا النوع من الإطالة ليس فى القرآن العظيم منه من شىء .

وأما الذى يستحسن منهما فهو إطالة الكلام وترديده لتقوية المعنى فى النفس وتعظيمه ؛ لبيان [2] قوة الملكة فى التلاعب بالكلام ، أو لكون المخاطب لا يصل الكلام الموجز إلى فهمه فهو محتاج إلى بسط الكلام واتساعه حتى يفهم .

الخامس : فى أقسامهما .

أما أقسام الإسهاب والإطناب فقد اختلف فيه علماء علم البيان فقالوا [3] : لا يخلو إما أن يكون فى جملة واحدة أو فى جمل .

---

(١) الجامع الكبير : ١٤٨ .

(٢) ط : فالبيان .

(٣) هذا كلام ابن الأثير فى المثل السائر : ٢٤٦/٢ . وما بعده إلى آخر الوجه الخامس منقول عن المثل السائر .

فأما الذى فى جملة واحدة فعلى قسمين : حقيقة ومجاز .

أما الحقيقة فقد يكون معنى اللفظ الزائد هو معنى المذكور أو [١] يكون مغايرًا له . **أما الأول** : فكقوله تعالى : ﴿ فإذا نُفِخَ فى الصور نفخةٌ واحدةٌ وَحُمِلَتِ الأرضُ والجبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً ﴾ [٢] [سورة الحاقة : ١٣ ، ١٤] ، وكقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ والْعُزَّى ومَنَاةَ الثالثة الأخرَى ﴾ [سورة النجم : ١٩ ، ٢٠] وكقوله تعالى : ﴿ تلك عشرةٌ كاملة ﴾ [سورة البقرة : ١٩٦] .

وأما الثانى فكقوله تعالى : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جَوْفِهِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٤] ، وكقوله تعالى : ﴿ إذ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وتقولون بأفواهكم ﴾ [سورة النور : ١٥] ، وكقوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عليهِمُ السقْفُ من فوقِهِم ﴾ [سورة النحل : ٢٦] .

وأما المجاز فكقوله تعالى : ﴿ فإنها لا تَعمى الأبصار ولكن تَعمى القلوبُ التى فى الصدور ﴾ [سورة الحج : ٤٦] واستعمال هذا مجازًا أحسن .

وأما الذى فى الجمل فأقسامه أربعة : **الأول** : أن تذكر أشياء كل واحد منها يختص بما لولاه لكان المفهوم من الكل واحدًا [٣] كقول أبى تمام :

مِـن مِنَّـةٍ مَشْهُـورةٍ وَصَنِيعَـةٍ بِكْرٍ وإحسانٍ أغَرَّ مُحَجَّـلِ [٤]

---

(١) ط : (ويكون) ، والعطف بالواو هنا موهم غير المراد ، والأنسب هو الحرف (أو) .

(٢) فى الإبانة عن بلاغة الإطناب فى هذه الآية ومايليها من آيات انظر المثل السائر : ٢/٣٤٧ - ٣٥٠ ، فقد أبان عنها خير إبانة ، ولطول مقالة ابن الأثير لم أستطع نقلها هنا ، ولم أرتض اختصارها حتى لا يذهب بهاء عبارته .

(٣) كذا فى ط ، وعبارة المثل السائر : ٢/٣٥١ أدق وأوضح . يقول ابن الأثير : الأول أن يذكر الشىء فيؤتى فيه بمعان متداخلة إلا أن كل معنىً يختص بخصيصة ليست للآخر) .

(٤) من قصيدته فى مدح الحسن بن وهب الكاتب . ديوانه (٢/٣٥) ، والمثل السائر : ٢/٣٥١ وقبله قوله :

قَطَـعَتْ إلـىّ الزّابـيَيْن هِباتُـه إلثاث مأمور السحاب المسبل

والزابيان : نهران بالعراق ، والإلثاث : الانهمار .

ولو قال : « من منة وصنيعة وإحسان » كان المعنى واحدًا . وكذلك قوله :

/ وَلِيٌّ سَجِيّاتٍ تُضِيفُ ضُيُوفَهُ   وَيُرجَى مُرَجِّيهِ وَيُسْأَلُ سَائِلُهْ[١] ١١٠

وكل هذه دلالة على زيادة كرمه .

والثانى : الإثبات والنفى[٢] وهو أن يذكر الشىء إثباتًا ونفيًا مع زيادة لولاها لكان ذلك تكرارًا وتناقضًا ، كقوله تعالى : ﴿ ولكنَّ أَكْثَرَ الناسِ لا يعلمونَ [يعلمون][٣] ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون[٤] ﴾ [سورة الروم : ٦ ، ٧] . وكذلك قوله تعالى : ﴿ لا يَسْتَأْذِنُكَ الذينَ يؤمنون[٥] باللهِ واليومِ الآخرِ أَنْ يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم واللهُ عليم بالمتقين ﴾ [سورة التوبة : ٤٤] مع قوله : ﴿ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليومِ الآخرِ وارتابتْ قلوبُهم فهمْ فى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُون ﴾ [سورة التوبة : ٤٥][٦] .

الثالث[٧] : أن تذكرَ الشىء ثم تضربَ له أمثالاً تُشْتَهَى كقول البحترى يصف امرأة[٨] :

ذاتُ حُسنٍ لو استزادَتْ من الحُسْنِ إليه لَما أصابتْ مَزِيدا

---

(١) ديوانه : ١١٠/٤ . ورواية صدره (مليك لأملاك تضيف ...) ، والمثل السائر : ٣٥٢/٢ . وصدره (زكِيٌّ سجاياه) .
(٢) المثل السائر : ٣٥٢/٢ .
(٣) سقطت من ط .
(٤) قال ابن الأثير : (قوله « يعلمون » بعد قوله : « لا يعلمون » .. ألا ترى أنه نفى العلم عن الناس بما خفى عنهم من تحقيق وعده ، ثم أثبت لهم العلم بظاهر الحياة الدنيا ! فكأنهم علموا وما علموا ، إذا العلم بظاهر الأمور ليس بعلم ، وإنما العلم هو ما كان بالباطن من الأمور) المثل السائر : ٣٥٢/٢ . وهذه الآية سيوردها المصنف فى قسم الترديد شاهدًا له (القسم العشرون) .
(٥) ط : (لا يؤمنون) وهو خطأ .
(٦) قال ابن الأثير (.. ألا ترى أنه قال : (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) ، ثم قال : (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) ، والمعنى سواء ، إلا أنه زاد فى الثانية قوله : « وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون » ، ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين الآيتين حكم التكرير) المثل السائر : ٣٥٣/٢ .
(٧) المثل السائر : ٣٥٤/٢ .
(٨) ديوان البحترى : ٥٩١/١ ، المثل السائر : ٣٦٨/٢ .

فَهْىَ كالشمسِ بَهْجَةً والقضيبِ اللدْنِ قَدًّا والرِّيمِ طَرْفًا وَجِيدا (١)

وكذلك قوله (٢) :

ثــردَّدَ فى حُلُتِّــى (٣) سُؤدَدٍ سَمَاحًا مُرَجًّى وبـأسًا مَهيبـا
وكالسيـف إن جَئْتَـهُ صَارِخًـا وكالبحْـرِ إنْ جئتَـه مُسْتَثِيبـا

الرابع : الاستقصاء فى ذكر أوصاف الشىء للمدح أو الذم ونحوهما (٤) .
كقول بعضهم :

لأعلى الوَرَى قَدْرًا وأوفرِهم حِجىً وَأَرْشَدِهِمْ رَأْيًا وَأَسْمَحِهِمْ يَـدًا

وأما الإطالة فهى على قسمين : حسنة وقبيحة كما تقدم . فأما الحسنة فهى على قسمين . الأول منها : ما يكون بسطًا للكلام واتساعًا فيه ، كما ورد فى القرآن العظيم مثل قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بطولها ، وقصة أصحاب الكهف بذكر فروعها وأصولها ، وقصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام وكثرة فوائد محصولها ، وقصة ذى القرنين بطول مقولها ، وقصة موسى مع فرعون وكثرة فصولها .

الثانى : أن لا تكون الإطالة بسبب تكرار اللفظ . وهانحن نذكر أقسامه ونبين إن شاء الله تعالى .

---

(١) رواية الديوان (فهى الشمس بهجة والقضيب الغض لينا والرئم طرفًا وجيدًا) وما أثبته المصنف هنا رواية المثل السائر .

(٢) ديوان البحترى : ١٥١/١ ، ودلائل الإعجاز : ٨٥ ، والمثل السائر : ٣٥٤/٢ . وهما من جملة أبيات له فى مدح الفتح بن خاقان . و « والمستثيب » طالب الثواب .

(٣) كذا فى (ط) : (حلتى) بالحاء المهملة ، ثم التاء المثناة من فوق ، وأشك أنّ فى هذا تصحيفا ، وأن الصواب « خُلُقى » بالخاء المعجمة ثم القاف المثناة من فوق . وهى لفظ المصادر السابقة المخرجة فى الهامش السابق .

(٤) انظر المثل السائر : ٣٥٥/٢ ، وما ساقه المصنف من مثال شعرى ليس فى المثل السائر .

السادس : فى الفرق بينهما : والفرق بينهما أن الإطناب على سائر أحواله بلاغة ، والتطويل بعضه عِيٌّ وركاكة [١] . وقال ابن الأثير : الإطناب للخواص والإطالة للعوام [٢] . وهذا يحتاج إلى تفصيل وقد تقدم .

* * *

(١) الإطناب – عند ابن الأثير – زيادة اللفظ على المعنى لفائدة . أما التطويل فهو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة : (المثل السائر : ٣٤٤/٢) . أما الإيجاز – عنده – فهو ضد التطويل كما السواد ضد البياض ، غير أن بينهما مراتب متفاوتة ليست أضدادًا ، فالإطناب ليس هو إيجازًا ولا تطويلاً ، كما أن الحمرة أو الخضرة ليست بياضًا ولا سوادًا . وانظر توضيح ذلك فى المثل السائر : ٣٨٣/٢ .

(٢) كذا فى (ط) ، وعبارة ابن الأثير فى المثل السائر : (٣٤٣/٢) : (فإن الإطناب لا يختصُّ به عوامُّ الناس ، وإنما هو للخواص كما هو للعوام) .

١١١ / القسم الحادى عشر

التَّكْرار (*)

والكلام فيه من وجوه

الأول : فى حقيقته . **الثانى** : فى ذكر الفائدة التى أتى به من أجلها . **الثالث** : فى أقسامه . **الرابع** : فى ذكر ما يتهيأ فيه التكرار الحسن منه والقبيح .

* * *

أما الأول فحقيقة التكرار أن يأتى المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفًا ، أو يأتى بمعنى ثم يعيده . وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثانى [1] .

فإن كان متحد الألفاظ والمعانى فالفائدة فى إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره فى النفس . وكذلك إذا كان المعنى متحدا [2] . وإن كان اللفظان متفقين [3] والمعنى مختلف فالفائدة فى الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين .

(*) التكرار : بحثه فى العمدة : ٧٣/٢ ، وبديع ابن منقذ : ٥٨٤ ، والجامع الكبير : ٢٠٤ ، والمثل السائر : ٢/٣ . وانظر حديثه عن تكرار الحروف تحت عنوان : « المعاظلة اللفظية » (المثل السائر : ٣٠٩/١) .

(١) كذا فى (ط) ، والسياق يقضى بأن هنا محذوفا لعله راح من أصل المطبوعة أو الناشر الأول يمكن تقديره مثلا : (وكذلك إذا كان المعنى متحدًا والألفاظ مختلفة) أى أنّ الفائدة المتحققة من التكرير - إذا كانت الألفاظ والمعنى متحدة - تتحقق أيضا إذا كانت المعانى متحدة ولكن كررت بألفاظ مختلفة . وهذه الفائدة هى التوكيد والتقرير للمعانى فى النفس .

(٢) كذا فى (ط) . وواضح أنّ هنا سقطا حيث بدأ فى بيان فائدة التكرار ، وهو الوجه الثانى من الأوجه الأربعة التى قدّم ذكر عناونيها بين يدى حديثه . ومن عادته أنه إذا انتهى من وجه وبدأ فى غيره أن يبين ذلك فيقول قبله : الثانى ، الثالث ، وهكذا . وهذا معدوم هنا .

(٣) ط : (متفقان) وهو خطأ .

وأما الثالث فأقسامه ثلاثة : الأول : ما يتكرر لفظه ومعناه متحد . الثانى : ما يتكرر لفظه ومعناه مختلف [١] . الثالث : ما يتكرر معنى لا لفظًا .

أما ما يتكرر لفظه ومعناه متحد فمنه قوله تعالى : ﴿ فَقُتِلَ كيف قَدَّر ثم قُتِلَ كيف قدّر ﴾ [سورة المدثر : ١٩ ، ٢٠] . وكقوله تعالى : ﴿ أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأَغْلالُ فى أعناقِهم وأولئك أصحابُ النارِ هم فيها خالدون ﴾ [سورة الرعد : ٥] كرر « أولئك » وكذلك قوله تعالى : ﴿ أولئك على هُدىً من ربهم وأولئك همُ المفلِحون ﴾ [سورة البقرة : ٥] . وكذلك قوله تعالى : ﴿ فلما أنْ أرادَ أَنْ يَبْطِشَ بالذى هو عدُوٌّ لهما قال ياموسى أَتُريدُ أَنْ تَقْتُلَنى كما قَتَلْتَ نفسًا بالأمسِ إنْ تريدُ إلا أن تكونَ جَبّارًا فى الأرضِ وما تريدُ أَنْ تكونَ من المصلحين ﴾ [سورة القصص : ١٩] كرر « أن » فى أربعة مواضع تأكيدًا . وكذلك قوله تعالى : ﴿ قل إنى أُمِرْتُ أن أعبُدَ اللهَ مخلصًا له الدينَ وأمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المسلمين ﴾ [٢] [سورة الزمر : ١١ ، ١٢] . ومثله فى القرآن كثير .. ومن هذا النوع قول الشاعر [٣] :

* أَلاَ يَااسْلَمِى ثُمّ اسلمى ثُمّتَ اسلمى [٤] *

---

(١) هذا القسم الذى يعده ابن النقيب - رحمه الله - من التكرار ليس منه عند التحقيق ، فإعادة صورة اللفظ والمعنى مختلف ، ليس تكريرا للمعنى . وحقيقة التكرار أن يلحق المعنى أصلاً ، فإذا انتفى التكرار فى المعنى - وإن تكرر اللفظ - فليس بتكرار على الحقيقة بل هو ما يسمى « بالتجنيس » من المحسنات البديعية والتى تحدث عنها في القسم الثانى الذى خصصه للفصاحة اللفظية التى يكون سببها اللفظة أما هذا القسم الذى معنا فخصصه للفصاحة الراجعة للمعنى ؛ وعليه فهذا القسم خارج عنها .

(٢) يفهم من سياق المؤلف لهاتين الآيتين من سورة الزمر أن التكرار في لفظة (أمرت) إلا أن مافى المثل السائر : (٣/٥) أن التكرار فيهما مع مابعدهما من آيتين وهما قوله تعالى : ﴿ فقل إنى أخاف إن عصيت ربّى عذاب يوم عظيم . قل الله أعبد مخلصا له دينى ﴾ [سورة الزمر : ١٣ ، ١٤] .

(٣) هو حميد بن ثور الهلالى .

(٤) ديوان حميد بن ثور : ٣٣ والعمدة : ٣١١/١ ، وفي ديوان الحماسة : ١٢١/٢ من أبيات ثلاثة مجهولة القائل . وهو صدر بيت : وعجزه .

ثلاث تحيات وإنْ لم تكلّم

وانظر قصة هذه الأبيات في العمدة .

والغرض من هذا المبالغة فى الدعاء لها بالسلامة .

وقد يكرر القول طلبًا لدوام تذكر الأوهاب [١] كما كرر فى سورة الرحمن ﴿ فبأىّ آلاء رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ﴾ [٢] .

١١٢ وقد يكرر اللفظ / أيضًا ليتصل أول الكلام بآخره اتصالا جيدًا كما فى قوله تعالى : ﴿ ثم إنّ ربّكَ للذين عملوا السوءَ بجهالةٍ ثم تابوا من بَعد ذلك وأصلَحوا إنّ ربّكَ من بعدها لغفورٌ رحيمٌ ﴾ [سورة النحل : ١١٩] . ومن ذلك الآية التى قبل هذه الآية [٣] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إنى رأيتُ أحدَ عشرَ كوكبًا والشمسَ والقمرَ رأيتهُم لى ساجدين ﴾ [سورة يوسف : ٤] .

وأما ما تكرر لفظه ومعناه مختلف فمنه قوله تعالى : ﴿ ويُريدُ اللهُ أن يُحِقَّ الحقَّ بكلماتِهِ ويَقْطَعَ دابرَ الكافرين ليُحقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطلَ ﴾ [سورة الأنفال : ٧ ، ٨] فإن المقصود بقوله : « يحق الحق » بيان إرادته ، وبقوله : « ليحق الحق » الثانية لقطع دابر الكافرين ونصر المؤمنين عليهم . وكذلك قوله تعالى : ﴿ لا أعبدُ ما تعبُدُون ولا أنتم عابِدُون ما أعبُدُ ولا أنا عابدٌ ما عَبَدْتم ولا أنتم عابدُون ما أعبُدُ ﴾ [سورة الكافرون : ٢ : ٥] معناه : لا أعبد فى المستقبل ما تعبدونه أنتم الآن ، ولا أنتم تعبدون فى المستقبل ما أنا عابد له ، وما كنت عابدًا [٤] قطُّ آلهتكم حتى أكون الآن عابدًا لما تعبدون ، ولا أنتم عبدتم قطُّ إلهى حتى تكونوا

---

(١) ط : الأرهاب .

(٢) تكررت فى سورة الرحمن : (٣١) مرة .

(٣) الآية التى قبل الآية التى معنا هي : ﴿ وعلى الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك من قبل ، وما ظلمناهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [سورة النحل : ١١٨] وليس فيها شيء من التكرار الذى فى الآية ١١٩ – وأظن المؤلف يريد الآية (١١٠) من سورة النحل وهى قوله تعالى : ﴿ ثمّ إنّ ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ، إنّ ربّك من بعدها لغفور رحيم ﴾ . ويرى ابن الأثير أن تكرار « ثم إنّ ربك » مرتين أدلّ على المغفرة . (انظر المثل السائر : ١٦/٣) .

(٤) ط : (ولا أعبد قط) وهذا لحن ؛ لأن (قطّ) ظرف لما مضى من الزمان فلا يصح دخوله على المضارع الذى يدل على الحال أو الاستقبال انظر : مغنى اللبيب : ١٥١/٦ . والصواب ما أثبته عن المثل السائر : ٧/٣ .

له الآن عابدين ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا طلقتم النساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكوهُنَّ بمعروفٍ أو سَرِّحوهُنَّ بمعروفٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣١] إلى قوله فى الآيه الأخرى التى بعدها ﴿ وإذا طلقتم النساءَ فبلغن أجلهن فلا تَعْضُلوهُنَّ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٢] فكرر « بلغن » لاختلاف البلوغين .

وأما قوله تعالى : ﴿ وقلنا اهبطوا بعضُكم لبعضٍ عدوٌّ ﴾ [سورة البقرة : ٣٦] ثم قال : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا ﴾ [سورة البقرة : ٣٨] فقد قيل إنه من باب تكرير اللفظ والمعنى ، وقيل هو من باب تكرير اللفظ لا المعنى ؛ لاختلاف الهبوطين ؛ فإن الهبوط الأول كان من الجنة إلى سماء الدنيا ، والهبوط الثانى كان من سماء الدنيا إلى الأرض . وفى القرآن العظيم من هذين القسمين كثير .

وأما تكرار المعنى دون اللفظ فهو إما أن يكون بين المعنيين مخالفة ما ، أو لا يكون كذلك . والذى يكون بينهما مخالفة إما أن يكون أحدهما أعمّ أو لا يكون كذلك . فأما ما يكون أحدهما أعمّ فكقوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمةٌ يَدْعونَ إلى الخير ويأمرون بالمعروفِ وينهَوْنَ عن المنكر ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٤] فإن الدعوى إلى الخير أعم من الأمر بالمعروف . وكذلك قوله تعالى : ﴿ فيهما فاكهةٌ وَنَخْلٌ ورُمّانٌ ﴾ [سورة الرحمن : ٦٨] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ حافِظوا على الصلواتِ والصلاةِ الوُسطَى ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٨] ومثاله فى الشعر كثير . قال الشاعر [1] :

إِذَا أَكَلُوا لَحْمِى وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ ... وإِنْ هَدَمُوا مَجْدِى بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدا
وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِى حَفِظَتُ غُيُوبَهُمْ ... وَإِنْ هُمْ هَوِوا غَيِّى هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدا [2] / ١١٣

والغرض بهذا زيادة تأكيد الخاص .

---

(١) للمقّنع الكندى . و« المقنّع » لقبٌ غلب عليه قيل : لأنه كان جميل الوجه فإذا خلع اللثام عن وجهه أصابته العين واسمه محمد بن ظفر من كندة وهو شاعر مقل مجيد من شعراء بنى أمية .

(٢) البيتان من قصيدته فى ديوان الحماسة (٦٠٣/١) ، والمثل السائر : ٢٨/٣ . وهى فى وصف حاله مع بنى عمّه ، وقبل البيتين معنا قوله :

وإنّ الذى بينى وبين بنـى أبى ... وبين بنى « عمّى لمختلفٌ جـدا

وقد ورد صدر البيت الثانى فى (ط) :– (وإن ضيعوا عهدى حفظت عهودهم) وهذا لا شاهد فيه على مانحن فيه . ولعله تصحف على الناشر الأول أو على ناسخ الأصل .

وأما الذى لا يكون أحد المعنيين أعم فكقول حاطب بن أبى بلتعة :
« والله يارسول الله ما فعلتُ ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن دين ولا رضى بالكفر بعد الإسلام [(١)] » ..

وأما الذى لا يكون بين المعنيين مخالفة فكقوله تعالى : ﴿ وإن تَعفوا وتَصفَحوا وتَغفروا فإن الله غفورٌ رحيمٌ ﴾ [سورة التغابن : ١٤] وكذلك قوله تعالى : ﴿ فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرةٌ كاملةٌ ﴾ [(٢)] [سورة البقرة : ١٩٦] . وكذلك قول الشاعر [(٣)] :

نزلتُ على آل المهلَّب شاتيًا ... بعيدًا عن الأوطانِ فى زمنِ المَحْلِ
فما زال بى إكرامُهمْ وافتقادُهمْ ... وإحسانُهمْ حتى حَسِبْتُهُمُ أهلى [(٤)]

هذا ما يكون من التكرار لفائدة .

وقال ابن الأثير فى جامعه [(٥)] : التكرار فى المعنى على قسمين : مفيد ،

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٥٨/٢٨) قال ابن الأثير : وبعض الجهّال يظنه تكريرًا لا فائدة فيه . فإن الكفر والارتداد عن الدين سواء . وكذلك الرضا بالكفر بعد الإسلام . وليس كذلك . والذي يدلّ عليه « ولا رضا بالكفر بعد الإسلام » أى ولا إيثارًا لجانب الكفار على جانب المسلمين وهذا حسن في مكانه واقع في موقعه . (المثل السائر ٢٧/٣) .

(٢) هذه الآية سبق أن أوردها ابن النقيب فى القسم الثالث – التتميم – شاهدًا له . وانظر كلام ابن الأثير عليها فى المثل السائر : ٣٠/٣ .

(٣) اختلف فيه فذهب بعضهم إلى أنه بكير بن الأخنس أو أنه أبو الهندى . انظر ذلك في تحقيق ديوان الحماسة : ١٧٦/١ .

(٤) البيان والتبيين : ٢٣٣/٣ ، وديوان الحماسة : ١٧٦/١ ، والمثل السائر : ٣٤/٣ . ورواية عجز البيت الأول عند الجاحظ (فقيرا بعيد الدار فى سنة محل) ، وفي ديوان الحماسة : (غريب عن الأوطان) . ورواية البيت الثانى عند الجاحظ :

(فما زال بى إلطافهم وافتقادهم وإكرامهم ...)

وعجز البيت الثاني في ديوان الحماسة : (وبرهم حتى) .

قال ابن الأثير : فإن الإكرام والافتقاد داخلان تحت الإحسان وإنما كرر ذلك للتنويه بذكر الصنيع والإيجاب لحقه » . المثل السائر : ٣٤/٣ » .

(٥) الجامع الكبير : ٢٠٩ .

وغير مفيد ، فالمفيد نوعان : الأول : إذا كان التكرار فى المعنى يدل على معنيين مختلفين كدلالته على الجنس والعدد .

وهو من باب التكرير مشكل لأنه يسبق إلى الوهم أنه تكرير محض يدل على معنى واحد فقط وليس كذلك .. فَمِمّا جاء منه قوله تعالى : ﴿ وقال اللهُ لا تتخذوا إلهينِ اثنين إنما هو إلهٌ واحدٌ ﴾ [سورة النحل : ٥١] ألا ترى أن العرب إنما جمعت بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا : عندى رجال ثلاثة ، وأفراس أربعة ؛ لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد المخصوص . فأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودات [1] ، فالفائدة إذًا فى قوله : « إلهين اثنين » ، « وإله واحد » هو أن الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية يدل على الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به واحد منهما ، وكان الذى يساق إليه الحديث هو العدد شُفع بما يؤكده فدل به على أن القصد إليه والعناية به . ألا ترى أنك لو قلت : « إنما هو إله » ولم تؤكده بواحد لم يحسُن وخيّل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية . **وهذا باب من باب تكرير المعانى وعر المسلك دقيق المغزى وبه تحل مسائل مشكلات من التكرير فاعرفه .**

ومن هذا النحو إذا كان التكرير فى المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص والآخر عام كقوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف / وينهون عن المنكر ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٤] الآية فإن الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء إلى الخير ؛ لأن الأمر بالمعروف خاص والخير عام فكل أمر بالمعروف خير ، وليس كل خير أمرًا بالمعروف ؛ لأن الخير أنواع كثيرة من جملتها الأمر بالمعروف . ففائدة التكرير هاهنا أنه ذكر الخاص بعد [2] ذكر العام للتنبيه عليه لفضله كقوله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ الآية [سورة البقرة : ٢٣٨] . وأمثلة ذلك كثيرة فاعرفها .

١١٤

---

(١) الجامع الكبير : معدودان : (بالنون) .

(٢) ط : (هاهنا) – والتصويب من الجامع : ٢١٠ .

النوع الثانى من الضرب الأول من القسم الثانى : إذا كان التكرير فى المعنى يدل على معنى واحد ، وقد سبق مثاله فى أول هذا الباب كقولك : « أطعنى ولا تعصنى » ؛ لأن الأمر بالطاعة نهى عن المعصية . والفائدة فى ذلك تثبيت الطاعة فى نفس المخاطب وتقرير لها فى قلبه . والكلام فى هذا الموضع من التكرير كالكلام فى الموضع الذى قبله من تكرير اللفظ والمعنى إذا كان المراد به غرضًا واحدًا ، فاعرفه .

الضرب الثانى من القسم الثانى : فى تكرير المعنى دون اللفظ ، وهو غير المفيد . فمن ذلك قول ابن هانىء المغربى [1] :

سارَتْ به صُنْعُ القصائدِ شُرَّدًا   فَكَأنَّمَا كانت صَبًا وقَبُولا [2]

فكأنه قد قال : « فكأنما كانت صبًا وصبًا » ؛ لأن الصبا هى القبول ، وليس ذلك مثل التكرير فى قوله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلواتِ والصلاةِ الوسطى ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٨] فيما يرجع إلى تكرير اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير فى قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمةٌ يَدْعونَ إلى الخيرِ ويَأْمُرونَ بالمعروف ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٤] فيما يرجع إلى تكرير المعنى دون اللفظ ؛ لأن كل واحدة من هاتين الآيتين يشتمل على معنيين خاص وعام . وقول ابن هانىء : « صبًا وقبولا » لا يعطى إلا معنى واحدًا لا غير . وهذا لا يخفى على العارف بصناعة التأليف .

ومن هذا النحو قول الصابى [3] فى كتاب : « وصل كتابك بعد تأخير

---

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانىء الأندلسى أديب شاعر : قال عنه ياقوت الحموى (أشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة وهو عندهم كالمتنبى عند أهل الشرق) وكان معاصرا للمتنبى ، وتوفى ولم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره سنة ٣٦٢ هـ .

(٢) ديوانه : ٢٧١ ، وروايته : (سارت به شِيَعُ القصائد) وهو من قصيدته في مدح المعز لدين الله ، والجامع الكبير : ٢١٠ ولفظه (صيغ القصائد) .

(٣) هو ابراهيم بن هلال أبو إسحق الصابى نابغة كُتّاب جيله . وكان صلبًا فى دين الصابئة ولكنه كان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ويصوم رمضان ويحفظ القرآن وتوفي ٣٨٤ هـ .

وإبطاء وانتظار له واستبطاء » ، فإن التأخير والاستبطاء [١] بمعنى واحد . وقد يكون لهذا وجه فى التجوز وهو التقرير فى نفس [٢] المخاطب لبعد الأمد وتطاول المدة فى انقطاع كتابه عنه وذلك مما لا بأس به فى هذا الموضع . وأمثال هذا كثير فاعرفه [٣] .

وأما الرابع : فالذى يتهيأ [فيه] [٤] التكرار أسماء وأفعال وحروف . ومعان . وقد تقدم الكلام على الأسماء والأفعال والمعانى .. **وأما الحروف فهى على قسمين : حسنة ، وقبيحة .**

فأما الحسنة فهى كما التزمه الحريرى فى رسالتيه السينية والشينية [٥] كرر السين فى كل كلمة فى / السينية ، والشين فى الشينية . وكما التزمه الحُصْرىّ [٦] ١١٥ فى أول مُعَشَّراته من حروف المعجم . وكما التزمه الفازازى [٧] فى عشرينيّاته ، وإنما حسن هذا النوع لأن فيه دليلا على قوة الملكة فى الكلام ، والقدرة على التلعب بحروفه فى النثر والنظام ، وهى من باب لزوم ما لا يلزم وسيأتى بيانه .

---

(١) الجامع : ٢١١ : الإبطاء .

(٢) الجامع : التجويز .

(٣) آخر النقل عن الجامع الكبير : ٢١١ .

(٤) زيادة من عندى للسياق .

(٥) طبعتا ملحقتين بمقاماته : ٦٠٤ ، ٦٠٧ ، وقد استقبح ابن الأثير فعل الحريرى في هاتين المقامتين ، وجعله مثالا للمعاظلة اللفظية . فقال : (وما أعلم كيف خفى مافيها من القبح على مثل الحريري مع معرفته بالجيد والردىء من الكلام) المثل السائر : ٣٠٩/١ .

(٦) هو على بن عبد الغنى الفهرى الحُصْرى أبو الحسن شاعر مشهور . كان ضريرا من أهل القيروان وهو ابن خالة ابراهيم الحُصْرى صاحب زهر الآداب وتوفى بطنجة عام ٤٨٨ هـ ، ومعشراته هذه في الغزل والنسيب ، وقد نشرت بتونس ١٩٦٣ م .

(٧) هو الوزير أبو زيد عبد الرحمن بن يَخْلَفْتن بن أحمد الفازازىّ القرطبى مولده بعد الخمسين وخمسمائة . وتوفى سنة سبع وعشرين وستمائة (بغية الوعاة : ٩١/٢ ، والوافى بالوفيات : ٣٠٢/١٨) .

وعشرينياته هى قصيدته فى مدح النبى ﷺ وهى مطبوعة مع شرحها . (النوافح العطرية) بمصر ، مكتبة عبد السلام بن شقرون . وذكر بركلمان أنها طبعت بعنوان : « سفينة السعادة لأهل الضعف والنجادة » بالقاهرة ١٣٢٠ هـ . انظر تاريخ الأدب العربى : ١٣١/٥ - ١٣٢ .

وأما القبيحة فكتكرار حروف تكسب الكلام عجرفة وتكسوه قلقًا ، حتى يصعب النطق به ويذهب رونق الكلام بسببه كقول الشاعر :

وَقَبـرُ حـرْبٍ بمكـانٍ قفـرٍ وليس قُرْبَ قبرِ حرْبٍ قبـرُ [١]

وأما الخامس : فى الحسن منه والقبيح .. فأما الحسن منه فقد تقدم .. وأما القبيح فهو التكرار العارى عن الفائدة ، وهو لا يخلو إما أن يكون فى المعنى وحده أو فى المعنى واللفظ معًا . أما الأول : فقد عابه [٢] بعضهم مطلقًا ، وبعضهم فصل فعابه [٣] على الناثر وعلى الناظم إذا فعله فى صدر البيت ، وأما إذا فعله فى عَجُزِه فليس ذلك بعيب ، إذ قد يضطر لأجل القافية والوزن كقول المتنبى :

بَحْرٌ تعـوَّدَ أن يُـذِمَّ لأهلـه من دَهرِه وطوَارِقِ الحَدَثـانِ [٤]

والدهر وطوارق الحدثان بمعنى واحد .. وكذلك قيل من قال [٥] :

إنى وإنْ كان ابنُ عمّى غائبًا لمقـاذِفٌ مـن خلفـهِ وورائـهِ [٦]

---

(١) هذا بيت دائر في كتب الأدب والبلاغة (ولا يعرف قائله ويقال إنه من شعر الجن لما فيه من العسر حتي لا يستطيع واحد أن ينشده ثلاث مرات في نسق واحد دون أن يتلجلج) وانظر : البيان والتبيين ٦٥/١ ، ومعاهد التنصيص ٣٤/١ .

(٢) (ط) : أعابه .

(٣) (ط) : أعابه .

(٤) ديوانه : ٣١٢/٤ من قصيدة في مدح سيف الدولة : قال البرقوق : أَذَمَّ له من فلان : أجاره منه ، والحَدثَان : حوادث الدهر ونوائبه ، وبعد البيت قوله :

فتركتـه وإذا أذم مـن الـورى راعـاك واستثنـى بنـى حمدان

يقول : هذا النهر الذي عبره سيف الدولة بحر تعود أن يجير أصحابه من حوادث الدهر بأن يمنع العدو من العبور إليهم ولكن لما عبرته أنت تركته يجير أهله من كل أحد إلا من بنى حمدان – يعنى أن غيرك لا يقدر على عبوره .

(٥) عزاه أبو تمام فى ديوان الحماسة : ٣٢٢/٢ إلى الهذيل بن مشجعه البولانى . وذكر محقق الديوان أنه لم يجد له ترجمة . وهو فى المثل السائر : ٣٨/٣ .

(٦) كان في ط : (عائبا) – بالعين المهملة ، و(لمصادق) بدلاً من (لمقاذف) وقد أثبتُّ نص رواية الحماسة والمثل السائر ويبدو أن مافى (ط) تصحيف (مُقاذف) : أي مدافع ومنافح عن ابن عمى . وقال ابن الأثير : (فإن خلفًا ووراء بمعنى واحد وإنما جاز تكرارهما لأنهما قافية) المثل السائر ٣٨/٣ .

وأما الثاني فقد اتفق علي قبحه وهو كقول مَرْوان [١] :

سَقَى اللهُ نجدًا والسَّلامُ على نَجْدِ وَيَاحَبَّذا نَجْدٌ عَلى النَّأْيِ والْبُعْدِ
نَظَرْتُ إلى نَجْدٍ وبغدادُ دُونَها لَعَلّي أَرَى نَجْدًا وَهَيْهَاتَ مِنْ نَجْدِ

وكذلك قول أبي نُواس :

أَقَمْنَا بِهـا يَوْمًـا وَيَوْمًـا وثَالِثًـا وَيَوْمًا لَهُ يومُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ [٢]

وكذلك قول المتنبى :

وَلَـمْ أَرَ مِثْـلَ جيـرَانى ومـثـلى لمِثْلِى عنـدَ مِثْلِهـمُ مَقَـام [٣]

---

(١) لعله مروان الأصغر أبو السمط مروان بن أبي الجنوب بن مروان أبي حفصة (مروان الأكبر) المتوفى ١٨٢ ؛ فهذا الشعر ليس فى الديوان المجموع لمروان الأكبر . وهو فى المثل السائر : ٢٣/٣ وعلّق عليه ابن الأثير بقوله : (وهذا من العّى الضعيف ، فإنه كرّر ذكر (نجد) فى البيت الأول ثلاثا ، وفى البيت الثانى ثلاثا ، ومراده فى الأول الثناء على نجد وفي الثاني : أنه تلفت إليها ناظرا من بغداد ، وذلك مرمىً بعيد . وهذا المعنى لا يحتاج إلي مثل هذا التكرير . أمّا البيت الأول فيحمل علي الجائز من التكرير لأنه مقام تشوق وتحزن وموجدة بفراق نجد . ولما كان كذلك أجيز فيه التكرير بل إنه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى الوارد فى البيتين معًا من غير أن يأتي بهذا التكرير المتتابع ست مرات) .

(٢) ديوان أبي نواس : ٣٧ من قطعة من خمرياته فى أطلال حانة من خانات مدائن كسرى مطلعها :

ودارِ ندامـي عطّلوهـا وأدلجوا بها أَثَـرٌ منهم جديـدٌ ودارسُ

وهذه القطعة ذكر شارح الديوان أن الجاحظ استشهد بها علي أنها مما لا يتاح إلا للقليل من الشعراء . ورواية الديوان :

أقمنا بها يوما ويومين بعده

والبيت فى المثل السائر : ٢٤/٣ وعلّق ابن الأثير على البيت بقوله : (ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ، ويا عجبا له يأتى بمثل هذا البيت السخيف الدال على العِىّ الفاحش في تلك الأبيات العجيبة الحسن التى تقدم ذكرها في باب الإيجاز وهي : ودار ندامى عطلوها وأدلجوا ...) (وانظر المثل السائر ٣٣٣/٢) .

(٣) ديوانه (١٩٤/٤) ، والمثل السائر : ٣/٣ ، ٢٥ ، والجامع الكبير : ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، وعلق عليه ابن الأثير في المثل بقوله : (فهذا هو التكرير الفاحش الذى يؤثر في الكلام نقصا ألا ترى أنه يقول : لم أر مثل جيراني في سوء الجوار ولا مثلي في مصابرتهم ومقامي عندهم . إلا أنه قد كرر هذا المعنى في البيت مرتين) .

وأقبح من ذلك قوله :

وقَلْقَلْتُ بَالْهَمِّ الذى قَلْقَلَ الحَشَا   قَلاقِلَ عِيسٍ كلُّهُنَّ قَلاقِلُ [١]

١١٦ / وقال ابن الأثير [٢] : قال الواحدى فى شرحه لشعر أبى الطيب المتنبى : إنه لا يلزمه من هذا عيب ، وإنه قد جرت عادة الشعراء بمثل ذلك كقول أبى منصور الثعالبى [٣] :

وَإِذَا الْبلابِلُ أَطْرَبتْ بِهَدِيلِها   فَانْفِ البَلابِلَ بَاحْتِسَاءِ بَلابِلِ [٤]

والصحيح أنه مستثقل . وأخطأ الواحدى فى الاعتذار عنه ، وفى تمثيله ببيت الثعالبى . وبيان ذلك : أن بيت أبى الطيب قد ورد فيه ذكر القلقلة والقلاقل أربع مرات ، وهن دلالات على معنى واحد لا غير وهو الحركة . يقول : وحرَّكتُ بالهمِّ الذى حرك الحشا نوقًا سراع الحركة كلهن متحركات . وهذا من أقبح ما يكون من التكرير ، وأما بيت الثعالبى الذى مثّله الواحدى ببيت أبى الطيب فليس مثالاً ؛ لأن لفظة « البلابل » قد وردت فيه ثلاث مرات ، وكل منها دال على معنى غير الآخر ، فالأول جمع « بُلْبُل » وهو طائر حسن الصوت ، والثانى : جمع « بَلْبَلَة » ، وهى وساوس الصدور والثالث : جمع « بُلبُلة » وهى مخرج

---

(١) من قصيدة قالها فى صباه ، ديوانه (٢٩٣/٣) ، والصناعتين : ٣٤٥ ، ٩٩ والمثل السائر : ٢٥/٣ ، والجامع الكبير : ٥١ ، ٢٠٨ . قال البرقوق : والقلاقل الأولى : جمع قلقل وهي الناقة الخفيفة ، والقلاقل الثانية : جمع قلقلة وهي الحركة . يقول : حركت بسبب الهم الذى حرك نفسى – إبلا خفافا فى السير .. ويجوز أن تكون القلاقل الثانية أيضا بمعنى الأولى ، وإذن يعود الضمير من (كلهن) على العيس لا على القلاقل . يقول : خفاف إبل كلهن خفافٌ يعنى أنهن خفاف الخفاف وسراع السّراع كما يقال أفضل الفضلاء .

(٢) الجامع الكبير : ٢٠٨ ، ٢٠٩ . وقد ورد فيه تقديم الكلام على بيت المتنبى (ولم أر مثل ...) قبل قوله : (وقلقت ...) .

(٣) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبى من أئمة اللغة والأدب ، ومن أهل نيسابور كان فرّاءًا يخيط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته . وتوفى ٤٢٩ هـ .

(٤) نهاية الإيجاز : ١٣٧ ، ومعاهد التنصيص : ٢٦٦/٣ .

الماء من الإبريق ، فهو يقول : وإذا الأطيار من البلابل هدلت وغَرَّدت فانف البلابل من قلبك باحتساء الخمر من بلابل الأباريق . وهذا من أحسن ما يكون من التجنيس . ومن ها هنا وقع السهو للواحدى وهو أن « البلابل » فى شعر الثعالبى يدل على معان مختلفة ، « والقلاقل » فى شعر أبى الطيب يدل على معنى واحد فاعرف ذلك وقس عليه .

ومثل قول المتنبى فى القبح قوله أيضًا :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جيرَانى ومثلى لِمِثلى عنـدَ مِثْلِهـمُ مَقـام

فهذا ومثله هو التكرار الفاحش الذى يؤثر فى الكلام نقصًا زائدًا ، ألا ترى أنه يقول لم أر مثل جيرانى فى سوء الجوار وقلة المراعاة ولا مثلى فى مصابرتهم ومقامى عندهم ، إلا أنه [1] قد كرّر هذا المعنى فى البيت مرتين .

* * *

(١) كان فى (ط) : لأنه .

القسم الثانى عشر

القسم (*)

وهو أن يُقسم فى كلامه بشىء لم يُرد به تأكيد كلامه ولا تصديقه وإنما
١١٧ يُريد به / بيان شرف المقسم به وعلو قدره عنده . ومنه قوله تعالى : ﴿ فوَرَبِّ السماء والأرض إنه لَحَقٌّ مِثْلَ ما أنكم تنطقون ﴾ [سورة الذاريات : ٢٣] . وقوله تعالى : ﴿ والطور وكتابٍ مسطور ﴾ [سورة الطور : ٢٠١] وقوله تعالى : ﴿ والنجم إذا هَوَى ﴾ [سورة النجم : ١] . وقوله تعالى : ﴿ والسماءِ وما بناها والأرضِ وما طَحَاها ونفسٍ وما سَوّاها ﴾ [سورة الشمس : ٥ - ٧] . وقوله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إنهم لفى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهون ﴾ [سورة الحِجْر : ٧٢] أقسم بهذه الأشياء كلها لعظم خلقها ، ولشرفها عنده ، وأقسم بحياة نبيه ﷺ ليعرف الناس عظمته عنده ومكانته لديه . ومنه قول الشاعر (١) :

حَلَفْتُ بِمَنْ سَوَّى السَّمَاءَ وَشَادَهَا ... وَمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ
وَمَنْ قَامَ فى المَعْقُول مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ (٢) ... بِمَا شِئْتَ مِنْ إِدْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ
لَمَا خُلِقَتْ كَفَّاكَ إلا لأَرْبَعٍ ... عَقَائِلَ لم يُعْقَل لَهُنَّ ثَوَانِ
لِتَقْبِيلِ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلٍ ... وَتَقْلِيبِ هِنْدِىٍّ وَجَذْبِ (٣) عِنَانِ

(*) القَسَمُ : اعتماد ابن النقيب فيه على تحرير التحبير : ٣٢٧ .

(١) الأبيات فى تحرير التحبير : ٣٢٨ ، ٣٢٩ ونسبها إلى ابن خرداذبة .

(٢) فى تحرير التحبير رؤية .

(٣) تحرير التحبير : حبس .

قال المصنف عفا الله عنه : القسم فى القرآن العظيم على قسمين : مظهرٌ ، ومضمَرٌ .

فالمظهر كما تقدم . والمضمر على قسمين : قسم دلت لام القسم على حذفه كما فى قوله تعالى : ﴿ لتُبْلَوُنَّ فى أموالِكُمْ وأنفسِكُم ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٦] . وفى قوله تعالى : ﴿ لترَون الجحيمَ ﴾ [سورة التكاثر : ٦] .

والقسم الثانى : ما دل عليه المعنى فى مثل قوله تعالى : ﴿ وإنْ منكم إلا وارِدُها كان على ربك حتمًا مَقْضِيًا ﴾ [سورة مريم : ٧١] تقديره : والله إن منكم إلا واردها يدل على ذلك قوله ﷺ : « لن تمسه النار إلا تحلة القسم » . وله فى القرآن نظائر .

* * *

القسم الثالث عشر

الاقتباس ويسمى التضمين (*)

وهو أن يأخذ المتكلم كلامًا من كلام غيره يُدرِجُه فى لفظه لتأكيد المعنى الذى أتى به أو ترتيب (1) . فإن كان كلامًا كثيرًا أو بيتًا من الشعر فهو تضمين ،

(*) الاقتباس « التضمين » :

بحثه فى بديع ابن المعتز : ٦٤ ، والصناعتين : ٤٢ ، والعمدة : ٨٤/٢ ، وبديع بن منقذ : ٢٤٩ ، ونهاية الإيجاز : ٢٨٨ ، والمثل السائر : ٢٠٠/٣ ، والجامع الكبير ٢٣٢ ، وتحرير التحبير : ١٤٠ ، وبديع القرآن : ٥٢ ، والمعيار : ١٠٩ - ١١٠ ، ومعترك الأقران : ٣٩٨/١ ، والإتقان : ٤٠/٢ ، ٥٦ ، ٩٠ ، وشرح عقود الجمان : ١٦٩ .

ويلاحظ أن الرازى لم يذكر إلا الاقتباس من القرآن الكريم ، وجعله القسم السادس من أقسام النظم . أما الزنجانى فقد فرق بين الاقتباس والتضمين فجعل « الاقتباس » من القرآن الكريم ، و« التضمين » من الشعر . وانظر مابين المصطلحين فى معجم المصطلحات البلاغية : ٢٧٢/١ ، ٢٦٤/٢ .

ويلاحظ أن ابن النقيب استخدم مصطلح « التضمين » من قبل - فى القسم الرابع عشر من أقسام المجاز ، غير أنه بمعنى مختلف عن معناه هنا . وعنى به - هناك - إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه .

(1) كذا فى (ط) : (أو ترتيب) وأنا أرجح أن هذا تصحيف وأن الصواب : أو تزيين) بالزاى الموحدة من فوق ، فياء مثناة من تحت وبعدها ياء أخرى ، والنون الموحدة من فوق . هذا ما استظهرته من نص نهاية الإيجاز : ٢٨٨ ، والمعيار : ١٠٩ فى تعريف الاقتباس . ولا معنى للترتيب - هنا - فى هذا الموضع . فغرض هذا الباب « باب التضمين والاقتباس » تزيين الكلام وتوشيحه .

وقد وقع مثل هذا التصحيف فى مطبوعة (معترك الأقران) للسيوطى : ٣٩٨/١ حيث ذكر من معانى « التضمين » أنه (إدراج كلام الغير فى أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى ، أو ترتيب النظم) . وبقليل من التأمل فى تعريف السيوطى - هذا - نستطيع أن نقرر أنه هو نفسه تعريف ابن النقيب ، وأن السيوطى نقله عنه ، ويقوى ذلك أنه ذكر ابن النقيب بعد ذلك بقليل ناقلاً عنه - وكما سنذكره فى التعليق التالى .

وتعريف السيوطى هذا للتضمين مقرونًا بتعريف الرازى فى نهاية الإيجاز ، والزنجانى فى المعيار يُلمح إلى أن تعريف « التضمين هنا فيه « سقط » إلى جانب مافيه من تحريف . وأنا أستظهر أن يكون صواب عبارة التعريف (.. أو تزيين النظم) .

وإن كان كلامًا قليلاً أو نصف بيت فهو إيداع [١] . وعلى هذا الحد ليس فى القرآن من هذا النوع شىء إلا / ما أودع فيه من حكايات أقوال المخلوقين [٢] ١١٨ مثل قوله تعالى حكاية عن قول الملائكة ﴿ قالوا أتجعلُ فيها مَن يفسد فيها ويَسفك الدماءَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٠] ، ومثل ما حكاه سبحانه من قول المنافقين : ﴿ قالوا إنما نحنُ مُصلِحون ﴾ [سورة البقرة : ١١] . وقولهم : ﴿ قالوا أنؤمنُ كما آمنَ السفهاء ﴾ [سورة البقرة : ١٣] . وقوله سبحانه وتعالى حكاية عن قول اليهود والنصارى ﴿ وقالت اليهود ليست النصارَى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء ﴾ [سورة البقرة : ١١٣] ومثله فى القرآن كثير .

وكذلك ما أودع فى القرآن من اللغات الأعجمية [٢] مثل قوله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنمَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٨] وهى لغة للحطب بالحبشية ، و« كالقسطاس » وهو الميزان باللغة الرومية ، « والفردوس » وهو البستان ، « والقنطار » وهو اثنا عشر ألف أوقية .

ومن اللغة المنسية « الكف والساق والفراش والوزير والقاضى والوكيل والشراب والحلال والحرام والحسد والصواب والبركة والخطأ والوسوسة والكساد والنطيحة والحَط والقلم واللهو والكرسى والقفل والركاب والغاشية والمشرق والمغرب واللطيف » ومن اللغة الفارسية المحكية « الإبريق والسندس والياقوت والزنجبيل والمسك والكافور » .

---

(١) تفرقة المؤلف بين الإيداع والتضمين متابع فيها لابن أبى الإصبع الذى أوجب التفرقة بين التضمين والإيداع والاستعانة . انظر : تحرير التحبير : ١٤٢ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣ . وانظر فى ذلك شرح عقود الجمان : ١٧٠ .

(٢) هذا من الأدلة على أن ما بين أيدينا هى مقدمة تفسير ابن النقيب . فهذا قد نقله السيوطى فى كتابه الإتقان : (٢٧٠/٣) عند حديثه عن التضمين وعزاه إلى ابن النقيب . قال السيوطى : « ومثّله ابن النقيب وغيره بإيداع حكايات المخلوقين فى القرآن كقوله تعالى حكاية عن الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ وعن المنافقين : ﴿ أنؤمن كما آمن السفهاء ﴾ « وقالت اليهود وقالت النصارى » قال : (وكذلك ما أودع فيه من اللغات الأعجمية) . ونقله أيضًا فى كتابه معترك الأقران : (٣٩٨/١ - ٣٩٩) . ويلاحظ أن صدر كلام السيوطى ينسب القول بإيداع حكايات المخلوقين فى القرآن إلى ابن النقيب وغيره . أما عجزه فيقطع بأن القائل بأن مافى القرآن من اللغات الأعجمية من باب « الإيداع » هو ابن النقيب .

وهذه الكلمات كلها حكاها الثعالبى فى فقه اللغة . وهى عند المحققين مختلف فيها فمنهم من قال إنها أعجمية عربت . ومنهم من أنكر ذلك ، وقال ليس فى القرآن لفظ أعجمى لقوله تعالى : ﴿ بلسان عربى مُبين ﴾ [سورة الشعراء : ١٩٥] ، وهذه الألفاظ إنما هى عربية أصلية وافقت اللغة الأعجمية والرومية ، وإنما الذى ورد فى القرآن بعض آيات وكلمات من التوراة وغيرها من كلام الله عز وجل فأشبه التضمين والإيداع . من ذلك قوله تعالى ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفسَ بالنفسِ ﴾ [سورة المائدة : ٤٥] ومنها قوله تعالى فيما حكاه من صفة النبى ﷺ وأصحابه وذلك قوله تعالى : ﴿ محمدٌ رَسولُ اللهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] فضمن كتابنا صفتهم من الكتابين الأولين [١] .

وأما التضمين فى الشعر فلا يخلو إما أن يكون البيت المضمن مشهورًا أو غير مشهور . فإن كان مشهورًا لم يحتج إلى تنبيه عليه أنه من كلام غيره ؛ لأن شهرته تغنى عن ذلك وإن كان غير مشهور فلابد من تنبيه على أنه ليس من شعره [٢] مثل قول الشاعر :

١١٩ / ما على طِيْبِ ليالٍ سَلَفَتْ   مِنْ ليالى الوَصْلِ لو عادَت لنا

---

(١) هذا الذى ساقه المؤلف من أن فى القرآن بعض آيات وكلمات من التوراة وغيرها من كلام الله عز وجل السابق وتمثيله له بآيتى المائدة والفتح – عند ابن أبى الإصبع فى تحرير التحبير : ١٤١ ، ١٤٢ ، وبديع القرآن : ٥٢ . قال : (ولم أظفر بشىء من هذا الباب – يريد باب التضمين فى الكتاب العزيز إلا بموضعين تضمنا فصلين من التوراة والإنجيل .. الخ) وساق الآيتين هنا . وقد مَنَّ الله على بالظفر بموضع ثالث فى أواخر سورة الأعلى فى قوله تعالى : ﴿ قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ، بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى إن هذا لفى الصحف الأولى ، صحف ابراهيم موسى ﴾ فقوله : ﴿ إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ ظاهر الإشارة فيه أنه لقوله : ﴿ قد أفلح من تزكى ... ﴾ وهو الذى ذهب إليه ابن زيد وابن جرير . فيكون التضمين من هنا إلى آخر السورة . وذهب ابن عباس وعكرمة والسُّدى إلى أن الإشارة إلى معانى السورة كاملة ، وعليه فتكون السورة كلها مضمنة من التوراة وصحف ابراهيم . وانظر البحر المحيط لأبى حيان : (٤٦٠/٨) . ورجح المذهب الأول لقرب المشار إليه بهذا . والله أعلم .

(٢) اشتراط التنبيه على الشعر المضمن إن لم يكن غير مشهور عند الزنجانى فى المعيار : ١١٠ .

نَبّه عليه فى البيت الذى قبله بقوله :

فأنا من فَرْط وجدى منشدٌ ... بيت شِعْرٍ قاله مَنْ قَبْلَنا

وكذلك إذا كان المضَمَّن نصفَ بيت كقول ابن اللبّانَةِ الأندلسى [١] فى بيت من قصيدة له :

حَبِيبٌ إلى قلبى حَبِيبٌ لِقَوْلِهِ ... عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ وَلَعَلَّمَا

ومن التضمين المشهور قول ابن عُنَيْن [٢] يصف بغلة له :

مَرَّتْ عَلَى عَلَفٍ فَنَامَتْ فَوْقَهُ ... جُوعًا وَقَالَتْ وَالمَدَامِعُ تَسْجُمُ

وَقَف الْهَوَى بِى حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِى ... مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلا مُتَقَدَّمُ [٣]

ومثله قول آخر :

إنْ بِرْذَونِى المدّقعَ باللّصَقا [٤] ... تِ فى لَوْعَةٍ يكابدُها

رَأى بِغَالَ الأمير عابرةً ... بالتِّبْنِ يَوْمًا فَظَلَّ يُنشِدُها

قِفَا قَلِيلاً بِها عَلىَّ فَلا ... أَقَلَّ مِنْ نَظرةٍ أُزَوِّدُها [٥]

---

(١) هو محمد بن عيسى بن محمد اللخمى أبو بكر المعروف بابن اللبانة . أديب أندلسى شاعر من أهل دانية . توفى سنة ٥٠٧ هـ . (ترجمته فى فوات الوفيات : ٢٢٧/٤ ، والأعلام : ٢١٤/٧) .

(٢) هو محمد بن نصر الله الشاعر المشهور ، ميلاده ووفاته بدمشق ، وفيها تولى الكتابة للملك المعظم . توفى عام ٦٣٠ هـ . (ترجمته فى لسان الميزان لابن حجر ٤٠٥/٥ ، والأعلام : ٣٤٨/٥ ، ومقدمة محقق ديوانه) .

(٣) البيتان ليسا فى ديوانه المطبوع بتحقيق خليل مردم بك . وهما فى بديع ابن منقذ ٢٥٤ دون نسبة . مع اختلاف طفيف فى رواية البيت الأول .

والتضمين فى قوله : (وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخر عنه ولا متقدم) فهذا البيت رواه صاحب الأغانى (٢٢٥/٢٢) لعلى بن عبد الله بن جعفر فى مجموعة أبيات وبهامش الصفحة ذكر المحققون أن صاحب الأغانى ذكرها فى ترجمة أبى الشيص الأزدى ، وقد حقق أبو عبيد البكرى فى التنبيه (ص ٦٧) أنها لعلى بن جعفر .

(٤) فى (ط) أنه (هكذا بالأصل) .

(٥) لم أعثر عليها ، وبيت التضمين – هنا – الأخير وهو للمتنبى ، ديوانه : ١٩/٢ .

وقد وقع التضمين فى الشعر فى بيت كما ذكرناه وفى بيتين . ومنه ما قيل فى الحَيْص بيص [١] حين قَتل جُرَيًّا وهو سكران ، فأخذ بعض الشعراء كَلْبَةً وعلّق فى حلقها قِصَّة ، وأطلقها عند باب الوزير ، فأُخذَت القِصة من حلق الكلبة وأدخلَت على الوزير فإذا فيها مكتوب هذه الأبيات [٢] :

يَا أَهْلَ بَغْدادَ إِنْ الحَيْص بَيْصَ أَتَى بِخِزْيَةٍ أَلْبَسَتْهُ الْعَارَ فِى الْبَلَدِ
أَبدَى شَجَاعَتَهُ بِاللَّيْلِ مُجْتَرِئًا عَلَى جُرَىٍّ ضَعِيفِ الْبَطْشِ والْجَلَدِ
فَأَنْشَدَتْ أُمُّهُ مِنْ بَعْدِ مَا احْتَسَبَتْ دَمَ الأُبَيْلِقِ عِنْدَ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
أَقولُ للنَّفسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً إِحْدَى يَدَىَّ أَصَابَتْنِى وَلَمْ تُرِدِ
كِلاهُما خَلَفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِه هَذَا أَخِى حِينَ أَدْعُوهُ وذا وَلَدِى

وهذان البيتان البيت الأخير والذى قبله لامرأة من العرب [٣] قتل أخوها ابنًا لها فقالت ذلك تسلية لنفسها وتثبيتاً لقلبها :

وأما أنصاف الأبيات والكلمات فكثير جدًا .. فمن ذلك قول ابن المعتز [٤] :

١٢٠ / عَوَّذَ لَمَّا بِتُّ ضَيْفًا لَهُ أَقْرَاصَهُ مِنِّى بِيَاسِينِ
فَبِتُّ والأَرْضُ فِرَاشِى وَقَدْ غَنَّت قِفا نَبْكِ مَصَارِينِى [٥]

---

(١) هو سعد بن محمد أبو الفوارس الصيفى الناقد الشاعر الملقب الْحَيْص بَيْصَ . نشأ فقيهًا وسمع شيئًا من الحديث ولكن غلب عليه الأدب والشعر . توفى ببغداد (٥٧٤ هـ) ، (ترجمته فى المنتظم ٢٨٨/١٠ ، ووفيات الأعيان : ٣٦٢/٢ ، ولسان الميزان ١٩/٣) .

(٢) هى لأبى القاسم القطان البغدادىّ الشاعر المتوفى ٥٨٨ هـ ، وكان غاية فى الخلاعة كثير المزاح والمداعبات – والأبيات فى وفيات الأعيان : ٥٤/٦ – ٥٥ ، ومعاهد التنصيص : ١٦٢/٤ .

(٣) البيتان الأخيران فى ديوان الحماسة (٢٠٧/١) شرح المرزوق . وفيه أنهما لأعرابى قتل أخوه ابنًا له فقدم إليه ليقتاد منه فألقى السيف وأنشد البيتين .

(٤) هذا وهم والصواب أنه من إنشادات ابن المعتز فى كتابه البديع : ٦٤ ، لا أنه من قوله .

(٥) بديع ابن المعتز : ٦٤ ، والصناعتين : ٤٢ ، والعمدة : ٨٨/٢ ، وبديع ابن منقذ : ٢٥٠ ، وتحرير التحبير : ١٤١ . وروايتهم عدا العمدة وتحرير التحبير : « أقراصه بخلاً » .

ومنه قول الضحاك [١] :

وَقَفْتُ عَلَى بَابِ الأَمِيرِ كَأَنَّنِى ‏ ‏ ‏ ‏ قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ [١]

وقد أودعت جماعة من الشعراء ، وجلة من الكتاب الفضلاء فى أشعارهم ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التى هى من جملة وسائلهم آياتٍ من كتاب الله تعالى وسموه اقتباسًا من القرآن . وهذا مما قد نهى عنه جلة العلماء وأفاضل الفقهاء الأتقياء وكرهوا أن يُضَمَّن كلام الله تعالى شيئًا من ذلك ، أو يستشهد به فى واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجتهم إليه : ﴿ ثم جئت على قدر يا موسى ﴾ [سورة طه : ٤٠] وأشباه ذلك ؛ لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه ، وخروج له عن المعنى الذى أريد به .

فمن التضمين المنهى عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السَّرِىّ [٢] حين ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه : (لو قبلتُ هديتك نهارًا لقبلتها ليلاً « بل أنتم بهديتكم تفرحون » ، وقال لرسوله : ﴿ ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قِبَلَ لهم بها ولنخرجنهم منها أذلةً وهم صاغرون ﴾ [سورة النمل : ٣٦ ، ٣٧] .

وأوحش من ذلك وأعظم منه فى الشعر قول الشاعر [٣] :

---

(١) كذا فى (ط) . وأرجح أن هنا تحريفًا . وهذا البيت فى بديع ابن منقذ : ٢٥٠ من أربعة أبيات منسوبة للصولى . ورواية صدره : « وقفت على باب الوزير » . وهذه الأبيات الأربعة فى ترجمة الصولى فى (المنتظم) لابن الجوزى : ٣٦٠/٦ وفيه (قال أبو بكر الصولى : حضرت باب على بن عيسى الوزير ومعنا جماعة من أجلاء الكتاب فقدمت دواة وكتبت :

خلفت على باب ابن عيسى كأننى .. الخ الأبيات

والصولى – هذا – هو أبو بكر محمد بن يحيى شاعر أديب أحد العلماء بفنون الأدب ، كان له رواية للحديث النبوى . والتضمين فى قوله : (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) وهو مطلع معلقة امرىء القيس الشهيرة .

(٢) ط : (السدى) بالدال المهملة وهو تصحيف . وابن السرى هو عبيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر وابن أميرها . بايع له الجُند سنة ٢٦ هـ ، وأقرّه الخليفة المأمون . وتوفى ٢٥١ هـ ، وسبقت ترجمة ابن طاهر .

(٣) البيتان فى بديع ابن منقذ : ٢٥٧ دون نسبة ، وفى الإتقان للسيوطى : ٣١٥/١ بيتان قريبان من هذا لأحد أئمة الشافعية .. قال السيوطى : (وذكر الشيخ تاج الدين ابن السبكى فى طبقاته فى ترجمة الإمام أبى منصور عبد القاهر بن الطاهر التميمى البغدادى من كبار الشافعية وأجلائهم أن من شعره قوله=

يَسْتَوْجِبُ الْعَفَوَ الْفَتَى إِذَا اعْتَرَفْ ... بِمَا جَنَاهُ وَانْتَهَى عَمَّا اقْتَـرَفْ
لِقَوْلِـهِ قُـلْ لِلَّذِيـنَ كَفَـرُوا ... إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفْ

وقول الآخر [1] :

قُمْتُ لَيْلَ الصُّدود إلاّ قَلِيلا ... ثم رَتَّلْتُ ذِكْرَهُمْ تَرْتِيـلاً
وَجَعْلَتُ السُّهَادَ كُحْلاً لِعَيْنِى ... وَهَجرتُ الرُّقَادَ هَجْرًا جَمِيلاً
كُلَّمَا ضَمَّنَا مَحَلُّ عِتَابٍ ... أَخَذَتْنَا الْعُيونُ أَخْذًا وَبِيلاً [2]

ضمن هذه القصيدة آخر كل آية من سورة المزمل .

هذا وما أشبهه مما يعدونه من الفصاحة والبلاغة ، وهو مما ينبغى أن تعاف النفوسُ مساغَه . وهو مندرج فى التحريم لما فيه من عدم الإجلال لكلام الله عز وجل والتعظيم . وكيف يليق أن يجمع بين المُحدَث والقديم !

= يامن عدى ثم اعتدى ثم اقترف ... ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشر بقـول الله فى آياتـه ... إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف

وقال : استعمال مثل الأستاذ أبى منصور مثل هذا الاقتباس فى شعره له فائدة ، فإنه جليل القدر ، والناس ينهون عن هذا . وربما أدى بحث بعضهم إلى أنه يجوز) ، وعلق السيوطى على البيتين بأنهما ليسا من باب « الاقتباس » حيث صرح بأن ذلك من قول الله . وأنظر شرح عقود الجمان : ١٦٨ حيث ذكر أن الحافظ أبا القاسم بن عساكر أسند هذين البيتين عن صاحبهما .

(١) هو ابن النبيه المصرى كمال الدين على بن محمد بن يوسف الكاتب الشاعر صاحب ديوان رسائل الملك الأشرف موسى بن العادل . توفى عام ٦١٩ هـ (ترجمته فى النجوم الزاهرة ٢٤٣/٦) .

(٢) ديوان ابن النبيه : ٣٩٧ ، وخزانة الأدب لابن حجة الحموى : ومعاهد التنصيص : ١٤٥/٤ مع اختلاف طفيف فى بعض الألفاظ . وهذه الأبيات من قصيدة فى مدح القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى . وقد ساق منها ابن حجة العشرة أبيات الأولى . وفى كل بيت منها تضمين آية من سورة المزمل . وعلّق على ذلك بقوله : ونعوذ بالله من قوله بعد ذلك :

جَـل عـن سائـر الخلائـق فضلاً ... فاخترعنـا فى مدحـه التنزيـلا

وعلق عليها صاحب المعاهد بقوله : (نعوذ بالله سبحانه من مغالاته وفرط إغراقه ، فإن مذهبه فى ذلك مشهور) .

وقد رخص بعض أهل العلم فى تضمين بعض آيات القرآن فى خطبهم ومواعظهم / وأكثر ما استعمل ذلك الشيخ ابن نُباتة [١] وابن الجوزى [٢] . وقد استعمله كثير من الناس .

١٢١

* * *

(١) هو ابن نُباتة الخطيب عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نُباته الفارقى أبو يحيى صاحب الخطب المنبرية الشهيرة التى قيل إنه لم يعمل مثلها . ولد فى ميافارقين بديار بكر ونسبته إليها وسكن حلب فكان خطيبها ، واجتمع بالمتنبى فى خدمة سيف الدولة الحمدانى ، وتوفى سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) هو الإمام عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى أبو الفرج علاّمة زمانه . مولده ووفاته ببغداد ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها . له نحو من ثلاثمائة كتاب فى مختلف نواحى العلم . وتوفى ٥٩٧ هـ .

القسم الرابع عشر

التذييل (*)

والكلام عليه من وجوه

الأول : فى حده ، والمعنى الذى أتى به من أجله .

الثانى : فى اشتقاقه .

الثالث : فى أقسامه .

* * *

أما الأول : فقال علماء علم البيان (١) : إنه تذييل المتكلم كلامه بحرف أو جملة يحقق بها ما قبلها من الكلام . وتلك الجملة على قسمين : قسم لا يزيد على المعنى الأول وإنما يُؤتى به للتأكيد والتحقيق ، وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله .

مثال ما جاء من الكتاب العزيز متضمنًا للقسمين معًا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشترى مِن المؤْمنينَ أنفسَهم وأموالَهم بِأَنَّ لهُم الجنّةَ يُقاتِلونَ فى سَبيلِ اللهِ

(*) التذييل : بحثه فى الصناعتين ٣٨٧ ، وبديع ابن منقذ : ١٢٥ ، وتحرير التحبير : ٣٨٧ ، وبديع القرآن : ١٥٥ ، والمعيار : ١٤٤/٢ ، والبرهان للزركشى : ٦٨/٣ ، والإتقان : ٢٢١/٣ ، ومعترك الأقران : ٣٦٨/١ ، وشرح عقود الجمان : ٧٤ .

(١) مأخوذ من كلام ابن أبى الإصبع فى تحرير التحبير : ٣٨٧ وما بعدها . وقد تصرف ابن النقيب بعض التصرف فى التعريف حيث زاد فيه أن جعل « التذييل » يمكن أن يكون بحرف ، وعدّه قسمًا من أقسامه . وعندى أن هذا خطأ منه ، فالتذييل بالحرف لا علاقة له بأنواع البديع التى تعود إلى المعنى حتى يذكرها فى هذا القسم ، وهذا النوع من التذييل من أنواع التجنيس – عند التحقيق – فموضعه اللائق به الفن الثانى الذى أفرده للحديث عن أنواع البديع التى تعود إلى اللفظ . وانظر ما يأتى برقم : ٤ ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

فَيَقْتُلون ويُقْتَلون وَعْدًا عليهِ حقًّا فى التوراةِ والإنجيلِ والقرآن ومن أوفى بعهدِه من اللهِ ﴾ [سورة التوبة : ١١١] ففى الآية الكريمة تذييلان .

أحدهما : قوله تعالى : ﴿ وَعْدًا عليه حقًّا ﴾ فإن الكلام تم قبل ذلك ثم أتى سبحانه وتعالى بتلك الجملة ليحقق بها ما قبلها . **والآخر** قوله سبحانه : ﴿ ومن أوفى بعهده منَ اللهِ ﴾ فأخرج هذا مخرج المثل السائر ليحقق ما تقدم ، وهو تذييل ثان للتذييل الأول .

ومنه قوله عز وجل : ﴿ ومن أصدقُ مِنَ اللهِ قِيلاً ﴾ [١] [سورة النساء : ١٢٢] . وكقوله تعالى : ﴿ ذلك جزَيناهُم بما كفروا وَهل يُجَازَى إلا الكفور ﴾ [٢] [سورة سبأ : ١٧] ومثله فى القرآن كثير .

ومثال ما جاء منه من السُنَّة قول النبى ﷺ - « من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرًا ، ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ، فإنْ عملها كتبت عليه سيئة واحدة . ولا يهلكُ على الله إلا هالك » [٣] . فقوله : « ولا يهلك على الله إلا هالك » تذييل فى غاية الحسن أخرج الكلام فيه مخرج المثل .

ومثال ما جاء من ذلك فى الشعر قول النابغة :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لاَ تَلُمُّـهُ ... عَلَى شَعَثٍ أَىُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ [٤]

---

(١) هو تذييل لقوله تعالى - قبل ذلك - ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ﴾ ثم قال بعد ذلك : ﴿ وعد الله حقًا ، ومن أصدق من الله قيلاً ﴾ [سورة النساء : ١٢٢] . وقد وردت الآية فى (ط) بلفظ : ﴿ ومن أحسن من الله ﴾ وهو خطأ . ونفس الخطأ فى بديع ابن منقذ : ١٢٥ .

(٢) هى قراءة المدنيين والمكى والبصرى والشامى وشعبة (بياء مضمومة وفتح الزاى وألف بعدها ، ورفع الكفور) أما رواية حفص والباقين (فبنون مضمومة وكسر الزاى وياء ساكنة مدية بعدها ونصب الكفور) . انظر البدور الزاهرة : ٢٦٠ .

(٣) أورده السيوطى فى الدر المنثور (٣/٦٤) مع اختلاف قليل فى اللفظ . وعزاه إلى أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه .

(٤) ديوانه : ٧٤ ، والصناعتين : ٦٣ ، وتحرير التحبير : ٣٨٨ ، وبديع ابن منقذ : ١٢٥ ، والمعيار : ١١٢ .

١٢٢ / فقوله : « أى الرجال المهذب » من أحسن تذييل وقع فى شعر .. ومنه قول الحطيئة :

تَزُور فَتًى يُعْطِى عَلَى المَدْحِ مَالَهُ   ومن يُعْطِ أثمانَ المحامِدِ يُحْمَدِ [1]

فإنّ عجز البيت كله تذييل أخرج مخرج المثل ؛ لأن صدر البيت كله قد استقل بالمعنى .

وأما الحروف فستأتى أمثلته فى الكلام على أقسامه إن شاء الله تعالى .

وأما الثانى : فإن التذييل مصدر ذَيَّل الشىء يُذَيِّله تذييلاً ، إذا جعل له ذيلاً ، مأخوذ من ذيل المرأة وهو ما يفضل عن قامتها ويزيد عليها فيبقى مجرورًا على الأرض . قال الشاعر :

كُتِبَ القتلُ والقِتالُ علينا   وَعَلَى الغَانِياتِ جَرُّ الذُّيُولِ [2]

وفى الحديث أنه ﷺ سئل عن ذيل المرأة فقال : « يُطَهِّرُهُ مَا بَعْدَهُ » [3] فكأنه شبه هذه الجملة لزيادتها وكون المعنى يتم بدونها بالزائد من ذيل المرأة الذى ينجر على الأرض .

وأما الثالث : فالتذييل على ثلاثة أقسام : قد تقدم منها قسمان ، **والثالث** : هو أن تزيد إحدى الكلمتين على الأخرى بحرف فقط . إما من آخرها وإما من أولها [4] . فمثال الزائد فى آخر الكلمة قولهم : « فلان حامٍ حاملٌ لأعباء الأمور ، كاف كافلٌ بمصالح الجمهور » وكقول أبى تمام :

---

(١) ديوانه : ٨٠ ، ونقد الشعر : ٧٩ ، والعمدة : ١٣٧/٢ ، وتحرير التحبير : ٣٨٩ ، وعجزه فقط فى الصناعتين : ١٣١ . وقد استحسن ابن أبى الإصبع هذا البيت أى استحسان . وكان فى (ط) (نزور) بالنون ، وأثبت مافي الديوان (تزور) بالتاء المثناة من خوف : والضمير فيه يعود على ذكر الناقة فى البيت قبله ، وهو بيت التخلص فى القصيدة .

(٢) ذكره الشيخ محيى الدين عبد الحميد فى الشعر المنسوب لعمر بن أبى ربيعة وغير موجود بأصل ديوانه . ولفظه (وعلى المحصنات) . شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة : ٤٩٨ .

(٣) فى مشكاة المصابيح : ١٥٦/١ ، وعزاه إلى مالك وأحمد والترمذى وأبى داود والدارمى .

(٤) الصواب أن مكان هذا القسم « فصل التجنيس » من الفن الثانى الراجع إلى فصاحة الألفاظ . =

يمدُّونَ مِن أيدٍ عَواصٍ عَواصِمٍ   تَصُولُ بأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ [(١)]

ومثالِ الزائد فى أولها قوله تعالى : ﴿ والتَفَّتْ الساقُ بالساقِ إلى رَبِّكَ يومئذٍ المساق ﴾ [سورة القيامة : ٢٩ : ٣٠] ومنه قول الشاعر [(٢)] :

وَكَمْ سَبَقَتْ منه إلىّ عَـوارِفٌ   ثَنائى على تِلْكَ الْعَوارِفِ وَارِفُ [(٣)]

وَكَمْ غُرَرٍ مِنْ بِـرِّهِ وَلَطَائِـفٍ   لِشُكْرِى عَلَى تِلْكَ اللّطائِف طَائِفُ

* * *

= وهذا القسم زيادة من المصنف على ما عند ابن أبى الإصبع الذى لم يذكر إلا قسمين فقط . وهذا النوع ذكره الرازى فى نهاية الإيجاز : ١٢٨ فى أقسام التجنيس وأطلق عليه « المذيل » ، والزنجانى فى المعيار : ٧٤ . والغريب أن ابن النقيب نفسه سيسوق بيت أبى تمام الذى مثل به – هنا – لهذا القسم ، هناك فى باب التجنيس .

(١) ديوانه ٤٣/١ ، والصناعتين : ٣٤٣ ، وأسرار البلاغة : ١٧ ، وبديع بن منقذ : ٢٧ ، ونهاية الإيجاز : ١٢٨ ، والجامع الكبير : ٢٦٠ ، والمثل السائر : ٢٦٩/١ ، وتحرير التحبير : ١٠٨ ، والمعيار : ٧٤ . وصدره فى العمدة : ٣٢٥/١ .

(٢) أنشدهما عبد القاهر فى أسرار البلاغة : ١٨ ، وقدّم لهما بقوله (وكذا قولُ المتأخر) ، والمعيار : ٧٥ ، وأشار إلى أنه نقله عن إنشاد عبد القاهر .

(٣) فى هامش (ط) قال : (فى هامش الأصل .. أى ممتد ، يقال : ورف الظل إذا امتد) .

القسم الخامس عشر

المغالطة (*)

والكلام عليه من وجوه :

الأول : فى حقيقتها ، **الثانى** : فى اشتقاقها ، **الثالث** : فى أقسامها .

* * *

١٢٣ **أما الأول** : فقال / علماء علم البيان : إن المغالطة ذكر الشىء وما يتوهم مقابلاً له وليس كذلك .

وأما الثانى : فاشتقاقه من الغلط وهو من باب المفاعلة من واحد مثل : طارقتُ النعل ، وعاقبت اللص ؛ لأن فاعله يذكر شيئًا يوقع به غيرَه فى الغلط ويوهم ما ليس هو المراد ، وهو المشار إليه فى الحديث المروى : « نهى رسول الله ﷺ عن الغَلُوطات » [1] . وهى شرار المسائل .

(*) المغالطة : اعتماد الشيخ ابن النقيب – هنا – أكثره على المثل السائر : ٧٦/٣ (النوع العشرون فى المغالطة المعنوية والنوع الحادى والعشرون (الأحاجى) : ٨٤/٣ . وقد دمج ابن النقيب النوعين معًا ، وجعلهما بابًا واحدًا وعنون له بالمغالطة . وانظر حلية المحاضرة : ٩٩/٢ ، والعمدة : ٣٠٧/١ ، وتحرير التحبير : ٥٧٩ ، وشرح عقود الجمان : ١٣٧ . وقد سمى الزركشى « التورية » مغالطة . قال : (وتسمى الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه) البرهان : ٤٤٥/٣ .

(١) سنن أبى داود (٦٥/٤) – كتاب العلم (١٩) – باب التوقى فى الفتيا (٨) ، ومسند أحمد : ٤٣٥/٥ . قال الخطابى فى معالم السنن (بهامش سنن أبى داود) : « والأغلوطات وحدها أُغْلُوطة . وزنها أُفْعُولة من الغلط كالأُحْمُوقة من الحمق والأُسْطُورة من السَّطْر . فأما « الغَلوطات » فواحدها « غَلوطة » اسم مبنى من الغلط كالحَلوبة والرَّكوبة من الحلب والركوب . والمعنى أنه نهى أن يعترض العلماء بصعاب المسائل التى يكثر فيها الغلط ليستزلوا بها ويستسقط رأيهم فيها » .

وأما أقسامها : فأربعة [١] : الأول : أن يذكر الشيء وما يتوهم مقابلاً له ويسمى مغالطة النقيض وهو مثل قول الشاعر : [٢] :

وَمَــا أُشْيـــاءُ نَشْرِيها بمالٍ ... وإنْ نَفَقَتْ فَأَكْسَدُ مَا تَكُونُ

أوهم بنفقتْ النفاق السُّوق وهو رواج السلعة ، ومراده الموت ، يقال نفقت الدابة إذا ماتت [٣] .

وقد ورد منه عن العرب كثير . من ذلك ما روى [٤] أن حيّين من العرب اقتتلا فقُتل من كل حى قتلى وأسر أسرى فقال أحد الحيّين لأسير عندهم أرْسِلْ إلى قومك رسولاً يقول لهم : ليكرموا أسيرنا ، فإننا لك مكرمون فقال : ائتونى برسول منكم أُرْسِلْه إليهم فجاؤا برجل فسأله عن أشياء ، فقال : ما أراك إلا عاقلاً ، أبلغ قومى السلام ، وقل لهم : ليكرموا فلانًا ، فإن قومه لى مكرمون ،

---

(١) كذا فى ط : (أربعة) . وماذكره ابن النقيب بعد ذلك من أقسام المغالطة ثلاثة فقط . وأما ابن الأثير فقد جعل « المغالطة » قسمين : مغالطة المثل ومغالطة النقيض . وجعل الألغاز والأحاجى نوعًا مستقلاً بنفسه . انظر المثل السائر : ٣/٧٦ ، ٨٤ .

(٢) حلية المحاضرة : ٢/١٩١ ، والمثل السائر : ٣/٨٢ دون نسبة . والرواية فيهما (تشريها) بالتاء المثناة الفوقية . وهذا البيت أنشده الحاتمىّ عن أبى عمر عن ثعلب ونقل عنه أن المعنىّ بنفقت : أى الدوابّ إذا ماتت .

(٣) هذا التفسير للبيت لا أستريح إليه . وهو معتمد فيه على ماذكره ابن الأثير فى المثل السائر : (٣/٨٢) . وأصل هذا عند الحاتمىّ فى حلية المحاضرة : (٢/١٩١) حيث نقل هذا المعنى عن أبى عمر عن ثعلب بعد أن أنشد البيت عنهما . وهذا معنًى لا يتعين . ويمكن أن يتجه المعنى على تفسير النفوق أيضًا برواج السلعة ويكون معنى البيت الإنكار على من يهتم بأمور الدنيا وينفق فى تحصيلها رجاء أن تَنْفق – أى تروج ويعود عليه من خيرها – وهو لا يراعى فى سبيل ذلك ما يكون فيها من حرام أو حلال ، فتكون فى حقيقتها بضاعة كاسدة أىّ كساد وإن عادت ببعض الربح السريع . وتكون (ما) فى قوله (وما أشياء ..) ليست للاستفهام الحقيقى وإنما خرجت لمعنى التعجب والإنكار . أما على تفسير ابن النقيب للبيت فيكون الاستفهام حقيقيًا ، ويكون من باب المغالطة واللغز . والله أعلَم بالصواب .

(٤) فى نفسى شيء من جعل هذه الحكاية من باب « مغالطة النقيض » ولعل مكانها المناسب القسم الثالث فيما يلى وهو « الإلغاز » . والحقُّ أنّ بين هذه الأقسام تداخلاً كبيرًا أو قل (إنها أسماء مترادفة لمعنى واحد واختلافها بحسب الاعتبارات) كما نقل السيوطى فى شرح عقود الجمان : ١٣٨ .

وقال له : وقل لهم يحلوا عن ناقتى الحمراء ، ويركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلت معكم حَيْسًا ، وسلوا الحارث عن خبرى . فلما بلغهم الرسالة حلوا وثاق ذلك الرجل وقالوا : والله ماله ناقة حمراء ولا جمل أصهب . فلما انصرف الرسول استدعوا الحارث وقصوا عليه ما قال . فقال : أشار بقوله : « حلوا عن ناقتى الحمراء ، واركبوا جملى الأصهب : ارتحلوا عن هذه الأرض الدهناء ، واصعدوا الجبل . وأشار بقوله : بآية ما أكلت معكم حَيْسًا ، إلى أن أخلاطًا من الناس اتفقوا على أن يغيروا على حَيِّكم ليلاً ، فإن الْحَيْسَ يجمع السمن والتمر والأَقِطَ . فارتحلوا عن تلك الأرض ، وصعدوا الجبل ، فأغار عليهم أعداؤهم فلم يجدوهم فى المكان الذى كانوا فيه فسلموا من اغتيال عدوهم لهم . وقد نظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال :

حُلّوا عَن النَّاقةِ الحمراء أَرْحُلَكُمْ ... والْبَازِلَ الأَصْهَبَ المعْقُولَ فاصْطَنِعُوا
إنَّ الذِّئَابَ قد اخْضَرَّتْ بَرَاثِنُها ... والنَّاسُ كُلُّهُمُ بَكْرٌ إذا شَبِعُوا [١]

ومثل هذا عن العرب كثير .

١٢٤ **الثانى** : أن يذكر مع الشىء مثله ، ويسمى مغالطة المثل / كقول المتنبى [٢] :

---

(١) أمالى القالى : ٧/١ ، وحلية المحاضرة : ١٠٠/٢ ، والعمدة : ٣٠٨/١ مع اختلاف فى رواية البيت الأول فى الحلية . والحكاية وردت مختصرة فى حلية المحاضرة ، ولم يذكرها ابن رشيق واكتفى بذكر البيتين وأنهما فى الألغاز . وذكر الحاتمى أن هذا الأسير كان من بنى تميم وقال : يعنى بالناقة الحمراء : الدهناء وهي أرض لبنى تميم حمراء التراب فضاء ، وكانوا يركبونها دائمًا . وأراد بالذئاب : القوم المغيرين شبههم بالذئاب لختلهم وحرصهم على الغارة . وقوله (اخضرت براثنها) أى من الكلأ . وسمى الأقدام براثن استعارة . وقوله « والناس كلهم بكر إذا شبعوا » يريد أن الحرب مكثت بين بكر وتغلب أربعين سنة . هذا تفسير الحاتمى ، ولعل ابن رشيق كان أكثر توفيقًا عندما قال : والناس كلهم إذا شبعوا طلبوا الغزو فصاروا عدوًا لكم كما أن بكر بن وائل عدو لكم ، وهذه الحكاية أوردها ابن أبى الإصبع فى تحرير التحبير : (٢٠٤) شاهدًا لنوع الوحى واللحن من باب الإشارة .

(٢) ديوانه (بشرح البرقوقى) : ٢٠٧/٢ ، ٢٠٨ ، والمثل السائر : ٧٦/٣ من قصيدة فى مدح سيف الدولة .

يَشُلُّهُمْ بِكُلِّ أَقَبَّ نَهْدٍ لِفَارِسِهِ عَلَى الخَيْلِ الخِيَارُ [١]
وكُلِّ أَصَمَّ يَعْسِلُ جَانِبَاهُ عَلَى الكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارُ [٢]
يُغَادِرُ كُلَّ مُلتفِتٍ إليهِ ولَبَّتُهُ لِثَعْلَبِهِ وِجَارُ [٣]

و« الثعلب » : الحيوان ، وطرف السنان ، « والوجار » : بيت ذلك الحيوان . وكقول الشاعر [٤] :

بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيفُ كَفَّهُ وَكَانا عَلَى العِلاَّتِ يَصْطَحِبَانِ [٥]
كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِي [٦]

فالسيف – يقال له : « يمان » ، إذا كان صارمًا ، و« شبيبٌ » من قيس ، وكان بين قيس ويمن محاربة . ومنه أيضًا :

وَخَلَطْتُمُ بَعْضَ القُرانِ بِبَعْضِهِ فَجَعَلْتُمُ الشُّعَراءَ فِى الأَنْعَامِ [٧]

« فالشعراء » جمع شاعر ، واسم سورة ، « والأنعام » : الإبل والبقر والغنم ، واسم سورة أيضًا .

---

(١) يشلّهم : يطردهم . الأقبُّ من الخيل : الضامر البطن ، النَّهْد : العالى المرتفع . يقول : هو يطردهم بكل فرس ضامر نهْده ، لفارسه إن شاء لحق وإن شاء سبق . أى إن شاء جارته سائر الخيل وإن شاء سبقها فلحقته .

(٢) أصمّ : أى رمح صلب ليس بأجوف . يعسل : يضطرب . ممار : مسال ، مهراق . يقول : ويطردهم بكل رمح صلب مضطرب جانباه . الأعلى والأسفل .

(٣) اللبّة : أعلى الصدر ، والثعلب : هنا – طرف السّنان ، والوجار : بيت الثعلب . قال ابن جنى : (إذا التفت المنهزم صارت لبته كالوجار للرمح (شرح ديوان المتنبى لابن جنى – مخطوط بمكتبة دار العلوم) .

(٤) هو المتنبى – ديوانه : ٣٧٣/٤ – ٣٧٤ ، والمثل السائر : ٧٦/٣ – ٧٧ من قصيدته فى ذكر خروج شبيب العقيلى على كافور وقتل كافور له بدمشق . وكان شبيب من قيس وهى من عرب الشمال ، وكانت بين قيس واليمن عداوات وحروب .

(٥) يقول : إن شبيبًا هلك ففارق سيفه كفه وكانا لا يفترقان على العلات أى على كل حال .

(٦) قال ابن الأثير : (السيف يقال له يمانى فى نسبته إلى اليمن . ومراد المتنبى من هذا البيت أن شبيبًا لما قتل وفارق السيف كفه فكأن الناس قالوا لسيفه أنت يمانىّ وصاحبك قيسى . ولهذا جانبه السيف وفارقه . وهذه مغالطة حسنة) المثل السائر ٧٧/٣ .

(٧) المثل السائر : ٧٧/٣ دون نسبة .

وسبب حسن هذا الفن ما يحصل للنفس من الالتذاذ بفهم ما فيه غموض . والأول أحسن لزيادة غموضه .

الثالث من المغالطات الإلغاز : (واللغز [١] الطريق المنحرف . وسمى به هذا لانحرافه عن نمط الكلام ، ويسمى أيضاً أُحْجِيَةً ، لأن الحِجا هو العقل ، وهذا النمط يقوى العقل عند التمرن والارتياض بالإكثار من حله وإعمال الفكر فيه) ويسمى أيضاً المعَمَّى لما فيه من الخفاء . ومن هذا النوع فى أشعار العرب والمخضرمين والإسلاميين ، وهو فى أشعار المتأخرين منهم أكثر .

ومنه فى القرآن العزيز ما جاء فى أوائل السور [٢] من الحروف المفردة والمركبة التى دقّ معناها ، وبعد غور مغزاها ، وحارت العقول فى معانيها [٣] . ومنها قوله تعالى فى قصة إبراهيم عليه السلام حين سئل لما كسّر الأصنام وقيل له : ﴿ أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعلَهُ كبيرُهم هذا ﴾ [سورة الأنبياء : ٦٢ ، ٦٣] قابلهم بهذه المغالطة ليقيم عليهم الحجة ويوضح لهم المحجة . ومن

---

(١) مابين القوسين نقله الزركشى فى البرهان : ٣/٢٩٩ .

(٢) هذا الرأى فى جعل فواتح السور من الحروف من باب « الإلغاز » نقله الزركشى فى البرهان ٣/٢٩٩ وَجهَّل ذكر صاحبه فقال : (وذكر بعضهم أنه وقع فى القرآن العظيم . وجعل منه ماجاء فى أوائل السور من الحروف المفردة والمركبة التى جهل معناها ، وحارت العقول فى منتهاها . ومنه قوله تعالى فى قصة إبراهيم لمّا سئل عن كسر الأصنام وقيل له : أنت فعلته ؟ فقال : « بل فعله كبيرهم هذا » قابلهم بهذه المعارضة ليقيم عليهم الحجة ويوضح لهم المحجة . وكذلك قول نمرود « أنا أحيى وأميت » أتى باثنين فقتل أحدهما وأرسل الآخر فإن هذا مغالطة » .

(٣) كذا فى ط : (معانيها) وأنا أستظهر أن صوابها (منتهاها) – كما فى البرهان للزركشى – بميم فنون ساكنة والتاء المثناة فهاء بعدها فألف الضمير . وهذا ما يلائم السجع الذى التزمه المؤلف فى قوله قبلُ : (دق معناها ، مغزاها) وانظر النص السابق عن الزركشى فى التعليق السابق .

وهذا النص يستأنس منه أنّ مابين أيدينا هو مقدمة الشيخ ابن النقيب فى علم البيان . ولم يذكر السيوطى فى الإتقان – على كثرة ماذكره من الآراء فى فواتح السور – هذا المذهب . ولم يقع لى مصدر آخر غير مافى هذا الكتاب الذى بين أيدينا – يذهب إلى جعل فواتح السور من باب المغالطة والألغاز . وعندى أن نظم القرآن يتعالى عن أن يقال فيه مثل هذا ، فالقرآن نزل للبيان والإفصاح لا للتعقيد والإلغاز . وإن كان هذا الباب يستملح فى باب الشعر وكلام العرب فإنه لا يليق القول به فى نظم القرآن .

ذلك قوله تعالى حكاية عن النمرود لما جادل إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال إبراهيم : ﴿ ربى الذى يُحيى ويُميتُ قال أنا أُحيى وأُميتُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٨] حُكى أنه أتى باثنين فقتل أحدهما وأرسل الآخر وكان ذلك من النمرود مغالطة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ؛ لأن إبراهيم عليه السلام أراد أن الله يحيى الميت / ويميت الحى بغير آلة ، لا يحيى ويميت كذلك إلا هو [١] . ومنه قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما سئل عن رسول الله ﷺ حين خرجا من مكة أعزها الله تعالى فقال : « إنه رجل يهدينى الطريق » [٢] . ومنه قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما سأله الجبار عن زوجته سارة قال : « هى أختى » [٣] أراد أخوة الدين ومثله كثير . ١٢٥

* * *

(١) نقله الزركشى فى البرهان : ٢٩٩/٣ - وانظر التعليقين السابقين .

(٢) صحيح البخارى (فتح البارى : ٢٤٩/٧) - كتاب مناقب الأنصار (٦٣) - حديث : ٣٩١١ .

(٣) فى صحيح البخارى (فتح البارى : ٣٨٨/٦) - كتاب الأنبياء (٦٠) - حديث : ٣٣٥٧ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات وبعده فى الحديث (٣٣٥٨) عن أبى هريرة تفصيل هذه الكذبات الثلاث . وفيه أن الجبّار لما سأله عن زوجته سارة قال : أختى ، فأتى سارة ، قال : ياسارة : ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك . وإنّ هذا سألنى عنك فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى » وانظر : صحيح مسلم (١٨٤٠/٤) - كتاب الفضائل (٤٣) - باب من فضل إبراهيم عليه السلام (٤١) - حديث : ٢٣٧١ .

القسم السادس عشر

الإشـــارة

وتسمى الوحى أيضا (*)

والكلام عليها من وجوه :

الأول : فى حدها . الثانى : فى أقسامها . الثالث : فى الفرق بينها وبين الكناية .

* * *

أما الأول : فقد قال علماء البيان : الإشارة أن تطلق لفظًا جليًا تريد به معنى خفيًا وذلك من ملح الكلام وجواهر النثر والنظام .

(*) الوحى لغةً : الإشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفى وكل ما ألقيته إلى غيرك . والإشارة : هى الإيماء ويكون بالكفّ والعين والحاجب (انظر القاموس مادة : وحى وشور) .

والإشارة من فنون البديع من استخراجات قدامة بن جعفر وعدّها من أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى (نقد الشعر : ١٥٢) . وذكرها الحاتمى فى حلية المحاضرة : ف ١٤ ، وذكرها أبو هلال فى الصناعتين : ٣٥٨ ، وجعل ابن رشيق منها التفخيم والإيماء والتعريض والتلويح والكناية والتمثيل والرمز واللمحة واللغز واللحن والتعمية والحذف والتورية . (انظر العمدة : ١/٣٠٢ - ٣١٣) .

والكناية والإشارة باب واحد عند ابن منقذ ، وفرّق بينهما بأن الكناية عن القبيح ، والإشارة للحسن (بديع ابن منقذ : ٩٩) ، وهو ماذهب إليه ابن أبى الإصبع (تحرير التحبير : ١٤٣ ، وبديع القرآن : ٥٣) . وهو ما اختاره ابن النقيب هنا .

وقد جعل ابن النقيب - هنا - من أقسامها : التورية . إلاّ أنه لم يتحدث عنها ، وأرجأ ذلك إلى موضع آخر . ويبدو أنه ذهل عن ذلك فلم يورد ذكرًا للتورية بعده ، وأما ماجاء من عنوان « التورية » للقسم العشرين من هذا الكتاب فهو تحريف قديم وطريف أصاب هذه المقدمة من مئات السنين . انظر بيان ذلك فى تعليقنا على القسم العشرين .

وانظر فى الإشارة : تحرير التحبير : ٢٠٠ ، وبديع القرآن : ٨٢ ، والمعيار : ١٤٣ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا تَقُل لهما أُفٍّ ﴾ [سورة الإسراء : ٢٣] أشار بذلك إلى بر الوالدين وترك التعرض إليهما بيسير من الإيلام فضلاً عن كثيره . ومنه قوله تعالى : ﴿ فيهن قاصرات الطَّرْف ﴾ [سورة الرحمن : ٥٦] إشارة إلى عفافهن . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مرفوعة ﴾ [سورة الواقعة : ٣٤] أشار إلى نساء كرام [1] .

ومن هذا النوع : « فلان طويل النِّجاد ، رفيعُ العماد ، كثير الرماد » إشارة [2] بقوله « طويل النجاد » إلى تمام خلقته [3] ، وبقوله : « رفيع العماد » إلى أن بيته مرتفع يعرفه الأضياف والطُّرّاق ، وبقوله : « كثير الرماد » إلى كثرة قراه الأضياف . ويقولون أيضًا : « فلان جبان الكلب مهزولُ الفصيل » [4] . أشاروا بقولهم : « جبان الكلب » إلى أنه لكثرة طُرّاقه أنست كلابه الطُّرّاق وصارت تلوى رقابها وتحرك أذنابها فرحًا بهم ، وأشاروا بقولهم : « مهزول الفصيل » إلى كثرة سقيه الألبان ومداومة حلب مواشيه ، فتقل بذلك ألبانها فيهزل الفصيل بسبب ذلك .

والإشارات فى القرآن كثيرة خصوصًا على مايراه أرباب الحقائق . وبعض أرباب هذه الصناعة يسمى هذا النَّوع « الإيماء » . ومنه قول الشاعر [5] :

بَعِيدَةُ مَهْوَى القُرْطِ [6] إمّا لِنَهْشَلٍ ... أبوها وإمّا عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمِ

---

(١) قال أبو حيان : (والظاهر أن الفراش هو ما يفترش للجلوس عليه والنوم . وقال أبو عبيدة وغيره : المراد بالفراش النساء لأنّ المرأة يكنى عنها بالفراش . ورفعهن فى الأقدار والمنازل) البحر المحيط : ٢٠٧/٨ .

(٢) كذا فى ط . ولعل الصواب (أشار) .

(٣) النّجاد : حمائل السيف التى يعلق بها ، فإذا كان الفارس طويل القامة تبع ذلك أن تطول حمائل سيفه .

(٤) الفصيل : ابن الناقة إذا فُصِلَ عن أمه .

(٥) هو عمر بن أبى ربيعة . شرح ديوانه : ٢٠٠ ، ونقد الشعر : ١٥٦ ، وحلية المحاضرة : ف ٤٧ ، والعمدة : ٣١٤/١ ، والمعيار : ٣٧ ، والمثل السائر : ٦٠/٣ ، وتحرير التحبير : ٢١٢ وروايتها كلها : (إما لنوفل) .

(٦) القرط ما تتزين به المرأة من حلى فى أذنها .

١٢٦ / أشار بقوله : « بعيدةُ مهوى القُرْط » إلى طول عنقها . ومنه قول امرىء القيس [(١)] :

كَأَنَّ المُدَامَ وَصوْبَ الْغَمَامِ وَرِيحَ الخُزَامَى وَنَشْرَ الْقُطُرْ [(٢)]
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ المسْتَحِرْ [(٣)]

أشار إلى طيب رائحة فِيها وقت السحر وهو وقت تغير الأفواه .

وأما الثانى : فأقسامها أربعة : الأول : ما قدمناه . والثانى : أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على المعنى الكثير [(٤)] . ومنه قوله تعالى : ﴿ فيها ما تشتهيه [(٥)] الأنفسُ وتلذ الأعينُ ﴾ [سورة الزخرف : ٧١] جمع ما تميل إليه النفوس من الشهوات وتلذه الأعين من المرئيات . ومنه قوله تعالى : ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ [سورة النجم : ١٠] والثالث : من أنواع الإشارة عمل أرباب هذه الصناعة المعميات والألغاز وقد تقدم بيانهما .

---

(١) ديوانه : ١٥٧ – ١٥٨ ، وتحرير التحبير : ١٦٣ (شاهدًا على تشبيه شىء واحد بأربعة أشياء) ، ولسان العرب مادة (قطر) .

(٢) ط : (العُطُر) بالعين المهملة . وقد أثبت رواية المصادر السابقة ، وأظن مافى (ط) تصحيفًا . والمدام : الخمر . والغمام : ا لسحاب ، وصَوْبه : ما يقع منه . والخُزَامى : نبت طيب الريح . والقُطُر : العود الذى يتبخر به . والنشر : الريح .

(٣) يُعَل به : يسقى به . أى بالمدام . ورواية الديوان (إذا طَرَّب الطائر) وذكر شارحه أن هناك رواية أخرى (إذا صوّت) . وفى نفسى شىء من جعل هذين البيتين من باب « الإشارة » . والبيتان معناهما واضح لاخفاء فيه . أراد فيهما الشاعر إلى وصف حبيبته بطيب رائحة الفم وقت تغير الأفواه .

(٤) هذا تعريف قدامة للإشارة (نقد الشعر : ١٥٢) ، وأبى هلال فى الصناعتين : ٣٥٨ ، والزّنجانى فى المعيار : ١٤٣ ، وانظر تحرير التحبير : ٢٠٠ ، وبديع القرآن : ٨٢ . وقد نقل ابن السبكى تعريف قدامة هذا وقال إنها من باب الإيجاز (انظر عروس الأفراح) : ٧٤/٤) ، وذهب إلى مثل ذلك السيوطى وقرر أن هذا إيجاز القصر بعينه (انظر شرح عقود الجمان : ٧٦ ، ومعترك الأقران : ٣٠٤/١ ، والإتقان : ٥٦/٢) ، وقد فرّق ابن أبى الإصبع بينهما بأن دلالة اللفظ فى الإيجاز « دلالة مطابقة » ، ودلالته فى « الإشارة » دلالة تضمن أو دلالة التزام . (وانظر بديع القرآن : ٨٢ ، ومعترك الأقران : ٣٠٤/١) .

(٥) ط : تشتهى . وهو خطأ .

الرابع : من أقسامها التورية وهى أن تكون الكلمة تحتمل معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر ومراده ما أهمله لاما استعمله ولهذا مواضع نبينها وأمثلتها فيه إن شاء الله تعالى [١] .

وأما الثالث : فالفرق بينها وبين الكناية أن الإشارة فى الحسن والكناية فى القبيح وسيأتى بيانه [٢] .

* * *

(١) يبدو أن المؤلف ذهل عن هذا الوعد ، فلم يعرض لفن « التورية » فى هذه المقدمة . وانظر ماسبق . هامش : ٢٥٨ .

(٢) انظر ما يأتى فى القسم التالى فى حدّ الكناية .

القسم السابع عشر

فى الكناية (*)

والكلام عليها من وجوه :

الأول : فى حدها . الثانى : فى المعنى الذى أتى بها من أجله . الثالث : فى أقسامها .

* * *

أما الأول : فقد قال علماء علم البيان : إن الكناية هى إطلاق لفظ حسن يشير إلى معنى قبيح [1] كقوله تعالى : ﴿ وأَوْرَثكم أَرْضَهُمْ وديارَهُمْ وأموالَهُمْ وأَرْضًا لم تَطؤوها ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٧] أراد بالأرض الثانية نساءهم اللاتى كن محل وطئهم وجهة استمتاعهم [2] . ومنه قوله تعالى : ﴿ وقالوا ما لهذا الرسول

(*) فى الكناية : انظر بديع ابن المعتز : ٦٤ ، والصناعتين : ٣٨١ ، والعمدة ٣٠٥/١ ، وبديع ابن منقذ : ٩٩ ، ونهاية الإيجاز : ٢٧٠ ، والمثل السائر : ٤٩/٣ ، والجامع الكبير : ١٥٦ ، والمعيار : ٣٧ ، وتحرير التحبير : ١٤٣ ، وبديع القرآن : ٥٣ ، والبرهان للزركشى ٣٠١/٢ ، وشرح عقود الجمان : ١٠١ ، والإتقان : ١٤٢/٣ ، ومعترك الأقران : ٢٨٦/١ . وأطلق الحاتمىّ على الكناية : « التتبيع » (حلية المحاضرة : ف ٤٧) ، ويلاحظ أن ابن المعتز وأبا هلال لم يفرقا بين التعريض وبين الكناية . وجعلهما ابن رشيق قسمين منفصلين من أبواب الإشارة . وقد عاب ابن الأثير على أئمة البلاغة المتقدمين عدم تفريقهم بين الفنين . وقد فرّق بينهما الزنجانى فى المعيار : ٣٩ . ومن الغريب أنه جمع بينهما مرة أخرى ص : ١٥٦ ، وفرّق بينهما الزركشى (البرهان ٣١١/٢) والسيوطى : (الإتقان ١٤٧/٣ ، ومعترك ٢٩١/١) .

(١) هذا تعريف ابن منقذ لها (البديع : ٩٩) ، وابن أبى الإصبع (تحرير التحبير : ١٤٣ ، وبديع القرآن : ٥٣) . ونقل ابن رشيق فى العمدة (٣١٢/١) عن المبرّد أن الكناية على أوجه ثلاثة . وذكر منها هذا القسم .

(٢) هذا إبعاد من الشيخ ابن النقيب رحمه الله ، فالأصل حمل الكلام على ظاهره ، وأنها الأرض المعروفة . وهذا فهم مفسرى السلف وإن اختلفوا فى تعيين موقعها نحو فارس أو مكة وغيرها ، انظر (تفسير الطبرى : ١٥٥/٢١ ، والدر المنثور : ١٩٣/٥) . وقال الزمخشرى فى الكشاف : ومن بدع التفاسير أنه أراد نساءهم . وكذا قال أبو حيان فى البحر المحيط : ٢٢٥/٧ .

يأكل الطعامَ ويمشى فى الأسواقِ ﴾ [سورة الفرقان : ٧] يُريدون أنه يتغوط ، فكنوا عن التغوط بأكل الطعام لأنه سببه [١] . ومنه قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيام الرَّفَثُ إلى نسائكم هُن لباسٌ لكم وأنتم لباس لهن ﴾ [سورة البقرة : ١٨٧] كنى بالرفث عن / الحديث فى الجماع وباللباس عن الوطء نفسه [٢] . ومنه قوله تعالى : ﴿ وأصلَحنا لهُ زَوجَهُ ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٠] أى هيأناها للولادة بعد الكبر . ومنه قوله تعالى : ﴿ وامرأتُه قائمةٌ فضَحِكت ﴾ [سورة هود : ٧١] أى حاضت [٣] . ١٢٧

قال بعض المتأخرين من الحُذَّاق فى هذا الفن [٤] : الكناية فى اللغة : الستر ، وفى الصناعة ، أن تقصد مجازًا بعيداً مناسبًا للحقيقة مع ضمنه أى إرادتها [٥] . وإذا استعمل اللفظ فى ذلك كان ضَرْبًا من الاستعارة [٦] . وتقع الكناية فى المفرد والمؤلف [٧] وسيأتى بيانه .

وأما الثانى : فالمعنى الذى أتى بها من أجله هو الإجمال فى الخطاب ، والدفع بالتى هى أحسن ، والتجنب للهُجر من القول ؛ إذ هو أرسخ فى الألفة وأمكن . قال الله تعالى : ﴿ ادفع بالتى هى أحسنُ فإذا الذى بينَكَ وبينَه عداوةٌ كأنه وَلِّىٌّ حَميمٌ ﴾ [سورة فُصِّلَت : ٣٤] .

---

(١) هذا إبعاد فى القول مثل سابقه ، وهو مما لا ينبىء عنه ظاهر اللفظ . ولم يذكره كبار المفسرين ، ولا حاجة إلى إطالة القول فى « مثل هذا .

(٢) الأجود من هذا ماذهب إليه الإمام الطبرى أن هذا من باب التشبيه شبه اجتماع الرجل والمرأة فى ثوب واحد وانضمام جسد كل واحد منهما لصاحبه بمنزلة ما يلبسه على جسده من ثيابه . أو أن يكون جعل كل واحدٍ منهما لصاحبه لباسًا ؛ لأنه سكن له ، انظر تفسير الطبرى : ٤٨٩/٣ - ٤٩٢ .

(٣) هذا قول من أقوال السلف فى تفسير الآية . والآخر أنه الضحك المعروف . انظر تفسير الطبرى فى الآية ورجح أنه الضحك المعروف .

(٤) هو ابن الأثير . وهذا الحد للكناية مأخوذ من كلامه فى المثل السائر : ٥١/٣ - ٥٣ .

(٥) عند هذا الموضع فى (ط) وضع رقم (١) وليس هناك هامش أصلاً بالصفحة .

(٦) جعل الكناية من أقسام الاستعارة مذهب ابن الأثير فى المثل السائر : ٥٥/٣ ، وانظر : نهاية الإيجاز للرازى : ٢٧٢ حيث عقد فصلاً فى أن الكناية ليست من المجاز .

(٧) فى المثل السائر : ٥٧/٣ (واعلم أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معًا فتأتى على هذا تارة وعلى هذا أخرى) .

وأما الثالث : فقد اختلفت عبارات أهل هذه الصناعة فيها . وآثرها ماذكره ابن الأثير فى جامعه [1] قال : **إن الكناية على قسمين : قسم يحسن استعماله ، وقسم لا يحسن استعماله . فأما الضرب الأول وهو الذى يحسن استعماله فينقسم إلى أربعة أقسام :**

الأول : التمثيل وهو التشبيه على سبيل الكناية . وذلك أن تراد الإشارة إلى معنى فتُوضَعَ ألفاظ على معنىً آخر ، وتكون تلك الألفاظ وذلك المعنى مثالاً للمعنى الذى قصدت الإشارة إليه والعبارة عنه ، كقولنا « فلان نَقِيُّ الثوب » أى : منزه عن العيوب . وللكلام بهذا فائدة لا تكون لو قصد المعنى بلفظه الخاص به وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصوير المدلول عليه ؛ لأنه إذا صور فى نفسه مثال ما خوطب به كان ذلك أسرع إلى الرغبة فيه أو الرغبة عنه .

فمن بديع التمثيل قوله تعالى : ﴿ أيحبُ أحدُكم أن يأكل لحم أخيه مَيتًا ﴾ [سورة الحُجُرات : ١٢] فإنه مثل الاغتياب بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم الأخ ، ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله ميتًا ، ثم جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة .

فهذه أربع دلالات واقعة على ما قُصِدَت له ، مناسِبةٌ مطابقة للمعنى الذى وردت لأجله . فأما تمثيل الاغتياب بأكل لحم إنسان آخر مثله فشديدُ المناسبة جدًا ؛ وذلك لأن الاغتياب إنما هو ذكر مثالب الناس وتمزيقُ أعراضهم ، وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحَم من يغتابه ؛ لأن أكل اللحم فيه تمزيق لا محالة .
١٢٨ وأما قوله : ﴿ لحم أخيه ﴾ فلما فى الاغتياب من الكراهة ، لأن أرباب / العقل والشرع قد أجمعوا على استكراهه وأمروا بتركه والبعد عنه . ولما كان كذلك كان بمنزلة لحم الأخ فى كراهته . ومن المعلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر مثله إلا أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه ، وهذا القَول مبالغة فى الاستكراه

---

(١) الجامع الكبير : ١٥٧ – ١٦٦ . وهو نص طويل سيسوقه ابن النقيب بتمامه تقريبًا .

لا أمد فوقها . وأما قوله : « ميتًا » فلأجل أن المغتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها . وأما جعله ماهو فى الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة فلما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغيبة والشهوة لها مع العلم بأنها من أذم الخلال ومكروه الأفعال عند الله عز وجل والناس [١] .

ومن هذا القسم قوله تعالى : ﴿ ولا تجعل يدَك مغلولةً إلى عنُقك ولا تبسطها كلَّ البَسْطِ ﴾ [سورة الإسراء : ٢٩] فمثَّل البخل بأحسن تمثيل لأن البخيل لا يمد يده بالعطية كالمغلول الذى لا يستطيع أن يمد يده وإنما قال : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ﴾ ، ولم يقل (ولا تجعل يدك مغلولة) من غير ذكر العنق لأنه قد قال تعالى : ﴿ ولا تبسطها كُلَّ البسط ﴾ [فكأنه أراد ولا تجعل يدك مغلولة كل الغل ولا تبسطها كل البسط] [٢] فناب ذكر العنق عن قوله : « كل الغل » ؛ لأن غل اليدين إلى العنق هى أقصى الغايات التى جرت العادة بغل اليد إليها .

ومن أمثال العرب « إياك وعقيلةَ الملح » وذلك تمثيل للمرأة الحسناء فى المنبت السوء ؛ لأن عقيلة الملح هى الدرةّ [٣] . ومن التمثيل قول ابن الدّمينة [٤] :

أَبِينِى أَفِى يُمْنَى يَدَيْكِ تَرَكْتِنِى فَأَفْرَحَ أَمْ صَيَّرْتِنِى فِى شِمَالِكِى [٥]

---

(١) بعد هذا فقرة كاملة فى الجامع الكبير غير موجودة فى (ط) .

(٢) مابين المعقوفين زيادة من الجامع الكبير ليتسق السياق .

(٣) فى ط : « الذرة » بالذال المعجمة . ويبدو أنه تصحيف قديم فقد أشار ناشرا الجامع الكبير إلى أنه فى أصل مخطوطة الجامع بالذال المعجمة . وعقيلة الملح هى اللؤلؤة تكون فى البحر فهى حسنة وموضعها ملح . وانظر المثل السائر : ٦٦/٣ ، واللسان مادة : عقل .

(٤) هو عبد الله بن عبيد الله ، والدُّمينة : أمّه ، شاعر غزِل من أرقّ الناس شعرًا ، من شعراء العصر الأموى . ورجح الأستاذ أحمد راتب النّفاخ أنّ وفاته كانت بين سنتى ١٨٠ ، ١٨٣ هـ .

(٥) ديوانه : ١٧ ، والجامع الكبير : ١٥٩ ، ودلائل الإعجاز : ٩٠ . وروايتها (بيديك جعلتنى) وفى بديع ابن منقذ : ١٠١ ، وأشار ناشراه أنه كان فى الأصل (تركتنى) وغيروها إلى جعلتنى .

أى أبينى أمنزلتى كريمة عندك أم هينة عليك . فذكر اليمين وجعلها مثالاً لإكرام المنزلة ، وذكر الشمال وجعلها مثالاً لهوان المنزلة ؛ لأن اليمين أشرف مكانة من الشمال وأكرم محلاً . وفى القرآن العظيم ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى : ﴿ وأصحابُ اليمينِ ما أصحابُ اليمين فى سِدْرٍ مخضودٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وماء مسكوبٍ ﴾ [سورة الواقعة : ٢٧ - ٣١] فلما جاء إلى ذكر الشِّمال قال تعالى : ﴿ وأصحاب الشِّمال ما أصحابُ الشمال فى سموم وحميمٍ وظِلٍّ منْ يحموم ﴾ [سورة الواقعة : ٤١ - ٤٣] فاعرف ذلك .

الثانى [١] : الإرداف ، وهو اسم سماه [به] [٢] قدامة بن جعفر الكاتب [٣] . قال : [٤] اعلم أن أكثر علماء هذا الصناعة قد أدخلوا الإرداف فى التمثيل ، وفى الفرق بينهما إشكال ودقة . أما التمثيل فقد سبق الإعلام به ، وهو أن يراد الإشارة إلى معنى فتوضع الألفاظ على معنى آخر فتكون تلك الألفاظ وذلك المعنى مثالاً للمعنى الذى قصدت الإشارة إليه والعبارة عنه كقولنا « فلان نقى الثوب » أى منزه عن العيوب . وأما الإرداف فهو أن يراد الإشارة إلى معنى ١٢٩ / فيترك اللفظ الدال عليه ويؤتى بما هو دليل عليه ورادف له كقولنا « فلان طويل النجاد » والمراد طويل القامة ، إلا أنه لم يتلفظ [٥] بطول القامة الذى هو الغرض ولكن ذكر ماهو دليل على طول القامة . وليس نقاء الثوب بدليل على النزاهة عن العيوب وإنما هو تمثيل لها فاعرف ذلك .

واعلم أن الإرداف يتفرع إلى خمسة فروع :

---

(١) انظر نقد الشعر لقدامة : ١٥٥ .

(٢) زيادة من الجامع .

(٣) هو قدامة بن جعفر البغدادى أبو الفرج كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدمين فى علم المنطق والفلسفة . كان فى أيام المكتفى بالله العباسى وأسلم على يده ، ويضرب به المثل فى البلاغة توفى ٣٣٧ هـ .

(٤) (قال) الضمير فيها عائد على ابن الأثير وليس قدامة ، وما يزال السياق سياق كلامه فى الجامع الكبير .

(٥) ط : (يتلفظه) .

الأول : فعل البداهة (١) كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أظلمُ مِمَّن افترَى على اللهِ كذبًا أو كَذَّبَ بالحقِّ لما جاءهُ ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٨] أى أنه سفيه الرأى بمعنى أنه لم يتوقف فى كلامه وقت ما سمعه ولم يفعل كما تفعل المراجيح العقول المتثبتون فى الأشياء فإن (من سفاهتهم إذا ورد عليهم أمرٌ أو سمعوا خبرًا أن لا يستعملوا فيه الروية وتأنوا فى تدبره) (٢) إلى أن يصح لهم صِدْقُه أو كذبه . ألا ترى أن معنى قوله : « كَذَّبَ بالحق لما جاءه » أى أنه ضعيف العقل عازب الرأى فعدل عن ذلك إلى ما هو دليل عليه ورادف له وذلك آكد وأبلغ (٣) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا تُتلى عليهم آياتُنا بَيِّناتٍ قالوا ما هذا إلا رَجُلٌ يُريدُ أن يَصُدَّكم عمَّا كان يعبدُ آباؤُكم ﴾ [سورة سبأ : ٤٢] ومثله فى القرآن كثير .

الثانى : من الإرداف باب « المثل » :

وهو أن العرب تأتى « بمِثل » فى هذا توكيدًا للكلام وتشييدًا من أمره ، يقول الرجل إذا نفى عن نفسه القبح : « مثلى لا يفعل هذا » ، أى : أنا لا أفعله ، فنفى ذلك عن مثله وهو يريد نفيه عن نفسه قصدًا للمبالغة فيسلك به طرق الكناية ؛ لأنه إذا نفاه عن مثله ومشابهه فقد نفاه عنه لا محالة . كذلك قولهم أيضًا : « مثلك إذا سُئِل أعطى » ، أى أنت كذلك . وهو كثير فى الشعر القديم والمولد وفى الكلام المنثور .

---

(١) فى الجامع الكبير : المبادهة .

(٢) مابين القوسين كذا فى (ط) وهو على العكس مما فى مطبوعة الجامع : ١٦٠ ، والذى فيها : (فإنّ من شأنهم إذا ... أن يستعملوا ... ويتأنوا ...) وأظنّ أن نص مطبوعة الجامع هو الأقرب للصواب وأنّ ما معنا تحريف .

(٣) ماذكره ابن الأثير – رحمه الله – فى هذه الآية بعيد ، والأقرب أن يكون تكذيب هؤلاء الكفار ليس بسبب ضعف عقولهم وسفاهتهم ولكن بسبب الاستعلاء والاستكبار المسيطر عليهم رغم اعتراف عقولهم بالحق وظهوره لهم . ويستأنس لهذا المعنى بقوله تعالى ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوا . فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ [سورة النمل : ١٣ ، ١٤] ... نعم هذه الآية فى قوم فرعون . لكنها تكشف الستار عن حال كثير من المكذبين الطاغين المتجبرين الذين وضح الحق لهم ولكن منعهم منه استكبارهم واستعلاؤهم .

وسبب توكيد هذه المواضع بمثل أنه يراد أن يجعل نفسه من جماعة هذه أوصافهم تثبيتًا للأمر وتوكيدًا له ، ولو كان فيه وحده لقَلِقَ منه موضعهُ ، ولم تَرسُ [1] فيه قدمه . مثل ذلك قولهم لإنسان : « أنت من القوم الكرام » أى لك فى هذا الفعل سابقة وأنت حقيق به ولست دخيلاً فيه .

ومن هذا الباب فى القرآن كثير كقوله تعالى : ﴿ ليس كَمِثْلِهِ شىءٌ وهو السميعُ البصيرُ ﴾ [سورة الشورى : ١١] وهذا كقولك : « مثلى لا يفعل كذا » فينفون البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته [2] قصدًا للمبالغة ؛ لأنهم إذا نفوه عمّن يسد مسدّه وهو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه .

ونظير ذلك قولك للعربى « العرب لا تخفِرُ الذِّمَم [3] » وهذا أبلغ من قولك : « أنت لا تخفر الذمم » وليس فرق بين قوله تعالى : ﴿ ليسَ كَمِثْله شىء ﴾ [سورة الشورى : ١١] وبين قوله / « ليس كالله شىء » إلا من الجهة التى نبهنا عليها فاعرفها . ١٣٠

الثالث : من الإرداف : ما يأتى فى جواب الشرط :

وذلك من ألطف الكنايات وأحسنها . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وقال الذين أوتوا العلمَ والإيمانَ لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ﴾ [سورة الروم : ٥٦] [كأنه قال : إن كنتم منكرين يوم البعث ، فهذا يوم البعث ؛ فكنى بقوله : ﴿ هذا يوم البعث ﴾ [4]] كناية عن بطلان قولهم وكذبهم فيما ادعوه وذلك رادف له . ونظيره قولك « كنت تنكر حضور زيد فها هو ، أى : فأنت كاذبٌ . وهذا من دقائق الكناية .

---

(١) ط : (ترثب) . والتصويب عن الجامع .

(٢) ط : (ذلك) والتصويب عن الجامع .

(٣) أى لا تنقض العهود .

(٤) مابين المعقوفين زيادة لازمة من الجامع الكبير : ١٦٢ . وبدونها يستعجم كلام ابن الأثير .

الرابع من الإرداف الاستثناء من غير موجب :

وذلك من غرائب الكناية : كقوله تعالى : ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾ الآية [سورة الغاشية : ٦] « والضريع » نبت ذو شوك تسميه قريش الشّبرق فى حال خضرته وطراوته فإذا يبس سمته [العرب] [١] « الضريع » والإبل ترعاه طرياً ولا تقربه يابسًا . والمعنى ليس لهم طعام أصلاً لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الإنس وهذا مثل قولك : « ليس لفلان ظل إلا الشمس » تريد بذلك نفى الظل عنه على التوكيد [٢] وذلك رادف لانتفاء الظل عنه كما ذكر الضريع رادف لانتفاء الطعام .. وعلى نحو من هذا جاء قول بعضهم [٣] :

وتَفَرَّدُوا بالمَكْرُمَاتِ فَلَمْ يَكُنْ لِسِوَاهُمُ مِنْهَا سِوَى الحِرْمَانِ

فالمراد نفى المكرمات عن سواهم لأنهم إذا كان لهم الحرمان من المكرمات فما لهم منها شىء .

الخامس من الإرداف : وليس مما تقدم بشىء .

وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ عَفا اللهُ عنكَ لِمَ أذنِتَ لهمْ ﴾ [سورة التوبة : ٤٣] والمراد به (إذا خوطب بمثل هذا غير النبى ﷺ) [٤] أنك أخطأت وبئس ما فعلت فقولُه : ﴿ لم أذنتَ لهم ﴾ بيان لما كنى عنه بالعفو أى : مالك أذنت لهم ؛ وهلا استأنيت ! فَذِكْرُ العفو دليل [على الذنب] [٥] ورادف له وإن لم يذكر .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فإنْ لم تَفعلوا ولَن تفعلوا فاتقوا النارَ التى وَقودُها الناسُ والحِجَارة أُعِدَّتْ للكافرين ﴾ [سورة البقرة : ٢٤] قيل لهم إن [استبنتم العجز

---

(١) زيادة عن الجامع .

(٢) نصّ مطبوعة الجامع – فى هذا الموضع به قلق . ولعلّ المثبت هنا هو الأقرب للصواب .

(٣) لم أعرفه ، وهو فى الجامع الكبير : ١٦٢ .

(٤) مابين القوسين ساقط من مطبوعة الجامع .

(٥) زيادة عن الجامع .

عن المعارضة] [١] فاتركوا العناد فوضع قوله : ﴿ فاتقوا النار ﴾ – موضعه لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه من حيث إنه من نتائجه وروادفه ؛ لأن من اتقى النار ترك المعاندة . ونظيره أن يقول الملك لحشمه : « إن أردتم الكرامة عندى فاحذروا سخطى » يريد فأطيعونى وأطيعوا [٢] أمرى (واحذروا ما هو نتيجة حذر السخط وروادفه) [٣] .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ قالت الأعرابُ آمنا قلْ لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ [سورة الحجرات : ١٤] ألا ترى إلى لطافة هذه الكناية ! فإنها أفادت تكذيب دعواهم ودفع / ما انتحلوه . وفائدتها هاهنا أنه روعى فى تكذيبهم أدب حسن [حيث] [٤] لم يصرح بلفظه فلم يقل « كذبتم » ؛ لأن فيه نوع استقباح فى الخطاب ؛ فوضع قوله : « قل لم تؤمنوا » الذى هو نفى ما ادعوا إثباته [٥] موضعه لأن ذلك رادف له .

١٣١

ومما يجرى هذا المجرى قوله تعالى : ﴿ قال المَلأُ الذين استكبروا من قومه للذين استُضْعِفوا لمن آمنَ منهم أتعلمون أنَّ صالحاً مُرْسَلٌ من ربهِ قالوا إنّا بما أُرْسِلَ به مؤمنون ﴾ [سورة الأعراف : ٧٥] .

[فإن الغرضَ بقولهم : ﴿ إنا بما أُرْسِلَ به مؤمنون ﴾ جوابًا عن سؤالهم « أتعلمون أن صالحًا مرسل من ربه »] [٦] (إثباتُ) [٧] العلم بإرساله وأنه من الأمور الظاهرة المسلمة التى لا يدخلها ريب ولا يعتريها شكٌّ ، لكن

---

(١) (ط) : (إن استندتم إلى العجز) وهو كلام لا معنى له . وما أثبته لفظ الجامع .

(٢) فى الجامع : (واتبعوا) بدلاً من (وأطيعوا) .

(٣) مابين القوسين كذا فى (ط) . وأما مطبوعة الجامع فعبارتها : (وافعلوا ما ينتجه حذر السخط وذلك رادف له) . وكلا العبارتين فيهما شىء من القلق . وأنا أستظهر أن يكون صواب العبارة – إن شاء الله – (وافعلوا ماهو نتيجة حذر السخط وروادفه) .

(٤) زيادة عن الجامع .

(٥) فى الجامع (بيانه) ويبدو أنه تحريف .

(٦) مابين المعقوفين زيادة من الجامع لابد منها ليستقيم السياق . وقد زدت تكملة الآية لما فيه من الفائدة .

(٧) (ط) : أثبت . وهى خبر (إنّ) من قوله : (فإن الغرض بقولهم ...) .

عدل عن ذلك إلى ما هو دليل عليه ورادف له وهو الإيمان به أعنى صالحًا [١] ، (وإنما صح منهم بعد ثبوت نبوته عندهم) [٢] والعلم بإرساله إليهم فالإيمان به أدنى دليل على العلم بأنه نبى مرسل ، وهذا من دقائق الإرداف ولطائفه .

وأمثال ذلك كثيرة كقول الأعرابية فى حديث أم زرع تصف زوجها « له إبلٌ قليلاتُ المسارحِ ، كثيراتُ المبارك ، إذا سمعن صوت المزاهر أيقَنَّ أنهن هوالك [٣] » . فإن الظاهر من هذا القول أن إبله يبركن عند بيته بفنائه ولا تبرح ليقرب عليه نحرها للأضياف فإذا هُزت المزاهر للغناء [٤] نحرها لضيوفه ، فقد اعتادت هذه الحالة وأيقنتها . وغرض الأعرابية من هذا الكلام أن تصف زوجها بالجود والكرم ولكنها لم تذكر ذلك بلفظه الدال عليه وإنما أتت بمعان دلت على ذلك من غير تصريح بمرادها .. وكذلك قال بعضهم [٥] :

وَدِدْتُ وما تُغْنِى الوَدَادَةُ أنَّنى ... بما فى ضميرِ الحاجِبيّةِ عَالِـمُ
فَإنْ كان خيرًا سَرّنِى وَعَلِمْتُـهُ ... وَإنْ كَانَ شرًّا لم تَلُمْنى اللوّائِمُ

[فإن المراد من قوله : « لم تلمنى اللوائم »] [٦] أى أهجرها ، فأضْرَبَ عن ذلك جانبًا ، ولم يذكر ذلك اللفظ المختص به لكنه ذكر ما هو دليل عليه ورادف له .

الثالث : من الكناية وهو المجاورة :

---

(١) الجامع : بصالح .

(٢) مابين القوسين نص مطبوعة الجامع والذى كان فى (ط) : (إنما صح عنهم بعد ثبوته عندهم) .

(٣) أخرجه البخارى (فتح البارى ٩/٢٥٥) - كتاب النكاح (٦٧) - باب حسن المعاشرة مع الأهل (٨٢) ، ورواه مسلم (٤/١٨٩٩) - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) - باب ذكر حديث أم زرع (١٤) .

(٤) فى هذه الفقرة فى مطبوعة الجامع شىء من الاضطراب .

(٥) هو كثير ، ديوانه : ٢٤٥ ، وحماسة أبى تمام : ٢/٤٤ ، والجامع الكبير : ٦٤ وكانت رواية (ط) : (الحاجرية) . بالراء ويبدو أنه تصحيف .

(٦) مابين المعقوفين زيادة من الجامع .

وذلك أن يريد المؤلف ذكر شيء فيترك ذكره جانبًا إلى ما جاوره فيقتصر عليه اكتفاء بدلالته على المعنى المقصود كقول عنترة [(١)] :

فَشَكَكْتُ بالرُّمحِ الأَصَمِّ ثيابَهُ   لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ [(٢)]

أراد : « بالثياب » هنا نفسه لأنه وصف المشكوك بالكرم ، ولا توصف الثياب به ؛ فثبت حينئذ أنه أراد ما تشتمل عليه الثياب وفى ذلك من الحسن مالا ينكره العارف بهذه الصناعة / . وقال أيضًا [(٣)] :

١٣٢

بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ   قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ فِي الشِّمَالِ مُفَدَّمِ

« الصفراء » هاهنا هى الخمرة والذكر للزجاجة حيث هى مجاورة لها ومشتملة عليها .

وذهب بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ وثيابَك فَطَهِّرْ ﴾ [سورة المدثر : ٤] أنه أراد بالثياب القلب أو الجسد . أى وقلبك فطهر أو جسدك [(٤)] . ومنه قول امرىء القيس :

فَإِنْ تَكُ سَاءَتْكِ مِنِّى خَلِيقَةٌ   فَسُلِّى ثِيابِى مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ [(٥)]

الرابع : من الكناية ما ليس بتمثيل ولا إرداف ولا مجاورة : كقوله تعالى ﴿ أو من يُنَشَّؤُ فى الحِلْيَةِ وهو فى الخصام غيرُ مبين ﴾ [سورة الزخرف : ١٨] فكنى

---

(١) عنترة العبسى من أشهر الشعراء الفرسان فى الجاهلية اجتمع فى شبابه بامرىء القيس الشاعر ، وشهد حرب داحس والغبراء .

(٢) من معلقته الشهيرة ، والجامع الكبير : ١٦٤ ، وتحرير التحبير : ٢٠٦ .

(٣) من معلقته أيضًا (أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ١١٧/٢) وروايتها (ذات أسرة) . (قال الأعلم : الأسرة : جمع (سرار) بالكسر وهو الخط فى بطن الكفّ أو الوجه أو الجبهة والمراد بها الحزوز والخطوط فى الكأس . والأزهر : الأبيض الحسن يريد به الإبريق . والمفدم : الذى عليه الفدام وهى المصفاة تكون على فم الإبريق . والمعنى : ولقد شربت المدامة بزجاجة صفراء مقرونة بإبريق أبيض ركبت على فمه مصفاة كان فى جهة الشمال من الكأس أو فى شمال الساق . والبيت فى الجامع الكبير : ١٦٥ .

(٤) انظر تفسير الطبرى : ١٤٥/٢٩ - ١٤٦ .

(٥) من معلقته . ديوانه ١٣ . قال الأعلم : معنى قوله : (سلّى ثيابى من ثيابك) أى : أخرجى أمرى من أمرك . أى إن كان فى خلقى مالا ترتضينه فاقطعى أمرى من أمرك . والبيت ساقط من مطبوعة الجامع .

[عن النساء] [١] بأنهم يتزينون [٢] فى الحلية أى الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاراة الخصوم كان « غير مبين » أى ليس عنده بيان ولا برهان يحاجُّ به مَنْ خاصمه ؛ وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال .. ومن هذا الباب قول [٣] أبى نواس :

تَقُولُ الّتِى مِنْ بَيْتِها خَفَّ مَحْمِلِى   عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نراكَ تَسِيرُ [٤]

ألا ترى ما أحسن هذه الكناية ! فإنه أضربَ عن ذكر امرأته بقوله : « من بيتها خف مركبى » فإنه من ألطف الكناية مذهبًا .. وكذلك قول نُصَيْب [٥] :

فَعاجُوا فَأَثْنَوا بِالّذِى أَنتَ أَهْلُهُ   وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ [٦]

وقال الجاحظ : نحن قوم نسحر بالبيان ونموه بالقول : [والناس ينظرون إلى الحال ويقضون بالعيان فأثر ذلك فى أمرنا أثرًا ينطق إذا سكتنا ؛ فإن المدعى بغير بينة متعرض للتكذيب ، فهذا معنى قول نصيب فعل به ما ترى] [٧] .

الثانى من التقسيم الأول من الكناية وهو الذى يقبح ذكره ولا يحسن استعماله ، كقول أبى الطيب المتنبى :

---

(١) زيادة عن الجامع .

(٢) قوله (بأنهم يتزينون) باستخدام ضمير جمع المذكر (هم) والواو فى التعبير عن جماعة النساء – أظنه – من باب الحمل على المعنى ، نظرًا إلى لفظ (من) فى قوله تعالى : ﴿ أو من ينشأ فى الحلية وهو .. ﴾ الآية . أى الجنس ؛ وعليه فلا غبار على صحة لفظ ابن الأثير .

(٣) (ط) : قال .

(٤) ديوانه : ٤٨١ ، وروايته (عن بيتها) من قصيدته التى مطلعها :

أجـارة بيتينـا أبـوك غيـورُ   وميسور ما يرجى لديك عسير

وتحرير التحبير : ٤٣٥ ، والجامع الكبير : ١٦٥ .

(٥) هو نُصيب بن رباح أبو محجن مولى عبد العزيز من مروان ، شاعر فحل . مات سنة ١٠٨ هـ .

(٦) البيت من ثلاثة أبيات فى البيان والتبيين : ٨٣/١ . واستشهد به الجاحظ على دلالة الحال فى باب الإبانة وهى ما تسمى بالنصبة ، والصناعتين : ٢٢٠ ، والجامع الكبير : ١٦٥ ، والمثل السائر : ٧٠/٣ .

(٧) مابين المعقوفين زدتها عن الجامع الكبير وهى لابد منها للسياق .

إنّى عَلَى شَغَفِى بِمَا فى خُمْرِها لأعِفُّ عَمَّا فِى سَرَاوِيلاتِها [١]

فإن هذه كناية عن النزاهة والعفة وعلم الله إنّ الفجور لأحسن منها [٢] .

وقد ذكر الشريف الرضى [٣] هذا المعنى فأبرزه فى أجمل صورة فقال :

أَحِنُّ إلى ما يضْمَنُ الخُمْرُ والحُلَى وَأَصْدِفُ عَمّا فى ضَمَانِ المآزِرِ [٤]

ألا ترى إلى هذه الكناية ما ألطفها والمعنيان سواء ! وبهذا يعرف فضل الشاعرين أحدهما على الآخر وذلك إذا أخذا معنًى واحدًا فصاغه أحدهما أحسن صياغةً تميزه / عن صياغة الآخر [٥] . ١٣٣

* * *

(١) ديوانه : ٣٤٧/١ ، والكشف عن مساوىء المتنبى : ٢٧٠ ، والجامع الكبير : ١٦٦ ، ٢٤٨ ، والمثل السائر ٧١/٣ ، والصناعتين : ٣٨٤ .

(٢) فى الصناعتين : ٣٨٤ ، « سمعت بعض الشيوخ يقول : الفجور أحسن من عفاف يعبر عنه بهذا اللفظ - وانظر الكشف لابن عباد : ٢٧٠ .

(٣) هو محمد بن الحسين بن موسى أبو الحسن الرضى هو مَنْ هو فى مقامه فى الأدب والشعر والعلم مولده ووفاته ببغداد وتوفى سنة ٤٠٦ هـ .

(٤) ديوانه : ٤٤٧/١ ، والجامع الكبير : ١٦٦ ، ٢٤٨ ، والمثل السائر : ٧٢/٣ ورواية الديوان (يحن ، ويصدف) بالياء . وقبل البيت قوله :

ولله قلبى ما أرق على الهوى وأصبى إلى لثم الخدود النواضر

فالضمير فى (يحن ، ويصدف) يعود على ذكر القلب .

(٥) آخر النقل الطويل عن ابن الأثير فى الجامع الكبير : ١٥٧ - ١٦٦ .

القسم الثامن عشر

التعريض

وقد اختلف فيه مذاهب بعض علماء هذا الشأن ، فذهب بعضهم إلى أن الكناية والتعريض بمعنى واحد ، وبعضهم فرق بينهما [١] . قال ابن الأثير فى جامعه [٢] ، فى الكناية والتعريض : إن لهذا النوع من الكلام موقعًا شريفًا ، ومحلاً كريمًا . وهو مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانبًا ، وذلك نوع من علم البيان لطيف . وقد تكلم جماعة من المؤلفين فى هذا الفن وخلطوا الكناية بالتعريض و لم يفرقوا بينهما بل أوردوا لهما من النظم والنثر وأدخلوا أحد القسمين فى الآخر [٣] ، وذكروا للكناية أمثلة من التعريض وللتعريض أمثلة من الكناية . فمنهم أبو محمد بن سنان الخفاجى [٤] وأبو هلال العسكرى [٥] ، والغانمى [٦] .
فأما ابن سنان فإنه ذكر فى كتابه [٧] قول امرىء القيس :

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقّ كَلامُنَا   وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَىَّ إِذْلالِ [٨]

---

(١) انظر هامش القسم السابق « الكناية » ص : ٢٦٢ .
(٢) الجامع الكبير : ١٥٦ .
(٣) ط (بالآخر) وأثبت لفظ الجامع .
(٤) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجى الشاعر الأديب البليغ الشيعى الحلبى صاحب كتاب « سر الفصاحة » . وكان أميرًا على بعض ولايات حلب . توفى مسمومًا سنة ٤٦٦ هـ .
(٥) سبقت ترجمته .
(٦) سبقت ترجمته .
(٧) انظر سر الفصاحة : ١٦٣ .
(٨) ديوانه : ٣٢ ، والجامع الكبير : ١٥٦ ، والمثل السائر : ٤٩/٣ ، وسر الفصاحة ١٦٣ .

وهذا مثال ضربه للكناية عن المباضعة وهو مثال للتعريض . وسنورد لك أيها الناظر فى كتابنا هذا فرقًا بين الكناية والتعريض ونميز أحدهما عن الآخر . فنقول وبالله التوفيق :

إن الكناية هى أن يذكر الشىء بغير لفظه الموضوع له [١] كما كنى الله عز وجل عن الجماع بالمس فإن حقيقة المس هى الملامسة يقال : مسست الشىء ، إذا لمسته [٢] . ولما كان الجماع ملامسة بالأبدان وزيادة أمر آخر أطلق عليه اسم المس مجازًا . وضد الكناية التصريح .

وأما التعريض فهو أن يذكر شيئًا يدل به على شىء لم يذكر ، وأصله التلويح من [٣] عُرْض الشىء وهو جانبه . وبيت امرىء القيس ضربه مثالاً للكناية وهو عين التعريض فإن غرضه من ذلك أن يذكر الجماع غير أنه لما استقبح ذكره لم يذكره بل ذكر كلامًا آخر ودل به عليه ؛ لأن المصير إلى الحسنى ورقة الكلام يفهم منها ما أراده امرؤ القيس من المعنى / وذلك مما لاخفاء به . ١٣٤

وحيث تبين الفرق نشرع [٤] فى أقسام كل واحد من الكناية والتعريض فنقول :

---

(١) هذه التفرقة بين الكناية والتعريض سبق إليها الزمخشرى فى الكشاف : ١٤٣/١ . وهو نص لفظ الزمخشرى فى تفسيره .

(٢) فى مطبوعة الجامع « باللمس فإن حقيقة اللمس ... يقال : لمست الشىء » وهو تصرف من الناشرين جانبهما فيه الصواب حيث عدلا عن الأصل المخطوط وفيه : (بالمس فإن حقيقة المس هى الملامسة . يقال : مسست الشىء) وهو مطابق لما معنا – هنا – من نقل ابن النقيب . وهو الملائم للسياق . وما صنعاه من هذا التعديل لعل دافعه حديث ابن الأثير فى المثل السائر (٥١/٣ ، ٥٣ ، ٥٤) عن آية : ﴿ أو لامستم النساء ﴾ ولكن حديث ابن الأثير – هنا – فى الجامع الكبير ناظر إلى قوله تعالى : ﴿ لا جناح عليكم إنْ طلّقتم النساء ما لم تمسوهن ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٦] وقوله تعالى : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٧] وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ [سورة الأحزاب : ٤٩] . وواضح أن « المس » فى هذه الآيات مراد به الجماع .

(٣) ط : (عن) . والتصويب من الجامع .

(٤) سياق الكلام مازال لابن الأثير . وفيه بعض المخالفة الطفيفة لما فى مطبوعة الجامع .

إن الكناية هى على قسمين : أحدهما ما يحسن استعماله وهو الذى نحن بصدد ذكره هاهنا ، والآخر مالا يحسن استعماله وقد تقدم بيانهما [١] .

وأما التعريض فقد جوّزه [٢] الله تعالى فى خطبة النساء فقال جل من قائل : ﴿ ولا جُناح عليكم فيما عَرَّضْتم بهِ من خِطْبَةِ النساء ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٥] قال المفسرون : التعريض بالخطبة أن يقول لها وهى فى عِدة الوفاة : إنك لجميلة ، وإنك لحسنة ، وإنى إليك لشيّق ، وإن قدر الله شيئًا فهو يكون ، وما أشبه ذلك .

ومما هو من التعريض قوله حكاية عن عبدة الأصنام حين كسرها إبراهيم عليه السلام : ﴿ أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيمُ قالَ بل فعله كبيرُهم هذا فاسألوهم إن كانوا يَنطقون ﴾ [سورة الأنبياء : ٦٢ – ٦٣] يعنى أن كبير الأصنام غضب أن تعبد هذه الأصنام الصغار معه فكسرها فغرض إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه من هذا الكلام إقامة الحجة عليهم ؛ لأنه قال : « فاسألوهم إن كانوا ينطقون » هذا على سبيل الاستهزاء بهم . وهذا من رموز الكلام (والقول فيه إن قصد إبراهيم عليه السلام لم يرد به نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على [أنه] أسلوب تعريض) [٣] يقتضى أن يبلغ فيه غرضه من إلزام الحجة عليهم وتبكيتهم والاستهزاء بهم .

ومن بديع التعريض قوله تعالى : ﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه [٤]

---

(١) انظر ماسبق فى قسم الكناية ، وقد نقلهما ابن النقيب عن الجامع الكبير أيضاً .

(٢) ط : (ميزه) والتصويب عن الجامع .

(٣) مابين القوسين كان فى (ط) : (والقصد فيه أن إبراهيم عليه السلام لم يكن القصد الصادر عنه إلى الصنم .. لها على أنه أسلوب من الفصاحة آخر) وأما نص مطبوعة الجامع فهو : (والقول فيه أنّ قصد إبراهيم لم يكن الفعل الصادر عنه إلى الصنم .. لها على أسلوب تعريضى) وكلا النصين فيهما من الاضطراب مالا يخفى وما أثبته نص عبارة المثل السائر : ٧٢/٣ .

(٤) هم قوم نوح عليه السلام دعاهم إلى إفراد الله بالعبادة وخوَّفهم عذاب الآخرة فكان هذا ردهم : ﴿ مانراك إلا بشرًا مثلنا . وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾ [سورة هود : ٢٧]

ما نراك إلا بشرًا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا ﴾ إلى قوله : ﴿ بل نظنكم كاذبين ﴾ [سورة هود : ٢٧] فقوله : ﴿ ما نراك إلا بشرًا مثلنا ﴾ تعريض بأنهم أحق بالنبوة منه وأن الله لو أراد أن يجعلها فى أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملأ [١] وموازن لهم فى المنزلة فما جعلك أحق منهم بها ؟ ألا ترى إلى قوله تعالى حكاية عنهم « وما نَرَى لكم علينا من فضل » .

ومن مشكلات التعريض حديث عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال : حكت المرأة الصالحة خَوْلة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن النبى ﷺ خرج ذات يوم وهو محتضن أحد ابنى ابنته وهو يقول : « والله إنكم لَتُجَبِّنُونَ وَتُبَخِّلُونَ وَتُجَهِّلُونَ . وإنكم لمن رَيْحَانِ اللهِ وإن آخرَ وَطْأَةٍ وَطِئَها اللهُ بِوَجٍّ » [٢] . اعلم أن « وَجّ » وادٍ بالطائف والمراد غزاة حُنَينَ [وحُنَيْن] [٣] واد قبل « وج » لأنها آخر غزاة أوقع [٤] بها رسول الله ﷺ على المشركين وأما غزوتا الطائف وتبوك اللتان كانتا بعد / حُنَيْن فلم يكن فيهما وطأة أى قتال وإنما كانتا مجرد خروج إلى الغزاة حَسْبُ من غير ملاقاة العدو (أعنى ولا قتال لهم) [٥] .

١٣٥

ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله : « وإن آخر وطأة وطئها الله بوج » على ما قبله من الحديث هو التأسف [٦] على مفارقة أولاده لقرب وفاته ؛ لأن

---

(١) ط : (للملائكة) وهو تحريف .

(٢) مسند أحمد (٤٠٩/٦) ، وفى مجمع الزوائد : ٥٤/١٠ ، وعزاه للطبرانى . وفى سنن البيهقى : ٢٠٢/١٠ . ولكن بدون قوله (وإنّ آخر وطأة وطئها الله بوج) وعزاه فى كنز العمال (جـ ١٦ – حديث ٤٤٥١٨) إلى ابن حبان أيضًا .

(٣) زيادة من الجامع .

(٤) ط : (وقع) وأثبت لفظ الجامع والمثل السائر . قال فى القاموس : (وأوقع بهم : بالغ فى قتالهم كوقع .

(٥) فى الجامع : (أعنى المشركين ولا قتال لهم ، وكلا عبارتى الجامع وابن النقيب هنا فيهما شىء من القلق . وأما عبارة المثل السائر فهى سالمة من ذلك . انظر المثل السائر : ٧٤/٣ .

(٦) ط : وهو .

غزوة حنين كانت فى شوال سنة ثمان ووفاته كانت فى ربيع الأول من سنة إحدى عشرة وبينهما سنتان ونصف . وكأنه قال : « وإنكم من ريحان الله » . — أى من رزق الله — وأنا مفارقكم عن قريب ، إلا أنه صانع عن قوله « وأنا مفارقكم عن قريب » بقوله : « وإن آخر وطأة وطئها الله بوج » فكان ذلك تعريضًا بما [١] أراده ، وقصده من قرب وفاته ومفارقته إياهم يعنى أولاده . وهذا من أغرب التعريضات وأعجبها !

ومن هذا الباب قول الشَمَيذر [٢] الحارثى :

بَنى عَمِّنا لا تَذْكُرُوا الشِّعْرَ بَعْدَ ما ... دَفنتُم بِصَحْرَاءِ الْغُمَيْرِ الْقَوَافِيا [٣]

فإنه ليس قصده الشعر بل قصده ما جرى بينهم بهذا الموضع من الغلبة لهم والقوة عليهم إلا أنه لم يذكر ذلك بل ذكر الشعر ودفنه تعريضًا [عنه] [٤] أى لا تفخروا بعد تلك [٥] الواقعة التى جرت لنا ولكم بذلك المكان .

ومن أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن مسعدة [٦] إلى المأمون فى حق بعض أصحابه : « أما بعد فقد استشفع [بى] [٧] فلان إلى أمير المؤمنين ليتطوَّلَ فى إلحاقه بنظرائه من الخاصة ، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب

---

(١) ط : لما .

(٢) الشَمَيْذر الحارثى من بنى الحارث بن كعب ، شاعر فارس . قيل إنه إسلامى .

(٣) هذا البيت هو الأول من خمسة أبيات اختارها له أبو تمام فى ديوان الحماسة (٨٢/١) ، وهو فى البيان والتبيين : ١٨٦/٢ وعزاها لسويد المراثد الحارثى أو غيره ، والجامع الكبير : ١٦٨ ، والمثل السائر ٧٤/٣ ، وتحرير التحبير : ٢٠٦ مثالاً للوحى والإشارة بضرب من الاستعارة .

(٤) زيادة من الجامع .

(٥) ط : (لا تفخرون بعد ذلك) .

(٦) ط : (عمرو بن سعد . والصواب (مسعدة) بفتح الميم والعين ، وهو أحد الكتاب فى زمن المأمون وهو ابن عم إبراهيم بن العباس الصولى الشاعر . وتوفى ٢١٧ هـ . وهذه الرسالة إلى المأمون فى الصناعتين : ٣٨١ ، وعند ابن منقذ فى بديعه : ١٠٣ .

(٧) زيادة من الجامع .

المستشفعين . وفى ابتدائه بذلك بُعْدٌ عن طاعته » . فوقّع المأمون فى كتابه : « قد عَرَفْنَا نصيحتَك له وتعريضَك لنفسك وأجبناك إليهما [١] » .

* * *

(١) آخر النقل عن الجامع الكبير : ١٦٩ .

القسم التاسع عشر

الاستطراد (*)

وهو التعريض بعيب إنسان بذكر عيبِ غيره لمتعلقٍ أو نفى عيب عن نفسه بذكر عيب غيره (١) .

(*) فى الاستطراد : انظر : حلية المحاضرة ف ٦٤ ، والصناعتين : ٤٧٠ ، والعمدة : ٣٩/٢ ، وبديع ابن منقذ : ٧٥ ، والمعيار : ١٥٧ ، وتحرير التحبير : ١٣٠ ، وبديع القرآن ٤٩ ، والبرهان للزركشى : ٣٠٠/٣ .

(١) هذا تعريف غريب للاستطراد لم أجده لأحد – فيما بين يدىّ من مصادر – إلا عند الزركشى فى البرهان : ٣٠٠/٣ . وأنا أرجح أن يكون نقله من هنا ، فالزركشى قد صرح باطلاعه على مقدمة ابن النقيب ووصفها بأنها من أجمع كتب البلاغة . انظر البرهان : ٣١١/١ وهذا الاتفاق بين ماق البرهان ومامعنا يستأنس به أن مابين أيدينا هى مقدمة الشيخ ابن النقيب .

وهذا التعريف للاستطراد غير دقيق ولامبين عن حقيقته . ومن أوضح تعاريفه ماذكره العسكرى قال : (هو أن يأخذ المتكلم فى معنى فبينا يمرُ فيه يأخذ فى معنًى آخر ، وقد جعل الأول سببًا إليه) (الصناعتين : ٤١٤) . وذكر ابن أبى الإصبع أن « الاستطراد » هو نفس ما أسماه ابن المعتز « الخروج من معنى إلى معنى » وأن الحاتمى فى حلية المحاضرة هو الذى غير هذه التسمية إلى « الاستطراد » ناقلاً ذلك عن البحترى الشاعر (انظر تحرير التحبير : (١٣٠) ، وقابل ببديع ابن المعتز : ٦٠ ، وحلية المحاضرة : ف ٦٥) ، وذكر ابن منقذ أن أبا تمام والبحترى قد نبها على « الاستطراد » (بديع ابن منقذ : ٧٥) . وهذا هو الحق فقد سبق أبو تمام إلى ذلك وأعلم به تلميذه البحترى الذى احتذاه ، فى ذلك وأخبرنا به فيما يرويه الصولى بإسناده عنه (انظر أخبار البحترى للصولى : ٥٩) .

وقد فرق جمع من العلماء بين « الاستطراد » و « وحسن الخروج » ورأوا أنهما فنّان منفصلان فمنهم أبو هلال الذى خصص لكل فن موضعًا مستقلاً من كتابه . وقال عن « الاستطراد » : (وهذا الباب يقرب من باب حسن الخروج) الصناعتين : ٤١٦ ، وانظر الصناعتين أيضاً : ٤٠٧ . وقال السيوطى : وقال بعضهم الفرق بين التخلص والاستطراد أنك فى التخلص تركت ماكنت فيه بالكلية وأقبلت على ماتخلصت إليه ، وفى الاستطراد تَمُرُّ بذكر الأمر الذى استطردت إليه مرورًا كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود إلى ماكنت فيه كأنك لم تقصده وإنما عرض عروضًا) (الإتقان : ٣٢٦/٣ ، ومعترك الأقران ٦١/١) ، =

مثل قوله تعالى : ﴿ وسكنتمْ فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتَبيَّنَ لكم كيف فعلنا بهم ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٥] ومثل قوله تعالى : ﴿ فإنْ أعرضوا فقل أنذرتُكُم صاعقةً مثلَ صاعقة / عاد وثمود ﴾ [سورة فُصلت : ١٣] ومثل قوله تعالى : ﴿ ألا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كما بَعِدَتْ ثمود ﴾ [سورة هود : ٩٥] ومثل هذا فى القرآن كثير [١] . ومنه فى الشعر قول السموءل بن عاديا [٢] :

١٣٦

وَإنّا لَقَوْمٌ لا نَرى القَتْلَ سُبَّةً ... إذَا مَا رَأتْـهُ عَامِرٌ وَسَلُـولُ [٣]

يُقَرِّبُ حُبُّ المَوْت آجَالَنا لَنَـا ... وَتَكْرَهُـهُ آجَالُهُـمْ فَتَطُـولُ

وقال آخر [٤] :

ولا عَيْبَ فينا غيرُ عِرْقٍ لمعشرٍ ... كِرَامٍ وأنَّا لا نَخُطُّ عَلَى النَّمْلِ [٤]

= وقد ذكر السيوطى « الاستطراد » عند حديثه على « أنواع المناسبة بين الآيات فى القرآن » ولم يُعَرِّفْه ولكنه أشار إلى التداخل الشديد بينه وبين فن التخلص فقال (ويقرب من الاستطراد حتى لا يكادان يفترقان « حسن التخلص » وهو أن ينتقل مما ابتدىء به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسًا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثانى لشدة الالتئام بينهما) . الإتقان : ٣/٣٢٥ - ٣٢٦ ، وانظر معترك الأقران ١/٦٠) . وسيخصص ابن النقيب - فيما سيأتى - قسمًا خاصًا للحديث عن « التخلص » وهو القسم الخامس والعشرون .

(١) نقل أبو حيان فى البحر المحيط عمن سماهم « أهل علم البيان » أنه لم يرد فى القرآن استطرادٌ إلا فى موضع واحد هو آية سورة هود السابقة « ألا بعداً لمدين كما بَعِدت ثمود » قال أبو حيان : (وقال أهل علم البيان : لم يرد فى القرآن استطراد إلا هذا الموضع و« الاستطراد » قالوا : هو أن تمدح شيئاً أو تذمه ثم تأتى فى آخر الكلام بشىء هو غرضك فى أوله قال حسان :

إن كنت كاذبة الـذى حدثتنـى ... فنجوت منجى الحارث بـن هشام

تـرك الأحبـة أن يقاتـل دونهم ... ونجا بـرأس طِمِـرَّةٍ ولجام

البحر المحيط ٥/٢٥٨ .

(٢) السموْل بن عادياء اليهودى شاعر جاهلى صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء واشتهر بالوفاء حتى ضرب به المثل فى قصة لذلك مشهورة .

(٣) من لاميته الشهيرة . ديوان الحماسة : ١/٨٠ ، والبيان والتبيين : ٤/٦٨ ، وحلية المحاضرة : ف ٦٨ ، والعمدة : ٢/٣٩ . والبيت الأول فقط فى البديع لابن المعتز : ٦١ والصناعتين : ٤١٥ وتحرير التحبير : ١٣٢ .

والشاهد فى قوله (إذا ما رأته عامر وسلول) حيث استطرد من الفخر إلى الهجاء ثم عاد بعد ذلك إلى الفخر إلى آخر القصيدة .

(٤) فى لسان العرب مادة (نمل) والعمدة ٢/٤٩ وكان فى (ط) : (على الرمل) وهو تصحيف .

يريد أنا لسنا بمجوسٍ فإن المجوسَ كانت تزعم أن الرجل منهم إذا تزوج أخته أو ابنته فجاءت منه بولد أن ذلك الولد إذا خط بيده على داء النملة [1] أبرأه .

* * *

(١) (النملة) قروح فى الجنب كالنمل ، وبثرةٌ تخرج فى الجسد بالتهاب واحتراق ويرم مكانها يسيرًا ويدب إلى موضع آخر كالنملة . انظر القاموس المحيط مادة (نمل) .

وذكر فى لسان العرب (مادة نمل) رواية أخرى للبيت من إنشاد ابن الأعرابى بالحاء المهملة فى قوله (نحُط) وفسره : أنا كرامٌ ولا نأتى بيوت النمل فى الجدب لنحفر على ماجمع لنأكله .

القسم العشرون

فى التورية (*) [الترديد]

وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر .

وهو فى القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ حتى نؤتى مثلَ ما أوتى رسلُ اللهِ اللهُ أعلم حيث يجعل رسالاته ﴾ (1) [سورة الأنعام : ١٢٤] الآية . الجلالة الأولى مضاف إليها والثانية مبتدأ بها . وقوله تعالى : ﴿ ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا ﴾ [سورة الروم : ٦ ، ٧] ومثله قوله تعالى : ﴿ لمسجد أُسّسَ على التقوى من أول يوم أحقُّ أن تقوم فيه فيه (2) رجالٌ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٨] .

* * *

(*) مابين المعقوفين [الترديد] زيادة من عندى وهو الصواب - إن شاء الله - وقد أبقيت بجوارها العنوان المحرّف (التورية) ، لأنه تبين لى أنه تحريف قديم وطريف أيضًا كان له فضلٌ أن زاد اطمئنانى إلى أن مابين يدى هى مقدمة الشيخ ابن النقيب . انظر تفصيل ذلك فى مقدمة هذا العمل ص ٢٧ . وتعريف الترديد هذا عند الحاتمىّ فى حلية المحاضرة : ف ٤٣ .

(1) (رسالاته) بصيغة الجمع هى قراءة العشرة عدا حفصًا وابن كثير . فقرءا (رسالته) بصيغة الإفراد . انظر البدور الزاهرة : ١١٠ .

(2) سقطت لفظة (فيه) الثانية من (ط) .

القسم الحادي والعشرون

الاحتجاج النظرى (*)

وبعض أهل هذا الشأن يسميه « المذهب الكلامى » . وهو أن يذكر المتكلم معنى يستدل عليه بضرب من المعقول .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوَ لَيسَ الذى خَلَقَ السمواتِ / والأرضَ بقادرٍ على أن يَخلق مِثلهم ﴾ [سورة يس : ٨١] وقوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسدتا ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٢] وقوله تعالى : ﴿ قال من يحيى العظام وهى رميمٌ قُل يُحييها الذى أنشأها أول مرة ﴾ [سورة يس : ٧٨ : ٧٩] ومنه قول الشاعر : ١٣٧

جَرَى الْقَضَاءُ بِمَا فِيهِ فَلا تَلُمِ ... وَلا مَلامَ عَلَى مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ (١)

وقيل إن الاحتجاج أن يخرج الكلام على طريقة الجدل كقول النابغة :

مُلوكٌ وإِخْوَانٌ إِذَا مَا أَتَيْتُهُـمْ ... أُحَكَّمُ فِـى أَمْوَالِهِـمْ وَأُقَـرَّبُ

كَفِعْلِكَ فِى قَومٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ ... فَلَمْ تَرَهُمْ فِى شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا (٢)

يقول : لا تلمنى فى مدح آل جفنة وقد أحسنوا إلىَّ كما أحسنت إلى قوم فشكروك فلم تر ذلك ذنبًا .

* * *

(*) الاحتجاج النظرى : عنوان هذا القسم الحادى والعشرين كان مفتاح توصلى إلى اكتشاف أنّ هذا الكتاب الموسوم « بالفوائد المشوق » هو نفسه مقدمة الشيخ ابن النقيب . انظر قصة هذا وضبط هذا المصطلح فى مقدمة هذا العمل ص : ٢١ .

(١) البحر المحيط ٨٩/٣ .

(٢) ديوان النابغة : ٧٣ ، والعمدة : ١٧٨/٢ .

القسم الثالث والعشرون

حسن المطالع والمبادى

ويقال فيه حسن الافتتاح (*)

قال علماء علم البيان : ومن ضروب هذا العلم حسن المطالع والفواتح ، وذلك دليل على جودة البيان وبلوغ المعانى إلى الأذهان فإنه أول شيء يدخل الأذن وأول معنى يصل إلى القلب وأول ميدان يجول فيه تدبر العقل .

وهو فى القرآن العظيم على قسمين : جلى وخفى . أما الجَلِىُّ فكقوله تعالى : ﴿ الحمدُ لله رب العالمين ﴾ [سورة الفاتحة : ٢] وكقوله تعالى : ﴿ الحمدُ للهِ الذى خلقَ السموات والأرضَ وجعلَ الظلماتِ والنور ﴾ [سورة الأنعام : ١] وقوله تعالى : ﴿ تبارك الذى بيده المُلكُ وهو على كل شيء قديرٌ ﴾ [سورة المُلك : ١] وأكثر مطالع سور القرآن على هذا النمط .

وأما الخفىُّ فمثلُ قوله تعالى : ﴿ الم ذلك الكتابُ ﴾ [سورة البقرة : ١] وقوله : ﴿ الم اللهُ لا إلهَ إلا هو الحىُّ القيومُ ﴾ [سورة آل عمران : ١] وقوله :

(*) تسمية ابن المعتز ، « حسن الابتداءات » (كتاب البديع : ٧٥) . وبحثه العسكرى فى الصناعتين : ٤٥١ تحت اسم « المبادىء » وابن منقذ : ٢٨٥ تحت (المبادىء والمطالع) وابن الأثير فى المثل السائر : ٩٦/٣ تحت اسم (المبادىء والافتتاحات) ، وابن أبى الإصبع فى تحرير التحبير : ١٦٨ ، وبديع القرآن : ٦٤ تحت « حسن الابتداءات » .

وكل هؤلاء لم يفرقوا بين « حسن الابتداءات » وبين « براعة الاستهلال » . وقد فصل ابن النقيب بين هذين القسمين وخصص القسم الرابع والعشرين لبراعة الاستهلال . واعتذر عن ذلك بمتابعته للزنجانى . انظر مايلى : ٢٩١ ، والمعيار للزنجانى : ١٣٢ .

﴿ المص ﴾ [سورة الأعراف : ١] وقوله : ﴿ حـــم ﴾ [١] ، وقوله : ﴿ ق والقرآن ﴾ [سورة ق : ١] وقوله : ﴿ ن والقلم ﴾ [سورة القلم : ١] وما يجرى مجرى ذلك من السور التى افتتحت بالحروف المفردة والمركبة وسيأتى الكلام عليها فى فصل مفرد [٢] .

* * *

---

(١) (حم) مطلع سبع سور من القرآن هى : غافر وفصلت والشورى والزخرف والدّخان والجاثية والأحقاف . وتسمى بالحواميم .

(٢) وهذا يُستأنس منه أنّ مابين أيدينا مقدمة تفسير للقرآن حيث يَعِدُ صاحبها هنا أنه سوف يعقد فصلاً خاصًا للحديث عن الأحرف المقطعة فى أول السور . ولعل الأيام تكشف لنا عن هذا الجزء المفقود من تفسير ابن النقيب .

١٣٨ / القسم الثالث والعشرون

حسن المقطع (*)

وهو عند أرباب هذا الشأن أن يختم المتكلم كلامه بكلام حسن السبك ، بديع المعنى ؛ فإنه آخر ما يبقى فى الذهن ؛ ولأنه ربما حفظ من دون سائر الكلام ، فيتعين أن يجتهد فى رشاقته وحلاوته وجزالته .

وجميع خواتم سور القرآن فى غاية الحسن ونهاية الكمال لأنها بين أدعية ووصايا ، وفرائض وقضايا ، وتحميد ، وتهليل إلى غير ذلك من الخواتم التى لا يبقى للنفوس بعدها تطلع ولا إلى ما يعقبها تشوف .

كالدعاء الذى (١) ختمت به سورة البقرة ، والوصايا التى ختمت بها سورة آل عمران ، والفرائض التى ختمت بها سورة النساء ، والتبجيل والتعظيم اللذين ختمت بهما سورة المائدة ، والوعد والوعيد اللذين ختمت بهما سورة الأنعام ، والتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذى ختمت به سورة الأعراف ، والحض على الجهاد وصلة الرحم اللذين (٢) ختمت بهما سورة الأنفال ، ووصف رسول الله ﷺ ومدحه وتسليته ووصيته بالتهليل الذى (٣)

(*) فى حسن المقطع انظر : الصناعتين : ٤٥٨ ، والعمدة : ١/٢٤٠ – ٢٤١ . وانظر تحرير التحبير : ٦١٦ ، وبديع القرآن : ٣٤٣ تحت اسم « حسن الخاتمة » وادعى ابن أبى الإصبع أن هذا النوع من مستخرجاته . وقد ردّ عليه ذلك ابن حجة وقرّر أنه مسبوق فى ذلك بغيره وإنْ وجد بغير هذا الاسم وأن التيفاشى سماه حسن المقطع . انظر خزانة ابن حجة :٤٩٣.

(١) (ط) : التى .

(٢) (ط) : التى .

(٣) (ط) : التى .

ختمت به سورة براءة ، وتسليته التى ختمت بها سورة يونس ، ومثلها خاتمة سورة هود ، ووصف القرآن ومدحه اللذين ختمت بهما سورة يوسف ، والرد على من كذب الرسول ﷺ الذى ختمت به سورة الرعد ، ومدح القرآن وذكر فائدته والعلة فى إنزاله الذى [1] ختمت به سورة إبراهيم ، ووصية الرسول التى ختمت بها سورة الحجر ، وتسليته ﷺ وطمأنينته ووعد الله سبحانه الذى ختمت به سورة النحل ، والتحميد الذى ختمت به سورة سبحان ، وتحضيض الرسول ﷺ على الإبلاغ والإقرار بالبشرية والأمر بالتوحيد الذى ختمت به سورة الكهف .

وما ذكر فى نصف القرآن مثال لمن نظر فى بقيته إلى غير ذلك من فواصل القرآن .

* * *

(١) (ط) : التى – ويبدو أن هذا تصحيف .

القسم الرابع والعشرون

فى براعة الاستهلال (*)

وهو أن يذكر الإنسان فى أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلامًادالاً على الغرض الذى يقصده ؛ ليكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه كما قيل لكاتب : اكتب إلى الأمير وعَرِّفه بأن بقرة ولدت حيوانًا على شكل الإنسان ، فكتب : « أما بعد حمد الله الذى خلق الأنام فى بطون الأنعام » .

ومنه قوله تعالى : ﴿ آلم غُلِبَت الرومُ فى أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبِهمْ سَيَغْلِبون ﴾ [سورة الروم : ١] ﴿ براءةٌ من الله ورَسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾ [سورة التوبة : ١] ومنه فى القرآن كثير .

وشرطه أن لا يبتدأ بشىء يُتطير منه كقول الأخطل [١] :

إذَا مُتُّ مَاتَ الْجُودُ وَانْقَطَعَ النَّدَى ... وَلَمْ يَبْـقَ مِـنْ قَلِيـلٍ مُصَرَّدِ [٢]

وأن يجتنب التشبيب بالاسم المستكره كقول جرير :

وَتَقُولُ بَوْزعُ قَدْ دَنَيْت لِغَيْرِنـا ... هَلا هويتِ لِغيرنا يا بَـوْزَعُ [٣]

(*) القسم الرابع والعشرون : نقله الشيخ ابن النقيب عن المعيار للزنجانى : ١٣٢ ، وصرح فى آخر هذا القسم أنه متابع فى إفراده للزنجانى .

(١) هو غياث بن غوث أبو مالك من بنى تغلب ، اشتهر بما كان بينه وبين جرير والفرزدق وكان نصرانيًا . توفى سنة ٩٠ هـ .

(٢) لم أجده فى شعر الأخطل صنعة السكرى الذى نشره الدكتور فخر الدين قباوة . وهو فى المعيار للزنجانى : ١٣٢ .

(٣) علق على البيت ناشر المطبوعة بقوله : (هكذا فى الأصل والمحفوظ :

وتقول بوزع قد دببت على العصا ... هـلا هـزئت بغيرنـا يابـوزع)

والبيت فى ديوانه : ٢٦٨ مثلما قال ، والمعيار : ١٣٢ .

بل يبتدى بالمديح مثل قول أَبْزُونَ العُمَانِى [١] :

عِلَى مِنْبَرِ الْعَلْيَاءِ جَدُّكَ يَخْطُبُ   وَلِلْبَلْدَةِ الْعَذْرَاءِ سَيْفُكَ يَخْطُبُ [٢]

وفى التهانى بمثل قول المتنبى :

المَجْدُ عُوفِىَ إِذْ عُوفِيتَ وَالْكَرَمُ   وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الأَلَمُ [٣]

وقولُ الآخر :

أَبْشِرْ فَقَدْ جَاءَ مَا تُرِيدُ   وَبَادَ أعداءَكَ المُبِيدُ [٤]

وفى التشبيب كمثل قوله :

زَمُّوا الجِمَالَ فَقُلْ للعاذِلِ الجانى   لا عَاصِمَ اليومَ مِنْ مِدْرَارِ أَجْفَانِى

١٤٠ / وفى المراثى مثل قول أوس [٥] :

أَيَّتُها النَّفْسُ أَجْمِلِى جَزَعًا   إِنَّ الَّذِى تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا [٦]

قال المصنف عفا الله عنه : هذا النوع قد قدمناه فى فصل حسن المطلع لكن الزنجانى رحمه الله أفرد له بابًا ؛ فأفردناه على حكم ما أفردهُ وكان فى فصل حسن المطلع زيادات يحتاج إليها فذكرناها هاهنا وهذه الزيادة التى اقتضت إفراده [٧] .

---

(١) هو أبو على أبزون المجوسّى الشهير بالكافى العُمانى . ذكره الباخرزى فى دمية القصر (١/١٢٠) وذكر له بعض المنتخب من شعره وحكاية عنه من بعض معاصريه . وزاد الصفدى فى اسمه أنه أبزون بن مهبرد (الوافى بالوفيات : ٦/١٨٤) . ولم يذكرا له ميلادًا ووفاة . والعُمانى هذا من أهل عُمان وهو غير العمانى الراجز المتقدم محمد بن ذؤيب الفُقيمى الذى مدح هارون الرشيد وغيره من الخلفاء .

(٢) المعيار : ١٣٢ .

(٣) ديوانه : ٤/٩١ مطلع قصيدته فى سيف الدولة بعد ماعوفى مما كان به ، والمعيار : ١٣٢ .

(٤) المعيار ١٣٣ دون نسبة .

(٥) هو أوس بن حَجَر أبو شُريح شاعر تميم فى الجاهلية وهو زوج أمّ زهير بن أبى سلمى عمر طويلاً ولم يدرك الإسلام .

(٦) ديوانه : ٥٣ ، وحلية المحاضرة ف ٦٩٠ ، والصناعتين : ٤٥٣ ، والعمدة : ١/٢١٩ ، والمعيار : ١٣٣ .

(٧) انظر ماسبق هامش . ص ٢٨٦ .

القسم الخامس والعشرون

الانتقال من فن إلى فن
ويسمى : التخلص (*)
والكلام عليه من وجوه

الأوّل : فى حقيقته .

الثانى : فى شرطه .

الثالث : فى الفرق بينه وبين الاقتضاب .

الرابع : فى المعنى الذى جىء به من أجله .

الخامس : فى ذكر من هو أحقُّ باستعماله .

* * *

أما الأول : فقال علماء علم البيان [1] : التخلص هو أن يأخذ المؤلف فى معنى من المعانى فبينما هو فيه إذ أخذ فى معنى آخر غيره وجعل الأول سببًا إليه فيكون بعضه آخذًا برقاب بعض من غير أن يقطع المؤلف كلامه ويستأنف كلامًا آخر بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغًا .

(*) فى التخلص انظر بديع ابن المعتز : ٦٠ وأطلق عليه ، « حسن الخروج من معنًى إلى معنى » ، وحلية المحاضرة ف ١٦٣ ، والصناعتان : ٤٧٤ تحت « الخروج من النسيب إلى المدح وغيره » ، والعمدة : ٢٣٦/١ ، وبديع ابن منقذ : ٢٨٨ تحت « التخليص والخروج ، والمثل السائر : ١٢١/٣ ، والجامع الكبير : ١٨١ ، وتحرير التحبير : ٤٣٣ ، وبديع القرآن : ١٦٧ ، والمعيار : ١٣٤ وشرح عقود الجمان : ١٧٣ .

(١) من كلام ابن الأثير فى المثل السائر : ١٢١/٣ ، والجامع الكبير : ١٨١ . وجُلّ اعتماد المؤلف فى هذا القسم ومايليه على ابن الأثير فى كتابيه وألفاظه تقريبًا هى ألفاظه .

وأما الثانى : فمن شرطه أن يكون انتقاله من فن إلى فن بديع ، وحسن وصف ، ووجازة لفظ ، ورشاقة معنى ؛ ليكون الذى انتقل إليه أقرب إلى القلب ، وأعلق بالنفس من المعنى الذى انتقل عنه .

وأما الثالث : فالفرق بينه وبين الاقتضاب أن التخلص لا يكون إلا لعلاقة بينه وبين ما تخلص منه . وأما الاقتضاب فليس شرطه أن يكون بينه وبين ما قبله علاقة بل يكون كلامًا مستأنفًا منقطعًا عن الأول .

وأما الرابع : فالمعنى الذى جيء به من أجله شيئان . **أحدهما** معرفة حذق المتكلم وقوة ملكته فى التلعب بالكلام ، وتصرفه فيه وطول باعه ، واتساع قدرته فى الفصاحة والبلاغة . **والثانى** : التفنن بحصول ملاذّ كثيرة وتكون لذته بأمور اقتضاها إعمال الفكرة فيما يتخلص به من بديع المعنى ورشيق اللفظ وحسن النسق .

١٤١ **وأما الخامس** : / فالأحق باستعماله الشاعر ، فإن الشاعر تحصره القوافى والأوزان فيضيق عليه النطاق إذا اقتصر على معنى واحد ؛ فتدعو حاجته إلى الخروج من فن إلى فن ، ومن معنى إلى معنى ؛ ليتسع نطاقه ويتحقق إرفاقه ، بخلاف الناثر فإنه مطلق العنان ، ممدود الباع ، منبسط البَنان ، يمضى حيث شاء ، ويتفنن فى الإنشاء .

وقد ورد فى القرآن العظيم من هذا النوع آياتٌ كثيرة . منها قوله تعالى : ﴿ قال هل يسمعونكم إذْ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لى إلا ربَّ العالمين الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ [سورة الشعراء : ٧٢ - ٧٨] لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم إلى ذكر صفات الله عز وجل قال : إن أولئك أعداء لى إلا الله ، فانتقل بطريق الاستثناء المنفصل وهو خير من غيره من الكلام . ومثله فى القرآن كثير .

* * *

القسم السادس والعشرون

فى الاقتضاب (*)

والكلام عليه من وجوه

الأول : فى حقيقته .

الثانى : فى المعنى الذى أتى به من أجله .

الثالث : فى أقسامه .

الرابع : فى أدواته .

الخامس : فى الفرق بينه وبين التخلص .

السادس : فى ذكر اختلاف الأئمة فى الأبلغ منهما .

* * *

أما الأول : فقال علماء البيان [1] : إن الاقتضاب ضد التخلص . وذلك أن يقطع الناظم كلامه الذى هو فيه ، ويستأنف كلامًا آخر غيره من مدح أو هجاء أو غير ذلك ، ولا يكون للثانى علاقة بالأول ولا تلفيق بينه وبينه ، وهو مذهب القدماء . ولذلك قال أبو العلاء محمد بن غانم الغانمى : إن كتاب

(*) اعتماد المؤلف فى هذا القسم وما سبقه على ابن الأثير فى الجامع الكبير والمثل السائر .
وسيرد مصطلح « الاقتضاب » مرة أخرى فى هذه المقدمة فى الفن الثانى المتعلق بفصاحة الألفاظ وسيجعله المؤلف من « التجنيس » انظر القسم الثالث « الاشتقاق » من الفن الثانى من هذه المقدمة ص :

(١) الجامع الكبير : ١٨١ — ١٨٥ .

الله العزيز خال من الاقتضاب والتخلص . وهذا القول فاسد [١] ؛ لأن حقيقة التخلص إنما هى الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطيفة تناسب بين الكلام الذى خرج منه والكلام الذى خرج إليه . وفى القرآن العظيم مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعظ والتذكير والإنذار والبشارة بالجنة إلى أمر ونهى ووعد ووعيد ، ومن محكم إلى متشابه ، ومن صفة لنبى ونبأ منزل [٢] / إلى ذم شيطان مريد وجبار عنيد ، بلطائف دقيقة ومعان آخذة بالقلب أنيقة . ١٤٢

فَمِمَّا جاء من التخلص [٣] فى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيمَ إذ قال لأبيه وقومِهِ ما تعبدون قالوا نعبد أصنامًا فنظَلُّ لها عاكفين . قال هل يسمَعونكم إذ تدْعون ﴾ إلى قوله ﴿ فلو أن لنا كَرَّةً فنكون من المؤمنين ... ﴾ الآيات [٤] . هذا كلام يُذهل العقول ويحير الألباب وفيه كفاية لطالب البلاغة والمنتصب لهذه الصناعة فإنه متى أنعم فيه النظر وتدبر أنباءه [٥] ،

---

(١) مقالة الغانمى – هذي – والرد عليها أوردها الزركشى فى البرهان (٤٣/١) والسيوطى فى الإتقان : ٣٢٦/٣ ، ومعترك الأقران : ٦٠/١ .

(٢) لفظ المثل السائر ١٢٨/٣ ، والجامع الكبير : ١٨٣ (لنبى مرسل وملك منزل) .

(٣) كان الأولى بهذا أن يكون فى القسم السالف وليس هنا ؛ فهذا القسم عقده المؤلف للحديث عن الاقتضاب لا التخلص . وكان يمكنه تفادى ذلك لو أنه جعلهما قسمًا واحدا .

(٤) قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم . إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون . قالوا نعبد أصنامًا فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدو لى إلا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين . ربّ هب لى حكمًا وألحقنى بالصالحين . واجعل لى لسان صدق فى الآخرين . واجعلنى من ورثة جنةِ النعيم . واغفر لأبى إنه كان من الضالين . ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . وأزلفت الجنة للمتقين . وبُرِّزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ماكنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون . فكُبْكِبوا فيها هم والغاوون . وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون . تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين . وما أضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم . فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ﴾ [سورة الشعراء : ٦٩ – ١٠٢] .

(٥) المثل السائر : ١٢٩/٣ (أثناءه) .

ومطاوى حكمته علم أن فى ذلك غنى عن [١] تصفح الكتب المؤلفة فى هذا الفن ! ألا ترى أيها المتأمل ما أحسن ما رتب إبراهيم عليه الصلاة والسلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر لا سؤال مستفهم ! ثم أنحى على [٢] آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تسمع ، وعلى [٣] تقليد آبائهم الأقدمين فكشفه [٤] وأخرجه من أن يكون شبهة فضلاً عن أن يكون حجة .

ثم أراد الخروج من ذلك إلى ذكر الإله الذى لاتجب العبادة إلا له ولا ينبغى الرجوع والإنابة إلا إليه فصوّر المسألة فى نفسه دونهم بقوله [٥] : ﴿ فإنهم عدوٌّ لى إلا ربَّ العالمين ﴾ على معنى أنى فكرت فى أمرى فرأيت عبادتى لها عبادةَ العدو وهو الشيطان فاجتنبتها وآثرتُ عبادة مَنِ الخيرُ كلُّه منه . وأراهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه لينظروا فيقولوا : ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه ، فيكون ذلك أدعى لهم إلى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال : « فإنهم عدوٌّ لكم » لم تكن بتلك المثابة .

فتخلص عند تصويره المسألة فى نفسه إلى ذكر الله تعالى وأجرى تلك الصفات العظام من تفخيم شأنه وتعديد نعمه مِنْ لَدُن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجو فى الآخرة من رحمته ليعلم بذلك أن مَنْ هذه صفاته حقيق بالعبادة وواجب على الخلق الخضوع له والاستكانة لعظمته [٦] .

ثم خرج من ذلك إلى أدعية مناسبة [٧] فدعا الله بدعوات المخلصين وابتهل

---

(١) ط : (لمن) والتصحيح من المثل والجامع .

(٢ ، ٣) ط : (إلى) والتصويب من المثل والجامع .

(٤) المثل والجامع : فكسّره .

(٥) ط : (لقوله) والتصويب من المثل والجامع .

(٦) ط (من عظمته) والتصويب المثل والجامع .

(٧) فى المثل والجامع : مايلائمه ويناسبه .

إليه ابتهال الأوابين ؛ لأن الطالب من مولاه والراغب إليه إذا قدم قبل سؤاله وضراعته الاعتراف بالنعمة والإقرار بالإحسان كان ذلك أسرع بالإجابة [١] وأنجح لحصول القصد والطِّلبة . ثم أدرج فى ضمن دعائه ذكر البعث ويوم القيامة ومجازاة الله تعالى لمن آمن به بإثابة الجنة [٢] ولمن ضل عن عبادته بالنار ، فجمع بين الترغيب فى طاعته والترهيب من معصيته ، ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون من الأصنام سؤالَ / موّبخ لهم مستهزىء بهم ، وذكر ما يُدفعون إليه ١٤٣ عند ذلك من الندم والحسرة على ماكانوا فيه من الضلال وتمنى العودة ليؤمنوا .

فانظر أيها المتأمل إلى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض مع احتوائه على لطيفة دقيقة حتى كأنه معنى واحد ، وخرج من ذكر الأصنام وتقريره [٣] لأبيه وقومه من عبادتهم إياها مع ماهى عليه من التعرى عن صفات الإلهية حيث لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع إلى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الألوهية وعظّم شأنه وعدّد نعمه ؛ ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح إلا له ثم خرج من هذا إلى دعائه إياه وخضوعه له ثم خرج منه إلى ذكر يوم القيامة وثواب الله عز وجل وعقابه . فتدبر هذه التخلُّصات [٤] اللطيفة وَضُمّ هذا إلى غيره من تضمين هذا الكلام بأنواع من صناعة التآليف وهى الإيجاز والكناية والتقديم التأخير ثم إنابة الفعل الماضى عن الفعل المضارع .

فأما الإيجاز فلا خفاء به على العارف بما أشرنا إليه فى بابه الذى سبق ذكره أولاً وأن من جُمْلَتِه [٥] قوله تعالى : ﴿ وأُزْلِفَت الجنةُ للمتقينَ وبُرِّزَت الجحيم للغاوين ﴾ [سورة الشعراء : ٩١] فإنه جمع الترغيب فى طاعته والترهيب من معصيته ، مع عظمهما وفخامة شأنهما فى هذه الكلمات اليسيرة .

---

(١) المثل والجامع : للإجابة .

(٢) المثل والجامع : (واتقاه بالجنة) .

(٣) الجامع : وتقريع ، المثل : (وتتغير) .

(٤) ط : التخليصات . وما أثبته عن الجامع والمثل .

(٥) ط : (جملة) ، وأثبتّ لفظ الجامع .

وأما الكناية فقوله : ﴿ وبُرِّزَت الجحيم للغاوين ﴾ والغاوون هنا كناية عن أبيه وقومه ويدل على ذلك قوله : ﴿ وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله ﴾ [سورة الشعراء : ٩٢ ، ٩٣] لأن كلامه فى الأول كان معهم فى عبادتهم للأصنام .

وأما التقديم والتأخير فإنه ذِكْرُ إبراهيم النعمة وتعديد الإحسان قبل الدعاء وطلب الحاجة .

وأما إنابة الفعل الماضى عن المضارع فقوله :﴿ وأُزْلِفَت الجنة للمتقين وبُرِّزَت الجحيم للغاوين ، وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله ﴾ بعد قوله : ﴿ ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ وفى ذلك من الفائدة ما أشرنا إليه فى بابه وقد سبق ذكره .

وأما الثانى : فالمعنى الذى أتى به من أجله تَشَوّف النفس بعد قطع الكلام الأول إلى الكلام الثانى الذى بعده ولا سيما إذا لم يكن بفاصلة فإنه يدل على تمكن المتكلم فى البلاغة وقوة ملكته فى التلعب بالكلام وجودة فكرة المؤلف وحسن فطرة السامع وصفحة ذهنه .

وأما الثالث : فقد قال علماء البيان : هو على قسمين : منه ما يكون بفاصلة . ومنه ما لا يكون بفاصلة ، وهو بالفاصلة أحسن ؛ / لأن بها تتشوف النفس إلى المعنى الثانى ؛ فتكون له لَذَاذَةٌ أشد مما إذا ورد بغتة . ١٤٤

وأما الرابع : فأدواته فواصله وهى : « **أما بعدُ** » وقيل : إنّ أول من تكلم بها رسول الله ثم تداولها الناس بعده ، « **وهذا** » ، « **وهذه** » ، وقد يذكر لهما خبر كقوله تعالى : ﴿ هذا ذكرٌ وإن للمتقين لحسنَ مآب ﴾ [سورة ص : ٤٩] وقد لا يذكر لهما خبر كقوله تعالى : ﴿ هذا وإن للطاغين لشرَّ مآبٍ ﴾ [سورة ص : ٥٥] وكما قال الشاعر [1] :

---

(١) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان . الشهير بالخَبّاز البلدى ، ذكره الثعالبى فى يتيمة الدهر : (٢٠٨/١) ، وذكر أنه كان أمّيا ، وكان يتشيع وشعره كله مُلَح وطُرف . والبلدى ، نسبة إلى (بلد) وهى من بلاد الجزيرة التى فيها الموصل . ولم يذكر له ميلادا ووفاة ، وذكره الصفدى فى الوافى بالوفيات : (٥٧/٢) ، ولم يزد عن النقل عن الثعالبى .

هذا وَكم لِي بالجُنَيْنَةِ سَكْـرةٍ   أنا من بَقايا شُرْبها مَخْمُـورُ [١]

وقد قال ابن الأثير فى جامعه [٢] فى قوله تعالى : ﴿ واذكر عبادَنا ابراهيمَ واسحاقَ ويعقوبَ أولى الأيدى والأبصار ﴾ إلى قوله : ﴿ جناتِ عدْنٍ مُفتَّحةً لهمُ الأبوابُ ﴾ [٣] : « ألا ترى ما ذكر قبل ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾ من ذكر مَنْ ذَكَرَ من الأنبياء وأراد أن يذكر بعده بابا آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها فقال : « هذا ذكرٌ » ثم قال : ﴿ وإن للمتقين لحسن مآب ﴾ ويدل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال : ﴿ هذا وإن للطاغين لشرَّ مآب ﴾ **وذلك من فصل الخطاب الذى هو ألطف موقعًا من التخلص فاعرفه** » .

ومن بديع الاقتضاب قوله تعالى : ﴿ ويلٌ للمطفَفين ﴾ [سورة المطففين : ١] إلى قوله : ﴿ لرب العالمين ﴾ [سورة المطففين : ٦] ثم اقتضب فقال : ﴿ كلاً إنّ كتابَ الأبرارِ لفي عِلّيّين ﴾ [٤] . وهو فى القرآن كثير جدًا وأكثر ما يرد فى ذكر القصص **وهذا من النوع الأول من الاقتضاب لأنه بلا فاصلة** .

وقال ابن الأثير [٥] : ومما استطرف من هذا النوع قول [٦] ...

---

(١) فى المثل السائر : ١٤٠/٣ وقبله مجموعة من الأبيات يصف فيها الشاعر مجونه طيلة ليله إلى الصباح . حتى إذا أشرف الصبح أغراه بكأس الخمر ونادت به اللذات إليه ثم اقتضب فقال :

هذا وكم لى .... البيت

(٢) الجامع : ١٨٧ وعبارته بها شيء من الخلل والاضطراب ، وانظر المثل السائر : ١٣٩/٣ .

(٣) قال تعالى : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار . هذا ذكر ، وإن للمتقين لحسن مآب . جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ... ﴾ [سورة ص : ٤٥ - ٥٠] .

(٤) كذا فى (ط) ، والصواب (كلا إنّ كتاب الفجار لفى سجين) فهى الآية التالية لقوله تعالى « يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

(٥) الجامع الكبير : ١٨٥ - وانظر المثل السائر : ١٣٥/٣ .

(٦) كان فى (ط) : (ابن الزملكانى) وعلق ناشرها بقوله : (ابن الزملكانى هذا تصحيح منا اعتمادا على حفظنا ، وفي الأصل : ابن الزّمكلفة .. وقد أورد الأبيات التنوخى في كتابه الأقصى القريب فى باب التخلص والاقتضاب ولم يسم القائل) انتهى كلامه . وقد أخطأ في هذا التصويب . والأبيات =

وَليلٍ كَوَجْهِ البَرْقَعيدِيِّ ظُلْمَةً وبَردِ أغانيهِ وطُولِ قُرُونِهِ [٣]

سَرَيتُ ونومي فيهِ نومٌ مُشَرَّدٌ كعقلِ سُليمانَ بنِ فَهْدٍ ودِينِهِ

على أَوْلَقٍ [٤] فيه التفاتٌ كأنهُ أبو جابرٍ فى خَبْطِه وُجنونِهِ

إلى أن بدا ضوء النهار كأنهُ سَناوَجهِ قِرْواشٍ وضوءِ جبينه [٥]

= في المثل السائر : ١٣٥/٣ ونسبها لابن الزّمكرم الموصلى ، وذكرها ابن خلكان في وفيات الأعيان : ٢٦٥/٥ منسوبة للطاهر الجزرى الشاعر في مدح قرواش بن المقلد صاحب الموصل ، ووصف الأبيات بأنها في نهاية الحسن في باب الاسنطراد ، وذكرها ابن شاكر فى فوات الوفيات : ١٩٩/٣ ، للظاهر الجزائرى ، وذكرها له في معجم الأدباء : ٢٧١/١١ ، وهي في معجم البلدان : ١٣١/٢ دون عزو ، وفي معاهد التنصيص : ٣٨٥/١ منسوبة لأبى الطاهر الخزاعى وعلق على ذلك الشيخ محى الدين عبد الحميد بقوله : (قد نسب هذه الأبيات ابن حجة الحموى فى خزانة الأدب (٥٦) إلى أبي محمد بن مكرم ، ونسبها صاحب نفحات الأزهار (١٥٠) نقلا عن الباخرزى في الدمية إلى الظاهر الحرصي . وقد بحثت في دمية الباخرزى من أوله إلي آخره فلم أعثر عليها وظاهر أن أحد العلمين الذين نسب الشعر إليهما هنا وفى النفحات محرف عن الآخر) وهذا الذى استظهره الشيخ محيى الدين صواب - إن شاء الله ، ومافى هذه الكتب تحريف لاسم الطاهر الجزرىّ .

والطاهر الجزرى - في بعض المصادر بالطاء المهملة ، وبعضها بالظاء المعجمة - قال عنه في معجم الأدباء (٢٧٠/١١) : (شداد ابن ابراهيم بن حسن أبو النجيب الملقب بالطاهر الجزرى شاعر من شعراء عضد الدولة بن بويه ، ومدح الوزير المهلبيّ . وكان دقيق الشعر لطيف الأسلوب . مات سنة إحدى وأربعمائة) . ووصفه في تتمة اليتيمة (٥٩/٥) بأنه عالى السن أدرك سيف الدولة .

(٣) (ط) : (وليل كموج) وهو وهم . و(البر قعيدى) نسبة إلى برقعيد : كزنجبيل : بلد قرب الموصل وأهلها يضرب بهم المثل في اللصوصية يقال : لص بَرْقَعِيدِىّ . (انظر معجم البلدان : ١٣١/٢ ، والقاموس المحيط ، « بَرْقَعِيد ») .

(٤) وَلَق : يَلِقُ : أسرع . ولعله يريد بالأولق هنا وصف فرسه .

(٥) قرواش بن المقلد صاحب الموصل . مات مسجونا أو مقتولاً سنة ٤٤٤ هـ انظر فوات الوفيات : ١٩٨/٣ - ١٩٩ ، ودمية القصر للباخرزى : ٤٩/١ .

وقال : إن هذه الأبيات لها حكاية ، وذلك أن هذا الممدوح كان جالسًا في ندمائه في ليلة / من ليالى الشتاء وفى جملتهم هؤلاء الذين هجاهم الشاعر وكان البْرقَعيدىّ مغنّيًا وسليمان بن فهد وزيرًا وأبو جابر حاجبًا فالتمس الممدوح من الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه . ١٤٥

قال المصنف عفا الله عنه : هذا الذى ذكره ابن الأثير قد أورده علماء علم البيان فى باب الاستطراد وهو به أمسُّ وأليق [1] .

* * *

---

(١) وَهِمَ ابن النقيب - رحمه الله - في نقله هذه الأبيات في قسم « الاقتضاب » ولم يفت ابن الأثير أن ينبه علي مافيها من استطراد وإن أتى بها مثالا للتخلص ، يقول ابن الأثير عن هذه الأبيات : « وهى غريبة في بابها لم يسمع بمثلها ولم يرض قائلها بصناعة التخلص وحدها حتى رقى في معانيه المقصودة إلى أعلى منزلة فابتداء البيت الأول بهجو البرقعيدى فجاءه في ضمن مراده ذكر أوصاف ليل الشتاء جميعها وهى الظلمة والبرد والطول . ثم إن هذه الأوصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شبهت به مطابقة له ، وكذلك البيت الثاني والثالث ، ثم خرج إلى المديح بألطف وجه وأدق صنعة . وهذا يسمى الاستطراد وما سمعت في هذا الباب بأحسن من هذه الأبيات » المثل السائر : ١٣٦/٣ .

وهذا هو آخر الموجود من قسم « الاقتضاب » بالمطبوعة . أمّا الوجهان الخامس والسادس اللذان أشار إليهما المؤلف بين يدى كلامه على هذا الفن فلا ذكر لهما ولا ندرى هل ذهل المؤلف عنهما أو الناسخ فى الأصل المخطوط أو ناشر المطبوعة . فالله أعلم بما كان !

القسم السابع والعشرون

فى التطبيق (*)

ويسمى

المطابقة والطباق والتكافؤ والتضاد (*)

والكلام عليه من وجوه :

الأول : فى حقيقته .

الثانى : فى اشتقاقه .

الثالث : فى أقسامه .

* * *

أما الأول : فقال علماء علم البيان : هو أن يجمع فى الكلام بين متضادين مع مراعاة التقابل بحيث لا يضم الاسم إلى الفعل ولا الفعل إلى الاسم (١) .

(*) فى المطابقة انظر : البديع لابن المعتز : ٣٦ ، والصناعتين : ٣١٦ ، وحلية المحاضرة : ف ١٩ ، والعمدة : ٥/٢ ، وبديع ابن منقذ : ٣٦ ، ونهاية الإيجاز : ٢٨٥ ، والجامع الكبير : ٢١١ ، والمثل السائر : ١٤٣/٣ ، والمعيار : ٩٣ ، وتحرير التحبير : ١١١ ، وبديع القرآن : ٣١ ، والبرهان للزركشى : ٤٥٥/٣ ، ومعترك الأقران : ٤١٤/١ ، والإتقان : ٢٨٤/٣ .

والمطابقة : تسمية ابن المعتز في بديعه وهي الفن الثالث عنده ، وأما **التطبيق** : فاستخدمه عبد القاهر في أسرار البلاغة : ٢٠ ، والزنجانى في المعيار : ٩٣ ، وابن منقذ في بديعه ٣٦ . وأما **التكافؤ** فهو اصطلاح قدامة بن جعفر في (نقد الشعر : ١٤٣ ، وأطلق المقابلة وأرادبها التجنيس) . ولم أقع على مصطلح (التضاد) فيما بين يدى من مصادر سوى عند صاحب التعريفات ص ٥٣ حيث قال : (والتضاد أن يجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل) . وذكر ابن رشيق في باب التصدير نوعًا منه نقله عن أستاذه عبد الكريم وهو قريب من المطابقة جدا . (انظر العمدة ٤١٢) . وجعل ابن أبي الأصبع الطباق نوعين : حقيقى ومجازى ، وجعل المجازى هو « التكافؤ » انظر بديع القرآن : ٣١ .

(١) هذا تعريف الرازى في نهاية الإيجاز : ٢٨٥ ، والزنجانى في المعيار : ٩٣ . وقد نقل الزركشى في البرهان (٤٥٥/٣) هذا التعريف وما يتلوه من أمثلة .

وهو كقوله تعالى : ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرًا ﴾ [سورة التوبة : ٨٢] وقوله تعالى : ﴿ وتحسبُهم أيقاظًا وهم رُقودٌ ﴾ [سورة الكهف : ١٨] . وقوله تعالى : ﴿ سَواءٌ منكم من أَسَرَّ القول ومَن جهرَ به ومن هو مُستَخْفٍ بالليلِ وسارِبٌ بالنهار ﴾ [سورة الرعد : ١٠] وقوله تعالى : ﴿ قل اللهمَّ مالكَ الملكِ تؤتى الملكَ من تشاءُ وتَنزِعُ الملكَ مِمَّن تشاءُ وتُعِزُّ من تشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تشاءُ بيدِكَ الخيرُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وترزُقُ مَن تشاء بغير حسابٍ ﴾ [سورة آل عمران : ٢٦ ، ٢٧] وقوله تعالى : ﴿ وأنه هو أضحَكَ وأبكى ﴾ [سورة النجم : ٤٣] ومثله فى القرآن كثير .

ومن ذلك فى أشعار العرب ومخاطباتهم كثير .. فمن بديع أشعار العرب قول الحارث بن حِلِّزة (١) :

بأنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضًا ونُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينا

جمع فى هذا البيت بين الطباق والمقابلة .. وأبدع منه قول بعض المتأخرين (٢) :

فأَورَدَها بِيضًا ظِماءً صُدُورُها وأصدَرَها بالرِّىِّ ألوانُها حُمْرُ (٣)

---

(١) هذا وهم من المؤلف – رحمه الله – والصواب أنه من قول عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلى في معلقته الشهير ، وسيورد المؤلف البيت مرة أخرى بهذه النسبة غير الصحيحة في قسم المقابلة .

(٢) هو أبو الشيص محمد بن رزين ، وهو عمّ دِعبل الخزاعى ، وكنيته أبو جعفر . كان من شعراء عصره متوسط المحل فيهم لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع السلمى وأبى نواس فخمل . مات مقتولاً سنة ست وتسعين ومائة .

(٣) المنصف لابن وكيع : ٤٨/١ ، قال ابن وكيع : وقال عمرو بن كلثوم بيتًا من الطباق المستحسن وهو :

بأنـا نـورد الرايـات بـيضا ونصدرهن حمرًا قـد روينـا

ولو اتفق أن عمرا قال :

من الأسل الظماء يُرونَ بيضًا ونصدرهنَّ حمرًا قـد روينـا

كان أبدع بيت للعرب في الطباق ؛ لأنه يكون قد طابق بين الإيراد والإصدار ، والبياض والحمرة ، والظمأ والرى . وقد تم هذا لأبى الشيص فقال :

فأوردهـا بيضا ظمـآء صدورهـا وأصدرهـا بالـرى ألـوانها حمر

فصار أخذه مغفورا بكماله معناه .

قال ابن الأثير : أجمع جماعة علماء من أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هى الجمع بين الشيء وضده كالبياض والسواد ، والليل والنهار ، وخالفهم في ذلك أبو الفرج / قدامة بن جعفر الكاتب فقال : المطابقة إيراد لفظتين ١٤٦ متساويتين فى البناء والصيغة [١] مختلفتين فى المعنى . وهذا الذى ذكره قدامة هو التجنيس بعينه غير أن الأسماء لا مُشَاحَّةَ فيها إلا إذا كانت مشتقة [٢] . ولننظر نحن فيما حمله على ذلك . والذى حمل قدامه على ذلك ما اقتضاه اشتقاق لفظ الطباق وسنبينه .

وأما الثانى : فاشتقاق الطباق وأصله فى اللغة من طَابَقَ البعيرُ فى سيره : إذا وضع رجله موضع يده وهذا يقوى قول قدامة ؛ لأن اليد غيرُ الرجل لاضدها ، والموضع الذى يقعان فيه واحد فكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذى يجمعهما واحدًا . وأما الجماعة فيحتمل أن يكونوا رأوا أن الرِّجْل مخالفة لليد فراعوا المخالفة ، والضد مخالف للضد لاجتماع لهما وهذا عين التضاد . ويجوز أن يكون الجماعة سموا هذا الضرب من الكلام « مطابقة » تسمية مرتجلة لا اشتقاق لها ولا مناسبة . وهذا هو الظاهر من هذا الأمر إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم يطلع عليها غيرهم والصحيح هو الأول ؛ لأن بعضهم سماه « التضاد » وهذا دليل على مراعاة الاشتقاق .

وأما الثالث : فقد قسم أرباب البيان الطباق إلى : قسمين لفظى ومعنوى [٣] .

---

(١) ط : (والصفة) والتصويب من الجامع والمثل .

(٢) انظر الجامع الكبير : ٢١١ ، والمثل السائر : ١٤٣/٣ . وقد عاب غير واحد من أئمة البيان فعل قدامة هذا . انظر الموازنة للآمدى : (٢٩١/١) ط ثانية ، وحلية المحاضرة : ف ١٩ ، والعمدة : ٦/٢ .

(٣) هذه القسمة للطباق إلى لفظى ومعنوى ليست في واحد من مصادر المؤلف التي بين أيدينا إلا بعض إشارات مثل قول ابن أبي الإصبع : (وقد يقع في الطباق ماهو معنوى) تحرير التحبير : ١١٥ ومثل قول ابن منقذ : (ومن الطباق لفظا ومعنى) بديعه : ٤٠ . وهى عند السيوطى في الإتقان : ٢٨٤/٣ .

أما اللفظى فهو على قسمين : الأول ما قدمناه . والثانى : أن يجمع بين شيئين موافقين وبين ضديهما . ثم إذا اشترطهما بشرط وجب أن يشترط ضديهما بضد ذلك الشرط ، كقوله تعالى : ﴿ فأما مَن أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى ﴾ [سورة الليل : ٥ -] [١] الآية . فكما جعل التيسير لليسرى مشترطا بالإعطاء والتقي والتصديقَ جعل ضده وهو العسر مشترطًا بأضداد تلك الأمور وهى المنع وعدم الاتقاء والاستغناء والتكذيب .

وأما المعنوى : فعلى قسمين : الأول : أن يزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى [٢] :

والثانى فى النفى كقول البحترى أيضا :

يُقيِّضُ لي مِنْ حَيْثُ لا أَعْلَمُ النَّوَى ويسرى إلَيَّ الشوقُ من حيثُ أَعْلَمُ [٣]

والطباق فى القرآن كثير .. ومنه فى السنة قوله ﷺ : « علم الأنساب / علم لا ينفع وجهل لا يضر [٤] » ، وقوله ﷺ فى مدح الأنصار : ١٤٧

---

(١) هذه الآية من باب المقابلة . وقد فرق المؤلف نفسه بين بابى المطابقة والمقابلة ، وخصص قسما مستقلا للحديث عن المقابلة هو القسم الثامن والعشرون وأورد فيه هذه الآية .

(٢) ذكر في (ط) : أن في هذا الموضع بياضا بالأصل ، وأنا أتوهم أن يكون قول البحترى المراد هو ما أنشده ابن منقذ في بديعه : ٤٠ ، وقدم له بقوله : (ومن الطباق لفظا ومعنى للبحترى :

معشر أمسكت حلومهم الأرض (م) وكادت من عزمهم أن تميدا
فإذا المحل جاء جاءوا سيولاً وإذا النقع ثار ثاروا أسودا

حيث زاوج بين مجيء المحل وهو الجفاف وانقطاع المطر والفاقة الشديدة التي أصابت الناس وبين مجيء هؤلاء السادة الكرام سيولا من الغيث تروى وتقوم بحاجة الناس .

(٣) ديوانه : ١٩٢٤/٣ ، والعمدة ١٢/٢ ، وتحرير التحبير : ١١٥ ، والمعيار : ٩٤ .

(٤) فى كنز العمال (جـ ١٠ ، حديث ٢٩١٥٦) برواية « علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر » وعزاه إلى ابن عبد البرّ عن أبي هريرة .

« إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الجزع [1] » .

ومن الطباق البديع قول الشاعر :

إنّ هَذَا الرَّبِيعَ شَىءٌ عجيبٌ   تَضْحَكُ الأَرْضُ من بكاءِ السماءِ [2]

* * *

(١) في كنز العمال (جـ ١٤ - ح ٣٧٩٥١) وروايته (إنكم ما علمت تكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع) وعزاه للعسكرى في الأمثال من حديث أنس .

(٢) بديع ابن منقذ : ٣٧ .

القسم الثامن والعشرون

المقابلة (*)

والكلام عليها من وجوه

الأول : فى حقيقتها .

الثانى : فى اشتقاقها .

الثالث : فى أقسامها .

الرابع : فى الفرق بينها وبين الطباق .

* * *

أما الأول : فقال جماعة من العلماء بهذا الشأن : المقابلة ذكر الشىء مع ما يوازيه فى بعض صفاته ويخالفه فى بعضها [1] . وقال بعضهم [2] : المقابلة أن تضع معانى تريد الموافقة بينها وبين غيرها ، أو مخالفة فتأتى فى الموافق بما وافقه ، وفي المخالف بما خالف ، وتشترط شروطًا وتعدد أحوالاً فى أحد المعنيين ، فيجب

(*) فى المقابلة انظر : نقد الشعر : ١٣٣ ، وحلية المحاضرة : ف ٣٧ ، والصناعتين : ٣٤٦ ، والعمدة : ١٥/٢ ، ونهاية الإيجاز : ٢٨٦ ، والمعيار : ٩٤ ، والمثل السائر : ١٤٤/٣ (تحت اسم التناسب بين المعانى) ، والجامع الكبير : ٢١١ ، ولم يفرق ابن الأثير بين الطباق والمقابلة فجعلهما شيئا واحدا ، وبديع ابن منقذ : ١٢٨ تحت التشطير والمقابلة ، وتحرير التحبير : ١٧٩ ، وبديع القرآن : ٧٣ والبرهان : ٤٥٨/٣ والإتقان : ٢٨٥/٣ (وجعلها من أنواع الطباق) ، ومعترك الأقران : ٤١٦/١ .

(١) انظر الصناعتين : ٣٤٦ .

(٢) هو قدامة بن جعفر الكاتب . انظر نقد الشعر : ١٣٣ ، وحلية المحاضرة : ف ٣٧ ، وهذا التعريف عند الزنجانى في المعيار : ٩٤ .

أن تأتى فى الثانى بما يوافقه بمثل ما شرطت وعددت ، وفيما يخالفه بأضداد ذلك كقوله تعالى : ﴿ فأما مَن أعطى واتَّقى وصَدَّق بالحسنى فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسْرَى وأما من بَخِلَ واستغنى وكَذَّب بالحسنى فَسَنُيَسِّرُهُ للْعُسْرى ﴾ [سورة الليل : ٥ - ١٠]
وكقول الشاعر :

فَيَا عجبًا كيف اتفقْنا فَنَــاصِحٌ   وَفِيٌّ وَمَطْوِيٌّ على الغِلِّ غادِرُ [١]

قال المصنف عفا الله عنه : (قال الإمام فخر الدين رحمه الله : هذا النوع فى فصل الطباق . وذكره الزنجانى فى فصل المقابلة) [٢] والذى اختاره العلماء المتقدمون فى هذا الفن أن المقابلة ذكر الشىء مع ما يوازيه فى بعض صفاته ويخالفه فى بعضها كما تقدم .

وأما الثانى : فالمقابلة مصدر من : قابل الشىءُ الشىءَ يقابله مقابلةً : إذا واجهه وصار ماثلاً أمامه ، وهو من باب المفاعلة كالمضاربة والمقاتلة ، وأصله فى الأجرام يقال : قابل الشخصُ الشخصَ والجبلُ الجبل : إذا واجهه ، وناوحه [٣] : إذا صار موازيا له ماثلاً أمامه ، ثم توسع فيه حتى استعمل فى المعانى . ولما وضع المؤلف الكلمة بإزاء الكلمة الأخرى والمعنى بإزاء المعنى الآخر حصلت المقابلة من جهة اللفظ تارة ومن جهة المعنى أخرى .

١٤٨ **وأما الثالث : فأقسامها ثلاثة** : / مقابلة لفظية (وهى على قسمين) [٤]

---

(١) من إنشادات قدامة في نقد الشعر : ١٣٣ ، وفى حلية المحاضرة : ف ٣٧ ، والعمدة : ١٥/٢ ، والمعيار : ٩٤ ، وتحرير التحبير : ١٨١ . وكلها بغير نسبة إلا أنّ ابن أبى الإصبع قال أحسبهُ كُثَيِّرا . وقد ذكره الدكتور احسان عباس في الأبيات المفردة من شعر كثير . ديوانه : ٥٢٨ . والمقابلة – هنا – حيث قدم ذكر « النصح والوفاء » في صدر البيت ثم قابل ذلك بذكر « الغل والغدر » في عجزه لأن الغل « ضد » النصح و« والغدر » ضد « الوفاء » .

(٢) كذا في (ط) ما بين القوسين . ومابين أيدينا من مطبوعة نهاية الإيجاز للرازى فيه الفصل بين المطابقة والمقابلة مثل مافي المعيار للزنجانى . انظر نهاية الإيجاز : ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، والمعيار : ٩٣ - ٩٤ .

(٣) التناوح : التقابل « القاموس » .

(٤) لعله يقصد أنها تكون بالموافقة وبالمخالفة فتكون بذلك قسمين . راجع تعريف المقابلة .

وقد تقدم . ومقابلة معنوية ، وهى على قسمين أيضا : **الأول : أن يقابل معنى بمعنى** مثل ﴿ إنّ لك أنْ لا تجوعَ فيها ولا تَعْرَى وأنكَ لا تَظمأ فيها ولا تَضحى ﴾ [سورة طه : ١١٨ ، ١١٩] وجه المقابلة فى هذه الآية أن « الجوع » هو خلوّ الباطن ، « والعرى » خلو الظاهر ، « والظمأ » احتراق الباطن ، « والضحى » احتراق الظاهر . فقابل الخلو بالخلو والاحتراق بالاحتراق .

والثانى : أن يجيء فى السلب كقول الفرزدق :

لَعَمْرِى لَئِنْ قَلَّ الحَصَى فِى رِحَالِكُمْ   بَنِى نَـهْشَلٍ مَالُوْمُكُـمْ بِقَلِيـلِ [1]

والثالث : المقابلة الفاسدة : وهو أن يقابل الشيء بما لا يوافقه ولا يخالفه كقول الكُمَيْت :

وَقَدْ رَأَيْـنَ بِهـا حُـورًا مُنَعَّمَـةً   بِيضًا تَكَامَلَ فِيها الدَّلُّ والشَّنَبُ [2]

« والشَّنَبُ » لا يشاكل الدَّلَّ . وهذان القسمان ذكرهما الزنجانى فى تكملته [3] . والمقابلة قريب من الطباق للمشابهة من بعض الوجوه والمخالفة من وجهين نذكرهما بعد هذا القسم .

وأما الرابع : فالفرق بين المقابلة والطباق من وجهين :

الأول : أن الطباق لا يكون إلا ضدين غالبا مثل قوله تعالى : ﴿ وهو الذى أحياكم ثم يُميُتكم ثم يُحييكم ﴾ [4] [سورة الحج : ٦٦] وأشباه ذلك . والمقابلة تكون غالبًا بالجمع من أربعة أضداد . ضدين فى أصل الكلام ، وضدين فى عجزه ، وتبلغ إلى الجمع من عشرة أضداد . خمسة فى الصدر ، وخمسة فى العجز .

---

(١) ديوانه ٢/٩١ ، والمعيار : ٩٥ .

(٢) هذه رواية الزنجاني في المعيار : ٩٥ ، وقد سبق البيت في القسم الخامس : المؤاخاة » ص ١٩١ .

(٣) انظر المعيار : ٩٥ . ولا أعرف ماهذه التكملة وهل هي كتاب آخر غير المعيار أو أنها اسم آخر له كعادة القدماء في تسمية كتبهم بأسماء متعددة وانظر ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) الآية في (ط) محرفة : (وهو الذي يميتكم ثم يحييكم) .

الثانى : لا يكون الطباق إلا بالأضداد ، والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها [١] .

وقد ورد فى أشعار العرب والمتأخرين أبيات كثيرة يتضمن البيت منها مقابلتين وطباقين .. فمن ذلك قول الحارث بن حِلِّزة [٢] :

بأنَّـا نُـورِدُ الرَّايَـاتِ بِـيضًا ونُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَـدْ رَوِينـا

ومن ذلك قول بعض المتأخرين :

فَأَوْرَدَهَا بِيضًا ظِمَـاءً صُدُورُهـا وَأَصْدَرَها بِالرِّىِّ أَلْوَانُهَا حُمْرُ [٣]

قال ابن الأثير فى جامعه [٤] : إن الطباق أحد أنواع المقابلة ؛ لأنه لا يخلو الحال فى ذلك من ثلاثة أقسام : إما أن يقابل الشيء بضده أو بغيره أو بمثله وليس لنا قسم رابع . فأما الأولَ : وهو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض وما أشبه ذكل كقوله تعالى : ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرًا ﴾ [سورة التوبة : ٨٢]
١٤٩ ألا ترى إلى صحة هذه المقابلة البديعة حيث قابل / الضحك بالبكاء والقليل بالكثير . وكذلك قوله تعالى : ﴿ لكيلا تأسَوا على مافاتكم ولا تفرَحوا بما آتاكم ﴾ [سورة الحديد : ٢٣] وهذا (من) [٥] أحسن ما يجيء فى هذا الباب . وقد قال رسول الله ﷺ : « خير المال عين ساهرة لعين نائمة » [٦] . ومن هذا قول بعضهم [٧] فى السحاب :

---

(١) انظر تحرير التحبير : ١٧٩ ، وبديع القرآن : ٣١ .

(٢) كذا في ط . وسبق بيان أنه وهم من المؤلف ص ٣٠٣ . وهو فى حلية المحاضرة : ف ٢١ .

(٣) سبق ص ٣٠٣ .

(٤) الجامع الكبير : ٢١٢ .

(٥) زيادة من الجامع .

(٦) لم أتمكن من العثور عليه في دواوين السنة المطهرة . وهو في الصناعتين : ٣١٨ ، والمجازات النبوية للشريف الرضى : ٧٩ ، والنهاية لابن الأثير : ١٩٦/٢ ، والفائق للزمخشرى : ٦٢٨/١ ، والمثل السائر : ١٤٤/٣ ، والجامع الكبير : ٢١٢ .

والمراد بالعين الساهرة : عين الماء ينام صاحبها وهي تسقى أرضه .

(٧) هو الحسين بن مُطَيِّر الأسدى الشاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية توفي ١٦٩ هـ .

وَلَـه بِـلا حُـزْنٍ وَلا فَـرَحٍ ضَحِكٌ يُراوَحُ بَيْنَه وَبُكَـاءُ [١]

فقابل الضحك بالبكاء والحزن بالسرور فى بيت واحد ، إلا أن فى ذلك نظراً من حيث ترتيب التفسير لا من حيث المقابلة ؛ لأن ترتيب التفسير يقتضى أَنْ كان قال : « بلا حزن ولا مسرة بكاء يراوح بينه وضحك » وهذا لا كبير عيب فيه . وإنما الأولى والأليق ما أشرنا إليه فاعرفه . وقال آخر :

فَلا الْجُودُ يُفْنِى المالَ والجَدُّ مُقْبِلُ وَلا الْبُخْلُ يُبْقِى المالَ والجَدُّ مُدْبِرُ [٢]

ومثله قول البحترى :

وَأُمَّةٌ كَانَ قُبْحُ الْجَوْرِ يُسْخِطُهَا دَهْرًا فَأَصْبَحَ حُسْنُ الْعَدْلِ يُرْضِيها [٣]

فقابل القبح بالحسن والجور بالعدل والسخط بالرضا وذلك بديع فى بابه فاعرفه .

وأما القسم الثانى : وهو مقابلة الشيء بغيره فهو ضربان : أحدهما ما كان بين المقابل والمقابل له مناسبة وتقارب كقول بعضهم [٤] :

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْم مَغْفِرَةً وَمِنْ إسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إحْسَانًا [٥]

---

(١) ديوانه : ٢٨ ، ونقد الشعر : ١٣٦ ، والصناعتين : ٣٢٢ ، والجامع الكبير : ٢١٢ ، وتحرير التحبير : ١٨٥ . وبعض هذه المصادر أورد البيت بلفظ (فله) وبعضها (وَلَهُ) وأخرى (وَلَهٌ) بتنوين الهاء ، وهكذا ضبطها فى (ط) . وهو خطأ والصواب عدم التنوين على أنّ (لهُ) جار ومجرور خبر مقدم ، وقوله (ضحكٌ) فى عجز البيت مبتدأ مؤخر ، والضمير فى (له) يعود على ذكر المطر فى الأبيات السابقة على هذا البيت وقد وصف فيها البرق المصاحب لهذا المطر ، وجعله ضحكًا له وسعادة ، وجعل انهمار المطر دمعًا وحزنًا ، فجمع فى آنٍ واحد فى وصف المطر بين الحزن والسرور حيث قال :

مستضحك بلوامـع ، مستـعبر بمدامـع لم تمرهـا الأقـذاء

وبعده البيت الذى معنا . ورواية المصادر السابقة (ولا بمسرة) بدلاً من (ولا فرح) والمعنى يختلف على هذه .

(٢) في الصناعتين : ٣٢٤ ، والمثل السائر : ١٤٧/٣ ، والجامع الكبير : ٢١٣ بغير نسبة فيها .

(٣) ديوان البحترى : ٢٤٢١/٤ ، والجامع الكبير : ٢١٣ من قصيدته في مدح المتوكل ووصف البِرْكة .

(٤) هو قُرَيْط بن أُنَيْف من قبيلة بَلْعَنْبر . شاعر إسلامى .

(٥) ديوان الحماسة ٥٨/١ ، والصناعتين : ٣٢٥ ، والجامع الكبير : ٢١٣ ، والمثل السائر : ١٥٣/٣ وهو يذم قومه ويصفهم بالجبن والخور .

والظلم ليس ضد المغفرة وإنما هو ضد العدل ، إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل مناسبة له حسنت المقابلة بينها وبين الظلم وأمثال هذا كثير .

وأما القسم الثانى أن يقابل الشيء بالشيء وبينهما بُعدٌ ولا يناسبه بحال من الأحوال . أقول : وذلك لا يحسن استعماله فى التأليف . ومما جاء منه قول بعضهم :

أَم هَلْ ظَعائِـنُ بالْعَلْيَـاءِ رَافِعَـةً   وَإن تَكَامَلَ مِنْها الدَّلُّ والشَّنَب [1]

فإن ذلك غير مناسب لأنه إنما كان يحسن أن يكون مع الدل الغُنْج [1] أو ما قاربه ، ومع الشنب اللَّعَس أو ما يجرى مجراه من أوصاف الثغر والفم .

وأما الثالث فهو أن يقابل الشيء بمثله وهو ضربان : أحدهما : التقابل فى اللفظ والمعنى . والآخر : التقابل فى المعنى دون اللفظ ، أما التقابل فى اللفظ والمعنى فكقوله تعالى : ﴿ ومَكَرُوا مَكْرًا ومَكَرْنا مَكْرًا ﴾ [سورة النمل : ٥٠]

١٥٠ وقوله / تعالى : ﴿ نسوا [2] الله فَنسِيَهُم ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] .

وأما التقابل فى المعنى دون اللفظ فهى مقابلة الجملة بمثلها مستقبلة كانت أو ماضية . فإن كانت ماضية قوبلت بالماضية وإن كانت مستقبلة قوبلت بالمستقبلة ، وربما قوبل الماضى بالمستقبل ، والمستقبل بالماضى ، وذلك إذا كان أحدهما فى معنى الآخر . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ قل إن ضَلَلْتُ فإنما أَضِلُّ على نفسى وإن اهتديتُ فبما يُوحِى إلَىَّ ربى ﴾ [سورة سبأ : ٥٠] فإن هذا تقابل من جهة المعنى ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال : وإن اهتديت فإنما اهتديت لها .

وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى أن النفس كل ما هو عليها فهو بها . أعنى أن كل ماهو وبالٌ عليها وضار لها فهو بسببها ومنها ؛ لأنها أمارة بالسوءِ ، وكل ماهو لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه إياها . وهذا حكم عام

---

(١) انظر ماسبق : ص ١٩١ ، ٣٠٨ .

(٢) ط : (فنسوا) وهو وهم .

لكل مكلّف . وإنما أمر رسول الله ﷺ أن يسند إلى نفسه ؛ لأن الرسول إذا دخل تحته مع علو محله وسداد طريقته كان غيره أولى به .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : ﴿ ألم يَروا أنا جعلنا الليلَ ليسكنوا فيه والنهار مُبصرًا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ [سورة النمل : ٨٦] فإنه لم يراع التقابل فى قوله : « ليسكنوا فيه والنهار [1] مبصرًا » ؛ لأن القياس يقتضى أن يكون « والنهار ليبصروا فيه » . وإنما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ . وهكذا النظم المطبوع الغير المتكلف ؛ لأن معنى قوله ﴿ مُبصِرًا ﴾ : ليبصروا فيه طرق التقلب فى الحاجات .

ومن مقابلة الشىء بمثله أنه إذا ذكر المؤلف ألفاظا تقتضى جوابا فالمرضىّ عندنا أن يأتى بتلك الألفاظ فى الجواب من غير عدول عنها إلى غيرها مما هو فى معناها . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مِثْلُها ﴾ [سورة الشورى : ٤٠] .

ومما عيب فى هذا الباب قول بعضهم : « من اقترف ذنبا عامدًا أو اكتسب جرمًا قاصدًا لزمه ما جناه ، وحاق به ما توخّاه » . والأليق أن كان قال : « لزمه ما اقترف ، وحاق به ما اكتسب » ؛ ليكون أحسن طباقًا وإن كان ذلك جائزًا فى الكلام من حيث إن معناه صواب [2] لكنه عدول عن الأليق الأَوْلَى في هذا الباب . وأمثاله كثيرة فاعرفها .

واعلم أن فى تقابل المعانى بابا عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمر وزيادة نظر وتدبر ، وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور وبالأعجاز من أبيات الشعر . فمما جاء من ذلك قوله تعالى فى حق المنافقين « وإذا قيل لهم لا تفسدوا

---

(١) ط (ليسكنوا فيه فيه) .
(٢) ط (صوابا) وهو خطأ .

فى الأرض قالوا ﴾ إلى قوله : ﴿ ولكن لا يشعرون ﴾ [سورة البقرة : ١٢] . وقوله
١٥١ تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم آمِنوا كما آمَن الناسُ قالوا ﴾ [سورة :] / إلى قوله تعالى :
﴿ ولكن لا يعلمون ﴾ [سورة البقرة : ١٣] ألا ترى كيف فصل الآية الأخيرة
بيعلمون ، والآية التى قبلها بيشعرون ، وإنما فعل ذلك لأن أمر الديانة والوقوف
على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب
الناظر المعرفة والعلم ولذلك قال : « ولكن لا يشعرون » . وأما النفاق وما فيه
من المعنى المؤدى إلى الفتنة والفساد فى الأرض فأمر دنيوى مبنى على العادات
معلوم عند الناس خصوصًا عند العرب وما كان فيهم من التجارب والتعاون فهو
كالمحسوس عندهم فلذلك قال : « يشعرون » [1] وأيضًا فإنه لما ذكر السفه فى
الآية الأخيرة وهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقًا فقال : « لا يعلمون » .

وآيات القرآن العظيم جميعها فصلت هكذا كقوله تعالى : ﴿ ألم ترَ أنّ اللهَ
أنزل من السماءِ ماءً فتُصبحُ الأرضُ مخْضَرّةً إن اللهَ لطيفٌ خبيرٌ ﴾ [سورة
الحج : ٦٣] وقوله : ﴿ له ما فى السموات وما فى الأرض وإنّ اللهَ لهو الغنىُّ
الحميدُ ﴾ [سورة الحج : ٦٤] وكقوله : ﴿ ألم تر أنّ اللهَ سخّرَ لكم ما فى
الأرض [2] والفلكَ تجرى فى البحر بأمرِهِ ويمسك السماء أن تقَعَ على الأرض
إلا بإذنهِ إنّ اللهَ بالناسِ لرؤفٌ رحيمٌ ﴾ [سورة الحج : ٦٥] فإنه إنما فصلت الآية
[الأولى] [3] بلطيف خبير ؛ لأن ذلك فى موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث ،
وإخراج النبات من الأرض ، ولأنه خبير بمنفعتهم ومضرتهم فى إنزال الغيث
وغيره . وأما الآية الثانية فإنما فصلت بغنى حميد ؛ لأنه له مافى السموات وما فى
الأرض ، فعرف الناس أن جميع ما فى السموات وما فى الأرض له لا حاجة ،

---

(١) ط : (يعلمون) والتصويب من الجامع .

(٢) كانت الآية (مافي السموات ومافي الأرض) وهو وهم .

(٣) بين المعقوفين زيادة عن الجامع .

بل غنيّ عنها جواد بها ، لأنه ليس (كل) [١] غَنِيٌّ نافعًا بغناه إلا إذا كان جوادًا منعمًا . وإذا جاد وأنعم حمده المنعَمُ عليه واستحق عليه الحمد ؛ فذكر « الحميد » ليدل على أنه الغنى النافع بغناه خَلْقَهُ .

وأما الآية الثالثة فإنها فصلت برؤف رحيم ؛ لأنه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير مافى الأرض لهم ، وإجراء الفلك فى البحر لهم ، وتسييرهم فى ذلك الهول العظيم ، وجعله السماء فوقهم وإمساكه إياها عن الوقوع ، حسن أن يفصل ذلك بقوله : « رؤوف رحيم » [٢] .

* * *

(١) زيادة من الجامع .

(٢) نهاية النقل عن الجامع الكبير : ٢١٦ .

/ القسم التاسع والعشرون

الاحتراس (*)

وهو أن يذكر لفظًا ظاهره الدعاء بالخير والنفع وذلك بما فى ضمنه مما يوهم الشر ، فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهم وتدفع ذلك الوهن . مثل قوله تعالى : ﴿ يُكَلِّمُ النّاسَ فى الْمَهْدِ وكَهْلاً ﴾ [سورة آل عمران : ٤٦] وكان فى العادة أن من تكلم فى المهد لا يعيش ولا يتمادى به العمر فحصل الاحتراس بقوله تعالى : « وَكَهْلا » يريد أنه ليس يموت عاجلاً كأمثاله ممن تكلم فى المهد بل يعيش إلى أن يبلغ الكهولة . ومنه قوله تعالى : ﴿ وأَدْخِلْ يدكَ فى جيبكَ تخرجْ بيضاء من غير سوءٍ ﴾ [سورة النمل : ١٢] أزال بقوله : « من غير سوء » توهم أن بياض اليد من برص وغيره .

وقد ورد فى أشعار العرب من هذا كثير . من ذلك قول بعضهم (١) :

فَسَقَى دِيارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِها صَوْبُ الرَّبيعِ ودِيمَةٌ تَهْمِى (٢)

(*) فى الاحتراس انظر بديع ابن منقذ : ٥٥ ، وتحرير التحبير : ٢٤٥ ، وبديع القرآن : ٩٣ ، وقد فرق ابن أبي الأصبع بين الاحتراس والتكميل والتتميم ، وعاب علي ابن رشيق جعله الاحتراس نوعًا من أنواع التتميم ، وانظر البحر المحيط (٢٣٦/٦) فى تفسير قوله تعالى من سورة طه (بيضاء من غير سوء) .

(١) هو طرفه بن العبد البكرى الشاعر الجاهلى الفحل صاحب المعلقة الشهيرة ولد ببادية البحرين وقتله الملك عمرو بن هند ملك الحيرة ، قيل مات وهو ابن عشرين أو ست وعشرين .

(٢) ديوانه ، والبيان والتبيين : ٢٢٨/١ ، والصناعتين : ٤٠٥ ، وحلية المحاضرة ف ٤١ ، والعمدة : ٥٠/٢ ، وعزاه ابن منقذ في بديعه : (٥٦) إلى عدى بن الرقاع .

فاحترس بقوله : « غير مفسدها » ؛ لأن تكرار الماء على الديار مما يوجب الدمار .. وقال آخر [١] :

أَلا يَا اسْلَمِى يَادارَمَىَّ عَلَى البِلا وَلا زَالَ مُنْهَلاً بِجَرْعائِكِ الْقَطْرُ [٢]

فاحترس بقوله : « ألا يا اسلمى » ومثله فى القرآن والشعر كثير .

* * *

(١) هو ذو الرُّمَّة .

(٢) ديوانه ٢٩٠ ، والصناعتين : ٤٠٥ ، وحلية المحاضرة ف ٤١ ، والعمدة : ٢/٥١ ، وبديع ابن منقذ : ٥٦ . وكان في (ط) : فا اسلمى . وأظنه من التصحيف .

القسم الموفي ثلاثين

الاختصاص (*)

وهو عند الأصوليين التخصيص . واختلفت فيه عبارات أهل العلم . فقال بعضهم : هو إخراج صورة من حكم كان يقتضيها الخطاب به لولا التخصيص .

وهو شبيه بالنسخ من حيث اشتراكهما فى اللبس ومن حيث إن كل واحد منهما يقتضى اختصاص الحكم ببعض ما تناوله اللفظ إلا أنهما يفترقان من وجوه خمسة [1] :

١٥٣ **الأول** : أن الناسخ أبدًا / لا يكون إلا متأخراً عن المنسوخ . كذا وقع فى جميع ما نسخ من الكتاب والسنة إلا فى آيتين . إحداهما قوله تعالى : ﴿ متاعًا إلى الحول غيرَ إخراج ﴾ [2] [سورة البقرة : ٢٤٠] فإنها منسوخة بما قبلها

(*) اشتهر عند المتأخرين أن الاختصاص هو الحصر . وقد فرق بينهما تقي الدين السبكى في كتاب له بعنوان « الاقتناص أو الاقتصاص بين الحصر والاختصاص » ، وأن الفرق بينهما أن الحصر نفي غير المذكور وإثبات المذكور ، والاختصاص : قصد الخاص من جهة خصوصه . وبيان ذلك أن الاختصاص افتعال من الخصوص « والخصوص مركب من شيئين أحدهما عام مشترك بين شيئين أو أشياء . والثانى : معنى منضم إليه يفصله عن غيره ، كضَرْب زيدٍ فإنه أخص من مطلق الضرب ، فإذا قلت : ضربت زيدًا أخبرت بضرب عام وقع منك على شخص خاص ، فصار ذلك الضرب المخبر به خاصًا لما انضم إليه منك ومن زيد » الإتقان : ١٥٧/٣ ، ومعترك الأقران : ١٩١/١ .

وعليه فالاختصاص لاتعرض فيه بالإثبات أو النفي لغير المذكور وهو ما يتميز به « الحصر » وعليه فكل حصر اختصاص ، وليس كل اختصاص حصرًا .

وقد جرى على ذلك – هنا – ابن النقيب حيث جعل ما اشتهر عندنا باسم (الحصر) من أنواع « الاختصاص » ولم يقتصر عليه بل زاد علي ذلك أنواعا أخرى غير هذا الباب . فليتنبه إلى ذلك حتي لا يتوجه على المؤلف الطعن بإدخال أشياء ليست من باب الحصر فيه .

(١) انظر المحصول للرازى : الجزء الأول ق « ٣ » ، ص ١٠ .

(٢) يقول تعالى : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج ﴾ .

وهو قوله تعالى : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعةَ أشهر وعشرًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٤] . وهذا على خلاف الأصل وقد يعتذر عن هذا بأن آية الحول إنما نسخت بالسنة ، لكن لا يتأتى هذا إلا على قول من يقول أن السنة تنسخ الكتاب ، وأما على قول أنها لا تنسخه فلا يتأتى هذا . وقد يقال إن آية الحول نزلت قبل آية الْأَشْهُرِ ولكن آية الأشهر أثبتت فى الصحف قبلها فكان آية الحول متقدمة فى النزول متأخرة فى التلاوة .

الثانى : أن النسخ لا يكون إلا بخطاب رفع به حكم الخطاب الأول ، والتخصيص قد يقع بقول وفعل وقياس وغير ذلك .

الثالث : أن نسخ الشيء لا يكون إلا بما هو مثله فى القوة أو بما هو أقوى منه فى الرتبة . والتخصيص جائز بما هو دون المخصوص فى الرتبة .

الرابع : أن التخصيص لا يقع فى حكم واحد ، والنسخ جائز فى مثله ، لا سيما على أصل من ينفى نسخ الشيء قبل وقته .

الخامس : أن التخصيص ما أخرج من الخطاب ما لم يرد به ، والنسخ رافع ما أريد إثبات حكمه .

والذى اعتمد عليه المحققون أن التخصيص إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام أو ما يقوم مقامه بدليل منفصل فى الزمان إن كان المخصص لفظيًا أو بالحس إن كان عقليًا قبل تقرير حكمه .

فقولنا : « أو ما يقوم مقامه » احتراز من المفهوم فإنه يدخله التخصيص . وقولنا : « بالزمان » احتراز من المستثنى من الاستثناء . وقولنا : « بالحس » ؛ لأن العقلى المخصص مقارن . وقولنا : « قبل تقرير حكمه » احتراز من أن يعمل بالعام فإن الإخراج بعد هذا يكون نسخًا .

والتخصيص يسميه أرباب علم البيان الاختصاص عندهم [١] ولا يحسن إلا أن يكون اختصاص الشيء بمعنى ظاهر مثل قوله تعالى : ﴿ وأنه هو رب الشِّعْرى ﴾ [سورة النجم : ٤٩] اختصها دون سائر النجوم ؛ لأنها عبدت . وقيل إن النجوم تقطع السماء طولا وهى تقطعها عرضا . وقيل لأن المنجمين بطلوعها يتكلمون على المغيبات وما يحدثه الله فى ملكه من الكائنات وينسبون ذلك إلى طلوعها ، وأن هذه الحادثات فى كل عام من تأثيرها ؛ فردّ الله ذلك عليهم بإعلامنا بأنها مدبَّرة بتدبيره مقدَّرة بتقديره متصرفه بمشيئته إذ هو ربها ورب كل شيء ١٥٤ وهو على / كل شيء قدير .

ومن هذا النمط قوله تعالى : ﴿ فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورمانٌ ﴾ [سورة الرحمن : ٦٨] وهذا لا يتأتى إلا علي قول من يقول : إن الرمان والرطب فاكهة . وأما علي قول من يقول : إنهما ليسا من الفاكهة . فلا يكون من هذا النوع .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَن كان عدُوًّا للهِ وملائكتِهِ ورُسلِهِ وجبريلَ وميكالَ فإنّ الله عدُوٌ للكافرين ﴾ [سورة البقرة : ٩٨] أعاد الله ذكر جبريل وميكال مع أنهما من الملائكة بلا خلاف لخصوصية فيهما إما لأمر اختص بعلمه بهما اقتضى تخصيصهما ، أو لأن جبريل روح الله وأمينه على وحيه ، وميكال أمينه على خزائن فتحه ورحمته .

وفي أشعار العرب كثير من ذلك نحو قول الخنساء أخت صخر :

يُذَكِّرُنى طلوعُ الشمسِ صخـرًا ... وأندُبُـهُ لكـلِّ غـرُوبِ شمسِ [٢]

وإنما خصت هذين الوقتين لأن طلوع الشمس يذكرها بغارته على أعدائه ،

---

(١) لم أقف علي هذا المعنى لمصطلح « الاختصاص » فى أى من مصادر المؤلف المطبوعة ، وقد ورد مصطلح التخصيص عند الزنجانى في المعيار : ٦٥ ، ويريد به الحصر . وورد عند الرازى « الاختصاص والتخصيص » بمعنى الحصر أيضا . انظر نهاية الإيجاز : ٣٦٤ – ٣٧٢ .

(٢) ديوانها : ٨٤ (دار صادر) ، وتحرير التحبير : ٥٠٠ .

وغروبها يذكرها بإقرائه ضِيفَانِهِ ؛ فاختصت لهذين [١] الوقتين من بين سائر الأوقات بهذين المعنيين [٢] .

وعبارات التخصيص [٣] ثلاثة : الأولى : إنما جاءنى زيد . الثانية : جاءنى زيد لا عمرو . والثالثة : ما جاءنى إلا زيد .

(فيفهم من الأولى تخصيص مطلق المجيء ، أو تخصيص مجيء معين ظنه المخاطب مخصوصًا بغيره أو مشاركًا غيره فيه فأفاد إثباته لزيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة) [٤] . ومن الثانية فى دفعتين .

والثالثة بأصل الوضع تفيد نفي التشريك ؛ ولهذا لا يصح ما زيد إلا قائم لا قاعد ؛ لأنك بقولك : « إلا قائم » نفيت عنه كل صفة تنافى القيام فيندرج فيه نفى القعود فيقع « لا قاعد » تَكرارًا ، ويصح « إنما زيد قائم لا قاعد » ، فإن صيغة « إنما » موضوعة للتخصيص ويلزمه نفي الشركة فليس له من القوة ما [لما] [٥] يدل عليه بالوضع ؛ ولهذا يصح زيد هو الجائى لا عمرو .

فدلالة الأولين علي التخصيص أقوى ودلالة الثالثة علي نفي التشريك .

---

(١) كذا في ط .

(٢) يمكن أن يكون مراد الخنساء دوام ذكرها لأخيها وأنه ماثل أمام ناظرها لا تنساه من طلوع الشمس وحتى غروبها ، لا أنها أرادت أنها تذكره في هذين الوقتين بالتحديد ثم تنساه بينهما ثم تعود إلى ذكره معهما .

(٣) « التخصيص » – هنا – يريد به المؤلف معنى مصطلح « الحصر » وما سيسوقه من حديث عن الحصر أصله في المعيار للزنجانى : ٦٥ ، ٦٦ ، ونهاية الإيجاز للرازى : ٣٦٤ – ٣٦٧ . وكلاهما أصله عند الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز .

(٤) مابين القوسين كذا في (ط) ، والذي في مطبوعة المعيار : ٦٥ (من الأولي يفهم إيجاب الفعل من زيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة : ومن الثانية : دفعتين ، ثم إنهما كليهما قد يستعملان لإثبات التخصيص لا لنفى التشريك ، كما إذا عرف أنه جاءك إنسان ، وظُنَّ أنه عمرو ، فقلت : جاءنى زيد لا عمرو . وإذا قلت إنما جاءنى زيد فغرضك تخصيص ذلك المجيء بزيد لانفي التشريك) .

(٥) زيادة من المعيار .

وقد تذكر الثالثة فى مثل ما إذا ادعى واحد أنك قلت قولا ثم قلت ؛ بخلافه : فتقول : ماقلت إلا ماقلته قبل [١] . وعليه قوله تعالى : حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به ﴾ [سورة المائدة : ١١٧] ليس المعنى أنى لم أزد على ما أمرتنى به أن أقوله شيئًا ولكن المعنى أنى لم أدع مما أمرتنى به أن أقوله شيئا ولم يذكر ما يخالفه .

وحكم « غير » إذا وقع موقع « إلا » حكم « إلا » .

١٥٥ **وأما « إنَّمَا » فالاختصاص فيها يقع مع / المتأخر** ، فإذا قلت : إنما ضَرَبَ عمرًا زيدٌ فالاختصاص فى الضارب كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ﴾ [سورة فاطر : ٢٨] . وإذا قلت : إنما ضرب زيدٌ عمرًا . فالاختصاص فى المضروب . وإذا قلت : « إنما هذا لك » فالاختصاص فى « لك » بدليل « أنك تقول بعده : « لا لغيرك » وإذا قلت : « إنما لك هذا » فالاختصاص فى « هذا » بدليل أنك تقول بعده : « لا ذاك » قال الله تعالى : ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ [سورة الرعد : ٤٠] فإذا وقع بعدها الفعل فالمعنى أن ذلك الفعل لا يصح إلا من المذكور كقوله تعالى : ﴿ إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ [سورة لرعد : ١٩ ، وسورة الزمر : ٩]

وقد يجتمع [٢] معها حرف النفى إما متأخرًا كقولك : « إنما جاءنى زيد لا عمرو » ، وإما متقدما كقولك : « ما جاءنى زيد وإنما جاءنى عمرو » . فهناك لو لم تدخل « إنما » كان الكلام مع من ظن أيهما جاءك . وإن أدخلها كان الكلام مع من غلط فى الجائى . ولو قلت : « إن عمرًا جاءنى » فإن كانت المستغنى عنها فظهرت [٣] فائدة دخول « ما » على « إن » فى « إنما » .

---

(١) هنا شيء من الاختصار في النقل . ومعنى هذا التمثيل أن الصيغة الثالثة التي هي بأصلها لنفي التشريك قد تقام مقام الصيغتين الأوليين في إفادة التخصيص .

(٢) ط : (يجمع) وأثبتُّ لفظ المعيار .

(٣) كذا فى ط .

واعلم أن موضوع « إنما » أن يجيء فى أمر لا يدفع المخاطب صحته كقوله تعالى : ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون ﴾ [سورة الأنعام : ٣٦] أو ينزل بعده منزلته كقول الشاعر [١] :

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللّــ ـــهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ [٢]

فادعى كونه بهذه الصفة ما لا ينكره أحد . ومثله قوله تعالى حكاية عن اليهود ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ [سورة البقرة : ١١] الذى [٣] يدعون أنهم مصلحون أمر ظاهر معلوم فلذلك أكد الأمر فى الرد عليهم فجمع فيه بين « ألا » التي هي للتنبيه و « إن » التي هي للتحقيق « وهم » التى هى للتأكيد فقال : ﴿ ألا إنهم هم المفسدون ﴾ [سورة البقرة : ١٣]

وقال ابن الأثير [٤] : وهم يَرَوْنَ بالتخصيص فى إعمال العام فى النفي ، والخاص فى الإثبات [٥] . مثال ذلك الحيوانية والإنسانية فإن إثبات الإنسانية

---

(١) هو عبد الله بن قيس الرُقَيَات شاعر قريش في العصر الأموي . وقيل اسمه عبد الله . وسمى بالرقيات لأنه تغزل بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية توفي نحو ٨٥ هـ .

(٢) ديوانه : ٩١ ، والصناعتين : ١٠٤ ، والعمدة : ٧١/١ ، ونهاية الإيجاز : ٣٦١ والمعيار : ٦٥ .

(٣) كذا فى (ط) ، ولعل صوابها : (الذى يدعونه) فيكون قوله بعدها (أنهم مصلحون) عطف بيان ، وقوله (أمر ظاهر) خبر المبتدأ (الذى يدعونه) .

(٤) انظر المثل السائر : ٢٠٣/٢ - ٢٠٤ - النوع الثامن من الصناعة المعنوية في استعمال العام في النفي والخاص في الإثبات . وانظر : الجامع الكبير : ١٦٩ .

(٥) كذا في (ط) ، وأما عبارة المثل السائر : (اعلم أنه إذا كان الشيئان أحدهما خاصًا ، والآخر عامًا ، فإن استعمال العام في حالة النفي أبلغ من استعماله في حالة الإثبات . وكذلك استعمال الخاص في حالة الإثبات أبلغ من استعماله في حالة النفي . ومثال ذلك ... الخ) .

وقد صاغ ذلك السيوطيّ في عبارة مركزة فقال : (قاعدة : نفي العام يدل على نفي الخاص ، وثبوته لا يدل على ثبوته . وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام . ونفيه لايدل على نفيه) الإتقان : ٢٣٢/٣ .

يوجب إثبات الحيوانية ولا يوجب نفيها نفي الحيوانية ، وكذلك نفي الحيوانية يوجب نفى الإنسانية ولا يجب من إثباتها إثبات الإنسانية .

ومما يدخل فى هذا الباب الأسماء المفردة الواقعة على الجنس الذي يكون الفرق بينها وبين واحدها تاء التأنيث ، فإنه متى أريد النفى كان استعمال واحدها أبلغ ومتى أريد الإثبات كان استعمالها فى الجنس أبلغ .

فالأول [و] [1] هو الخاص والعام نحو قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذى اسْتَوْقَدَ نارًا فلمّا أضاءت ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بنورهم ﴾ [سورة البقرة : ١٧] ولم يقل : / بـ « بضوئهم » ؟ لأن ذكر النور فى حالة النفى أبلغ [2] من حيث إن الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة فلو قال : « ذهب الله بضوئهم » كان المعنى يعطى نفى تلك الزيادة وبقاء ما يسمى نورًا ؛ لأن الإضاءة هى فرط الإنارة . دليله قوله تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمسَ ضياءً والقمرَ نورًا ﴾ [سورة يونس : ٥] فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءًا . والغرض من قوله « ذهب الله بنورهِم » إنما هو إزالة النور عنهم رأسًا فهو إذا أزاله فقد أزال الضوء . وكذلك قوله تعالى : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ ولم يقل : « أذهب الله نورهم » ؛ لأن كل من ذهب بشيء فقد أذهبه وليس كل من أذهب شيئًا ذهب به ؛ لأن ذهاب الشيء هو استصحابٌ له ومضى به ، وفى ذلك نوع احتياز للمذهوب به وإمساك له عن الرجوع إلى حالته والعود إلى مكانه . وليس كذلك الإذهاب للشيء لزوال معنى الاحتياز .

١٥٦

وهذا كلام دقيق يحتاج إلى زيادة تأمل وإنعام نظر فافهمه وقس عليه ما أشبهه وبالله التوفيق [3] .

* * *

---

(١) الواو بين المعقوفين زيادة من المثل السائر .

(٢) وانظر مايأتى فى القسم الخامس والخمسون « النفى والإثبات » ، ص ٣٨٠ .

(٣) هذا ماذهب إليه ابن الأثير ، وقد نقض ذلك ابن أبى الحديد وذهب إلى أنه لا فارق فى المعنى بين (ذهب الله بنورهم) و (أذهب الله نورهم) . انظر تفصيل ذلك فى الفلك الدائر على المثل السائر : ٢٣٤ « ملحق بالقسم الرابع من المثل السائر » .

القسم الحادى والثلاثون

الاختراع (*)

قال علماء عم البيان : « الاختراع : هو أن يذكر المؤلف معنًى لم يسبق إليه [١] .

واشتقاقه من التليين والتسهيل يقال : نبت خَرِعٌ إذا كان ليِّنا ، فكأن المتكلم سهَّل طريقه حتى أخرجه من العدم إلى الوجود .

ومنه فى القرآن كثير .. من ذلك قوله تعالى : ﴿ إن الذين تَدْعونَ من دُون اللهِ لنْ يَخلُقوا ذُبابًا ولو اجتمعوا له وإنْ يَسْلُبْهُمُ الذبابُ شيئًا لايستنقذوهُ منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب ﴾ [سورة الحج : ٧٣] ولم يُسمع بمثل هذا التمثيل البديع لأحد قبل نزول القرآن ولو سُمع لكان القرآن سابقًا ولا يكون مثله ولا قريبًا منه ، وكذلك جميع أمثال القرآن ليس لها أمثال .

ومثال ذلك من السُنة النبوية قوله ﷺ : « حَمِىَ الوطيس » [٢] فإن رسول الله ﷺ أول من تكلم بهذا حين قدّم المسلمون خالد بن الوليد فى غزوة مؤتة حين حمل خالد فى العدو / « والوطيس » هو التنور فعبر بشدة حميه ووقوده ١٥٧

(*) فى الاختراع انظر العمدة : ٢٦٥/١ ، وتحرير التحبير : ٤٧١ ، وبديع القرآن : ٢٠٠ ، وليس صحيحاً أن بحث الكتاب الذى بين أيدينا لهذا الفن مما انفرد به – كما ذهب الدكتور أحمد مطلوب فى (معجم المصطلحات البلاغية ٦٨/١) فهذه المادة منقولة عن ابن أبى الإصبع .

(١) انظر تحرير التحبير : ٤٧١ .

(٢) سبق فى قسم التمثيل .

عن شدة الحرب واتقادها واتقاد نارها حين حمل خالد بن الوليد رضى الله عنه . ومن ذلك قوله ﷺ : « السعيد من وُعظ بغيره » [1] ومن ذلك قوله ﷺ « أما بعد » [2] ومثل هذه الكلمات فى السُنة كثير وليس هذا موضع إحصائها ولا محل استقصائها .

* * *

---

(١) رواه مسلم (٢٠٣٧/٤) - كتاب القدر (٤٦) - باب كيفية الخلق الآدمى (١) - حديث ٢٦٤٥ من حديث ابن مسعود : (الشقى من شقى فى بطن أمّه والسعيد من وُعظ بغيره) . وانظر الأسرار المرفوعة : ٢١٦ .

(٢) صحيح مسلم (٥٩٣/٢) ، كتاب الجمعة (٧) ، باب تخفيف الصلاة والخطبة (١٣) ، حديث رقم ٤٦ .

القسم الثانى والثلاثون

الهـــدم (*)

وهو أن يأتى غيرك بكلام تضمن معنًى فتأتى أنت بضده فكأنه قد هدم ما بناه المتكلم الأول كقول أبى تمام :

وَبِرُوحِيَ الْقَمَرَ الـذِى بِمُحَجَّـرٍ أَضْحَى مَصُونًا لِلنَّوَى مَبْذولا (١)

هدمه بعض الشعراء فقال :

وَبِرُوحِيَ الْقَمَرَ الذى لم يُبْتَذَلْ بَل حَلَّ وَسْطَ الْقَلْبِ لا بِمُحَجَّرِ

وقال البَلاذُرِىّ (٢) :

قَدْ يَرْفَعُ المْرءُ اللّئِيمُ حِجَابَـهَ ضَعَةً ودُونَ الْعُرْف منْهُ حجَابُ (٣)

هدمه الآخر فقال :

مَـلِكٌ أَغَـرُّ مُحَــجَّبُ مَعْرُوفُهُ لا يُحْجَبُ (٤)

(*) فى « الهدم » انظر بديع ابن منقذ : ١٩٠ ولم يعرِّفه ، وبين هذا الباب وباب الاحتجاج النظرى الذى سبق تقارب كبير . وانظر ما يأتى بهامش الصفحة التالية .

(١) ديوانه (١٦٧/٣) شرح التبريزى . وروايته (وبنفسى ... أضحى) .
ومُحجَّر : بالتشديد . اسم موضع بعينه ، والأصمعى يقوله بكسر الجيم وغيره يفتح . (لسان العرب مادة حجر) .

(٢) هو أحمد بن يحيى مؤرخ جغرافى نسابة له شعر . من أهل بغداد . ونسبته إلى حب البَلاذُر . قيل إنه أكل منه فأصيب بذهول يشبه الجنون إلى أن توفى . وله من الكتب فتوح البلدان وأنساب الأشراف وغيرها . توفى سنة ٢٧٩ هـ .

(٣) بديع ابن منقذ : ١٩٠ ، وكان فى (ط) : (وقد) بزيادة الواو . وهذه الحركة تحول شطر البيت من الكامل إلى الطويل .

(٤) بديع ابن منقذ : ١٩٠ دون عزو .

ومنه فى كتاب الله العزيز كثير من ذلك قوله تعالى : ﴿ وقالتِ اليهودُ والنصارى نحنُ أبناءُ اللهِ وأحباؤهُ ﴾ [سورة المائدة : ١٨] هدمه الله تعالى بقوله : ﴿ واللهُ لا يحبُ الظالمين ﴾ (١) [سورة آل عمران : ١٤٠] . وقوله : ﴿ مااتخذَ اللهُ من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ ﴾ [سورة المؤمنون : ٩١] وقوله تعالى : ﴿ فلِمَ يُعذِّبُكم بذنُوبكم ﴾ [سورة المائدة : ١٨] تقديره : إن كنتم فيما ادعيتم صادقين فلم يعذبكم بذنوبكم . ومنه قوله تعالى : ﴿ وقالتِ اليهود عزيرٌ ابنُ الله وقالت النصارى المسيحُ ابنُ الله ﴾ [سورة التوبة : ٣٠] هدمه الله عليهم بقوله : ﴿ ذلك قولُهُم بأفواهِهِم ﴾ [سورة التوبة : ٣٠] وقوله : ﴿ ما اتخذ اللهُ من وَلد ﴾ [سورة المؤمنون : ٩١] ومنه قوله تعالى : ﴿ إذا جاءكَ المنافقون قالوا نشهدُ إنك لرَسُولُ اللهِ ﴾ [سورة المنافقون : ١] هدمه الله بقوله : ﴿ واللهُ يَشهدُ إن المنافقين لكاذبون ﴾ [سورة المنافقون : ١] .. ومثله فى القرآن الكريم كثير وفى الشعر هو كثير أيضًا .

* * *

(١) قولُه تعالى : ﴿ والله لايحب الظالمين ﴾ فى سياق قوله تعالى : ﴿ إن يمسسكم قرحٌ فقد مسّ القوم قرح مثله . وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٠] وجَعْلُه (هدمًا) لقوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ فيه إبعادٌ إِىُّ إبعاد ! وإنْ كان اليهود والنصارى داخلين تحت عموم الظالمين . وفى ما ساقه المؤلف من عجُز الآية ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ ، وما بعدها « ﴿ بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير ﴾ [سورة المائدة : ١٨] أبلغُ هدم لدعواهم . وهذا المثال داخل فى باب الاحتجاج النظرى الذى سبق . وبين البابين تقارب كبير .

/ القسم الثالث والثلاثون ١٥٨

الاستفهام (*)

وهو على قسمين : استفهام العالم بالشيء مع علمه به . ومراده بذلك معان ستة :

الأول : التقرير ومرادك باستفهامك عن ذلك الشيء أن يُقِرَّبه الفاعل كقوله تعالى حكاية عن قوم نمروذ ﴿ ءأنت فعلت هذا بآلِهتنا يا إبراهيم ﴾ [سورة الأنبياء : ٦٢] ولا شبهة أنه ليس غرضهم أن يقر لهم بوجود كسر الأصنام ولكن غرضهم أن يقرّ بأن ذلك منه لامن غيره (١) .

الثاني : يراد به الإنكار (٢) وهو كقوله تعالى : ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين ﴾ [سورة الإسراء : ٤٠] وقوله تعالى : ﴿ أصطفى البنات على البنين ﴾ [سورة الصافات : ١٥٣] والإنكار هاهنا فى نفس الفعل أنكر الله عليهم كونهم جعلوا الملائكة إناثًا وقالوا هم بنات الله تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ آللهُ أَذِنَ لكم أم على الله تَفترُون ﴾ [سورة يونس : ٥٩] المقصود إنكار أصل الإذن لا إنكار أنه كان من غير الله وأضافوه إلى الله . وكذلك قوله تعالى : ﴿ آلذَّكَرينِ حَرَّم أم الأنثيين ﴾ [سورة الأنعام : ١٤٣] تقديره

(*) اعتماد المؤلف – هنا فى النقل – على نهاية الإيجاز للرازى ٣٠٠ ، وهو مختصر من كلام الشيخ عبد القاهر فى دلائل الإعجاز ، وانظر المعيار : ٤٢ – ٤٤ .

(١) انظر نهاية الإيجاز : ٣٠٠ ، ودلائل الإعجاز : ١١٣ ، والمعيار : ٤٢ .

(٢) انظر دلائل الإعجاز : ١١٤ – ١٢٣ ، ونهاية الإيجاز : ٣٠١ – ٣٠٥ .

لو وُجد [١] التحريم لكان محرمًا إما ذا أو ذاك ثم يستدل (ببطلان القسمين على بطلان أصل التحريم) [٢] . ومثله قولك للرجل الذى يدعى أمرًا وأنت تنكره : متى كان هذا أفى ليل أو نهار [٣] ؛ وتقديره : لو كان لكان إما فى ليل وإما فى نهار ، ولما لم يوجد فيهما ثبت أنه ليس بموجود أصلاً . فكذلك تقول فى الآية فإنها نفى لأصل الإذن لنفى أقسامه وذلك أبلغ فى النفى . وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَنُلْزِمُكُموها وأنتم لها كارهون ﴾ [سورة هود : ٨] حصل الإنكار هاهنا بنفس الإلزام [٤] . وكذلك قول الشاعر :

أيقتُلُنى والمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِى [٥]

واعلم أن الاستفهام بمعنى الإنكار حاصله راجع إلى تنبيه [٦] السامع على فساد ذلك الشىء حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتد عنه فعلى هذا لا يتصور [٧] إلا بالمحال على سبيل أن يقال له : « أنت فى دعواك كمن يدعى المحال » . وعلى هذا جعل قوله تعالى : ﴿ أفأنت / تُسمِعُ الصمّ أو تهدى العُمْىَ ﴾ [سورة الزخرف : ٤٠] وليس إسماع الصم مما يدعيه أحد فيكون ذلك للإنكار [٨] وإنما المعنى فيه تنزيل من يحاول إسماعهم منزلةَ من يحاول إسماع ١٥٩

---

(١) ط : (وجدتم) . وأثبتّ لفظ نهاية الإيجاز .

(٢) مابين القوسين كان فى ط : (ببطلان الأصلين على بطلان القسمين على بطلان أصل التحريم) وصححتها من نهاية الإيجاز : ٣٠٢ .

(٣) ط : (أم) وصححتها من نهاية الإيجاز .

(٤) عبارة نهاية الإيجاز : ٣٠٢ (ليس المعنى أنّا لسنا بمثابة من يجىء منه هذا الإلزام وأن غيرنا يفعل ذلك جل الله وتعالى بل المعنى إنكار أصل الإلزام) .

(٥) صدر بيت لامرىء القيس . وعجزه : (ومسنونة زرق كأنياب أغوال) وقد سبق فى قسم التشبيه . وكان فى (ط) : (أتقتلنى) بالتاء المثناة من فوق .

(٦) ط : تثبيت . والتصويب من نهاية الإيجاز : ٣٠٣ .

(٧) لفظ نهاية الإيجاز : (لا يقرر) .

(٨) كان فى (ط) : (لذلك الإنكار) ، ونهاية الإيجاز (ذلك الإنكار) ، وأثبتُّ لفظ دلائل الإعجاز : ١٢٠ .

الصم . وإنما قدم الاسم فى هذه الآية ولم يقل : « أفتُسمع الصم » لمعنًى وهو اختصاصه ﷺ كأنه تعالى قال له ﷺ آأنت [١] - خصوصًا - تظن أنك تقدر على إسماعهم فتكونَ بمنزلة من ظن أن لنفسه قدرة على إسماع الصم .

واعلم أن حال المفعول فى ذلك كحال الفاعل فإذا قدّمت المفعول توجه الإنكار إلى كونه بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل ، فإذا قلت : أزيدًا تضرب ؟ كان على هذا الحكم ؛ ولهذا قدّم « غير » فى قوله تعالى : ﴿ قل أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ [سورة الأنعام : ١٤] ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَبَشَرًا منا واحدًا نَتَّبِعُهُ ﴾ [سورة القمر : ٢٤] وقد تقدم بيانه فإنهم بنوا كفرهم على أن البشر ليس بمثابة أن يتبع ويطاع .

واعلم أن صيغة المستقبل إما أن يكون الاسم مقدمًا أو الفعل فإن كان الاسم مقدّمًا اقتضى شبيهًا بما اقتضاه فى الماضى بمطالبته من الإقرار بكونه فاعلاً (أو بالإنكار لذلك . فمثال الأول قوله تعالى : ﴿ أفأنت تكره الناس ﴾ [سورة يونس : ٩٩] . ومثال الثانى قوله تعالى : ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾ [٢] [سورة الزخرف : ٣٢] .

الثالث : الاستفهام للمبالغة فى الاستحقار [٣] : مثل قولك للرجل تستحقره : « أنت تمنعنى ! أنت تضربنى ! » ومنه قوله تعالى : ﴿ أبشرًا منا واحدًا نتبعه ﴾ [سورة القمر ٢٤] وقوله تعالى : ﴿ أغيرَ اللهِ أتخذ وليًا ﴾ [سورة الأنعام : ١٤] .

الرابع : يأتى للمبالغة فى التعظيم كقولك : « أهو يسأل الناس [٤] أهو

---

(١) ط : (أنت) والتصويب من نهاية الإيجاز والدلائل .

(٢) مابين القوسين لفظ نهاية الإيجاز : ٣٠٥ ، وكانت عبارة (ط) فى هذا الموضع (فالإنكار لذلك) فمثال ذلك قوله تعالى : ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾ وهى عبارة دخلها السقط والتحريف .

(٣) انظر المعيار : ٤٣ .

(٤) ط : (أهو يسأل الله) وهو تحريف . والتصويب عن المعيار : ٤٣ .

يمنعهم حقوقهم » ومنه قوله تعالى : ﴿ أمّن جعل الأرض قرارًا ﴾ إلى قوله [١] ﴿ أإلهٌ مع اللهِ ﴾ [سورة النمل : ٦٢] .

الخامس : يأتى للمبالغة فى بيان الخساسة كقولك : « أهو يسمع [٢] لهذا أو يرتاح إلى الجميل » ومنه قوله تعالى : ﴿ أفتعبُدُون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أفٍّ لكم ولما تعبُدُون من دون اللهِ أفلا تعقِلون ﴾

[سورة الأنبياء : ٦٦ ، ٦٧] .

السادس : يؤتى بالاستفهام ليقع فى النفس عذوبة المستفهم عنه واستحلاؤه ، كقول الشاعر [٣] :

أيَا ظَبْيَةَ الْوَعْسَاءِ بين جُلاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا آأنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ [٤]

تقديره : آأنت الظبية أم أمّ سالم . أتى بالاستفهام هاهنا ليوقع فى النفس موقعًا عظيمًا من الحسن وبديع المحاسن حتى يشكل حالها كمثل محاسنها فيبقى عند ناظرها من ذلك تخييل لا يفرق بسببه بينها وبين الظبية . وهذا النوع يسمى عند أرباب الصناعة التجاهل [٥] . ومن بديع التجاهل قول مِهْيار الدَّيْلَمِيّ [٦] :

١٦٠ / آأنْتِ أَمَرْتِ البدْرَ أنْ يَصْدَعَ الدُجَى وعلَّمْتِ غُصْنَ البانِ أنْ يتميَّلا [٧]

---

(١) يقول تعالى : ﴿ أمّن جعل الأرض قرارًا ، وجعل خلالها أنهارًا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزًا ، أإلهٌ مع الله ﴾ [سورة النمل : ٦٢] .

(٢) كذا فى (ط) . ومافى المعيار : ٤٣ (أهو يسمح بمثل هذا) ولعله أقرب للصواب .

(٣) هو ذو الرُمّة .

(٤) ديوانه ٧٠٠ ، والصناعتين : ٤١٣ ، وبديع ابن منقذ : ٩٣ وعزاه للعرجى .

(٥) أى تجاهل العارف وهى تسمية ابن المعتز ، انظر بديعه : ٦٢ ، والصناعتين : ٤١٢ .

(٦) أبو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسى الديلمى الشاعر كان مجوسيًا فأسلم ، وكان إسلامه على يد الشريف الرضى وهو شيخه وعليه تخرج فى نظم الشعر ، وتوفى سنة ٤٢٨ هـ .

(٧) ديوان مهيار : ١٩٤/٣ ، وبديع ابن منقذ : ٩٧ ، ومعاهد التنصيص : ١٦٨/٣ وقبله قوله :

سلا ظبية الوادى وما الظبى مثلها وإن كان مصقول الترائب أكحلا

ومن بديعه أيضًا قول الآخر :

وعُقَارٍ عَيْشُ مَنْ عا　　قَرها عَيْشٌ أَنِيقُ
هِيَ للزَّهْوِ نِظَامٌ　　وَإلى اللَّهْوِ طَرِيقُ
قُلْتُ لَمَّا لاحَ لِي　　مِنْها شُعَاعٌ وَبَرِيقُ
أَشَقِيقٌ أَمْ عَقِيقٌ　　أَمْ رَحِيقٌ أَمْ حَرِيقُ

وأما القسم الثاني من الاستفهام فهو أن يستفهم عن شيء لم يتقدم له به علم حتى يحصل له به علم . ومنه فى القرآن العظيم وفى الشعر كثير وهذا هو أصل الباب .

* * *

القسم الرابع والثلاثون

المزلزل (*)

وهو أن يكون فى الكلام لفظة لو غير وضعها أو إعرابها تغير المعنى .

ومنه فى القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ إيّاكَ نعبدُ وإيّاكَ نستعين ﴾ [سورة الفاتحة : ٥] لو كسرت الكاف تغير المعنى . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أنعمتَ عليهم ﴾ [سورة الفاتحة : ٧] لو ضُمَّتْ لاختل المعنى . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ويلٌ يومئذٍ لِلْمُكَذِّبين ﴾ [1] [سورة المرسلات :] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذ ابتلَى إبراهيمَ ربُّهُ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٤] وقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى اللهَ من عبادِهِ العُلَماءُ ﴾ [سورة فاطر : ٢٨] لو غير إعراب « إبراهيم » وإعراب « العلماء » لاختل المعنى . ومنه فى الشعر قول الوَطْواط [2] :

رسولُ اللهِ كَذَّبهُ الأعادى   فوَيْلٌ ثم وَيْلٌ للمُكَذِّبْ [3]

(*) بحثه فى نهاية الإيجاز : ٢٩٧ ، والمعيار : ١٥٤ ، والوطواط فى حدائق السحر : ١٨٣ ، كلها تحت اسم « المتزلزل » .

وهذا القسم أرى استبعاده من دائرة الفصاحة والبلاغة ، فليس له أدنى ملابسة بهذا الباب . وأظنه نتاج من نتاج البيئة الأعجمية الفارسية حيث لم يرد التنبيه عليه - فيما بين يدى من مصادر - قبل الوطواط ، ثم نقله عنه الرازى وبعده الزنجانى .

(١) كأن هنا سقطًا تبينه عبارة الزنجانى فى المعيار : ١٥٤ : « إنْ كسرت الذال كان إسلامًا وإن فتحته كان كفرًا » .

(٢) هو رشيد الدين محمد بن محمد العُمَرى - ينتهى نسبه إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كان من العلماء بكلام العرب والنحو والأدب شاعرًا فصيحًا باللسانين العربى والفارسى . ولد ببلخ وتوفى بخوارزم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة . (انظر معجم الأدباء : ٩١/٧ ومعاهد التنصيص : ٣٠٤/٢) .

(٣) حدائق السحر : ١٨٣ ، والمعيار : ١٥٤ .

إن كسرت ذال المكذب كان حسنًا وإن فتحت كان قبيحًا وكفرًا . ومن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فساء صباحُ المنذَرِين ﴾ [سورة الصافات : ١٧٧] بفتح الذال ولو كسرت الذال كان قبيحًا وكفرًا .

* * *

١٦١ / القسم الخامس والثلاثون

التعجب (*)

ومنه فى القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ فما أصبَرَهُمْ على النارِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٥] . « ما » هاهنا تعجبٌ ، والتقدير : تعجبوا من صبرهم على النار . وقيل هى الاستفهامية والتقدير : فأى شيء صبّرهم على النار ؟ .

ومن التعجب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرّكَ بربّكَ الكريم ﴾ [سورة الإنفطار : ٦] والخلاف فيها كالخلاف فى الأولى .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ الإنسانُ ما أكفرَهُ ﴾ [سورة عبس : ١٧] أى ما أشد كفره ! ومثله فى القرآن كثير :

ومنه فى الشعر قول بعضهم [1] :

أَيَا شَمْعًا يُضِيءُ بِلا انْطِفاءٍ ... وَيَا بَدْرًا يَلُوحُ بِلا مَحَاقِ
فَأَنْتَ الْبَدْرُ مَا سَبَبُ انْتِقَاصِى [2] ... وأنت الشَّمْعُ مَا سَبَبُ احْتِرَاقِى

* * *

(*) فى حدائق السحر للوطواط : ١٨٩ ، ونهاية الإيجاز : ٢٩٧ . ولا معنى لتخصيص « التعجب » بهذا القسم ، فهو داخل فى قسم « الاستفهام » السابق .

(١) عزاهما فى حدائق السحر : ١٨٩ إلى « أديب ترك » ولم أعرف من هذا الشاعر . وقد توجهت بالسؤال عنه إلى غير واحد من المتخصصين فى الأدب الفارسى ولم أظفر بنائل ، وقد ورد ذكره عند الوطواط غير مرة . انظر حدائق السحر : ١١١ ، ١٧٩ ، ١٨٧ . وفى بعضها كان يرد بصيغة التعريف : (أديب الترك) فيحتمل على هذا أن يكون وصفاً لا اسما له . والله أعلم بالحال .

والبيت فى نهاية الإيجاز : ٢٩٧ دون عزو .

(٢) رواية حدائق السحر ونهاية الإيجاز كليهما (مامعنى انتقاصى) .

القسم السادس والثلاثون

السلب والايجاب (*)

قال علماء علم البيان هو أن يوقِعَ الكلام على إثبات شيء وينفيه فى كلام واحد وخطبة واحدة أو بيت واحد [(١)] .

وهو فى القرآن العظيم كثير . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وهو يُجيرُ ولا يُجار عليه ﴾ [سورة المؤمنون : ٨٨] وقوله تعالى : وهو يُطْعِمُ ولا يُطعَمُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٤] .

ومنه فى الشعر قول السَّمَوءل بن عادياء اليهودى :

وَنُنْكِرُ إنْ شِئْنا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلا يُنْكِرُونَ القَوْلَ حِينَ نَقُولُ [(٢)]

* * *

(*) فى السلب والإيجاب انظر الصناعتين : ٤٢١ ، وتحرير التحبير : ٥٩٣ ، وقد ظن ابن أبى الإصبع أن هذا الباب من مبتكراته ثم استدرك على نفسه أنه مسبوق إليه . (انظر هامش ص ٥٩٢ من تحرير التحبير ، وبديع القرآن : ١١٦) والمعيار : ١٥٦ .

وقد أرجع ابن السبكى « السلب والإيجاب » إلى الطباق (انظر عروس الأفراح ٤٦٩/٤) .

(١) هو تعريف الزنجانى فى المعيار : ١٥٦ وجعله مقصورًا على الشعر فقط ، وقد عَدَّاه المولف هنا إلى غيره .

(٢) من لاميته . ديوان الحماسة : ٨١/١ ، والصناعتين : ٤٢١ ، والمعيار : ١٥٦ .

الهزل الذى يراد به الجد (*)

وهو فى القرآن العظيم فى قوله تعالى : ﴿ فاليومَ الذين آمنوا من الكُفارِ يَضحكُون ﴾ [سورة المطففين : ٣٤] روى أن أهل الجنة يُفْتَح لهم باب من النار ، فيقولون لمن كان يضحك منهم فى الدنيا من الكفار : أتدخلون الجنة ؟ فيقولون : نعم . فيقولون لهم : هلموا ، فيتبادرون إلى الجنة ، فيغلق الباب دونهم ، ويضحك منهم المؤمنون ويُرَدُّون خائبين . وليس مراد المؤمنين بذلك القول الضحكَ منهم وإنما مرادهم بذلك تبكيتهم وتشديد الحزن عليهم . ومنه قوله تعالى : ﴿ إن تَسخَرُوا مِنّا فإنّا نَسْخَرُ منكم ﴾ [سورة هود : ٣٨] يعنى يوم القيامة (١) .

(*) « الهزل الذى يراد به الجد » فى بديع ابن المعتز : ٦٣ ، وتحرير التحبير : ١٣٨ ، والمعيار : ١٥٩ . وادّعاء المؤلف – هنا – أن هذا الفن من فنون البلاغة فى القرآن سقطة منه – رحمه الله – وانظر ما يأتى بهامش (١) .

(١) ماساقه المؤلف من القرآن شاهدًا على تحقيق هذا الفن البديعى فيه ، ليس واقعًا موقعه ، فالهزل الذى يراد به الجد الذى فهمه هو – لا يستفاد من منطوق لفظ آى القرآن ، وليس فيها أدنى إشارة إلى هذا الهزل . تعالى الله عن مثل ذلك . وهذا الذى أسماه المؤلف « هزلاً يراد به الجد » فعلٌ يقع للمشركين فى الآخرة ، وهو نوع من أنواع تعذيب الله لهم . ولله أن يعاقب هؤلاء الجاحدين المشركين بما شاء من ألوان العذاب . فَأَنْ يساق هؤلاء إلى الجنة حتى إذا قاربوها أغلقت أبوابها فى وجوههم ، وضحك المؤمنين من هذا ، كلُّ هذه أمور واقعة فى الآخرة ، والحكم بأنها هزل يراد به الجد – إن جاز – فهو يتوجه إلى الواقعة الكائنة فى هذا اليوم المشهود ، لا أن لفظ القرآن يحمل كلامًا ظاهره الهزل ومراد به الجد كما « فى هذا الفن البديعى . ويبدو أنه اختلط الأمران على المؤلف – رحمه الله – وقد كان ابن أبى الإصبع موفقًا أى توفيق فى إسقاطه هذا الفن من كتابه بديع القرآن .

ومنه فى السُنة قوله ﷺ للعجوز التى سألته عن دخولها الجنة فقال « لا يدخل الجنة عجوز »[(١)] هزل بها وصدق وقال حقًا ؛ فَإِنّ الله تعالى أخبر عن أهل الجنة فقال : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا لأصحاب اليمين ﴾ [سورة الواقعة : ٣٧ ، ٣٨] وتِرب الإنسان مساويه فى العمر أو مقاربه .

ومنه فى الشعر قوله[(٢)] :

إِذَا مَـا تَمِيمِـىٌّ أَتَـاكَ مُفَاخِـرًا فَقُلْ عَدِّ عَنْ ذا كَيْفَ أَكْلُكَ لِلضَّبِّ[(٣)]

وأما قوله ﷺ فى وصف القرآن « وهو الجِدُّ ليس بالهزل »[(٤)] فالمراد به الهزل الذى لا يراد به الجد .

* * *

(١) قال العراق : رواه الترمذى فى الشمائل مرسلاً ، وأسنده ابن الجوزى فى الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف . انظر إتحاف السادة المتقين (٤٩٩/٧ ، ٥٠٠) . وقال السيوطى : « رواه الطبرانى عن عائشة » شرح عقود الجمان : ١٢٨ .

(٢) هو أبو نواس .

(٣) ديوانه ٥١٠ ، وبديع ابن المعتز : ٦٣ ، وتحرير التحبير : ١٣٩ ، والمعيار : ١٥٩ ، ومعاهد التنصيص : ١٥٦/٣ .

والبيت من قصيدة يهجو بها تميمًا وأسدًا ويفتخر بقحطان . قال صاحب المعاهد : ١٥٧/٣ والشاهد فيه الهزل الذى يراد به الجد ، فإن سؤال التميمى عن أكله الضب فى معنى الاستهزاء ، وإذا تأملته فى الحقيقة فهو جِد ، لأن تميمًا يكثرون من أكل الضب ويعيرون به .

(٤) جزء من حديث طويل رواه الترمذى (١٥٩/٥) ، كتاب فضائل القرآن (٤٦) ، ماجاء فى فضل القرآن باب (١٤) ، حديث ٢٩٠٦ . ولفظه : « وهو الفصل ليس بالهزل » .

القسم الثامن والثلاثون

التلميح (*)

وهو أن يشير فى فحوى الخطاب إلى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة من غير أن يذكره كقول بشار بن عدى [١] :

اليومَ خَمْرٌ وَيَبْدُو فِى غَدٍ خَبَرٌ وَالدَّهْرُ ما بَيْنَ إِنْعَامَ وإِبْآسِ [٢]

١٦٣ / أشار به إلى قول امرىء القيس : « اليوم خمرٌ وغدًا أمرٌ » حين بلغه قتل أخيه [٣] وهو يشرب فصار مثلاً . وكقول أبى بكر الخوارزمى [٤] :

(*) فى « التلميح » انظر نهاية الإيجاز : ٢٨٨ ، والمعيار : ١١١ .

ويلاحظ تفرقة المؤلف بين التضمين والتلميح . وهو فى هذا متابع للزنجانى . انظر المعيار : ١١٠ – ١١١ ، وماسبق فى القسم الثالث عشر « التضمين » .

(١) كذا فى (ط) ، وفى تفسير البحر المحيط : ٨٥/٥ منسوبًا ليسارٍ بن عدى ، ويبدو أنه تحريف وصوابه (بَشّاربن بُرد) الشاعر المشهور ، المتوفى ١٦٧ هـ – أشعر المولدين أدرك الدولتين الأموية والعباسية .

(٢) ملحقات ديوان بشار بن برد للشيخ الطاهر بن عاشور : ١٠٠/٤ ، وأثبته الشيخ بن عاشور من المختار الذى اختاره أبو الطاهر التجيبى القيروانى المعروف بالبرق مما اختاره من مختار الخالديين من شعر بشار ، وزاد عليهما بعض مالم يذكراه . والبيت فى معاهد التنصيص : ٢٠٤/٤ منسوبًا لبشار .

(٣) كذا فى (ط) وعلّق عليها مصححها بقوله : (ليس هو من قول امرىء القيس وإنما هو من قول مهلهل حين بلغه قتل جساس أخاه كليبًا . وامرؤ القيس لم يقتل له أخ فإن كان قاله حين بلغه قتل بنى أسد أباه حجرًا فربما » أ هـ والصواب أن القائل هو نفسه امرؤ القيس ، وأن ماوقع هنا تحريف وأنه قال ذلك حين بلغه قتل أبيه وكان يشرب فقال : (اليوم خمر وغدًا أمر) .

(٤) هو محمد بن العباس الخوارزمى أبو بكر من أئمة الكتاب وأحد الشعراء العلماء . ولد بخوارزم ، واستوطن نيسابور ، واتصل بالصاحب بن عباد . وكان يقال له الطبرى لأنه ابن أخت « محمد بن جرير الطبرى الإمام الكبير . وتوفى سنة ٣٨٣ هـ .

كـأنك لا ترويـن بيتًـا لشاعـرٍ   سِوَى بيتِ مَن لا يَظلم الناسَ يُظلَم [١]

وكقول أبى فراس :

وَلا خَيْرَ فِى دَفْعِ الأَذَى بِمَذَلَّةٍ   كَمَا رَدَّهَا يَوْمًا بِسَوْءَتِهِ عَمْرو [٢]

أشار بذلك إلى قصة عمرو بن العاص مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه [٣] .

وقد يسمى أخذ بعض ألفاظ المثل اقتباسًا ، وإيراد المثل كما هو تضميناً [٤] .

ومما جاء من التلميح فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ واذكر أخا عادٍ إذْ أنذَر قومهُ بالأحقاف ﴾ [سورة الأحقاف : ٢١] وقوله تعالى : ﴿ ألا بُعْدًا لمدْيَنَ كما بَعِدَتْ ثمود ﴾ [سورة هود : ٩٥] وقوله تعالى : ﴿ صاعقةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمود ﴾ [سورة فصلت : ١٣] الآية . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أم كنتم شُهَدَاءَ إذْ حضَرَ يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبُدُون من بَعدى ﴾ إلى قوله : ﴿ فإنما هم فى شِقَاقٍ ﴾ [سورة البقرة : ١٣٣ - ١٣٧] ثم قال ﴿ صِبْغَةَ الله ومَنْ أَحْسَنُ من اللهِ صِبْغَةً ﴾ [سورة البقرة : ١٣٨] ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ هذا نذيرٌ من النُّذُرِ الأُولى أزِفَتِ الآزفة ﴾ [سورة النجم : ٥٦ ، ٥٧] ثم قال ﴿ ليس لها من دون اللهِ كاشفةٌ ﴾ [سورة النجم : ٥٨] . ومثله فى القرآن كثير .

* * *

---

(١) يشير هنا إلى بيت زهير بن أبى سلمى .

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه   يُهَدّم ، ومن لا يظلم الناس يُظلَم

(٢) ديوانه : ٢١٣/١ .

(٣) يشير إلى ضرب على رضى الله عنه له يوم صفين ، فاتقاه بكشف سوأته ، فأعرض عنه وقال : عورة المرء حِمى . وانظر معاهد التنصيص : ٢٠٨/٤ .

(٤) انظر المعيار : ١١١ ، وماسبق فى القسم الثالث عشر « الاقتباس والتضمين » وتفرقته بين الاقتباس والإبداع .

القسم التاسع والثلاثون

النسخ والسلخ والمسخ (*)

فأما النسخ ففى القرآن العظيم كثير . وهو على ثلاثة أقسام . منه ما نسخ لفظه وحكمه . ومنه مانسخ لفظه وبقى حكمه . ومنه ما نسخ حكمه وبقى لفظه . أما / مانسخ لفظه وحكمه فقد روى عن قتادة وغيره قالوا كنا نقرأ سورة على عهد رسول الله ﷺ : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم [(1)] » . وقالوا كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ : « لو أعطى ابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » [(2)] وأما ما نسخ حكمه وبقى لفظه ففى القرآن العظيم منه كثير . ١٦٤

وأما السلخ والمسخ فليس فى القرآن العظيم منهما شىء لأنه لم يسبق قبله كلام فيسلخ منه ، ولم يتقدم معانيه فيقصِّر عنها فيمسخ ؛ لأنه الكلام القديم

(*) هذا القسم لا علاقة له بفن الفصاحة والبيان ، فالحديث عن النسخ موضعه علم أصول الفقه والتفسير . أما « المسخ والسلخ » فكلاهما لم يرد فى القرآن . وهذا الجزء من المقدمة عقده ابن النقيب للحديث عما ورد فى القرآن من أساليب البلاغة والفصاحة وما يناظرها فى كلام العرب ، فلا معنى إذن لإفراد هذا القسم .

وقد عرّف الزنجانى السلخ بأنه أن تعمد إلى بيت فتضع مكان كل لفظ لفظًا فى معناه . وأما إذا أخذ المعنى وغير بعض اللفظ أو غير بعض هذا وهذا فهذا هو المسخ . (المعيار : ١١٩) . وانظر فى « المسخ » الجامع الكبير : ٢٤٣ .

(١) انظر البرهان للزركشى : ٣٥/٢ ، والإتقان للسيوطى : ١١٦/٣ .

(٢) انظر صحيح البخارى : كتاب الرّقاق ٨١ – باب ما يتقى من فتنة المال (١٠) – وكلام ابن حجر عليه فى فتح البارى .

الذى لم يشبهه كلام ولم يتقدم عليه نثر ولا نظام . وسنذكر فى القسم الذى ليس فى القرآن منه شىء [1] ما قاله أهل هذه الصناعة فى السلخ والمسخ إن شاء الله تعالى .

* * *

(١) هذا القسم غير موجود بهذه المقدمة ، ولعله ضاع منها .

القسم الأربعون

التعديد

ويسمى أيضًا سياق الأعداد (*)

وهو إيقاع أسماء مفردة على سياق واحد ، فإن روعى فى ذلك ازدواج أو لزوم تجنيس أو مطابقة أو نحوها فذلك الغاية فى الحسن كقولهم : « وضعنا فى يده زمام الحل والعقد ، والقبول والرد ، والأمر والنهى ، والإثبات والنفى ، والبسط والقبض ، والإبرام والنقض ، والهدم والبناء ، والمنع والعطاء » . ومنه قول المتنبى :

الخيـلُ والليـلُ والبيـداءُ تَعْرِفُنِـي ... وَالْحَرْبُ والطَّعْنُ والْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ (١)

ومنه فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ هو الله الذى لا إله إلا هو الْمَلِكُ القدُّوسُ السَّلامُ المؤمنُ المُهَيمِنُ الْعَزيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ (٢) [سورة الحشر : ٢٣] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وأنَّ إلى ربك المنتهى وأنهُ هو أضحكَ وأبكى وأنه هو أماتَ وأحيا وأنه خَلقَ الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تُمْنَى وأنَّ عليه النشأةَ الأخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشِّعْرى وأنه أهلك عادًا الأولى وثمودَ فما أبقى وقومَ نوحٍ من قبلُ / إنهم كانوا هم أظلمَ وأطغى ﴾ [سورة النجم : ٤٢ - ٥٢] . ومنه قوله : ﴿ والله يَقْبِضُ ويَبْسُطُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٥] . ١٦٥

(*) « التعديد » مصطلح الرازى فى نهاية الإيجاز : ٢٩٠ ، والزنجانى فى المعيار : ١٢٣ وقال الزنجانى : ويسمى « سياقة الأعداد » . وهذه التسمية « سياقة الأعداد » ذكرها الثعالبى فى اليتيمة : ١٩٦/١ ، وعند الوطواط فى « حدائق السحر » ١٤٩ . وبحثه الزركشى فى البرهان : ٤٧٥/٣ .

(١) ديوانه ٨٥/٤ . ورواية عجزه فيه : (والسيف والرمح) ، ويتيمة الدهر : ١٩٧/١ ، ونهاية الإيجاز : ٢٩٠ ، والمعيار : ١٢٣ ، وحدائق السحر : ١٤٩ .

(٢) هذه الآية من باب تنسيق الصفات عند الرازى فى نهاية الإيجاز : ٢٩١ ، والزنجانى فى المعيار : ١٢٣ ، والوطواط فى حدائق السحر : ١٥٠ : وسيوردها المؤلف - نفسه - فى القسم التاسع والخمسين : « تنسيق الصفات بغير حرف النسق » .

القسم الحادي والأربعون

الموجه (*)

وهو أن يمدح بشيء يقتضي المدح لشيء آخر كقول المتنبي :

نَهَبْتَ مِنَ الأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ　　لَهُنِّئَتِ الدُّنْيا بِأَنَّكَ خَالِدُ [(١)]

أول البيت مدح بفرط الشجاعة وآخره بعلو الدرجة .

وفي القرآنَ العظيم منه كثير . ومنه قوله تعالى : ﴿ محمدٌ رسُولُ اللهِ والذِينَ معه أَشِدَّاءُ على الكفارِ رُحَماءُ بينهم تراهُمْ رُكَّعًا سُجدًا يبتغون فَضْلاً من الله ورِضْوانًا سِيماهُم في وُجُوهِهم مِنْ أَثَرِ السُّجودِ ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] مدحهم في أول الآية بالشدة على الكفار ثم بالرحمة بينهم ، ثم بالخشوع والخضوع ، ثم بالتذلل وحُسنِ المسئلة ، ثم حسن السيماء وصباحةِ الوجوه .

ومثله قوله تعالى : ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرونَ بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ﴾ [سورة التوبة : ١١٢] .

(*) (المدح الموجه) ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر : ١٨٤/١ ، وجعله من محاسن شعر المتنبي ، وأنشد له البيت التالي : « نهبت من الأعمار » . والمراد « بالموجه » كما فسره الثعالبي التشبيه بالثوب الذي له وجهان . ويبدو أنّ صاحب هذا المصطلح هو ابن جني فهو أقدم من ظهر عنده . انظر يتيمة الدهر ١٨٥/١ ، والهامش التالي .

(١) ديوانه ٣٩٩/١ ، ويتيمة الدهر ١٨٤/١ ، وحدائق السحر : ١٣١ ، ونهاية الإيجاز : ٢٩٢ ، والمعيار ١٣٦ قال الواحدي : هذا من أحسن ما مدح به ملك ، وهو مديح موجه ، أي ذو وجهين . وذلك أنه مدحه في المصراعِ الأول بالشجاعة وكثرة قتل الأعداء فقال : نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم =

ومن هذا النوع قوله تبارك وتعالى : ﴿ ويقولون طاعةٌ فإذا برزوا من عندك بَيَّتَ طائفةٌ منهم غيرَ الذى تقول ﴾ [سورة النساء : ٨١] يجوز أن تكون « تقول » راجعة إلى « الطائفة » ويجوز أن تكون عائدة على النبى ﷺ [١] .

* * *

= مالوعشته لكانت الدنيا مهنأة ببقائك فيها خالدًا . وهذا هو الوجه الثانى فى المدح أنه جعله جمالاً للدنيا تهنأ الدنيا ببقائه فيها ، ولو قال : مالو عشته لبقيت خالدًا لم يكن المدح موجهًا .

وانظر الفسر شرح ابن جنى على ديوان المتنبى (٢٤٧/٢) .

(١) لا أفهم وجهًا لجعل المؤلف هذه الآية من « باب المدح الموجّه » وتفسيره للآية يشير إلى أنه يفهم معنى « الموجه » فيها فى لفظة « تقول » أى أنها تحتمل معنيين : أن تكون للطائفة أو للنبى ﷺ وهذا معنًى لا علاقة له بفن الموجه من فنون البديع .

القسم الثانى والأربعون

المحتمل الضدين (*)

وهو أن يكون الكلام محتملاً للشىء وضده .

ومنه فى القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وكان وراءهمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [سورة الكهف : ٧٩] يحتمل أن يكونَ أراد / ١٦٦ بورائهم : أمامهم ، ويحتمل أن يكون « وراءهم » وهو يطلبهم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ والْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بأَنْفُسِهِنَّ ثلاثةَ قُرُوء ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٨] . والْقُرْء : يطلق على الحيض والطهر .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ قال إنه يقولُ إنها بقرةٌ صفراءُ ﴾ [سورة البقرة : ٦٩] قال المفسرون : أراد سوداء .

ومثله فى الشعر قول الشاعر :

يُغَادِرُ (١) الجَوْنَةَ أَنَ تغِيبَا

والجَونُ : الأسود ، والْجَوْنُ : الأبيض ، وهو من الأضداد . ومنه قول بشّار فى رجل خاط له قباءً وكان الخياط أعور :

(*) « المحتمل الضدين » فى حدائق السحر : ١٣٢ ، ونهاية الإيجاز : ٢٩٢ ، والمعيار : ١٣٦ .

(١) كذا فى (ط) . ويبدو أنه تحريف . وماقى أمالى القالى : ٩/١ ، والمخصص لابن سيده : ٢٠/٩

يُبَادِرُ الآثارَ أن تُؤَوِّبا وحاجب الجونةِ أن يغيبا

والجَوْنَةُ : الشمس . وهو منسوب فيهما إلى أُنَيس الجَرْمى . وفى نظام الغريب للربعى دون نسبة ولفظه : يُبادرُ الجَوْنَةَ أن تغيبا .

خاط لى زيدٌ قَبَاءًا ليتَ عينيه سَوَاءُ
فَأُحَاجِى الناسَ طُرًّا أمديحٌ أم هِجَاءُ (١)

وكان سبب ذلك أن بشَّارًا خاط له زيد قباءًا ، فقال : هذا إن شئت لبسته على وجهه وإن شئت لبسته على بطانته . فقال له بشار : وأنا أقول فيك شعرًا ، إن شئت جعلته مدحًا ، وإن شئت جعلته ذمًّا . وأنشده البيتين . وقد أخذ المتنبى هذا المعنى فقال :

أَيَا ابْنَ كَرَوَّسٍ يَانِصْفَ أَعْمَى وَإِنْ تَفْخَرْ فَيَا نِصْفَ الْبَصِيرِ (٢)

وكان ابن كروّس أعور .

وينخرط فى هذا السلك قوله تعالى : ﴿ إنكَ لأنت الحليم الرشيد ﴾ [سورة هود : ٨٧] إذا جعل هذا من باب التهكم به والإزراء عليه كان ذمًّا . ولهذا قال

---

(١) فى ملحقات ديوان بشار (جمع الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : ١٤/٤) ، وحدائق السحر : ١٣٢ ، ونهاية الإيجاز : ٢٩٣ ، والمعيار : ١٣٦ ، وتحرير التحبير ، ٥٩٧ ، ومعاهد التنصيص : ١٣٨/٣ .
ويلاحظ اضطراب هذه المصادر فى ضبط البيت الأول ؛ وهذا راجع إلى عدم ضبط صورة الوزن ، فهذا البيت ومابعده من الرمل المجزوء . وعروضه دائماً صحيحة تأتى على (فاعلاتن) . انظر « الكافى للتبريزى : ٨٥ » .

ورواية ملحقات ديوانه للشيخ ابن عاشور ، وحدائق السحر بالقصر (قبًا ... سَوًا) تجعل العروض (فاعلا) أى محذوفة ؛ وعليه فالصواب رواية المد « قباء » ويكون الضرب مثلها سواء ، وضبط الشيخ محى الدين رواية المعاهد « سواءْ » بتسكين الهمزة يجعل الضرب (فاعلات) وهى ليست من صور الضرب الثلاث المعروفة فى الرمل المجزوء . وهى مسبغ (فاعلاتان) وصحيح كالعروض (فاعلاتن) ، ومحذوف (فاعلا) . (انظر نهاية الراغب شرح عروض ابن الحاجب للإسنائى : ٢٥٠ - ٢٥١) .

وكان عجز البيت الثانى فى (ط) : (أمديحًا) وقد غيرته إلى الرفع ليتسق مع المرفوع بعده ويكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو ، وبهذا يستقيم البيتان نحوًا ووزنًا ، ولله الحمد والمنة .

وذكر الشيخ ابن عاشور أن البيت الأول منهما فى محاضرات الراغب منسوبًا لبعض الأعراب فيكون بشار إنما زاد البيت الثانى . والقباء : بفتح القاف وبالمد ويجوز قصره تخفيفًا . نوع من الثياب .

(٢) ديوانه : ٢٤٨/٢ .

بعض المفسرين : « أرادوا » إنك لأنت الأحمق السفيه . وإن أريد به المدح فالتقدير : « إنك أنت الكامل الحليم الرشيد فكيف يبدو منك مثل هذا » ؛ لأنه ذكر الحليم والرشيد بالألف واللام التى هى لاستغراق الجنس أو للعهد .

ومثله فى السُّنَّة قول النبى ﷺ : « من جُعِل قاضيًا ذُبِحَ بغير سكين [1] » فإن أريد به الذم يكون التقدير من جُعل قاضيًا فقد قُتِلَ بغير سكين ؛ لأنه ليس فى قدرته إقامة الحق على وجهه وإجراء الأحكام على القانون المستقيم ؛ فيكون قد كلف ما لاطاقة له به ، ومن كلف ما لاطاقة له به فهو فى ألم شديد يشبه ألم من ذبح بغير سكين .

ومن أراد المدح قال : إنه لشدة تحرزه فى أحكامه واجتهاده فى نقضه وإبرامه ، وإنعامه النظر فيما يحدث من الوقائع ويتجدد من خفايا الأحكام والنظر فى أمر الوصايا ومال الأيتام إلى غير ذلك من الأمور المُشِقَّة يحصل / له من الألم مقدار ألم من ذُبِحَ بغير سكين ، بل أشد لأن من ذُبِحَ بغير سكين يقاسى الألم فى حال ذبحه ثم يستريح ، والحاكم بهذه الأمور مستمر التعب دائم النكد مشتغل القلب منقسم الفكر دائم النظر . فنسأل الله اللطف بنا وبه إنه على ما يشاء قدير . ١٦٧

* * *

(١) سنن أبى داوود (٤/٤ ، ٥) كتاب الأقضية (١٨) – باب فى طلب القضاء (١) . وابن ماجة (٧٧٤/٢) ، كتاب الأحكام (١٣) باب ذكر القضاة (١) ، ومسند أحمد : ٢٣٠/٢ ، ٣٦٥/٢ .

القسم الثالث والأربعون

التجريد (*)

وهو على قسمين : الأول : خطاب الغير والمراد به المتكلم . وهو أولى باسم التجريد ، وفائدته مع التوسع فى الكلام أن يثبت الإنسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته له وذلك قد يكون فضيلة كقول الْحَيْصَ بَيْص (١) :

إلامَ يَرَاكَ الْمَجْدُ فِى زِىٍّ شَاعِرٍ   وَقَدْ نَحِلَتْ شَوْقًا فُرُوعُ المَنَابِرِ
وَأَنْتَ نَصَبْتَ الشِّعْرَ عِلْمًا وَحِكْمَةً   بِبَعْضِهِمَا يَنْقَادُ صَعْبُ المَفَاخِرِ
أَمَا وَأَبِيكَ الْخَيْرِ إنكَ فارس الـ   ـمقال وَمُحْيِى الدَّارِساتِ الْغَوَائِرِ
وإنكَ أَتْعَبْتَ المَسَامِعَ والنُّهَى   بِقَوْلِكَ عَمَّا فِى بُطُونِ الدَّفَاتِرِ (٢)

وقد تكون لنقيصة ولكن يؤثر ابداؤه إما لتشكٍّ كقول النابغة (٣) :

حَنَنْتَ إِلَى رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ   مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِىَ الأَمْرَ طَائِعًا   وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِى الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْثَنِى   عَلَى كَبِدِى مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَقَطَّعَا
بِنَفْسِى تِلْكَ الأَرْضَ مَا أَطْيَبَ الرُّبَا   وَمَا أَحْسَنَ الْمُصْطَافَ وَالْمُتَرَبَّعَا (٤)

(*) هذا القسم لخصه المؤلف من المثل السائر : ٢/١٥٩ - ١٦٤ .

(١) هو سعد بن محمد بن سعد التميمى . كان يلقب بأبى الفوارس ، نشأ فقيها وغلب عليه الأدب والشعر ، وكان يلبس زى البادية ، ويتقلّد سيفا ، ولا يتحدث إلا العربية الفصحى . توفى ٥٧٤ هـ .

(٢) المثل السائر : ٢/١٦١ .

(٣) كذا فى (ط) ، وهو خطأ ، والصواب أنه الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيْرى ، وهو شاعر غَزِل بدوى من شعراء العصر الأموى . وتوفى نحو ٩٥ هـ .

(٤) ديوان الحماسة : ٢/٣ ، والمثل السائر : ٢/١٦٢ .

أو يكون لغير التشكى وذلك كالاعتذار كما قال المتنبى :

لا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلا مَالُ   فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنَ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
وَاجْزِ الأَمِيرَ الَّذِى نُعْمَاهُ بَادِيَةٌ بغيرِ   قَوْلٍ وَنُعْمَى الْقَوْمِ أَقْوَالُ [1]

القسم الثانى خطاب المتكلم لنفسه مخيلا لها أن معه غيره كما قيل [2] :

/ أَقُولُ لِلنَّفسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً   إحْدَى يَدَىَّ أَصَابَتْنِى وَلَمْ تُرِدِ [3] ١٦٨

وهذا النوع فى القرآن العظيم منه كثير وسنذكره فى فصل . « تلوين الخطاب » [4] إن شاء الله تعالى . وقد ذكرنا منه طرفًا فى أنواع الالتفات فانظره هناك [5] فهو كثير .

* * *

---

(١) ديوان المتنبى : ٣/٣٩٤ ، ٣٩٥ ، والمثل السائر : ٢/١٦٢ .
وهو مطلع قصيدته فى مدح أبى شجاع فاتكا وكان قد قدم من الفيوم إلى مصر فوصل المتنبى وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار .

(٢) كذا فى ط ، وقال ابن الأثير (وبين هذا القسم والذى قبله فرق ظاهر .. وهذا هو نصف تجريد لأنك لم تجرد به عن نفسك شيئا وإنما خاطبت نفسك بنفسك كأنك فصلتها عنك وهى منك) . المثل السائر : ٢/١٦٣ .

(٣) سبق فى قسم التضمين .

القسم الرابع والأربعون

الرجوع والاستدراك (*)

وهو من أنواع الاعتراض ولكن علماء هذا الشأن أفردوا له بابًا .

وهو على قسمين : الأول :أن تذكر شيئاً وترجع عنه كقولهم : « والله ما معه من العقل شيء إلا مقدار ما يوجب الحجة عليه » كقول زُهَيْر :

قِفْ بِالدِّيار التى لم يَعْفُها القِدَمُ ... بَلَى وغَيَّرها الأَرْواحُ والدِّيَـمُ (١)

القسم الثانى من الاستدراك : وهو أن يبتدىء كلامه بما يوهم السامع أنه هَجْوٌ ثم يستدرك ويأخذ فى المدح كقول أبى مقاتل الضرير (٢) :

لا تقل بُشْرَى ولكنْ بُشْرَيَـانِ ... غُرَّةُ الدّاعى ويـومُ المهرَجـانِ (٣)

(*) « الرجوع » هو الفن الثالث من محاسن الكلام عند ابن المعتز فى بديعه : ٦٠ ، وعرّفه بأنه « أن يقول شيئا ويرجع عنه » . وعرّفه أبو هلال بمثل تعريف ابن المعتز (الصناعتين : ٤١١) ، وسماه ابن منقذ « الرجوع والاستثناء » . وعرّفه نفس التعريف (بديع ابن منقذ : ١٢٠) . وهذا الفن ذكره الزنجانى فى المعيار : ١٠٧ ، وجعله من أنواع الاعتراض ، وذكر أنه يسمى « الاستدراك » ، وجعل منه أيضا « تأكيد المدح بما يشبه الذم » ، وذكر أنه يسمى الاستثناء (المعيار : ١٣٧) . وذهب ابن حجة الحموى إلى أن « الاستدراك لا فرق بينه وبين فن السلب والإيجاب . وهذه التسمية (الاستدراك والرجوع) فى تحرير التحبير : ٣٢١ ، وبديع القرآن : ١١٧ . وذكر القاضى الباقلانى أن من أهل العلم من لا يَعُدُّ الاعتراض والرجوع من البديع . انظر : إعجاز القرآن للباقلانى : ١٠١ .

(١) مطلع قصيدة فى ديوانه : ١٤٥ ، وهو فى بديع ابن منقذ : ١٦٣ ، ٢٠١ ، والمعيار : ١٠٧ ، ومعاهد التنصيص : ٢٥٧/٢ ، وسيذكره المؤلف ثانية فى قسم الفك والسبك .

والأرواح : جمع ريح ، ويجمع على أرياح أيضا ، ورياح . والدِّيَم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون .

(٢) هو على بن مقاتل الضرير وقد أنشد هذا البيت الداعى الأصغر أبو الحسن العلوى الثائر ، المتوفى بطبرستان ٣١٦ هـ . وانظر معاهد التنصيص : ٦١٦/١ .

(٣) الكشف لابن عباد : ٢٥٠ ، الصناعتين : ٤٥٢ ، والمعيار : ١٠٨ .

وهذا النوع غير مستحسن عند الحذّاق فإنّ السامع ربما يتطير من أول الكلام فيتأذى ولا يلتذ بما بعده [١] .

والاستدراك فى الكتاب العزيز كثير كقوله تعالى : ﴿ بَلى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وأحاطت به خطيئتُه ﴾ « البقرة ٨١ » وقوله تعالى : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ [سورة البقرة : ١١٢] . وقوله تعالى : ﴿ ليسَ البرّ أن تولوا وُجوهكم قِبلَ المشرقِ والمغرب ولكنْ البرُّ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] على قراءة من خفف فرفع « البر » [٢] وقوله تعالى : ﴿ وإن من شيءٍ إلا يُسَبِّحُ بحمدهِ ولكن لا تفقهونَ تسبيحَهم ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] وقوله تعالى : ﴿ قال أو لم تؤمن قالَ بَلى ولكن ليطمئن قلبى ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٠] . وفى القرآن كثير .

* * *

---

(١) ذكر العسكرىّ أنّ « الداعى » حينما أنشده الشاعر هذا البيت أوجعه ضربًا ثم قال له : هلاّ قلت : إن تقل بشرى فعندى بشريان ، (الصناعتين : ٤٥٣) . وقال ابن عباد : « فنفر من قوله « لا تقل بشرى » أشد نفار ، وقال : أعمى ويبتدى بهذا فى يوم المهرجان » . (الكشف : ٢٥٠) .

(٢) هى قراءة نافع وابن عامر الشامى . وباقى العشرة بتشديد النون ونصب الراء . (انظر البدور الزاهرة : ٤٤) .

١٦٩ / القسم الخامس والأربعون

السؤال والجواب (*)

وهو أن يحكى كلامًا بقال ثم يجيبه بقال أيضًا (١) .

وهو فى القرآن العظيم كثير .. من ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذْ قال مُوسى لِقَوْمِهِ إنَّ الله يَأْمُرُكم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخِذُنا هُزُوًا قالَ أعوذ بالله أن أكونَ من الجاهلين ﴾ إلى قوله : ﴿ فَذَبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ [سورة البقرة ٦٧ - ٧١] . ومنه قوله تعالى : ﴿ قال فرعون وما ربُّ العالمين . قال ربُّ السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حَولَه ألا تستمعون . قالَ رَبُّكم ورَبُّ آبائكم الأولين . قال إنَّ رَسولكم الذى أُرْسِلَ إليكم لمجنون . قال رَبُّ المشرق والمغربِ وما بينهما إن كنتم تعقلون . قالَ لئن اتخذت إلهًا غيرى لأجعلنّكَ من المسجونينَ . قال أَوَلو جئتك بشىء مبينٍ . قالَ فأتِ به إن كنتَ من الصادقينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٢٣ - ٣١] .

وفى الشعر منه كثير من ذلك قول امرىء القيس :

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ   فقالت لكَ الْوَيْلاتُ إنَّكَ مُرْجِلى

(*) فى حدائق السحر : ١٥٩ ، ونهاية الإيجاز : ٢٩٤ ، والمعيار : ١٣٩ ، وتحرير التحبير : ٥٩٠ تحت اسم « المراجعة » وجعله من مبتكراته ولكنه رجع عن ذلك .

(١) توسّع المؤلف فى تعريف هذا الفن فلم يقصره على « السؤال والجواب » بل جعله كُل كلام محكىّ بقال ويُردّ عليه بقال أيضا . أما الوطواط فقد عرّفه بقوله : (تكون هذه الصنعة بأن يرد فى البيت أو البيتين سؤال وجوابه) حدائق السحر : ١٥٩ . إلاّ أنّ بعض ما أتى به من أمثلة يشهد أنه لا يحصره فى ذلك . ومِثْله الزنجانى فى المعيار ، أما الرازى فلم يورد تعريفًا للباب واكتفى بأن ساق العنوان ومثاله من بيت الباخرزى والذى سيأتى بعد .

فَقُلْتُ لها سيرى وَأَرْخِى زِمَامَها ... وَلا تُمْنَعِينا مِنْ جَنَاكِ المعَلَّلِ [١]

ومن بديعه قول بعض المتأخرين :

وكاملةِ الأَوْصَاف وَافِرَةِ الْحَيَـا ... إذَا افْتَخَرْتْ بِالْحُسْنِ أَعْجَزَها المِثْلُ
شَكَوْتُ إلَيْها مَا أُجِنُّ مِنَ الْجَوى ... فَقَالَتْ إذَا اشْتَدَّ الْجفَا عَذُبَ الْوَصْلُ
فَقُلْتُ أُصَمَّ العاذلُونَ مَسَامِعِـى ... فَقَالَتْ إذَا صَحَّ الْهَوى بَطَلَ الْعَذْلُ
فَقُلْتُ فَمَاذَا عِنْدَكُـمْ لِمُدَلَّـهٍ ... فَقَالتْ لَهُ إمَّا الْحَيَاةُ أَو الْقَتْلُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْظَى لَدَيْنا فَكُنْ لنا ... فَرِيدًا فَلا مَالٌ لَدَيكَ وَلا أَهْلُ
فكم هَلكتْ فى حُبّنا مِنْ مَعَاشِرٍ ... وَمَا نَهلُوا صَفْوَ الْحَيَاةِ وَلا عَلُّوا
وَلا ظَفِرُوا مِنّا بِأَيْسَرِ طَائِـلٍ ... أَتَطْمَعُ بِالتَفْرِيطِ فِي وَصْلِنا ، جَهلُ

ومن ذلك قول الباخَرْزِى [١] :

/ قَدْ قلتُ لها هجرتِنى ما العِلة ... صدّت وتمايلت وقالتَ قُلْ لَهْ [٢] ١٧٠

قال علماءُ البيان : أحسن هذا النوع ماكثرت فيه القلقلة .

* * *

---

(١) كذا فى (ط) . وبين البيتين بيت ساقط وهو قوله :

تقول وقد مال الغبيط بنا معـا ... عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

ديوانه : ١١ ، ١٢ ورواية البيت الثالث (زمامه ، ولا تبعدينى) .

(١) هو نور الدين أبو الحسن على بن الحسن بن أبى الطيب الباخرزى نسبة إلى بلدته (باخرز) بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وهى بلدة فى أفغانستان حاليًا . توفى ٤٦٧ هـ . وقد اشتهر بكتابه « دمية القصر » وذكر الزركلى أن له ديوان شعر مخطوط بالمستنصريه ببغداد (الأعلام ٢٧٣/٤) .

(٢) حدائق السحر : ١٥٩ ، ونهاية الإيجاز : ٢٩٤ ، والمعيار : ١٣٩ .

وهذا البيت لا يجرى فى وزنه على المعروف من أوزان العرب فتقطيعه يجرى على : « مفعولُ مفاعلن فعولن فعلن) . وقد وجدت الزنجانى فى المعيار « القسم الأول : فى علم العروض » : ٨٧ يقول : « واخترع بعض العجم بناء أسمَوه الرباعى كقوله :

الـورد بوجنتـيك زاه زاهـر ... والسحـر بمقلتـيك وافٍ وافـرْ
فالعـاشق فى هـواك ساهٍ ساهـرْ ... يرجو ويخاف وهو شاكٍ شاكـرْ

وتقطيعه : مفعول مفاعلن فعولن فعْلن . وقد يجيء فَعِلُن . بتحريك العين » وعليه فيكون بيت الباخرزى من هذا الضرب .

القسم السادس والأربعون

التوهم ويسمى الإيهام أيضا (*)

وهو أن يجاء بكلمة توهم أخرى .

ومنه قوله تعالى ﴿ يومئذٍ يُوفيهم اللهُ دِينَهم الحق ﴾ [سورة النور : ٢٥] يوهم من لا يفهم أو يعلم العربية أن دينهم حق ؛ لأن « دينهم » إذا قرأها بالرفع من لا يفهم ولا يعلم العربية اقتضى ذلك أن دينهم حق وليس كذلك .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُل ما عندَ اللهِ خيرٌ من اللهو ومِن التِجَارةِ ﴾ [سورة الجمعة : ١١] من لا يفهم العربية ولا يفهم المعنى يعتقد أن (ما) نافية وأنه ليس عند الله خير من اللهو ومن التجارة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إنما يَخْشَى اللهَ مِنْ عباده العُلَمَاءُ ﴾ [سورة فاطر : ٢٨] من لا يعرف العربية إذا سمع هذه الآية اعتقد أن الله تعالى يخشى العلماء ، والعارف بالعربية والقراءة ينصب الجلالة ويرفع العلماء فيظهر له أن العلماء هُم

(*) الإيهام : تسمية الوطواط فى حدائق السحر : ١٣٥ ، والرازى فى نهاية الإيجاز : ٢٩١ ، والزنجانى فى المعيار : ١٢٧ . وتعريفهم له يجعله لا يفترق عن فن « التورية » . وقد قرر السيوطى أن الإيهام والتورية بمعنى واحد (معترك الأقران : ٣٧٤/١ ، والإتقان : ٢٥٠/٣ ، وشرح عقود الجمان : ١١٢) ، وكذلك الزركشى الذى ذهب إلى أن الإيهام والتورية والتخييل والمغالطة كلها مترادفة (البرهان ٤٤٥/٣) .

وماساقه ابن النقيب هنا من تعريف للتوهم موجود عند ابن منقذ فى بديعه تحت اسم « التوهيم » ، وهى تسمية ابن أبي الإصبع – أيضاً – (تحرير التحبير : ٣٤٩ ، وبديع القرآن : ١٣١) .

ولا أدرى أى فصاحة وبلاغة – تلك – فيما ساقه المؤلف من أمثلة لهذا القسم !! وعندى أن الأَوْلى حذف هذا الباب عند الحديث عن بلاغة القرآن . وهو بابٌ ولدته البيئة العجمية الفارسية التى لها العربية – بالمعاناة والمجاهدة لا بالطبع والذوق ، وليس بينه وبين البلاغة أدنى نسب أوصلة .

الذين يخشون الله ، ومنه قوله تعالي : ﴿ فويلٌ للمصلينَ ﴾ [سورة الماعون : ٤] من لا يعلم المعنى اعتقد أن الويل لاحقٌ بالمصلين ، ولهذا قال بعض الجهال :

مَا قَالَ رَبُّكَ وَيْلٌ للذين سَهَوا   بَلْ قَالَ رَبُّكَ وَيْلٌ لِلْمُصَلِّينا

وقد يقع من ذلك فى الشعر كثير . ومنه قول سُحَيْم (1) :

فَجَالَ عَلَى وَحْشِيِّـهِ وَتَخَالُـهُ   عَلَى ظَهْرِه سِبًّا جَدِيدًا يَمَانِيا (2)

فقوله « يمانيا » يوهم أنه « شبا » بالشين . وكذلك قول المتنبي :

فَـإِنّ الْفِئَامَ الـذى حَوْلَـهُ   لتَحْسُدُ أَرْجُلَها الأَرْؤُسُ (3)

فقوله « أرجلها » يوهم أنه القيام بالقاف وإنما هو بالفاء « والفئام » الجماعات .

* * *

(١) هو سُحيم عبدُ بنى الحَسْحاس . أدرك النبى ﷺ ، وقد تمثل بشيء من شعره . وسُحَيم : تصغير « الأسحم » بمعنى الأسود وهو الثعبان . قتل فى زمن عثمان رضى الله عنه أى قبل سنة ٣٥ هـ .

(٢) ديوان سحيم : ٣٠ ، وبديع ابن منقذ : ٨٦ ، ونسبه ناشراه لسحيم بن وثيل وهو خطأ . وهو فى أبيات فى وصف ثور وحشى . (على وَحْشِيّه) : أى يساره . يقال : جاء فلانٌ على وحشيه : إذا جاء على يساره . وإذا جاء على يمينه قيل : جاء على إنسيه ، و(السِّبُّ) : ضرب من الثياب البيض . وقوله (تخاله) يرى الأستاذ الميمنى أن المعنى على تشبيه بياض ظهر الثور بالسِّب .

(٣) ديوانه : ٣١٥/٢ . وروايته (الفئام التى) ، وفى بديع ابن منقذ : ٨٧ ، وتحرير التحبير : ٣٤٩ . وكان فى (ط) : (أرجلها الأرؤسا) ، و(الفئام) الجماعات من الناس ، وهذا البيت فى مدح أبى الفضل بن العميد ، يقول له الشاعر : إنّ هذه الجماعات التى وقفت حولك لخدمتك تحسد رؤوسُها أرجلَها على شرف القيام لخدمتك . وكانت هذه الرؤوس تودُّ لو أنها هى مكانها لتشرف بمباشرة الأرض التى باشرها الممدوح .

١٧١ / القسم السابع والأربعون

التشعيب (*)

وهو أن يكون فى صدر الكلام كلمة من عجزه مثله قوله تعالى : ﴿ قد نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فى السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرام ﴾ [سورة البقرة :] وقوله تعالى : ﴿ ولئن أتيتَ الذينَ أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلَتَكَ وما أنت بتابعٍ قِبْلَتَهُمْ وما بعضهم بتابعٍ قِبْلَةَ بعض ﴾ [سورة البقرة : ١٤٥] ومثل قول الشيخ أبي العلاء [(١)] :

قَدْ أَوْرَقَتْ عُمْدُ الخِيَامِ وَأَعْشَبَتْ ... شُعَبُ الرِّحَالِ وَلَوْنُ رَأْسِى أَغْبَرُ
وَلَقَدْ سَلَوْتُ عَنِ الشَّبَابِ كَمَاسَلا ... غَيْرِى وَلَكِنْ لِلْحَزِينِ تَذَكُّرُ [(٢)]

وقال آخر [(٣)] :

وَمَا هَجَرَتْك النَّفْسُ يَاعَزُّ أَنَّهَا ... قَلَتْكِ ولكنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا
وَلَكِنَّهُمْ يَا أَحْسَنَ النَّاس أُولِعُوا ... بقَوْلٍ - إذَا مَا جِئْتُ - هَذا حَبِيبُها
أَهَابُكِ إجْلالاً وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ ... عَلَىَّ وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا

(*) بديع ابن منقذ : ٩١ .
ولا أدرى ماعلاقة هذا الفن بالمعانى وما يتعلق بها من بلاغة حتى يأتى به المؤلف فى هذا القسم ! وكان حقه أن يكون مكانه اللائق فى القسم الثانى الذى عقده لما يتعلق بالألفاظ من فنون الفصاحة .

(١) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعرّى الشاعر الفيلسوف ولد ومات بمعرّة النعمان أصيب بالجدرى وهو صغير فعمى . وقد ثار الجدل حول حقيقة معتقداته وللعلماء فى ذلك كلام . وتوفى سنة ٤٤٩ هـ .

(٢) بديع ابن منقذ : ٩١ ، ورواية عجز الثانى - فيه - (ولكن للحبيب) .

(٣) هو نُصَيب بن رباح الشاعر الأموى ، مولى عبد العزيز بن مروان ، وعاصر جريرًا والفرزدق والأبيات الثلاثة أوردها أبو تمام فى ديوان الحماسة (١١٢/٢) مع اختلاف الترتيب عما هنا . فالبيت الأخير هنا هو أوّل المقطوعة هناك وبعده البيت الأول هنا ثم الأخير : (ولكنهم يا أحسن الناس) وقد أورد البيتين الأولين - هنا - ابن منقذ فى بديعه : ٩٢ ، وعزاهما لكثير . وهما ليسا فى ديوانه جمع الدكتور إحسان عباس . وقد ذكرهما فى تخريج القصيدة (٣٨) منه ، وذكر أنهما ينسبان للمجنون .

القسم الثامن والأربعون

الاستثناء (*)

وهو أن يذكر شيئًا ثم يرجع عنه ، أو يدخل شيئًا ثم يخرج منه بعضه .

أما الاستثناء ففى القرآن منه كثير . فمنه قوله تعالى : ﴿ حُرِّمتْ عليكم الميتة والدّمُ ولحمُ الخِنزير ﴾ [سورة المائدة : ٢] إلى قوله تعالى : ﴿ إلا ما اضطررتم إليه ﴾ (١) . ومنه قوله تعالى : ﴿ قلْ لا أجدُ فى ما أوحى إلىّ مُحَرَّمًا على طاعِمٍ يطْعَمُهُ إلا أن يكونَ مَيْتَةً أو دمًا مَسْفوحًا أو لحمَ خنِزير ﴾ [سورة الأنعام : ١٤٥] . ومثله فى القرآن كثير .

وأما الرجوع فلا ينبغى أن يكون فى القرآن منه شيءٌ لأن / المتكلم به لا يليق بجلاله أن يوصف بالرجوع عن شيء (٢) . ١٧٢

(*) فى « الاستثناء » انظر : الصناعتين : ٤٢٤ ، والعمدة : ٤٨/٢ . وهو عندهما يساوى فى معناه « توكيد المدح بما يشبه الذم » عند ابن المعتز . قال ابن رشيق : (وليس هذا الاستثناء على مارتبه النحويون فتطلبه بحروف الاستثناء المعروفة ، وإنما سمى اصطلاحًا وتقريبًا سمّاه هؤلاء المحدثون نحو الحاتمى وأصحابه ولم يسمّ حقيقة) . وذكر الزنجانى أن توكيد المدح بما يشبه الذم يسمى أيضاً الاستثناء والرجوع (المعيار ١٣٧) . أما ابن أبى الإصبع فهو عنده بمعناه المعروف فى النحو واللغة إلا أنه يزيد عنده باشتماله على معنى زائد يوصل به ليكون معدودًا فى فن البديع ومالم يشتمل على هذه الزيادة لم يكن له مكان فى هذا الفن (انظر تحرير التحبير : ٣٣٣ ، وبديع القرآن : ١٢١) . وابن النقيب – هنا – متابع لابن أبى الإصبع فى فصله بين « الاستدراك والرجوع » وبين « الاستثناء » . إلا أن ابن النقيب لم يكن موفقًا فيما ساقه من أمثلة ، حيث أمثلة الفنّان عنده متداخلة لا فارق بينهما وينتهى الناظر إلى أنهما – عنده فن واحد . أمّا ابن أبى الإصبع فالذى يظهر لى أنه جعل « الاستثناء » خاصًا بما كان مسوقًا بأدواته المعروفة مثل « إلا » و « غير » . وانظر قسم تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وضبط المصطلح فيه .

(١) كذا فى (ط) . وهذا وهم من المؤلف فهذا جزء من الآية (١١٩) من سورة الأنعام ، وماساقه قبل من سورة المائدة .

(٢) موقف غريب من ابن النقيب – رحمه الله – فقد نفى هنا وقوع « الرجوع » فى القرآن ، =

وأما ما سوى القرآن ففيه منه كثير . من ذلك فى الاستعمال قولهم : « ليس له عقل إلا ماتقوم عليه به الحجة [١] » .

وأما فى الشعر فقد ورد فى أشعار كثيرة . منها :

أليسَ قَليلاً نظرَةٌ إنْ نَظَرْتُها إلَيْكِ وَلَكِنْ لَيسَ مِنْكِ قِلِيلُ [٢]

ومنه قول الآخر :

وَمَا بِي انْتِصَارٌ إنْ عَدَا الدَّهْرُ ظالما علىَّ ، بلى إنْ كانَ مِنَ عِنْدِكَ النَّصْرُ

ومنه قول النابغة :

وَلا عَيْبَ فِيهم غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ من قِراعِ الكَتَائِبِ [٣]

* * *

= وقد أثبته وساق له الأمثلة قبل صفحات قليلة فى باب الرجوع والاستدراك .

(١) انظر هذا المثال فى قسم الرجوع والاستدراك مع اختلاف طفيف .

(٢) ليزيد بن الطَّثَرِيَّة من شعراء الدولة الأموية مات مقتولاً عام ١٢٦ هـ . ديوان الحماسة : ٢/٩٥ .

(٣) ديوانه : ٤٤ ، وبديع ابن المعتز : ٦٢ ، وتحرير التحبير : ١٣٣ ، والمعيار : ١٣٧ ، وكلمة (غير) ساقطة من (ط) .

القسم التاسع والأربعون

الغرابة والظرافة والسهولة (*)

أما الغرابة فقال ابن قدامة [1] : هى أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه على جهة الاستحسان فيقال : طريفٌ وغريبٌ ، إذا كان عديم المثال أو قليله .

والقرآن العظيم كله سهل ممتنع ، ألفاظه سهلة ، ومعانيه نادرة ، وأسلوبه غريب قد مازجت القلوب عذوبته ، وحلت فى العيون طُلاوته ، وراق فى الأسماع سماعه ، واستقر فى الطباع انطباعه ؛ فلهذا لم يُسأم على ترداده ، و لم تملّهُ النفوس على دوام إيراده فكل آية منه حسنة المساق ، وكل كلمة منه عذبة المذاق ، وكل معنى منه دق ورق .

ومن هذا النوع فى أشعار العرب والمخضرمين والمتأخرين كثير لا يحصى . فمن ذلك قول بعض العرب [2] :

هَوَى صَاحِبى ريحُ الشمال إذا جَرتْ ... وَأشْفَى لِقَلْبِي أن تَهُبَّ جَنُوبُ
يَقُولُونَ لوْ عَزَّيْتَ قَلبكَ لارْعَوَى ... فَقُلْتُ وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبُ

(*) فى بديع ابن منقذ : ١٣٤ بعنوان « باب الظرافة والسهولة » ويبدو لى أن هذا تصحيف قديم فى كتاب ابن منقذ الذى نقل عنه ابن النقيب وأن صوابه (الطُّرفة) بالطاء المهملة وبعدها الراء من غير ألف . وانظر التعليق التالى .

(١) كذا فى (ط) . وكلام قدامة هنا فى نقد الشعر : ١٤٩ تحت عنوان : « الاستغراب والطّرفة » ومن سياق كلام قدامة أرجّح أنّ الصواب هو « الطُّرفة » - كما فيه - ثم تحرف بعد ذلك عند من نقل عنه إلى « الطرافة » .

(٢) بديع ابن منقذ : ١٣٤ دون عزو .

وقال آخر [١] :

وَلا تَحْسَبَا هِنْدًا لها الْغدرُ وَحْدَها سَجِيَّةُ نفسٍ ، كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ

١٧٣ / فَمَا خلفَ أَجْفَانِي شُؤُونٌ [٢] بخيلة وَلا بَيْنَ أَضْلاعِي لَهَا حَجَرٌ صَلْدُ

وقال آخر [٣] :

تَقُولُ نِسَاءُ الْحَيِّ تَأْمَلُ أَنْ تَرى مَحَاسِنَ لَيْلَى مُتْ بِدَاءِ المَطامِعِ

وَكَيْفَ تَرَى لَيْلِى بَعَيْنٍ تَرَى بِهَا سِوَاهَا وَمَا طَهَّرْتَهَا بالمَدَامِعِ

وَتَلْتَذُّ مِنْهَا بالْحَدِيثِ وَقَدْ جَرَى حَدِيثُ سِوَاها فِي خُروقِ [٤] المَسامِعِ

وقال آخر :

لا خيرَ فى الحب وَقْفًا لا تُحَرِّكُهُ عوارِضُ الْيَأْسِ أَو يَرْتاحُهُ [٥] الطَّمَعُ

لَوْ كَانَ لِي صَبْرُها أو عِنْدَها جَزَعِي لَكُنْتُ أَمْلِكُ مَا آتِي وَمَا أَدَعُ

إِذَا دَعَى بِاسْمَها دَاعٍ لِيُحْزِنَنِي كَادَتْ له شُعْبَةٌ مِنْ مُهْجَتِي تَقَعُ

لا أَحْمِلُ اللَّوْمَ فِيها وَالغَرَامَ بِهَا مَا كَلَّفَ اللهُ نَفسًا فَوقَ مَا تَسَعُ

وقال مسلم بن الوليد [٦] :

عَينِى لِعَيْنِكِ حينَ تَنْظُرُ [٧] لَكِنَّ عَيْنَكِ سهمُ حَتْفٍ مُرْسَلُ

---

(١) بديع ابن منقذ : ١٣٥ دون عزو .

(٢) شئون العين : مجارى الدموع فيها .

(٣) لعلها لبعض شعراء الصوفية . والبيت الأول والثانى رأيتهما فى كتاب « قطر الولى على حديث الولى للشوكانى : ٤٦٥ . وبعدهما ثالث يقول :

أُجِلُّك يا ليلى عن العين إنما أراك بقلب خاشع لك خاضع

(٤) كذا فى (ط) ، وأرجح أن هذا تصحيف وأن صوابها (خُروت) بالتاء لا بالقاف ، فهى الأنسب بلغة هذا الشعر الرقيق الذى تخرق رقته هذه الخروق . « والخروت » بالتاء هى الثقوب . وأظننى قرأتها قديماً كذلك (خروت) ، وراح عنى موضعها الآن .

(٥) كذا فى (ط) ، ولعل صوابها : « أويرتاده » بالدال المهملة بدلاً من الحاء المهملة .

(٦) هو مسلم بن الوليد الشاعر العباسى الشهير بصريع الغوانى . أول من أكثر من البديع فى شعره وتلاه الشعراء . توفى بجرجان سنة ٢٠٨ هـ .

(٧) عند هذا الموضع علّق ناشر (ط) بقوله : (كذا فى الأصل ، ولم نقف عليه فى المطبوع من شعره) وقد راجعت – أنا أيضًا – ديوان مسلم بن الوليد ولم أجد البيتين .

وَمنَ الْعَجَائِبِ أنّ مَعْنًى وَاحِدًا هُوَ مِنْكِ سَهْمٌ وَهْوَ مِنِّى مَقْتَلُ

وقال آخر [١] :

وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّنى لكِ عَاشِقُ
نَعَمْ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتِ عَزِيزَةٌ عَلَىَّ وَإِنْ لَمْ تصْفُ مِنْكِ الخَلائِقُ [٢]

وقال أبو تمام :

أَقُولُ وَقَدْ قَالُوا استَرحْتَ بِمَوْتِهَا مِنَ الْكَرْبِ رُوحُ المَوْتِ شَرٌّ مِنَ الكَرْبِ [٣]

وقوله أيضًا :

وقالوا عَزاءُ الموتِ للنَّفسِ مَدْفَعٌ فَقُلْتُ وَلا لِلْحُزْنِ مُذْ ماتَ مَدْفَعُ [٤]

ومن الغريب السهل الظريف قول أبى تمام فى قصيدته التى أولها :

مَا فِى وُقُوفِكَ سَاعةً مِنْ بَاسِ تُحْيِى بَقَايَا الْأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ [٥]
إِقْدَامُ عَمْرٍو فِى سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِى حِلْمِ أَحْنَفَ فِى ذَكَاءِ إِيَاسِ [٦]
/ لا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلاً شَرُودًا فِي النَّدَى والْبَاسِ ١٧٤
فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ مَثَلاً مِنَ المِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ [٧]

وهذه الأبيات على غاية من الغرابة ، وعلى نهاية من الظرافة والإطابة . وأغرب مافيها أن أبا تمام لما أنشد قوله :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِى حِلْمِ أَحْنَفَ فِى ذَكَاء إِيَاسِ

---

(١) هو قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى الشاعر الأموى .
(٢) ديوان مجنون ليلى : ٢٠٣ .
(٣) ديوانه : ٥٤/٤ .
(٤) ديوانه : ٩٤/٤ . وروايته : (وقالت عزاءٌ ، ليس للموت مدفع) .
(٥) ديوانه : ٢٤٢/٢ وروايته : (نقضى زمام الأربع ...) .
(٦) ديوانه : ٢٤٩/٢ .
(٧) البيتان فى ديوانه : ٢٥٠/٢ .

قال بعض من حضر فى مجلس الخلافة : شبَّه أمير المؤمنين بكل بَوّال على عَقِبَيه ، فأنشد فى الحال بديهًا :

* لا تنكروا ضربى له من دونه * البيتين

فقال له الخليفة : تمنّ . فقال : تمنيت الموصلَ . فكأن الخليفة توقف عن ذلك ، فقال له حكيم عنده : أعطها له فإنه لا يصل إليها ؛ فإننى من قوة فكرته شممت رائحة كبده ، فتوجه إليها فمات فى الطريق .

وهذا النوع القرآن كله منه فإنه من غرابة الأسلوب وبداعة السياق ، وجودة الاتساق ، على غاية لا تدرك ، وطريقة لبعد مثالها لا تسلك . ومن هذا النوع قول زهير :

وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ كَبِيرٍ [1] فَإِنَّما ... تَوَارَثَـهُ آبَـاءُ آبائهـم قَبْـلُ
وَهَل يُنْبِتُ الْخَطِّىَّ إلا وَشيجُهُ ... وتُغرَسُ إلا فِي مَنَابِتِها النَّخْـلُ
عَلَى مُكْثِرِيهِمْ حَقُّ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ ... وعندَ المِقِلِّين السماحةُ والْبَذْلُ [2]

قال المصنف عفا الله عنه : هذا البيت قد ذكر أرباب هذه الصناعة أنه أمدح بيت قالته العرب ، وقد طعن عليه بعض الحذاق منهم وذكر فيه عيوبًا . منها أنهم لو كانوا كرماء ماكان فيهم مُقِل . ومنها أنه جعل حق المعترى على المكثرين واجبًا عليهم ، و لم يوجبه على المقلين ؛ فكان المكثرون عليهم إكرامُ الضيف واجبًا ، و لم يكن واجبًا على المقلين ؛ فاقتضى ذلك أن يكون إعطاءُ المكثرين عن كظم ، وإعطاءُ المقلين عن كرم ؛ فصار المقلون أحسنَ حالاً من المكثرين وأكرمَ أنفسًا . وعليه مآخذ غيرُ هذه ولسنا بصدد استيفائها . وهذا الباب واسع جدًا وماذكرناه فيه مقنع .

* * *

(١) لفظ الديوان (خيرٍ أتَوه) .

(٢) البيتان الأول والثانى آخر قصيدة زهير فى ديوانه : ١١٥ ، وأما البيت الثالث فقبلهما ببيت فى الديوان : ١١٤ . والخطّى : الرماح ، منسوبة إلى الخَطّ وهى جزيرة بالبحرين .

القسم الموفى خمسين

مايوهم فساداً وليس بفساد (*)

وهو أن يقرن الناظم أو الناثر كلامًا بما ليس يناسبه ، أو يقدم التشبيه على ذكر المشبه .

ومنه فى القرآن كثير ، وكذلك فى أشعار العرب .

أما القرآن فمنه قوله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٨] قرنها بقوله : ﴿ وإن طَلَّقْتُموهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٧] الآية ، وأتبعها بقوله : ﴿ والذين يُتَوَفَّوْنَ منكم ويذرون أزواجًا وصية ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٠] فليس قبلها وبعدها مايناسبها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إن لك أن لا تجوع فيها ولا تَعْرَى وأنكَ لا تظمأ فيها ولا تَضْحَى ﴾ [سورة طه : ١١٨ ، ١١٩] الذى يقتضيه المعنى المناسب ظاهرًا أن يقول : « إن لك أن ألا تجوع فيها ولا تظمأ وأنك لا تعرى فيها ولا تضحى » [١] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وإنْ [٢] خفتمْ أنْ لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطابَ لكم من النساءِ ﴾ [سورة النساء : ٣] . وغير العالم المطلع على خفايا

(*) هذا القسم ذكره ابن منقذ بعنوان « الفساد » (بديعه : ١٤٧) ، وعرّفه بأنه فساد المجاورة والتشبيه ، وجعل منه فساد التفسير وفساد التجنيس .

(١) انظر البحر المحيط : ٢٨٤/٦ .

(٢) ط : (فإن) وهو خطأ .

معانى القرآن العظيم يظن فى ذلك كله عدم المناسبة وليس الأمر كذلك بل ما ورد به القرآن العزيز هو الأحسن وسنذكر إن شاء الله المناسبة فى ذلك .

فأما آية اليتامى فقد ذكر أئمة التفسير فى المناسبة وجوها [١] . أحدها : ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : هذا فى اليتيمة تكون عند وصيها فيعجبه حسنها ومالها ، فيمنعها عن الأزواج ليتزوجها بمهر دون مهر مثلها ويحوز مالها ؛ فأعلم الله المؤمنين أن من خشى منهم أن يقع فى مثل ذلك مع اليتامى فلينكح ماطاب له من النساء من غير اليتامى . وقيل : المعنى فإن كنتم من التقوى على حدٍّ تخشون أن تلوا مال اليتيم خشية عدم الإقساط فانكحوا ماطاب لكم من النساء يعنى اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا ، فإن من كان بهذه المثابة من خوف الله والتقوى لا يخشى عليه من الجور والميل وعدم العدل بين نسائه بدليل ما عقبه به من قوله : ﴿ فإنْ خفتمْ أن لا تعدلوا فواحدةً ﴾ [سورة النساء : ٣] وقد ذكر أئمة التفسير فى الجمع غير ذلك اقتصرنا على هذا خشية التطويل [٢] .

وأما (آدم عليه السلام) [٣] فقد تقدم فى المناسبة أنها تارة يُقصد فيها مناسبة اللفظ والمعنى وتارة يراعى فيها مناسبة اللفظ فقط / وتارة يراعى فيها مناسبة المعنى . وهذه الآية منه وهو الذى أريد ؛ لأن « الجوع » خلو الباطن عن الغذاء « والتَّعَرِّى » خلو الظاهر عن الثياب . « والظمأ » احتراق الباطن بالحرارة . « والضَّحَى » احتراق الظاهر ؛ فظهرت المناسبة من حيث المعنى فيها .

١٧٦

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى تفسير الطبرى : ٥٣١/١ - ٥٤١ .

(٢) لعل أبرع وجه فى توجيه هذه الآية هو ما أتى به الإمام الطبرى رحمه الله حيث ذهب إلى أن فى نظم الآية محذوفًا استغنى بدلالة الظاهر عن ذكره . وأنّ معنى الكلام (وإن خفتم ألا تقسطوا فى أموال اليتامى فتعدلوا فيها فكذلك فخافوا ألا تقسطوا فى حقوق النساء التى أوجبها الله عليكم ، فلا تتزوجوا منهن إلا ما أمنتم معه الجور مثنى وثلاث ورباع . وإن خفتم أيضًا فى ذلك فواحدة وإن خفتم فى الواحدة فماملكت أيمانكم = فترك ذكره قوله : « فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى حقوق النساء ، بدلالة ماظهر من قوله تعالى ﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ﴾ انظر الطبرى : ٥٤٠/٧ - ٥٤١ .

(٣) مابين القوسين كذا فى (ط) . ويبدو أن فيها سقطًا يفهم من السياق تقديره مثلاً : (وأمّا خطاب الله سبحانه لآدم عليه السلام) أى فى آية سورة طه السابقة : ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ﴾ .

وأما آية الصلوات والمحافظة عليها فقد سئل عنها بعض أجلة أهل العلم رضى الله عنهم فقال (لما أمر الله تبارك وتعالى بالمحافظة على حقوق الخلق ذكر لهم حقوقه وهو الصلاة ليجمع لهم فى التعليم بين مراعاة حقوق الخلق والحق ليحصل لهم الكمال ثم لما كانت حقوق الآدميين منها ماهو متعلق بالحياة – وقد ذكر ذلك قبلها – ناسب أن يذكر الحقوق المتعلقة بالممات بعدها) (١) . وقد ذكر أهل التفسير رضى الله عنهم فيها أجوبة كثيرة اقتصرنا على هذا منها .

وقد وقع فى أشعار العرب الأقدمين والمتقدمين من الإسلاميين والمتأخرين من هذا النوع كثير . من ذلك قول امرىء القيس :

كَأَنِّى لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلَـذَّةٍ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ
وَلَمْ أَسْبَأِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ لِخَيْلِى كُرِّى كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ (٢)

قال بعض النقاد : إن هذا فاسد لأنه جعل التغزل مُجاورًا للشجاعة فى البيتين ، والأجود أن يجاور الشجاعة بالشجاعة والغزل بالغزل فيقول :

كَأَنِّى لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقُلْ لِخَيْلِى كُرِّى كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ
وَلَمْ أَسْبَأِ الزِّق الـرَوِىَّ لِلَـذَّةٍ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ

ومن هذا النوع قول المتنبى :

وَقَفْتَ وَمَا فِى المَوْت شَكٌّ لِوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِى جَفْنِ الرَّدَى وَهْو نَائِمُ (٣)
تَمُرُّ بِكَ الأَبطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَـاسِمُ

وهذا الذى ذكره النقاد قد رده جماعة من الحذاق بما حكى (٤) أن سيف

(١) مابين القوسين فى تفسير البحر المحيط : ٢/٢٣٩ مع تغيير طفيف فى العبارة .
(٢) ديوانه : ٣٥ ، والصناعتين : ١٥٠ ، وبديع ابن منقذ : ١٤٨ ، والجامع الكبير : ٢١٧ ، والمثل السائر : ٣/١٦٥ – ١٦٦ ، والبحر المحيط : ٦/٢٨٥ .
(٣) ديوان المتنبى : ٤/١٠١ – ١٠٢ ، والبحر المحيط : ٦/٢٨٥ .
(٤) هذه الحكاية فى المثل السائر : ٣ ؟ ١٦٥ ، والجامع الكبير : ٢١٧ .

الدولة قال للمتنبى : هذا فاسد المجاورة ؛ لأنك أتيت بالتشبيه قبل ذكر المشبه ، والأجود أن تقول :

وَقَفْتَ وَمَا فِي المَوْت شَكٌّ لِوَاقِف ... وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ
تَمُرُّ بِكَ الأَبطَالُ جَرْحَى هَزِيمَةٍ ... كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ

فقال المتنبى : أيّد الله مولانا الأمير (إن صح الذى استدرك صح الذى أستدرك على / امرىء القيس وهو أعلم بالشعر منى . فقد أخطأ امرؤ القيس وأسأت أنا) [١] ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البزّاز [٢] كمعرفة الناسج ؛ لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفاريقه ؛ لأنه هو الذى أخرجه من الغزلية إلى الثوبية . وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة ركوب الخيل للصيد وقرن السماحة فى سِبَاءِ [٣] الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء . وأنا ذكرت الموت فى أول البيت فأتبعته بذكر الردى وهو الموت لتجانسهما ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو وجهه من أن يكون عبوسًا وعينه من أن تكون باكية قلت :

ووجهك وضاح وثغرك باسم

لأجمع بين الأضداد فى المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجمعهما ؛ فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين دينارًا .

ومن ذلك قول بعضهم [٤] :

فإنكَ [٥] أنْ تَهْجُو تَمِيمًا وَتَرْتَشِي ... سَرَابيلَ قَيسٍ أو سُحُوقَ الْعَمَائِمِ
كمُهْرِيقِ مَاءٍ فى الفَلاَةِ وغـرَّهُ ... سَرَابٌ أَذَاعَتْهُ رِيَاحُ السَّمَائِمِ [٦]

(١) مابين القوسين كذا فى (ط) . وعبارة المثل السائر : ١٦٦/٣ (إن صح أنّ الذى استدرك على امرىء القيس هذا أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا) .

(٢) البَزّ : الثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوها . وبائعه البزّاز . (القاموس) .

(٣) سَبَأَ الخمرَ سِبَاءً : شراها (القاموس) .

(٤) هو الفرزدق .

(٥) لفظ الديوان : إذْ .

(٦) ديوانه : ٣١٣/٢ ، والصناعتين : ١٥١ ، وسر الفصاحة : ٢٥٥ ، وبديع ابن منقذ : ١٤٩ وعزاها لبعض العرب . وكان فى (ط) : كمهرق .

وقال آخر [1] :

فَإِنِّى وَتَرْكِي نَدَى الأَكْرَمِينَ ... وَقَدْحِى بِكَفِّيَ زِنَادًا شِحاحَا
كَتَارِكَةٍ بَيْضَهَا بِالعَرَاءِ ... وَمُلْبسةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَناحَا [2]

يجب أن يكون كل بيت من الأولين مع بيت من الآخرين لأنه أجود وأنسب .. ومن هذا النوع أيضًا قول الشاعر [3] :

فَيَا أَيُّهَا الْحَيْرَانُ فِي ظُلْمَةِ الدُّجَى ... وَمَنْ خَافَ أَنْ يَلْقَاهُ بَغْيٌ مِنَ الْعِدَا
تَعَالَ إِلَيهِ تَلْقَ مِنْ نُورِ وَجْهه ... دَليلاً [4] ومن كفِّيهِ بَحْرًا مِنَ النَّدا

قال النقاد : هذا فاسد التفسير لأنه قابل البغى بالسماحة وكان يجب أن يقابل بغير ذلك فيقول : تنظر أسدًا حاميًا وليثًا مانعًا . وقد قيل فى هذا البيت أنه دل على الشجاعة بلازمها ؛ لأن الشجاع لا يكون بخيلاً ولذلك قال الشاعر :

لا تَطْلُبَنَّ مِنَ الْبَخِيلِ شَجَاعَةً ... إِنَّ الْبَخِيلَ يَخَافُ أَسْبَابَ الرَّدَى
مَنْ لا يَجُودُ بِمَالِهِ يَوْمَ النَّدَا ... أَنَّى يَجُودُ بِنَفْسِهِ يَوْمَ اللِّقَا

وقد تعسف لهذه الأبيات وجوه من المعانى وضروب من التصحيح تخرج بها من أن تكون فاسدة [5] ليس هذا موضع استيفائها وفيما ذكرت كفاية ومقنع والله الهادى والموفق .

* * *

---

(١) هو إبراهيم بن على بن هَرْمة ، أبو إسحق شاعر أموى عباسى ، توفى سنة ١٧٦ هـ ، قال عنه أبو عبيدة : افتتح الشعر بامرىء القيس وختم بابن هَرْمة

(٢) شعر إبراهيم بن هَرْمة : ٨٧ ، وسر الفصاحة : ٢٥٥ ، وبديع ابن منقذ : ١٤٩ بغير نسبة .

(٣) بغير عزو فى نقد الشعر لقدامة : ٢٠٣ ، والصناعتين : ٣٥٧ ، وبديع ابن منقذ : ١٤٩ .

(٤) فى نقد الشعر والصناعتين (ضياء) بدلاً من (دليلاً) .

(٥) فإذا كان الأمر كذلك كان الواجب أن لا يذكر المؤلف هذه الأبيات تحت هذا القسم ، حيث جعله لما يوهم فسادًا وليس بفساد ، وليس لمطلق الفساد كبديع ابن منقذ مثلاً .

١٧٨ / القسم الحادى والخمسون

فى النادر والبارد (*)

فأما البارد فليس فى القرآن العظيم منه شيء وسيأتى بيانه فى الفن الثالث [١] الذى ليس في القرآن العظيم منه شيء .

وأما النادر فالقرآن مشحونٌ به فإن أكثر ألفاظه نادرة الوجود ومعانيه مستوفيةٌ للمقصود . كل كلمة منه جامعة لمعان شتى . وكل آية تحتوى على معان لغير المتكلم به لا تتأتى وكل سورة إحكام أحكامها لا ينحصر ، وإعجاز إيجازها قد أعجز البشر . وفيه النادر الحسن والأحسن .

فمن الآيات التى لم يُنسَجْ على منوالها ، ولا سمحت قريحة بمثالها قوله تعالى : ﴿ حتى إذا [٢] جاء أمرُنا وفارَ التنورُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وقيلَ بُعدًا للقوم الظالمين ﴾ [سورة هود : ٤٠ – ٤٤] ولهذا إن [٣] ابن الْمُقَفَّع [٤] لما عارض القرآن ووصل إلى هذا الآية قال : هذا مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ، وترك المعارضة ومزق ماكان اختلقه .

(*) « النادر والبارد » انظر بديع ابن منقذ : ١٦٠ . وكان الأحرى بالمؤلف أن لا يفرد لهذا النوع قسمًا خاصًا ، « فالبارد » لم يرد فى القرآن . وما أتى به من أمثلة « للنادر » تدخل تحت باب « الإيجاز » .

(١) هذا القسم ضائع وليس بين أيدينا .

(٢) ط : (فلما جاء) وهو خطأ .

(٣) كذا فى (ط) .

(٤) هو عبد الله بن المقفع ، من أئمة الكتّاب ، أصله فارسى ، أول من عنى بترجمة كتب المنطق وهو مترجم كتاب كليلة ودمنة نقله عن الفارسية . واتهم بالزندقة فقتله أمير البصرة سنة ١٤٢ هـ .

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أمِّ موسى أنْ أرْضِعيه فإذا خِفْتِ عليه فألقيه فى اليمِّ ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادُّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ [سورة القصص : ٧] جمعت هذه الآية أمرين ونهيين وخبرين ووعدين . ومن هذا النوع فى القرآن كثير . بل القرآن كله حسن وأحسن ، وليس هذا موضع استقصاء الأحسن .

وفى أشعار العرب من هذا كثير وقد تقدم بيانه .

* * *

القسم الثاني والخمسون

المساواة والتقصير (*)

وهو أن يكون اللفظ مساويًا للمعنى بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص . والقرآن العظيم جُلُّه بل كله على هذا النمط . وأما التقصير فليس في القرآن منه شيءٌ وسيأتى بيانه فى الفن الثالث (١) .

* * *

(*) ماساقه المؤلف من تعريف للمساواة - هنا - فى نقد الشعر : ١٥٠ ، والصناعتين : ١٨٥ ، وتحرير التحبير : ١٩٧ ، وبديع القرآن : ٧٩ . وهذا القسم - الذى معنا - لا معنى لإفراده هنا ؛ فهو داخل فى باب الإيجاز . وقد عقد ابن منقذ فى بديعه : ١٩٤ بأبا بعنوان « المساواة » وهو لا يريد به ما معنا من تعريف ، وإنما أَخْذُ الشاعر اللاحق من السابق ومساواته له .

(١) سبق التنبيه إلى أنه ضائع .

/ القسم الثالث والخمسون

التصريح بعد الإبهام ويسمى التفسير (*)

قال أئمة هذا الشأن : المراد « بالتفسير بعد الإبهام » تفخيم المبهم وإعظامه لأنه هو الذى يطرق السمع أولاً فيذهب السامع فيه كل مذهب كقوله تعالى : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمرَ أنَّ دابرَ هؤلاء مقطوعٌ مُصبحين ﴾ [سورة الحجر : ٦٦] . فَسَّرَ ذلك الأمر بقوله : « أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » . وفي إبهامه أولاً وتفسيره بعد ذلك تفخيم للمبهم وتعظيم لشأنه ، فإنه لو قال تعالى : ﴿ وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾ لما كان بهذه المثابة من الفخامة ؛ فإن الإبهام أولاً يوقع السامع فى حيرة وتفكر واستعظام لما قرع سمعه فيتشوق إلى معرفة كنهه والاطلاع عليه وعلى حقيقته .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين (١) أنعمت عليهم ﴾ [سورة الفاتحة : ٦ ، ٧] (لما جاء فى الأول من التنبيه والإشعار بأن « الصراط المستقيم » هو صراط المؤمنين) (٢) فدل عليه بأبلغ وجه كما

(*) هذا القسم « نقله » عن الجامع الكبير : ١٧٢ – ١٧٥ ، والمثل السائر : ١٩٦/٢ – ٢٠٢ . وقوله (ويسمى التفسير) أى التفسير بعد الإبهام لا مطلق التفسير . أما « التفسير وصحته » الذى تحدث عنه قدامة فى نقد الشعر : ١٣٥ ، وأبو هلال فى الصناعتين : ٣٥٥ ، وابن رشيق فى العمدة : ٣٥/٢ ، وابن منقذ فى بديعه : ٧٣ ، وابن الأثير فى الجامع الكبير : ٢٢١ ، وابن أبى الإصبع فى (تحرير التحبير : ١٨٥ ، وبديع القرآن : ٧٤) فهذا بابٌ غير ما نحن فيه هنا .

(١) فى (ط) : (الذى) وهو خطأ .

(٢) مابين القوسين كذا فى (ط) ، وقريب منه مافى الجامع الكبير . ويوضح هذا عبارة المثل السائر : ١٩٧/٢ (فإنه إنما قال ذلك ولم يقل : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم ، لما فى الأول من التنبيه والإشعار بأن الصراط المستقيم هو صراط المؤمنين ..) .

تقول : « هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم » ثم تقول : « فلان » فيكون ذلك أبلغ فى وصفه بالكرم والفضل من قولك : هل أدلك على فلان الأكرم والأفضل [١] ؛ لأنك بدأت بذكره مجملاً ثم بينته مفصلاً فجعلته عاماً فى الكرم والفضل كأنك قلت : من أراد رجلاً جامعًا للخصلتين جميعًا فعليه بفلان .

وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى : ﴿ وقال الذى آمن ياقوم اتبعونى [٢] أهدكم سبيل الرشاد ﴾ إلى قوله : ﴿ يُرْزَقون فيها بغير حساب ﴾ [٣] [سورة غافر ٣٨ ، ٤٠] ألا ترى كيف قال « أهدكم سبيل الرشاد » فأبهم سبيل الرشاد فلم يبين أى سبيل هو ، ثم فسَّر ذلك ، فافتتح كلامه بذم الدنيا وتصغير شأنها ؛ لأن الإخلاد إليها أصل الشر كله ، ثم ثنّى ذلك بتعظيم الآخرة والإطلاع على حقيقتها ، وأنها هى الوطن المستقر ، ثم ثلث بذكر الأعمال سيِّئِها وحسنِها وعاقبة كل منها ، ليثبِّط عما يتلف ، ويُنشِّط لما يُزْلف ؛ فكأنه قال : سبيلُ الرشاد هو الإعراضُ عن الدنيا ، والرغبةُ فى الآخرة والامتناعُ عن الأعمال السيئة خوفَ المقابلة عليها ، والمسارعةُ إلى الأعمال الصالحة / رجاءَ المجازاة عليها . ١٨٠

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيت ﴾ [سورة البقرة : ١٢٧] ولم يقل : « قواعدَ البيت » ، لما فى إبهام القواعد ولما فى تبيينها بعد ذلك من الإيضاح وتفخيم حال المبهم بما ليس فى الإضافة .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحًا ﴾ إلى قوله [٤]

---

(١) كذا فى ط . ومافى الجامع الكبير : ١٧٢ (الأكرم الأفضل) بترك الواو ، ومثله فى المثل السائر : ١٩٧/٢ .

(٢) كذا فى (ط) بإثبات الياء . وإثباتها وصلاً ووقفا قراءة ابن كثير ويعقوب ، وإثباتها وصلاً قراءة قالون وأبى عمرو وأبى جعفر . (البدور الزاهرة : ٢٨٠) .

(٣) قال تعالى : ﴿ وقال الذى آمن ياقوم اتبعونِ أهدكم سبيل الرشاد ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ ، وإنَّ الآخرة هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ [سورة غافر : ٣٨ - ٤٠] .

(٤) يقول تعالى : ﴿ وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحًا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى ... ﴾ [سورة غافر : ٣٦ - ٣٧] .

﴿ فَأَطَّلِعُ [١] إلى إله موسى ﴾ [سورة غافر : ٣٦ ، ٣٧] الآية لما أراد تفخيم (ما التمس) [٢] من بلوغه أسباب السموات أبهمها أولاً ثم فَسَّرها ثانيًا . ولأنه لما كان بلوغها [٣] أمرًا عجيبًا أراد أن يورده على صورة مشوِّقة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه لتتشوف إليه نفس هامان ثم أوضحه بعد ذلك .

ومما يدخل فى هذا الباب الابتداء بذكر الضمير ثم الإفصاح بذكر صاحبه وحده كقوله تعالى : ﴿ وما تكون فى شأن وماتتلو منه من قرآن ﴾ [سورة يونس : ٦١] فإنه لما أتى بالضمير الذى هو « منه » قبل صاحبه الذى هو فى [٤] « القرآن » . كان ذلك تفخيمًا له وتعظيمًا من أمره ولو قال : « وما تكون فى شأن وما تتلو من قرآن » ولم يذكر الضمير لما كان للكلام تلك الفخامة التى كانت له مع ذكر الضمير [٥] . ومثل هذه قولهم : « الكريم العالم الفاضل » – ثم يقال : « فلان » ، وقد سبق الكلام عليه .

وأما الإبهام من غير تفسير فكثير شائع فى القرآن العزيز كقوله تعالى : ﴿ إنّ هذا القرآنَ يَهدى للتى هى أقوَمُ ﴾ [سورة الإسراء : ٩] أى الطريقة أو الحالة أو الملة التى هى أقومها وأسدُّها [٦] . وأىَّ ذلك قدّرت لم تجد له مع الإفصاح ذوقَ البلاغة الذى تجده مع الإبهام وذلك لذَهاب الوهم فيه كل مذهب وإيقاعه على محتملات كثيرة . وهذا لا يخفى على العالم برموز صناعة التأليف فاعرفه .

---

(١) كذا فى (ط) (فأطلعُ) وهى قراءة العشرة كلهم إلا حفصًا الذى قرأ بالنصب (البدور الزاهرة ٢٨٠) .

(٢) عبارة الجامع الكبير : ١٧٣ ، والمثل السائر : ٢/١٩٩ : (ما أمّل فرعون) .

(٣) ط : (بلوغهما) .

(٤) كذا فى (ط) ، ولعل الصواب حذف حرف الجر (فى) كما فى الجامع الكبير : ١٧٩ .

(٥) جوّز الزمخشرى أن يعود الضمير فى (منه) – فى قوله تعالى : ﴿ وما تكون من شأن وما تتلو منه من قرآن ﴾ – على قوله (من شأن) ، لأن تلاوة القرآن شأن رسول الله ﷺ بل هو معظم شأنه ، أو يعود على الله تعالى « انظر الكشاف ٢/١٩٥) .

(٦) كان فى ط (وأشدّها) بالشين المعجمة . ورجحت مافى الجامع والمثل السائر .

ومما يدخل فى هذا الباب الاستثناء العددى وهو ضرب من التأليف لطيف المأخذ عجيب المغزى ؛ وإنما يُفعل ذلك طلبًا للمبالغة لأن له تأثيرًا شديدًا فى القلب وموقعًا عظيمًا فى النفس .

وفائدته أنه أول ما يطرقُ سمعَ المخاطب ذكرُ العَقْد فى العدد فيكْبُر موقع ذلك عنده وهو شبيه بما ذكرنا من الإبهام ثم التفسير (بعدهما يسوى بينهما) [1] .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ﴾ [سورة العنكبوت : ١٤] فإنه إنما قال : « ألف سنة إلا خمسين عامًا » ولم يقل تسعمائة وخمسين عامًا لفائدة حسنة ، وهى ذكر ما ابتلى به نوح عليه الصلاة والسلام من أمّته ، وما كابده من طول المقام ؛ ليكون ذلك تسلية لرسول الله ﷺ وتنبيهًا له ، فإن ذكر رأس العدد الذى هو منتهى

١٨١ / العقود وأعظمها أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع قوة [2] صبره وما لاقاه من قومه .

ومن بديع التفسير بعد الإبهام قوله تعالى : ﴿ قُل إنما أعظِكم بواحدة أن تقوموا لله مَثنى وفُرادَى ﴾ [سورة سبأ : ٤٦] ولو حذف « واحدة » كان الأمر كما ذكرنا وذهبت تلك الفخامة التى فى الإبهام وزال مافيه من الغموض وانقطع شوق النفس إلى التفسير ، وفسّر « الواحِدة » بقوله : ﴿ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ﴾ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ والمؤتفكةَ أهوَى فَغشّاها ما غَشّى ﴾ [سورة النجم : ٥٣ ، ٥٤] ومنه قوله تعالى : ﴿ فغَشِيَهُمْ مِن الْيَمِّ ما غَشِيَهم ﴾ [سورة طه : ٧٨] ومنه ﴿ وفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التى فَعَلْتَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٩] . ومنه فى الاستعمال قولهم : (فؤاد فيه مافيه) ومنه قول الشاعر فى وصف الخمر [3] :

---

(١) مافى مطبوعة الجامع والمثل السائر : (بعده ثانيًا) .

(٢) فى المثل والجامع : (مدة صبره) .

(٣) فى المثل السائر : ٢٠١/٢ بدون عزو .

فَقَدْ مَضَى مَامَضَى مِنْ عَقْلِ شَارِبِهَا وَفِى الزُّجَاجَةِ بَاقٍ يَطْلُبُ الباقى [١]

ومنه قول الآخر [٢] :

صَبَا مَاصَبَا حَتَّى علا الشيبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلاهُ قال للباطل ابعُدِ [٣]

وقال آخر [٤] :

سَأَغْسِلُ عَنِّى الْعَارَ بالسَّيْفِ جَالِبًا عَلَىَّ قَضَاءَ اللهِ مَا كَانَ جَالِبًا [٥]

فاعرف ذلك وقس عليه .

* * *

---

(١) رواية صدره فى المثل السائر : (مضى بها مامضى ..) .

(٢) لدُرَيْد بن الصِّمَّة فى رثاء أخيه عبد الله . ودريد شاعر مخضرم عاش فى الجاهلية وأدرك الإسلام ولم يسلم . وقتل يوم حُنين على كفره .

(٣) ديوان الحماسة (٣٩٦/١) ، والمثل السائر : ٢٠١/٢ .

وكان فى ط (مضى مامضى حتى ..) ، وأظن مافى (ط) تحريفًا نتج عن انتقال النظر حيث مطلع البيت السابق (مضى مامضى) . قال ابن الأثير : (فقوله « صَبَا مَاصَبَا » من الإبهام الذى لو قدّرت ما قدّرت فى تفسيره لم تجد له من فضيلة البيان ماتجد له مع الإبهام) المثل السائر : ٢٠١/٢ .

(٤) هو سعد بن ناشِب التميمىّ شاعر إسلامىّ ، قيل عاصر الحجاج .

(٥) ديوان الحماسة : (٦٩/١) .

القسم الرابع والخمسون

التعقيب المصدرى (*)

وإنما يُعمد إلى ذلك لضرب من التأكيد لما تقدمه ، والإشعار بتعظيم شأنه . أو بالضد من ذلك .

مثال الأول قوله تعالى : ﴿ ويوم يُنْفَخُ فى الصورِ فَفَزِعَ مَنْ فى السموات ومن فى الأرض ﴾ إلى قوله (١) ﴿ هل تُجْزَوْنَ إلا ماكنتم تعملون ﴾ [سورة النمل ٨٧ ، ٩٠] فقوله « صُنْعَ اللهِ » من المصادر المؤكدة لما قبلها وهو كقوله ﴿ وعْدَ اللهِ ﴾ (٢) ﴿ وصِبْغَةَ اللهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٣٨] ألا ترى أنه لما جاء ذكر هذا ١٨٢ الأمر العظيم الدالّ على القدرة الباهرة من النفخ فى الصور ، وإحياء / الموتى ، والفزع ، وإحضار الناس للحساب ، وتسيير الجبال كالسحاب فى سرعتها وهى عند الرؤية لها والمشاهدة كأنها جامدة عقَّبَ ذلك بأن قال « صُنْعَ اللهِ » أى هذا الأمر العجيب البديع صنعَ اللهِ . والمعنى ويوم ينفخ فى الصور وكان كَيْت وكيت من الأشياء الباهرة وإثابة الله المحسنين ومعاقبة المجرمين ، فجعل هذا

(*) « التعقيب المصدرى » نقله المؤلف عن الجامع الكبير لابن الأثير : ١٧٥ .

(١) قال تعالى : ﴿ ويوم يُنْفَخُ فى الصور ففزِعَ مَنْ فى السموات ومَنْ فى الأرض إلا مَن شاء الله ، وكلٌّ أتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مرَّ السحاب . صُنْعَ الله الذى أتقن كل شىء إنه خبيرٌ بما تفعلون . من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزعٍ يومئذٍ آمنون . ومن جاء بالسيئة فكُبَّت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ماكنتم تعملون ﴾ [سورة النمل : ٨٧ – ٩٠] .

(٢) فى مواضع عديدة من القرآن (سورة النساء : ١٢٢ ، وسورة يونس : ٤ ، سورة الروم : ٦ ، وسورة لقمان : ٩ والزُّمَر : ٢٠) .

الصنعَ من جملة الأمور التى هى أتقنها [١] ، وتأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال : « صنع اللهَ الذى أتقن كل شىء » يعنى أن مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من إحكام الأشياء وإتقانه لها وإجرائه إياها على الحكمة . أى أنه عالم بما يفعل العباد ، وبما سيرجعون ؛ إليه فيكافئهم على حسب أفعالهم . ثم لخص ذلك بقوله ﴿ من جاء بالحسنة ﴾ إلى آخر الآيتين .

فانظر أيها المتأمل إلى بداعة [٢] هذا الكلام ، وحسن نظمه وترتيبه ، ومكانة إيجازه ، وفصاحة تفسيره ، وأخذ بعضه برقاب بعض ، كأنه أُفرِغَ إفراغًا واحدًا ! ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشَّقاشِق !!

ونحو هذا المصدرُ إذا جاء عقيب الكلام كان كالشاهد بصحته ، والمنادى على سداده ، وأنه ماكان ينبغى أن يكون إلا ماقد كان . ألا ترى إلى قوله « صبغة الله (وصنعَ الله ، ووعَد الله . وفطرةَ الله) [٣] » بعد ماوسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم ، كيف تلاها بقوله « الذى أتقن كل شىء » .

وأما الثانى وهو ضد الأول وذلك مايراد به تصغير الشأن كقولهم إذا ذكروا [٤] إنسانًا يريدون ذمه : « قد ركب هواه ، واستمر على غيه ، وتمادى على جهله ، وسحب ذيل عُجْبه » ، وماأشبه ذلك ، ثم يقول : « صُنْعَ الشيطان الذى غلب النفوس وميَّل الألباب » ومثل هذا كثير فاعرفه .

* * *

(١) ط : « أنفسها » وأثبتّ لفظ الجامع .

(٢) الجامع : (بلاغة) . وبداعة « مصدر من الفعل بَدُع ككَرُم » (القاموس) .

(٣) مابين القوسين كذا فى ط ، ومطبوعة الجامع . وأظنها زيادة لا مكان لها هنا .

(٤) ط : ذكر .

القسم الخامس والخمسون

النفى والإثبات (*)

وهو أعلى ضرب من البلاغة كثير الفوائد عذب الموارد . وقد تكلم فيه أرباب علم الكلام وأرباب علم البيان ، وقالوا : إن ثبوت [1] الخاص يدل على ثبوت العام ، ولا يدل نفيه / على نفيه [2] . وقد بينا أن زيادة المفهوم فى اللفظ توجب زيادة الالتذاذ به لحصول جملة من الملاذ دفعة واحدة ولذلك كان نفى العام أحسن من نفى الخاص وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام [3] .

١٨٣

أما الأول : فكقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذى اسْتَوْقَدَ نارًا فلمّا أضاءَتْ ماحوله ذهب الله بنُورِهِم ﴾ [سورة البقرة : ١٧] ولم يقل « بضوئهم » ؛ لأن النور أعم من الضوء ، إذ يطلق على الكثير والقليل . وإنما يقال « الضوء » على القدر الكثير . ولذلك قال تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر

(*) النفى والإثبات : اعتماد المؤلف فيه – هنا – على ابن الأثير فى المثل السائر : ٢٠٣/٢ ، والجامع الكبير : ١٦٩ .

(١) كان فى (ط) : ففى ، وهو وهم .

(٢) مثال ذلك : الإنسانية والحيوانية ، فالإنسانية أخص من الحيوانية . حيث كل إنسان لابد وأن يكون من الأحياء . ولكن ليس كل حىّ إنسانًا فإن إثبات الإنسانية يوجب إثبات الحيوانية ، ولا يوجب نفيها نفى الحيوانية فهناك – غيره – من الكائنات الحية كثيرة . وأما نفى الحيوانية فيوجب نفى الإنسانية تبعا لها . ولا يوجب إثباتها إثبات الإنسانية .

وانظر المثل السائر : ٢٠٣/٢ ، والجامع الكبير : ١٦٩ .

(٣) انظر ماسبق فى قسم الاختصاص : ٣٢٣ .

نورًا ﴾ [سورة يونس : ٥] . وهاهنا دقيقة وهو أنه قال « ذهب الله بنورهم » ولم يقل : « أذهب نورهم » ، لأن الإذهاب بالشيء لا يمنع من عَوْد ذلك الشيء بخلاف الذّهاب ، إذ يفهم من ذلك استصحابه فى الذهاب ، ومقتضى ذلك منعه من الرجوع [1] .

وكذلك قوله تعالي : ﴿ قال الملأ من قومِهِ إنا لنراك فى ضلال مبين قال ياقوم ليس بى ضلالة ﴾ [سورة الأعراف : ٦٠ ، ٦١] معناه : لاضلالة واحدة بى ويلزم من ذلك أن لايثبت له فرد من الضلال البتة ، ولا كذلك [2] لو قال : « ليس بى ضلال » لأن اسم الجنس يقال على الكثير والقليل فيجوز أن يكون المنفى هو الكثير .

ومما يشبه ذلك قوله تعالى : ﴿ فلا [3] تقلْ لهما أُفٍّ ﴾ [سورة الإسراء : ٢٣] فإن هذا يدل على النهى عن الضرب أيضًا ، لا على أن التأفيف أعم ، بل لأن المقصود من منع التأفيف هو الإكرام وعدم الإهانة ، والإهانة بالضرب أكثر من الإهانة بالتأفيف .

الثاني : كقوله تعالى : ﴿ وَجنّةٍ عَرْضُها السمواتُ والأرضُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٣] ولم يقل « طولها » لأن العرض أنقص إذ كل ماله عرض فله طول ولا ينعكس .

ومما يتعلق بهذا أنه إذا كان الشيء يشبه أشياء بعضها أتم فى التشبيه أو أوفق من بعض فالأَوْلى والْأَلأم الاقتصار على ماهو أتم وأوفق ، فإنْ ذكر الكلّ فالأَوْلَى الابتداء بالأدنى والأضعف ؛ ليكون انتقال الذهن إلى الأعلى بتدريج ، ولأن التشبيه

---

(١) سبق أن أشرنا فى هامش : ٣٢٤ إلى ردّ ابن أبى الحديد لهذا الكلام .

(٢) كذا فى (ط) .

(٣) ط : (ولا) وهو خطأ .

بالأعلى ألذ والانتقال من لذة إلى ماهو دونها غير مُلِذٍّ ولا مستحسن ، فلذلك قال الأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ [١] :

حَمِيَ الْحَدِيدُ عَلَيْهِمُ فَكَأَنَّـــهُ   لَمَعَانُ بَرْقٍ أَوْ شُعَاعُ شُمُوسِ [٢]

وإذا كان للشيء صفة يغنى ذكرها عن ذكر صفة أخرى أو يدل عليها كان الاقتصادر عليها أولى من ذكرهما ؛ لأن ذكرهما كالتّكرار ، وهو ممل . وإذا ذكر فالأَوْلَى تقديم المدلول عليها وتأخير الدالّة حتى لا تكون الآخرة قد تقدمت الدلالة عليها . وقد يُخِلُّ بذلك لمقصود / آخر كما فى قوله تعالى : ﴿ وكان رسولاً نبيًا ﴾ [سورة مريم : ٥١ ، ٥٤] فإنه أخر « نبيًا » لأجل السجع [٣] . ١٨٤

وإذا كان ثبوت شيء أو نفيه يدل على ثبوت آخر أو نفيه كان الأَوْلى الاقتصار على الدال على الآخر . فإن ذكرا فالأَولى تأخير الدالّ ، وقد يخل بذلك لمقصود [٤] كما فى قوله تعالى : ﴿ مالهذا الكتاب لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ﴾ [سورة الكهف : ٤٩] . وعلى قياس ماقلنا ينبغى أن يقتصر على « صغيرة » وإن ذكرت الكبيرة فلتذكر أولاً [٥] . ومثله قوله تعالى : ﴿ فلا تَقُلْ

---

(١) هو مالك بن الحارث بن عبد يَغُوث النَّخَعِىّ ، أمير من كبار الشجعان ، أدرك الجاهلية وأسلم . ولاه على رضى الله عنه مصر فقصدها فمات فى الطريق إليها سنة ٣٧ هـ .

(٢) ديوان الحماسة : ٩٣/١ ، والمثل السائر : ٢٠٦/٢ ، ورواية ديوان الحماسة (ومضانُ برقٍ) . قال ابن الأثير : « ألا ترى أنه رق فى التشبيه من الأدنى إلى الأعلى » فقال : لمعان برق أو شعاع شموس « لأن لمعان البرق دون شعاع الشموس » .

(٣) هذا على مذهب من يرى أنّ دلالة « الرسول » غير دلالة « النبى » وأن الرسول أخصُّ من النبى وعندهم أن النبى هو من أوحى إليه من الله سواء أمر بتبليغ ذلك للناس أم لا . أما الرسول فهو يختص بأنه أمر بالتبليغ ، وعليه فكل رسولٍ نبىّ ولا ينعكس .

(٤) لابد هنا من التنبيه إلى أن ابن الأثير رجع عماساقه من قاعدة فى هذا الباب بعد أن ساق آيتى الكهف والإسراء هاتين ، وقرر أن القرآن أحقُّ أن يتبع ويقاس عليه . وكان حقُّ المؤلف - هنا - أن يشير إلى ذلك لا أن يلتمس وجهًا لما قرره ابن الأثير أولاً رجع عنه آخراً فيقول (وقد يخل بذلك لمقصود) ولا أعرف هنا ماهذا المقصود فى الآيتين الذى أخل بالقاعدة من أجله : وانظر المثل السائر : ٢٠٧/٢ - ٢٠٨ والتعليقين التاليين .

(٥) رجع ابن الأثير عما قرره من قاعدة وعلق على هذه الآية بقوله : (غير أن القرآن الكريم أحقُّ أن يتبع ، وأجدر بأن يقاس عليه لا على غيره والذى ورد فيه من هذه الآية ناقضٌ لما تقدم ذكره ، المثل السائر : ٢٠٧/٢ .

لهما أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُما ﴾ [سورة الإسراء : ٢٣] وعلى ذلك القياس يكتفى بقوله : « ولا تقل لهما أف » ، وان ذكرا فيقول : « ولا تنهرهما ولا تقل لهما أف » [١] .

وإذا تكررت الصفات فإن كان للمدح فالأَوْلَى الانتقال من الأدنى إلى الأعلى ليكون المديح مزيدًا لتزايد الكلام ، وإن كان للذم فقد قالوا ينبغى الابتداء بالأشد ذمًّا وهو مشكل .

وقد يجوز أن يستعمل نفى الخاص لنفى العام ويسمى هذا عكس الظاهر [٢] . **وهو من المجاز البديع** . ومثاله قول على رضى الله عنه فى وصفه لمجلس رسول الله ﷺ أنه « لاتُنْثَى فَلَتَاتُهُ » [٣] أى : تذاع . والمراد أنه لا فلتات له البتة . وإنما يعرف ذلك لأنه نكرة فى معرض المدح . وإنما يكون كذلك إذا كان المراد ماذكرناه . ومنه : « ليس بها ضب فينجحر » [٤] – والمراد أن لاضب بها .

وكذلك قول بعضهم [٥] :

أُذْنِيْنَ جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَمْ يُرَى ... لِذُيُولِهِنَّ عَلَى الطَّرِيقِ غُبَـار [٦]

والمراد أنهن لا يخرجن ولا يمشين . وهذا ينبغى أن يكون من باب تنسيق الصفات لكن فيه زيادة اقتضت إفراده .

* * *

---

(١) قال ابن الأثير – راجعًا عن مذهبه – (وقد كان هذا هو المذهب عندى ، حتى وجدت كتاب الله تعالى قد ورد بخلافه – وحينئذ عدت عما كنت أراه وأقول به) المثل السائر ٢٠٨/٢ .

(٢) قال ابن الأثير : (عكس الظاهر وهو نفى الشيء بإثباته وهو من مستطرفات علم البيان ، وذلك أنك تذكر كلامًا يدلُّ ظاهره أنه نفىٌ لصفة موصوف وهو نفىٌ للموصوف أصلاً) المثل السائر : ٢٤٨/٢ . وهو نوع مستقل من أنواع علم البيان عند ابن الأثير .

(٣) سبق فى قسم الالتفات

(٤) انظر بيت ابن أحمر السابق فى قسم الالتفات ص . ٢١٣ .

(٥) هو لابن الأثير نفسه . المثل السائر : ٢٥٠/٢ .

(٦) كان فى ط : (تردّين ... فلم يرى) وهو مختلٌّ للميزان ، وأثبتُّ مافى المثل السائر . قال ابن الأثير : (وظاهر هذا الكلام أن هؤلاء النساء يمشين هونًا لحيائهنّ ، فلا يظهر لذيولهن غبار على الطريق . وليس المراد ذلك بل المراد أنهنّ لا يمشين على الطريق أصلاً ، أى أنهن مخبآت لا يخرجن من بيوتهن فلا يكون إذاً لذيولهن على الطريق غبار) المثل السائر : ٢٥٠/٢ .

القسم السادس والخمسون

فى الضمائر وما يتعلق بها (*)

اعلم وفقنا الله وإياك أن الضمير لا يخلو إما أن يكون معلومًا أو لا يكون كذلك . **فالأول** تأكيده بضمير آخر وعدم تأكيده بذلك سواء فى البلاغة كما فى قوله تعالى : ﴿ بيدك الخير إنّك على كل شيءٍ قدير ﴾ [سورة آل عمران : ٢٦] مع قوله تعالى : ﴿ تعلمُ مافى نفسى وَلا أعلمُ مافى نفسِك إنكَ أنتَ علاّمُ الغيوب ﴾ [سورة المائدة : ١١٦] وذلك لأن قدرة الله تعالى وعلمه معلومان / ١٨٥ فاستوى حذف الضمير المؤكد وإثباته معهما .

والثانى : الأَوْلى فيه والأفصح تأكيد الضمير بضمير آخر وذلك إذا أريد تقوية المتعلق به . وحينئذ إما أن يكون الضميران متصلين أو منفصلين أو أحدهما متصلاً [1] والآخر منفصلاً [1] . أما المتصلان فكقوله تعالى : ﴿ قال أقتلتَ نفسًا زكيةً بغير نفس لقد جئتَ شيئًا نُكْرًا قال ألم أَقُل لَكَ إنكَ لَن تَستَطِيعَ معىَ صَبرًا ﴾ [سورة الكهف : ٧٤ ، ٧٥] وإنما أكد هنا دون قصة السفينة [2] لإرادته فى قصة الغلام زيادة النكر . وأما المنفصلان فكقول المتنبى :

قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُم ... وَجَدُّكَ بِشْرٌ الْمَلِكُ الْهُمَامُ [3]

(*) حديث المؤلف عن « الضمائر » مصدره فيها المثل السائر : ٢/١٨٦ - ١٩٣ ، والجامع الكبير : ١٥٢ - ١٥٦ .

(١) كان فى (ط) : (أو أحدهما متصل والآخر منفصل) .

(٢) يريد بذلك قوله تعالى : ﴿ حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها ، قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرا . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرًا ﴾ [سورة الكهف : ٧١ - ٧٢] فقال هنا ﴿ ألم أقل إنك ﴾ وفى قصة الغلام ﴿ ألم أقل لك إنك ﴾ للتوكيد .

(٣) ديوانه : ٤/١٩٩ ، والمثل السائر : ٢/١٩٢ .

والغرض المبالغة فى زيادة المدح [١] .

وأما إذا كان أحد الضميرين منفصلاً والآخر متصلاً فكقوله تعالى : ﴿ قلنا لا تخف إنكَ أنتَ الأعلى ﴾ [سورة طه : ٦٧] وهاهنا دقائق .

أحدها الإتيان بلفظة (إنَّ) المشددة لتفيد تأكيد ثبوت مابعدها .

وثانيها : تكرير الضمير يدل على تأكيد مايتعلق به .

وثالثها : ذكر (الأعلى) معرَّفًا يدل على أن غيره لا يكون كذلك بخلاف « عال » [٢] « وأعلى » .

ورابعها : أن (الأعلى) بصفة أفعل يشعر بزيادة العلو [٣] .

وخامسها [٤] : حذف لام العلة يفيد زيادة علة لعدم الخوف لأن قوله « لا تخف » علة لعدم الخوف لأنه نهى عنه ، واشتقاقه بعد ذلك بقوله « إنكَ أنت الأعلى » منع أيضًا من الخوف ؛ لأن الأعلى لا يخاف الأدنى .

* * *

= وكان فى (ط) : (فإنك أنت أنت ...) وأثبتُّ مافى الديوان والمثل السائر .

قال الواحدى : أراد : قبيلٌ أنت منهم وأنت أنت فى علوّ قدرك . يعنى إذا كنت أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك فخرًا .

(١) قال ابن الأثير : (ولومدحه بماشاء الله لما سد مسدّ قوله : « أنت أنت » أى أنك المشار إليه بالفضل دون غيرك . وهذا البيت لم أمثِّل به اختيارًا له واستجادة وإنما مثلت به ليُعلم مكان توكيد المنفصل بالمنفصل ، إلا فالبيت ليس من المرضى لأن سبكه سبك عار من الحسن وفيه تقديم وتأخير) المثل السائر : ١٩٢/٢ .

(٢) كان فى (ط) : (عالى) .

(٣) ترك المؤلف – هنا – دقيقة ذكرها ابن الأثير وهى الخامسة عنده . قال ابن الأثير : (الخامسة : إثبات الغلبة له من العلو ، لأن الغرض من قوله « الأعلى » أى الأغلب إلاّ أنّ فى الأعلى زيادة وهى الغلبة من عالٍ) المثل السائر : ١٨٩/٢ .

(٤) عبارة ابن الأثير فى بيان هذه الدقيقة أوضح فى بيان المراد . قال ابن الأثير : (السادسة : الاستئناف . وهو قوله تعالى : ﴿ لاتخف إنك أنت الأعلى ﴾ ولم يقل : لأنك أنت الأعلى لأنه لم يجعل علة انتفاء الخوف عنه كونه عاليًا ، وإنما نفى الخوف عنه أولاً بقوله : « لاتخف » ثم استأنف الكلام فقال : « إنك أنت الأعلى » فكان ذلك أبلغ فى إيقان موسى عليه السلام بالغلبة والاستعلاء وأثبت لذلك فى نفسه) المثل السائر : ١٩٠/٢ .

القسم السابع والخمسون

الفصل والوصل (*)

وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف ، والتهدّى إلى كيفية إيقاع حروف العطف فى مواقعها وهو من أعظم أركان البلاغة ، حتى قال بعضهم : « حد البلاغة معرفة الفصل والوصل » (١) .

واعلم أن فائدة العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه . ثم من الحروف العاطفة ما لا يفيد إلا هذا القدر وهو الواو وهو المراد بالذكر هاهنا (٢) .

(*) انظر الصناعتين : ٤٥٨ ، ودلائل الإعجاز : ٢٢٢ ، ونهاية الإيجاز : ٣٢١ ، والمعيار : ٥١ . وعبارة المؤلف هنا – تقريبًا – هى عبارة الزنجانى فى المعيار ، وجعل ابن أبى الإصبع « براعة التخلص » هى نفسها « معرفة الفصل والوصل » . انظر تحرير التحبير : ٤٣٣ .

(١) قال الجاحظ : (خبرنى أبو الزبير كاتب محمد بن حسّان ، وحدثنى محمد بن أبان – ولا أدرى كاتب مَنْ كان – قالا : قيل للفارسىّ : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل . وقيل لليونانى : ما البلاغة : قال : تصحيح الأقسام واختيار الكلام . وقيل للرومىّ : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الإطالة . وقيل للهندى : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدّلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة) البيان والتبيين : ٨٨/١ . وهذه المقالة السابقة التى ذاعت عن طريق كتاب البيان والتبيين تبين لى أنها أسبق من الجاحظ وأنها وصلت إلى هذين الكاتبين اللذين سمّاهما الجاحظ عن طريق التراث اليونانى المترجم إلى العربية . فقد وردت هذه الحكاية فى كتاب « آداب الفلاسفة » الذى صنعه حنين ابن إسحق المترجم الشهير . وقد بقى لنا مختصر هذا الكتاب ، ونص هذه الحكاية فيه : (اجتمع أربعة نفر من الفلاسفة يونانى وهندى ورومىّ وفارسى فى مجلس لوقانيوس الملك فسألهم عن البلاغة ماهى ؟ فقال اليونانى : البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام . قال الفارسى : البلاغة معرفة الفصل من الوصل . قال الهندى : البلاغة وضوح الدّلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة . وقال الرومىّ : البلاغة حسن الاقتصار عند البداهة والمدارة يوم الإطالة . ففضّل الملك قول اليونانى) . مختصر آداب الفلاسفة لمحمد بن على ابن إبراهيم : ٥٦ . وقد وهم السيوطىّ رحمه الله – فظن أن الفارسىّ – صاحب مقولة « البلاغة معرفة الفصل والوصل » هو أبو على الفارسى (انظر شرح عقود الجمان : ٥٨)

(٢) كذا فى (ط) ، ويبدو أن هنا بترًا فى سياق قوله (ثم من الحروف العاطفة مالا يفيد إلا هذا القدر وهو الواو) وتبينه عبارة نهاية الإيجاز بعدها : (ومنها مايفيد مع ذلك فائدة زائدة مثل الفاء =

/ والعطف والمعطوف عليه على ثلاثة أقسام : ١٨٦

الأول : عطف مفرد على مفرد وهو يقتضى التشريك فيما يوجب الإعراب .

الثانى : عطف الجمل التى فى قوة الإفراد ويقتضى التشريك أيضًا .

الثالث : الجمل التى ليست فى قوة المفرد . وهى على قسمين :

قسم يكون فيه معنى أحد الجملتين لذاته متعلقًا بمعنى الأخرى ، كما إذا كانت كالتوكيد لها فلا يجوز إدخال العاطف ؛ لأن التوكيد والصفة متعلقان بالمؤكَد والموصوف لذاتيهما . والتعلق الذاتى يغنى عن لفظ يدل عليه .

فالتأكيد كقوله تعالى : ﴿ ومن الناس مَن يقولُ آمنا باللهِ وباليوم الآخر وماهُم بمؤمنين يخادعون الله ﴾ [سورة البقرة : ٨] [ولم يقل : « ويخادعون » ، لأن المخادعة ليست شيئًا غير قولهم : آمنا ، مع أنهم غير مؤمنين] [(١)] . وكقوله تعالى : ﴿ وإذا تُتلى عليه آياتنا وَلَّى مُستكبِرًا كأنْ لم يَسْمَعها كأنَّ فى أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ [سورة لقمان : ٧] ولم يقل : « وكأن » ؛ لأن المقصود من التشبيه بمن فى أذنيه وقر [هو المقصود من] [(٢)] التشبيه بمن لم [(٣)] يسمع ، إلا أن الثانى أبلغ [(٤)] . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وما علَّمناهُ الشعرَ وما ينبغى له إنْ هوَ

= وثم فإنهما يفيدان الترتيب . أمّا الفاء فمن غير التراخى ، وأمّا ثم فمع التراخى . و« أو » فإنه يفيد التردد) . نهاية الإيجاز : ٣٢١ ، وانظر المعيار : ٥١ .

(١) مابين المعقوفين زيادة لازمة من المعيار : ٥٢ ليستقيم السياق .

(٢) مابين المعقوفين ساقط من (ط) وزدته من نهاية الإيجاز والمعيار ودلائل الإعجاز .

(٣) ط : (لا) ، وأثبت لفظ المعيار والنهاية ودلائل الإعجاز .

(٤) ويبين هذه البلاغة قول عبد القاهر فى دلائل الإعجاز : ٢٢٩ : (وذلك أنّ المعنى فى التشبيهين جميعاً أن ينفى أن يكون لتلاوة ماتلى عليه من الآيات فائدة معه ، ويكون لها تأثير فيه ، وأن يجعل حاله إذا تليت عليه كحاله إذا لم تُتلَ ، ولا شبهة فى أن التشبيه بمن فى أذنيه وقْرٌ أبلغ وأكد فى جعله كذلك من حيث كان مَنْ لا يصح منه السمع وإن أراد ذلك ، أبعد من أن يكون لتلاوة مايتلى عليه فائدة ، من الذى يصحُّ منه السمع إلا أنه لم يسمع إما اتفاقًا وإما قصدًا إلى أن لا يسمع فاعرفه وأحسن تدبره) .

إلا ذِكْرٌ وقرآنٌ مبينٌ ﴾ [سورة يس : ٦٩] وقوله تعالى : ﴿ وما يَنْطِقُ عن الهوى إنْ هو إلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [سورة النجم : ٣ ، ٤] الإثبات فى الآيتين جميعًا تأكيد لنفى مانفى [1] .

وأما قوله تعالى : ﴿ إنْ هذا إلا مَلَكٌ كريمٌ ﴾ [سورة يوسف : ٣١] فيحتمل أن يكون تأكيدًا لقوله ﴿ ماهذا بشرًا ﴾ [سورة يوسف : ٣١] إذ المرتفع عن البشرية من المخلوقات إنما هو الملك ؛ ولأن الناس إذا شاهدوا فى الإنسان من الخُلُقِ الحسن والخَلْقِ الجميل مايعجبوا [2] منه قالوا : ماهذا بشرٌ [3] لأن غرضهم أن يقولوا إنه ملك ؛ فلما كان ذلك مفهومًا قبل التصريح به كان التصريح به تأكيدًا . ويحتمل أن يكون صفة له ؛ فإن إخراجه عن جنس البشرية يتضمن دخوله تحت جنس آخر لا تحت المَلَك على الخصوص ، فإن القسمة غير محصورة فى النوعين فجعله مَلَكًا تعيين لذلك النوع وتمييز له عن غيره .

الثانى : أن لا يكون بين الجملتين تعلق ذاتىّ . فإن لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العطف ؛ ولذلك عابوا أبا تمام فى قوله :

لا وَالّذِى هُوَ عَالِمٌ أنَّ الهَوَى ... صَبِرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمُ [4]

---

(١) قال فى دلائل الإعجاز : ٢٣٠ - ٢٣١ (فإثبات ما علَّمه النبى ﷺ وأوحِىَ إليه ذكرًا وقرآنًا ، تأكيد وتثبيت لنفى أن يكون قد علم الشعر ، وكذلك إثباتُ مايتلوه عليهم وحيًا من الله تعالى ، تأكيد وتقرير لنفى أن يكون نطق به عن هوى) .

(٢) كذا فى (ط) : (مايعجبوا) ، ومثلها فى أصله المعيار : ٥٢ . وحذف النون فى هذا خطأ . ويبدو أنه تصحيف قديم فى أصل المعيار المخطوط . والصواب مافى نهاية الإيجاز : ٣٢٧ : (ما تعجّبوا) بالتاء المثناة الفوقية لا بالياء ، على أنه فعل ماض لا مضارع فتصحف فى المعيار إلى (يعجبوا) بالياء التحتية ، وجاء ابن النقيب فنقله كما هو ولم يتنبه له .

(٣) كذا فى (ط) برفع (بشر) ، وهو صواب على جعل (ما) تميمية ومافى نهاية الإيجاز والمعيار : (بشرا) على أنها حجازية . وذكر محقق نهاية الإيجاز أنه فى بعض أصوله المخطوطة (بشر) .

(٤) ديوانه (٣/٢٩٠) تبريزى ، وبديع ابن المعتز : ٦١ ، والموازنة : ٣١٣/٢ ، ودلائل الإعجاز : ٢٢٥ ، ونهاية الإيجاز : ٣٢٣ ، والمعيار : ٥٣ ، وتحرير التحبير : ٤٣٥ - وروايتها جميعًا (النوى) بالنون . هذا والبيت مثال على « براعة التخلص » عند الآمدى وابن أبى الإصبع .

إذ لا مناسبة بين مرارة الهوى وبين كرم أبى الحسين [١] .

وإن كان بينهما مناسبة فيجب ذكر العاطف [٢] .

ثم إن كان المحدّث عنه فى الجملتين شيئين ، فالمناسبة بينهما إمّا أن تكون بالذى أخبر بهما (أو) [٣] بالذى أخبر عنهما [أو بهما كليهما ، وهذا الأخير هو المعتبر فى العطف] [٤] .

والمراد بالمناسبة أن يكونا متشابهين ، كقولك ، زيد كاتب وعمرو شاعر ، أو متضادين تضادًّا على الخصوص كقولك : زيد طويل ، وعمرو قصير ، وكقولك : العلم حسن ، والجهل قبيح ، فلو قلت : « زيد طويل ، / والخليفة قصير » اختل [٥] المعنى عند السامع ؛ إذ لم يكن لزيد تعلق بحديث الخليفة . ولو قلت : زيد طويل ، وعمر وشاعر اختل اللفظ إذ لا مناسبة بين طول القامة والشعر . ١٨٧

وإن كان المحدث عنه فى الجملتين شيئًا واحدًا كقولك : « فلان يقول ويفعل » فيجب الإتيان بالعاطف ؛ فإن الغرض جعله فاعلاً للأمرين ، وترك العاطف يوهم أن الثانى رجوع عن الأول والاجتماع لزيادة الاشتراك [٦] كقولك : « العجب من أنك تنهى عن شىء وتأتى مثله » . وكقول الشاعر [٧] :

لا تَطْمَعُوا أَنْ تُهِينُونا ونُكْرِمَكُمْ   وَأَنْ نَكُفَّ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُؤْذُونا [٨]

---

(١) ردّ الشيخ حسين المرصفى هذا القول بقوة وذهب فى تخريج بيت أبى تمام مذهبًا حسنًا . انظره فى الوسيلة الأدبية : ٢/٧٧ – ٧٨ .

(٢) زيادة من المعيار .

(٣) ط : (و) .

(٤) زيادة من المعيار .

(٥) ط : أخلّ

(٦) مافى المعيار : ٥٣ ، ونهاية الإيجاز : ٣٢٤ (الاشتباك) .

(٧) هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب من قريش شاعر من فصحاء بنى هاشم ، كان معاصرًا للفرزدق والأحوص . وتوفى فى سنة ٩٥ هـ .

(٨) حماسة أبى تمام : ١٢٩/١ ، دلائل الإعجاز : ٢٢٦ ، ونهاية الإيجاز : ٣٢٥ ، والمعيار : ٥٣ دون عزو .

أى لا تطمعوا أن تروا إكرامنا إياكم يوجد مع إهانتكم إيانا ويجامعها فى الحصول .

والعاطف تارة يجب إسقاطه ، وتارة يجب إثباته ، وتارة يخير بين إسقاطه وإثباته . أما الذى يجب إسقاطه فهو إذا كان إثباته يخل بالمعنى كقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحنُ مُصلحون ألا أنهم هم المُفسِدُون ﴾ [سورة البقرة : ١١ ، ١٢] فقوله : « ألا إنهم هم المفسدون » كلام مستأنف وهو إخبارٌ من الله تعالى ؛ فلو أتى بالواو العاطفة لكان إخبارًا عن اليهود بأنهم وصفوا أنفسهم بأنهم مفسدون فيختل المعنى ويتناقض الكلام . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا خَلَوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحنُ مُستهزؤن اللهُ يَستهزئُ بِهِم ﴾ [سورة البقرة : ١٤ ، ١٥] فهذا إخبار من الله تعالى ، وفى الحقيقة جواب سؤالٍ مقدر ؛ لأنه تعالى لما أخبر عنهم بأنهم قالوا : كيت وكيت تشوّف السامعون إلى العلم بمصير أمرهم فكأنه قيل : فماذا فعل الله بهم ؟ فقال : ﴿ اللهُ يستهزئ بهم ويَمدُّهم فى طُغيانهمْ يَعمَهون ﴾ [سورة البقرة : ١٥] .

وأما مايجب إثبات العاطف فيه فقوله تعالى : ﴿ يخادعون اللهَ وهو خادِعُهم ﴾ [سورة النساء : ١٤٢] ﴿ ومَكَرُوا ومَكَرَ الله ﴾ [سورة آل عمران: ٥٤] فإن كل واحدة من الجملتين خبر من [1] الله تعالى . ومثله فى القرآن العظيم كثير .

وأما الذى يخير بين إسقاطه وإثباته فهو إذا كان إسقاطه لا يخل بالمعنى وإثباته لا يفيد معنى زائدًا . وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى [2] .

* * *

---

(١) نهاية الإيجاز : ٣٢٩ ، والمعيار : ٥٤ (عن) .

(٢) لم يأت هذا البيان فى (ط) بعد ذلك فلعل المؤلف ذهل عنه أو أن هناك سقطًا فى الأصول أو فى المطبوعة والله أعلم بالحال . وانظر المعيار : ٥٤ – ٥٦ .

/ فصل

يشتمل على ذكر جمل عطف بعضها على بعض

بالواو والفاء وثم واختلاف معانيها (*)

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ والذى هو يُطْعِمُنى ويَسقين وإذا مرضتُ فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين ﴾ [سورة الشعراء : ٧٩ ، ٨١] عطف أولاً بالواو ؛ لأن الإطعام والإسقاء ليس فيهما ترتيب واجب ، مع أن تأخير الإسقاء أولى ؛ ولذلك أخّره فى الذكر ، وعطف ثانيًا بالفاء ؛ إذ لا مهلة بين المرض والشفاء . وعطف بثمّ لما بين الإماتة والإحياء من المهلة ، ومع ذلك نسب الموت إلى الله لما فى ذلك من إظهار القدرة والقهر . ونسب المرض إلى نفسه ؛ لأن الأدب أن لا ينسب إلى الله تعالى ، إلا ما يحُمْدَ ، والموت وإن كان مذمومًا لكنه عند قائل هذا محمود لأنه على يقين من السعادة الأخروية .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فانتبذَت به مكانًا قَصِيًّا فأجاءها المخاضُ إلى جِذْع النخلة ﴾ [سورة مريم : ٢٢ ، ٢٣] إنما عطف بالفاء مع أن بين مجىء المخاض والحمل مهلة لأن المهلة التى بين حملها ومخاضها كانت مدة يسيرة قيل كانت يومًا ، وقيل كانت ثلاث ساعات ، وعليه أكثر المفسرين حتى يتميز حملها عن سائر النساء ويكون ذلك كرامة لها فعلى هذا يكون المراد بالآية بيان ذلك .

(*) مصدر المؤلف فى هذا الفصل المثل السائر : ٢٢٧/٢ (فى الحروف العاطفة والجارة) .

وجميع أفعال المطاوعة إذا كانت على معانيها فإنما يعطف عليها بالفاء لا الواو . وتقول [١] : « دعوته فأجاب ، وأعطيته فأخذ » ، ولا يحسن : « أعطيته وأخذ » ولا « دعوته وأجاب » . قال الله تعالى حكاية عن إبليس ﴿ وما كان لِىَ عليكم من سُلطانٍ إلا أن دعوتكم فاستَجَبْتُمْ لى ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٢] وكذلك تقول : كسرته فانكسر ، ولا تقول : كسرته وانكسر .

وأما إذا كان فعل المطاوعة على غير معناه فقد يحسن العطف عليه بالواو كما فى قوله : ﴿ ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا واتَّبَعَ هَواهُ ﴾ [سورة الكهف : ٢٨] .

ومن المعطوف بالواو أيضًا [٢] قوله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم لَعلى هُدًى أو فى ضَلال مُبينٍ ﴾ [سورة سبأ : ٢٨] ولو قال : « لفى هدى أو على ضلال » لم يحسن لأن « على » تفيد الاستعلاء وهو مناسب للحق و(فى) تفيد الوعاء والكافر كأنه مغموس فى الضلال .

١٨٩ ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ إنما الصدَقاتُ للفقراء / والمساكين والعاملين عليها والمؤَلَّفَةِ قلوبُهم وفى الرِّقابِ والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ﴾ [سورة التوبة : ٦٠] ماعدل عن اللام فى الأصناف الأخيرة إلا لبيان أن تلك الأصناف أحق بالصدقات ينبغى أن توضع فيهم وضع الشىء فى الوعاء ، وكرر (فى) لبيان أن سبيل الله أَوْلَى بذلك . فتأمله فهو كثير فى القرآن .

* * *

---

(١) كذا فى (ط) بزيادة الواو .

(٢) كذا فى (ط) . ويبدو أنّ هنا سقطًا . فالآية التى هنا من سورة سبأ حديث المؤلف فيها ليس عن العطف ، ولكن عن براعة وقوع حروف الجر فى موقعها الملائم . وانظر المثل السائر : ٢٣٢/٢ .

القسم الثامن والخمسون

فى الوصف (*)

والوصف أصله الكشف والإظهار ، من قولهم : وصف الثوبُ الجسمَ : إذا لم يستره ونمَّ عليه . وأحسنه مايكاد يمثل الموصوف عيانًا ؛ ولأجل ذلك قال بعضهم [(1)] : أحسن الوصف ماقلب السمع بصرًا .

ومنه فى القرآن العظيم كثير مثل قوله تعالى ، فى وصف البقرة التى أمر بنو إسرائيل بذبحها لما سألوا أن توصف لهم بقوله : ﴿ ادع لنا ربَّك يُبين لنا ماهى قال إنه يقول إنها بقرةٌ لا فارضٌ ولا بِكرٌ عوانٌ بين ذلك ﴾ [سورة البقرة : ٦٨] وقوله لما سألوه أن يصف لهم لونها ﴿ قال إنهُ يَقُولُ إنها بَقَرةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَونُهَا تَسرُّ الناظرين ﴾ [سورة البقرة : ٦٩] وقوله لما سألوه بيان فعلها ﴿ قال إنه يقول إنها بَقرةٌ لاذلولٌ تُثير الأرضَ ولا تسقى الحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاشِيَةَ فيها ﴾ [سورة البقرة : ٧١]

فجمع فى هذه الآية جميع الأحوال التى يُضبط بها وصف الحيوان ؛ فإن الحيوان عند البيع والإجارة وسائر وجوه التمليكات يحتاج فيه إلى معرفة سِنِّه ، ولونه ، وعمله ، ثم يفتقر فيه إلى معرفة عيوبه ؛ فنفى الله سبحانه وتعالى عن تلك البقرة كل عيب بقوله « لاشية فيها » فجمع فى هذه الآية جميع وجوه الوصف فإنه فى الأول وصف سِنّها ، وفى الثانى وصف لونها ؛ وفى الثالث وصف خلقها وعملها .

(*) انظر العمدة لابن رشيق : ٢٩٤/٢ .

(١) فى العمدة : ٢٩٥/٢ : (وقال بعض المتأخرين : أبلغ الوصف ماقلب السمع بصرا) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الجنةِ التى وُعِدَ المتقونَ ﴾ [سورة الرعد : ٣٥ ، وسورة محمد : ١٥] أى صفة الجنة التى وُعِدَ المَتقون كَيْتَ وكيت . ومنه قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ ماينفقونَ فى هذه الحياة الدنيَا ﴾ [سورة آل عمران : ١١٧] وقوله تعالى : ﴿ الذين ينفقون ﴾ [1] الآية . وقوله تعالى : ﴿ مثل الحياة الدنيا ﴾ الآية [سورة يونس : ٢٤ ، الكهف : ٤٥] .

١٩٠ ومن هذا الباب فى القرآن كثير لا يحصى . وكذلك / فى السُّنَّة النبوية وكذلك فى الشعر .

ومن بديع ماورد فى الشعر قول أبى تمام فى وصف سحابة :

دِيمَةٌ سَمْحَةِ الْعِهَادَ [2] سَكُوبُ   مُسْتَغِيثٌ بِهَا الثَّرى المكْرُوبُ
لَوْ سَعَتْ بُقعةٌ لإِعْظَامِ أُخْرَى [3]   لسَعَى نَحْوَهَا المكانُ الجَدِيبُ

والوصف قريب من التشبيه إلا أن الفرق بينهما أن التشبيه مجاز ، والوصف راجع إلى حقيقته وذاته [4] . وفى القرآن العظيم والكلام الفصيح منه كثير .

* * *

---

(١) كذا فى (ط) ولعله يريد قوله تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم ﴾ [سورة البقرة ٢٦١ ، ٢٦٥] .

(٢) كذا فى (ط) : (سحت العهاد) ، ومافى شرح التبريزى على ديوان أبى تمام (٢٩٦/١) : (سَمْحةُ القياد) ، ولفظ الموازنة للآمدى (٦٦٢/٣) : (سَهْلَةُ القياد) .

(٣) الموازنة (٦٦٢/٣) .

(٤) انظر العمدة ٢٩٤/٢ .

القسم التاسع والخمسون

تنسيق الصفات بغير حرف نسق (*)

وهو أن تصف الشىء بصفات عديدة متوالية . إما لتعظيمه وإما لتحقيره وإما لبيان خصوصية فيه .

ومنه فى الكتاب العزيز كثير . أما فى التعظيم فمثل قوله تعالى : ﴿ هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيبِ والشهادة هو الرحمنُ الرحيمُ ﴾ إلى آخر السورة (١) .

وأما فى التحقير فكقوله تعالى : ﴿ ولا تُطِعْ كُلَّ حلاَّفٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بنميمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أثيمٍ عُتُلٍّ بعد ذلك زنيمٍ ﴾ [سورة القلم : ١٠ - ١٣] .

وما لبيان الخصوصية وإظهار الكرامة فكقوله تعالى : ﴿ عسى رَبُّهُ إنْ طَلَّقَكُنَّ أن يُبْدِلَهُ أزواجًا ﴾ (٢) الآية .

(*) « تنسيق الصفات » فى حدائق السحر للوطواط : ١٥٠ ، ونهاية الإيجاز : ٢٩١ ، والمعيار : ١٢٣ . ولم يزد عليها المؤلف سوى أن زاد فى العنوان قيد (بغير حرف نسق) ، وآية التحريم ﴿ عسى ربه إن طلقكن ﴾ .

(١) قال تعالى : ﴿هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور ، له الأسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [سورة الحشر : ٢٢ - ٢٤] .

(٢) قال تعالى : ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن مسلمات مؤمنات قانتات =

ومنه فى السنة النبوية قوله ﷺ : « ألا أخبركم بأحبّكم إلَىّ وأقربِكُمْ منى مجالسَ يومَ القيامة أحاسُنكم أخلاقًا الموطَّئون أكنافًا الذين يَأْلَفُون وَيُؤْلَفُون »(١) . ومن الذم : « ألا أخبرُكم بأبغضِكُم إلَىّ وأبعدِكم منى مجالسَ يومَ القيامة أساوِئُكم أخلاقًا الثرثارون المُتَفَيْهقون »(٢) .

ومن هذا النوع فى الشعر كثير ، من ذلك قول العباس يمدح رسول الله ﷺ :

وَأَبيضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِـه   ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصَمْةٌ للأَرَامِلِ (٣)

وقول حسان (٤) :

بِيضُ الْوجُوهِ كَرِيمةٌ أَحْسَابُهُـمْ   شُمُّ الأُنُوفِ مِنَ الطِّرَازِ الأَوَّلِ (٥)

* * *

= ثائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارًا ﴾ [سورة التحريم : ٥] . وهذه الآية مما زاده المؤلف على مصادره .

(١) انظر الهامش التالى .

(٢) الحديث بهذا اللفظ ملفق من عدة روايات ، لا يتسع المقام هنا لبيانها انظر تفصيل ذلك فى مجمع الزوائد للهيثمى : ٢١/٨ ، وقارن بجمع الجوامع للسيوطى حديث ٦٠٩٥ ، ٦٠٩٦ ، ٦٠٩٧ .

(٣) حدائق السحر : ١٥١ ، والمعيار ١٢٤ .

(٤) هو حسان بن ثابت الأنصارى أبو الوليد الصحابى شاعر النبى ﷺ . أحد المخضرمين وكان شاعر الأنصار فى الجاهلية . عاش ستين سنة فى الجاهلية ومثلها فى الإسلام . وتوفى سنة ٥٤ هـ .

(٥) ديوانه : ٧٤/١ ، حدائق السحر : ١٥١ ، والمعيار : ١٢٤ .

/ القسم الستون

جسن النسق (*)

وهو أن تأتى بكلمات من النثر أو النظم متتاليات ومتعاقبات منسوقة بعضها على بعض بحرف العطف . كل كلمة إذا أفردت كانت تقوم بمعنًى مفرد مستقبل ، وكل بيت إذا جرد من تلوه استقل معناه ولم يفتقر إلى غيره ، وإن ضم إليه تلوه صارا كأنهما بيتاً واحداً (١) .

ومنه فى الكتاب العزيز قوله تعالى ﴿ وقيل يا أرضُ ابلَعى ماءَك وياسماءُ أقلعى وغِيضَ الماءُ وقُضِى الأمرُ واستوت على الجُودِىِّ وقيل بُعْدًا للقوم الظالمين ﴾ [سورة هود : ٤٤] .

فأنت ترى هذه الجمل معطوفًا بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذى تقتضيه البلاغة ؛ لأنه سبحانه بدأ بالأهم إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها ولا يتهيأ ذلك إلا بانكشاف (٢) الماء عن الأرض ، **فلذلك بدأ بالأرض فأمرها بالابتلاع** (٣) .

ثم عَلِمَ سبحانه أن الأرض إذا ابتلعت ما عليها ولم تنقطع مادة السماء

(*) هذا القسم نقله المؤلف بتمامه عن ابن أبى الإصبع (تحرير التحبير : ٤٢٥ – ٤٢٧ ، وبديع القرآن : ١٦٤) إلا حكايته عن معارضة ابن المقفع للقرآن .

(١) قوله (صارا كأنهما بيتًا واحدًا) كذا فى (ط) .

(٢) تحرير التحبير : (بانحسار) .

(٣) (ط) : (بالانقلاع) . والتصويب عن ابن أبى الإصبع .

تأذى بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها وربما ينزل من السماء أكثر مما تبتلع الأرض **فأمرها بالإقلاع بعد أن أمر الأرض بالابتلاع .**

ثم أخبر بغَيْضِ الماءِ عندما ذهب ماعلى الأرض وانقطعت مادة السماء . **وذلك يقتضى أن تكون ثالثة الجملتين المتقدمتين .**

ثم قال تعالى : « وقُضِى الأمرُ » أى هلك من قَدَّرَ هلاكه وَنَجى مَنْ قُضِيَتْ نجاته . وهذا كنه الآية وحقيقة المعجزة ولابد أن تكون معلومة لأهل السفينة ولا يمكن علمهم بها إلا بعد خروجهم منها . وخروجهم موقوف على ماتقدم . **وبذلك اقتضت البلاغة أن تكون هذه الجملة رابعة الجمل .**

وكذلك استواء السفينة على الجودى أى استقرارها على المكان الذى استقرت فيه استقرارًا لا حركة معه لتبقى آثارها عبرة لمن يأتى بعد أهلها وذلك يقتضى أن تكون بعد ماذكرنا .

وقوله سبحانه وتعالى : « وقيل بعدًا للقوم الظالمين » : وهذا دعاء أوجبه الاحتراس ممن يظن أن الهلاك ربما شمل من لا يستحق ، فدعا الله سبحانه وتعالى على الهالكين وسماهم ووصفهم بالظلم احتراسًا من هذا الاحتمال **وذلك يقتضى أن يكون بعد كل ماتقدم والله أعلم .**

١٩٢ **فانظر / إلى حسن هذا النسق : كيف وقع القول فيه وفق الفعل سواء !** وقد حكى أن ابن المُقَفَّع العبدى عارض آى القرآن فلما بلغ إلى هذه الآية أمسك عن المعارضة وقال : هذه الفصاحة التى لا تُبَارَى ، والبلاغة التى لا يُسابَقُ المتكلم بها ولا يُجارى ، والقولُ الفصل الذى لا يختلف فيه ولا يُتَمارَى !

وهذا فى الشعر كثير . ومن أحسنه قول ابن شَرَفَ القَيْرَوَانِى [1] :

---

(١) هو محمد بن سعيد بن شرف أبو عبد الله ، كاتب مترسل وشاعر أديب . ولد بالقيروان عام ٣٩٠ هـ ، وكان معاصرًا لابن رشيق وكان بينهما مابين المتعاصرين من التنافر ، وتوفى باشبيلية بالأندلس =

جَاوِزْ عَلِيًّا ولا تَحْفِلْ بِحَادِثَـةٍ إِذَا ادَّرَعْتَ فَلا تَسْأَلْ عَنِ الأَسَلِ
سَلْ عنه وانطِق بِهِ وانظُرْ إليهِ تَجِدْ مِلءَ المسامِعِ وَالأَفواهِ وَالمُقَلِ [1]

* * *

= ٤٦٠ هـ . وذكر الأستاذ الميمنى أن (شرف) اسم ممنوع من الصرف لأنه عَلَم مؤنث وهو اسم أم الشاعر . قال الميمنى : (هكذا يستفاد من كلام لابن رشيق أورده صاحب معجم الأدباء ، ولم أر من صرّح بهذا) . (انظر النُّتَف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف : ٩٠) .

(١) من قصيدة – وصفها الأستاذ الميمنى بأنها فريدة – فى مدح الكاتب ابن أبى الرجال . (النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف : ١٠٧ – ١١٠ ، والبيتان – معنا – بينهما أربعة أبيات فى (النتف) .
وقوله (سَلْ عنهُ ...) البيت نقل الميمنى عن ابن الشيخ قوله فيه : (ولعمر الله إنه لغريب .. فانظر كيف بنى هذا البيت على ثلاثة ألفاظ وهى : سل وانطق وانظر . ثم أتى فى الجواب بثلاثة ألفاظ تقابل كل لفظ مقابلتها على التوالى بلا تقديم ولا تأخير [يريد صنعة اللف والنشر المرتب] ويكفى ابن شرف من الشرف أن استشهد به القاضى أبو الفضل) ويريد بالقاضى أبى الفضل – هنا – القاضى عياض صاحب الشفا . (النُّتَف : ١٠٨) . وقال الأستاذ الميمنى عن هذا البيت (وهذا الأخير بيت القصيدة وغرّة شادخة فى وجهها وإن كان كلها غُرَرًا ظاهرةً ، ودررًا باهرةً ، بنورها زاهرة) . النُّتَف : ١١٠ .

القسم الحادي والستون

المدح والذم (*)

وفي كتاب الله تعالى منه كثير . المدح للمؤمنين والذم للكافرين ، ومدحه هو المدح على الحقيقة وذمه هو الذم على الحقيقة ، وقد مدح الله تعالى نفسه بقوله : ﴿ اللهُ لا إلهَ إلا هو الحيُّ القيومُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٥ ، سورة آل عمران : ٢] وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ اللهُ الصَّمَدُ لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكن له كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص : ١ - ٤] . حتى قال بعض العلماء : لكل أحد نسبة ، ونسبة الله تعالى : ﴿ قُل هو الله أحد ﴾ .

ومدح الله عز وجل نبيه بآيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ إنا أرسلناكَ شَاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذِيرًا ودَاعيًا إلى اللهِ بإذْنِهِ وسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٤٥ - ٤٦] ومدح نبيه ﷺ والمؤمنين في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ والذين مَعَهُ أَشِدّاءُ على الكُفّارِ رُحَمَاءُ بينَهم تراهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ [سورة الفتح : ٢٩]ومدح المؤمنين بقوله تعالى : ﴿ التائبونَ العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ﴾ [سورة التوبة : ١١٢] .

وذم سبحانه وتعالى الكافرين بآيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنْذَرْتَهُمْ أم لم تُنْذِرْهُمْ لا يؤمنون خَتَمَ الله ﴾ [سورة البقرة : ٦ - ٧] وذم المنافقين بقوله : ﴿ ومِنَ الناسِ مَنْ يَقُولُ آمنا بالله / واليوم الآخرِ ١٩٣

(*) انظر : نقد الشعر لقدامة : ٦٤ - ١٠٠ ، والعمدة : ٢/١٢٨ .

وماهُمْ بمؤمنين يُخادِعون الله والذين آمنوا وما يخادعون (١) إلا أنفسهم وما يَشْعُرُون في قلوبهم مَرَضٌ فزادَهمُ اللهُ مَرَضًا ولهمْ عذابٌ أليمٌ ﴾ [سورة البقرة : ٨ - ١٠] .

وأما مدح الناس بعضهم بعضًا فينبغى لمن أراد أن يمدح أحدًا أن يمدحه بألفاظ حسنة مستعذبة واضحة المعنى ، رائقة اللفظ ، غير حُوشِيّةٍ ولا قلقة . وأن تكون القصيدة أو الرسالة حسنةَ المطلع ، بديعة التخلص عذبة المقطع .

وأن يكثر فى وصف الممدوح ونشر مآثره وتعديد مكارمه ونحو ذلك . ويكثر من ذكر النوع الذى يميل إليه من المكارم ويحب أن يوصف به من المآثر ونحو ذلك . **وقد قال قدامة** : « **الأوصاف التى يمدح بها أربعة** :

الأول : العقل : ويدخل فيه الحياء ، والثبات ، والسياسة ، والكفاءة ، وثقافة الرأى ، والصدع بالحجة ، والحلم عن سفاهة السفهاء ، وأمثال ذلك .

الثانى : الشجاعة : ويدخل فيها المهابة ، والحماية ، والدفاع ، والأخذ بالثأر ، والنكاية فى العدو ، وقتل الأقران ، والسير فى المهامه ، وأشباه ذلك .

الثالث : العفة : ويدخل فيها القناعة وقلة الشَّره ، وطهارة الإزار ، ونحو ذلك .

الرابع : العدل ويدخل فيه السماحة والإطلاق (٢) ، والتبرعُ بالنائل ، وإجابة السائل وقراء الضيف .

ويحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبرُ على الملمات والوفاء بالوعد . ومع العفة ترك الشره والرغبة عن المسألة ، والاقتصار على أدنى معيشة . ومع العدل البر وإنجاز الوعد . ويحدث من تركيب الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش ، والغيرة على الحريم . ومع العدل الائتلاف وترك الخلاف . ويحدث من تركيب العفة مع العدل الائتلاف بالقوة ، والإيثار على النفس ونحو ذلك (٣) .

---

(١) هى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو (البدور الزاهرة : ٢٤) .

(٢) الذى فى مطبوعة نقد الشعر (نشرة كمال مصطفى) : (٦٨) : والانظلام .

(٣) بشىء من التصرف عن نقد الشعر : ٦٥ - ٦٨ ، ونقلها ابن رشيق فى العمدة : ٢/١٣١ - ١٣٢ .

واستوعب زهير الأقسام الأربعة فقال :

أَخِي ثِقَةٍ لا تُهْلِكُ الخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ المَالَ نائِلُـهْ [١]

وصفه بالعفة لقلة إمعانه فى اللذات ، وبالسخاء .

ووصفه بالشجاعة والعقل فقال :

وَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِى الْحُروب وَمِثْلُه لإِذْهَابِ ضَيْمٍ أَوْ لِخَصْمٍ يُجادِلُهْ [٢]

وأما قوله : « أخى ثقة » فهو وصف بالوفاء وهو داخل فيما ذكرنا .

وفى الذم يأتى بأضداد ماتقدم .

وقيل : « أحسن الهجاء مالا تستحى العذراء من إنشاده » وقيل فى الذم أن تأتى بالألفاظ المنكية ، والمعانى المشجية ، والمقاصد المؤلمة المبكية ، ويتوخى أقبح معائب المهجو وأعظم وجوه الازدراء به ؛ ولهذا المعنى حرمه الله ورسوله ، وعم بالذم / والإنكار كل من يحفظه أو يقوله . ١٩٤

* * *

(١) ديوانه : ١٤١ ، ونقد الشعر : ٦٦ ، والعمدة : ١٣١/٢ .
وهو فى مدح حِصْن بن حُذَيْفَة بن بدر الفَزَارِىّ ، (نائله) أى عطاؤه .

(٢) ديوانه : ١٤٣ ، ونقد الشعر : ٦٧ ، والعمدة ١٣١/٢ .
ورواية العجز فى الديوان (لإنكار ضَيْمٍ أَوْ لأمرٍ يحاولُهْ) .

القسم الثالث والستون

الحمد والشكر (*)

وقد اختلف العلماء فيهما فقال قوم – وَهم الجمهور – : الحمد هو ذكر مافى الإنسان من المآثر الحسنة والصفات المستحسنة ، والشكر ثناء يقصد به مجازاة المنعم . وقال بعض أهل العلم : إن الحمد وصف الخلال ، كقول الخنساء أخت صخر :

وَمَا بَلَغَتْ كَفُّ امْرِىءٍ مُتَنَاوَلاً مِنَ المَجْدِ إِلاَّ وَالَّذِى نِلْتَ أَطْوَلُ
وَمَا بَلَغَ المُهْدُونَ لِلنَّاسِ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلا التِى فِيكَ أَفْضَلُ

والشكر وصف الأفعال كقول الشاعر :

وَإِنَّكُمُ بَقِيَّةُ حَىِّ قَيْسٍ وَهَضْبَتُهُ التى فَوْقَ النِّصَابِ
تُبَارُونَ الرِّيَاحَ إِذَا تَبَارَتْ وَتَمْتَثِلُونَ أَفْعَالَ السَّحَابِ
يُذَكِّرُنِى مَقَامِى فِى ذُرَاكُمْ مَقَامِى أَمْسِ فِى ظِلِّ الشَّبَابِ

وقيل : إن الحمد والشكر سواء . وقال أهل اللغة : « حَمِدتُ الرجلَ » : إذا شكرتَ له صنيعه ، « وأحمدتُه » إذا وجدته محمودًا . وقال ابن الأنبارى : « حَمِدَ » مقلوب مدح .

وقد قيل : كيف يكون الحمد والشكر سواءً ، والحمد نقيضه الذم ،

(*) لا أفهم وجهًا لإفراد ابن النقيب هذا القسم « الحمد والشكر » وجعله من أقسام الفصاحة والبلاغة !

والشكر نقيضه الكفران ؟

والذى أختاره أن الحمد أعمُّ من الشكر ، وأنه قد يُحْمَدُ الشخص على مافيه من الأخلاق الجليلة ، والصفات الجميلة ، ويحمد على حسن خَلْقه من الصباحة والجمال والكمال ، ويُحْمَدُ على مافيه من الفصاحة والبلاغة والنجابة ، ويُحْمَدُ على كثرة إنعامه وإحسانه . والشكر إنما يكون للمنِعم عليك فقط .

فإذا حَمِدْتَ أحدًا – إن نويت بالحمد الشكرَ له على ما أسدى إليك من الإنعام والإحسان – كان هذا الحمد هو الشكر ؛ لأنه مجازاة لصنيع ومكافأة لإحسان ؛ فقد أتيت بأعلى درجات الشكر ، وهو [1] الذى أشار إليه رسول الله ﷺ / بقوله : « الحمد رأس الشكر » [2] . وهو الذى يجوز إطلاقه على الشكر وإطلاق الشكر عليه . ١٩٥

وإن أردت بالحمد الثناء على صفاته الجميلة الكاملة التى خلقه الله عليها فهذا أخو المدح وهو أعلاه . ويجوز إطلاقه على المدح وإطلاق المدح عليه . وإن أردت بالمدح وصفه بكمال الجمال والجلال وحسن الشيم والخلال والثناء عليه بما أسدى إليك وإلى غيرك من الإنعام والإفضال فهذا هو الحمد الكامل . ولا يجوز أن يطلق عليه الشكر والمدح فهذا هو الحق .

وقد تكلم المفسرون فى الحمد والشكر والفرق والجمع بينهما وبين المدح ومن علم ماذكرته هنا سهل عليه الاختلاف والائتلاف والله الموفق للصواب لارب غيره .

* * *

---

(١) ط : (هو) .

(٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٩٧/٤) ، الباب الثالث والثلاثون ، حديث ٤٣٩٥ عن ابن عمر ، وتكملته : « ماشكر الله عبد لا يحمده » وعزاه فى كنز العمال (٢٥٧/٣) حديث ٦٤١٩ – أيضًا – إلى عبد الرزاق .

القسم الثالث والستون

تأكيد المدح بمايشبه الذم (*)

وهو كقولهم : « بحار العلم إلا أنهم جبال الحلم » . ومنه قول بديع الزمان (1) :

هُوَ الْبَدْرُ إلا أَنَّهُ الْبَحْرُ زَاخِرًا   سِوَى أَنَّهُ الضِرْغَامُ لَكِنَّهُ الوَبْلُ (2)

وهذا من نوع الغلو والإغراق . وسيأتى بيانه عقيب هذا القسم إن شاء الله تعالى . وهذا النوع فى القرآن كثير .

* * *

(*) (تأكيد المدح بما يشبه الذم) تسمية ابن المعتز فى بديعه : ٦٢ ، والوطواط فى حدائق السحر : ١٣٣ ، وسماه أبو هلال وابن رشيق والرازى والزنجانى « الاستثناء » (الصناعتين : ٤٢٤ ، والعمدة : ٤٨/٢ ، ونهاية الإيجاز : ٢٩٣ ، والمعيار : ١٣٧) . وجمع الحاتمى بين التسميتين فسماه (استثناء وتأكيدًا للمدح بما يشبه الذم) . حلية المحاضرة : ف ٥٩ ، وسماه ابن منقذ « الرجوع والاستثناء » (بديعه : ١٢٠) . وذكر الزنجانى فى المعيار : ١٣٧ أنه يسمى أيضًا « الاستثناء والرجوع » . وقد فرّق ابن أبى الإصبع بين تأكيد المدح بما يشبه الذم وبين الاستثناء ، فعقد لكلٍ بابًا مستقلاً ، وذكر أنه كان يراهما بابًا واحدًا ثم رجع عن ذلك . (انظر تحرير التحبير : ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٣٣٣) .

(1) هو أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذانى أبو الفضل أحد أئمة الكتاب صاحب المقامات الذائعة ، ولد بهمذان وتوفى بهراة مسمومًا سنة ٣٩٨ هـ .

(2) حدائق السحر : ١٣٣ ، ونهاية الإيجاز : ٢٩٣ ، والمعيار : ١٣٧ ، ومعاهد التنصيص : ١١١/٣ .

القسم الرابع والستون

المبالغة وتسمى الإفراط والغلو والإيغال (*)

(ومعنى هذه الأسماء متقاربة وبعضها أرفع من بعض)

قال علماء علم البيان : المبالغة الزيادة على التمام [1] . وسميت مبالغة لبلوغها إلى زيادة على المعنى لو أزيلت تلك الزيادة وأسقطت كان المعنى تامًا دونها ، لكن الغرض بها تأكيد ذلك المعنى فى النفس وتقريره .

١٩٦ وفى القرآن العظيم والكلام الفصيح والأشعار منه كثير / أما الكتاب العزيز فقوله تعالى : ﴿ إِذْ جاؤُكم مِنْ فَوْقِكُمْ وِمِنْ أَسْفَلَ منكم وإِذْ زَاغَتِ الأبصارُ وَبَلَغَتِ القلوبُ الحناجِرَ وتظنُّونَ بالله الظنونا ﴾ [سورة الأحزاب : ١٠] ومنه قوله تعالى : ﴿ وقد مَكَرُوا مَكْرَهم وعندَ الله مَكْرُهُمْ وإِنْ كانَ مكرُهم لتزول منه الجبال ﴾ [2] [سورة إبراهيم : ٤٦] وقد قيل : إن هذه الآية ليست من باب المبالغة

(*) « الإفراط فى الصفة » : تسمية ابن المعتز (البديع ٦٥) ، وتابعه عليها ابن أبى الإصبع (تحرير التحبير : ١٤٧) ، و« الغلوّ » تسمية قدامة فى نقد الشعر (٥٨ ، ٦١ – ٦٣) . وقد جمع أيضًا بين التسميتين « المبالغة » و « الغلو » فى مواضع . (انظر مثلاً نقد الشعر : ٦٢ ، ٦٩) . وعقد أبو هلال فصلاً للمبالغة فى الصناعتين : ٣٧٨ ، وآخر للغلو ص : ٣٦٩ . وجعل ابن رشيق « المبالغة » بابًا وتحته ضروب كثيرة (العمدة : ٥٣/٢) ، وجعل الإيغال من ضروبها (العمدة : ٥٧/٢) إلا أنه خصّه بالقوافى فقط ، وذكر أن الحاتمى وأصحابه يسمونه « التبليغ » من بلوغ الغاية . (وانظر حلية المحاضرة : ف ٣٩) وعقد ابن رشيق للغلو بابًا (العمدة ٦٠/٢) وذكر أن من أسمائه الإغراق والإفراط .

وما ذكره ابن النقيب – هنا – أن المبالغة والإفراط والغلو والإيغال مترادفة فى المعنى تقريبًا ذكره ابن منقذ فى بديعه : (١٠٤) .

(١) بديع ابن منقذ : ١٠٤ .

(٢) قال أبو حيان : (زوال الجبال مجاز ضرب مثلاً لمكر قريش وعظمه ، والجبال لا تزول وهذا من باب الغلو والإيغال والمبالغة فى ذم مكرهم) البحر المحيط : ٤٣٨/٥ .

بل حكاية عما وقع . ومنه قوله تعالى : ﴿ تكاد السمواتُ يتفطَّرْنَ منهُ وتَنْشَقُّ الأرضُ وتخِرُّ الجبالُ هَدًا ﴾ [سورة مريم : ٩٠] وقوله تعالى : ﴿ ولو أن قرآناً سُيِّرتْ به الجبالُ أو قطعت به الأرضُ أو كُلِّمَ به الموتى ﴾ [سورة الرعد : ٣١] .

وأما الكلام الفصيح فقد رُوى عن العرب أنهم قالوا : « فلان يهُدّ الجبال ويصرع الطير ويفزع الجن ويزوى الماء »[١] . وقال بعض العرب فى فرسه : « يُحْضِرُ[٢] ماوجد أرضًا ، وإن الوابل ليصيب عَجُزَهُ ولا يبلغ مَعْرَفته[٣] حتى أنال حاجتى[٤] » وذم أعرابى رجلاً فقال : « يكاد يعدى لؤمه من تسمى باسمه »[٥] . وقالت سُكَيْنَةُ : « مالبسَتْ بنتى الدرّ إلا لتفضحه »[٦] ومنه فى الشعر كثير . فمن ذلك :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ ووُجوهُهُمْ دُجَى الليلِ حتى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَاقِبُهْ[٧]

وقال المتنبى :

لَقِيتُ الْروابى والشَّناخِيبَ دُونَهُ وَجُبْتُ هَجِيرًا يَتْرُكُ الماءَ صَادِيا[٨]

---

(١) كذا فى (ط) (الماء) . ولعله تحريف وصوابه (المال) باللام ، يقال : زوى المال : إذا جمعه وقبضه . انظر اللسان والقاموس مادة (زوى) .

(٢) الحُضر والإحضار : ارتفاعُ الفرس فى عَدْوه .

(٣) المَعْرفة : كمرحلة : موضع العُرف من الفرس (القاموس) .

(٤) فى الصناعتين : ٣٧٠ هذه المقولة على مقولتين : (وقيل لأعرابى ماحُضرُ فرسك قال : يُحضِرُ ماوجد أرضًا) . ووصف أعرابى فرسه فقال : « إنّ الوابل ليصيب عجزه فلا يبلغ إلى معرفته حتى أبلغ حاجتى » . والمؤلف هنا – ناقلٌ عن ابن منقذ : ١٠٥ والذى جعلهما مقولة واحدة . وفى مطبوعة ابن منقذ تحريف فى سياقه القول .

(٥) الصناعتين : ٣٧٠ ، وابن منقذ : ١٠٦ .

(٦) الصناعتين : ٣٧١ ، وابن منقذ : ١٠٦ .

(٧) ديوان الحماسة (٢٧١/٢) لأبى الطَّمَحان القَيْنى واسمه حنظلة بن شرق ، شاعر فارس معمر عاش فى الجاهلية ، وأدرك الإسلام وأسلم ولم ير النبى ﷺ . قالوا عنه : كان خبيث الدين جيد الشعر ، وتوفى نحو سنة ٣٠ هـ .

(٨) ديوانه : ٤٢٦/٤ ، وروايته (لقيت المَرْوَرى) . الشناخيب : رؤوس الجبل . والهجير : نصف النهار . والصادى : العطشان . يذكر مالاقى من التعب فى الوصول إلى الممدوح .

وقال آخر :

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ النَّجْمِ مِنْ كَرَمٍ ... قَوْمٌ لَقِيلَ اقْعُدُوا يا آلَ عَبَّاسِ (١)

وقال آخر (٢) :

فكنتُ إذا ما جئتُ ليلى بأرضها ... أرى الأرضَ تُطْوَى لى ويَدْنو بعيدُها

من الخَفِرَات البيضِ وَدَّ جليسُها ... إذَا مَا مَضَتْ أُحْدُوثَةٌ لو تُعِيدُها

وَكَيْفَ يودُّ القَلْبُ مَنْ لا يَوَدُّهُ ... بَلَى ، قَدْ تُرِيدُ النَفْسُ مَنْ لا يُرِيدُها

وقال آخر (٣) :

وحديثُها السِّحْرُ الْحَلالُ لَوَ انَّهُ ... لم يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ المتحـرِّزِ

إنْ طال لم يُمْلَلْ وإنْ هِىَ أوْجَزَتْ ... وَدَّ المحدَّثُ أنها لم تُوجِـــــزِ

١٩٧ / شَرَكُ النُّفوسِ ونزهةٌ ما مِثْلُها ... لِلْمُطْمَئِـنِّ وعُقْلَـةُ المسْتَوْفِـزِ (٤)

والأشعار فى هذا الباب كثيرة لا تحصى .

* * *

(١) ذكره الدكتور حسين عطوان فى شعر مروان بن أبى حفصة (١١٣) فيما ينسب له ولغيره وقال : والصحيح أن البيت لأبى دُلامة زَنْد بن الجون من أبيات يمدح بها أبا جعفر المنصور .

(٢) بديع ابن منقذ : ١٠٧ ، ١٠٨ دون نسبة .

(٣) هو ابن الرومى على بن العباس بن جورجيس الرومى أبو الحسن شاعر كبير من طبقة بشار والمتنبى رومى الأصل . ولد ونشأ ببغداد ومات فيها مسمومًا سنة ٢٨٣ هـ .

(٤) ديوان ابن الرومى ١١٦٤/٣ ، وبديع ابن منقذ : ١٠٨ ، وتحرير التحبير : ٥٤٠ .
والبيت الثالث – هنا – ترتيبه الثانى فى الديوان . ورواية الأول فيه : (لو انها لم تجن) والثالث (وعقلةً للمستوفز) .

القسم الخامس والستون

الرثاء والتعزية

فأما الرثاء فهو مدح الميت بما كان فيه من المناقب المذكورة والمحاسن المأثورة . ومنه قوله تعالى فى حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ وتركنا عليهِ فى الآخرين سلامٌ على إبراهيمَ كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ [سورة الصافات : ١٠٨ - ١١١] وقوله تعالى : ﴿ إن إبراهيمَ كان أُمَّةً قانتًا للهِ حنيفًا ولم يَكُ من المشركين ﴾ [سورة النحل : ١٢٠] وقوله تعالى فى حق نوح عليه الصلاة والسلام : ﴿ وتركنا عليه فى الآخرين سلامٌ على نوح فى العالمين إنا كذلك نجزى المحسنين [1] إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ [سورة الصافات : ٧٨ - ٨١] .

وأما التعزية فهو أن يذكر ما يُتوصل به إلى تسلية مُخْلِفى الميت وتصبيرهم وإطفاء نار ثكلهم .

وفى القرآن من ذلك كثير ، وهى كثيرة فى أشعار المتقدمين والمتأخرين .

أما القرآن فقوله تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول اللهِ أُسْوَةٌ حسنة ﴾ [2] [سورة الأحزاب : ٢١] . وقوله تعالى : ﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبلهِ الرُسُل ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٤] وقوله تعالى : ﴿ وكأين من نبى

---

(١) قوله تعالى : ﴿ إنا كذلك نجزى المحسنين ﴾ ساقط من (ط) .

(٢) إنما يكون هذا صحيحًا لو أن الآية نزلت فى وفاة رسول الله ﷺ وكيف يمكن تصور هذا ! والقرآن تنزل عليه ﷺ كله فى حياته ! وهذه الآية فى سياقها لا علاقة لها بالتعزية أو الرثاء فهى فى سياق قصة الأحزاب ! وفى نفسى شىء من باقى ماساقه المؤلف فى هذا القسم من آيات قرآنية .

قُتِلَ [(١)] معهُ رِبِّيُّونَ كثيرٌ فماوَهَنوا لما أصابَهُمْ فى سبيلِ الله وماضَعُفوا ومَا استكانوا ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٦] وقوله تعالى : ﴿ كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ وإنما تُوَفَّوْن أُجورَكم يوم القيامة ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٥] وقوله تعالى : ﴿ أينما تكونوا يُدْرِكْكُمُ الموتُ ولو كنتم فى بُروجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ [سورة النساء : ٧٨] وقوله تعالى : ﴿ والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] وقوله تعالى : ﴿ الذين [(٢)] إذا أصابتهمْ مُصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هُمُ المُهتدون ﴾ [سورة البقرة : ١٥٦ - ١٥٧] وقوله تعالى : ﴿ ولئن صبرتم لهوَ خير للصابرين ﴾ [سورة النحل : ١٢٦] .

وأما الأشعار فقد ورد منها فى هذا كثير لايحصى . فمن أحسن ذلك قول بعضهم [(٣)] :

١٩٨ / مَضَى ابْنُ سَعيدٍ حيث لَمْ يَبْقَ مشرِقٌ ... وَلا مَغْـرِبٌ إلا لَـهُ فيـه مـادحُ

وَمَا كُنْتُ أَدْرى مَـا فَـوَاضِلُ كَفِّـهِ ... عَلى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْـهُ الصَّفَائِـحُ

وَأَصْبَحَ فِى لَحْدٍ مِن الأَرْضِ مُفْردًا [(٤)] ... وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيـقُ الصَّحَاصِحُ

لَئِـنَ عَظُـمَتْ فِيـه المراثى وَحُسْنُها ... لَقَدْ عَظُمَتْ مِنْ قَبْلُ الْمَدَائِـح [(٥)]

ومن بديع التعزية قول بعضهم [(٦)] :

---

(١) هى قراءة نافع والمكى والبصريان : بضم القاف وكسر التاء بالبناء للمجهول . والباقون (قاتل) بفتح القاف والتاء وألف بينهما (البدور الزاهرة : ٧١) .

(٢) ط (والذين) وهو وهم .

(٣) هو أَشْجَعُ بنُ عمرو السلَمى من شعراء العصر الأول العباسى ، شاعر من الفحول مدح البرامكة والرشيد . والأبيات فى ديوان الحماسة ٤١٣/١ - ٤١٤ .

(٤) ديوان الحماسة : « ميتا » .

(٥) رواية ديوان الحماسة :

لئـن حَسُنَتْ فـيك المراثى وذِكْرُهـا ... لقد حَسُنَتْ من قَبْلُ فيك المدائح)

(٦) هو أَوْسُ بنُ حَجَر وقد سبق البيت فى قسم براعة الاستهلال .

أَيَّتُهَا النَّفْسُ أَجْمِلِى جَزَعَا   إِنَّ الذى تَحْذَرِينَ قَدْ وقعا

وقول بعضهم :

قِسمةُ الموتِ قِسمةٌ لا تجورُ   كُلُّ حَىٍّ بكأسِها مَخْمورُ

وقول الخنساء :

يُذَكِّرُنِى طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا   وَأَنْدُبُهُ لِكُلِّ غُروبِ شَمْسِ
وَلَوْلا كَثْرَةُ البَاكِينَ حَوْلِى   عَلَى إِخْوانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسى
وَمَا يَكُونَ مِثْلَ أَخِى وَلَكِنْ   أُسَلِّى النَّفْسَ عنهُ بالتَّأَسِّى [1]

* * *

(١) ديوانها : ٨٤ (دار صادر) ، والبيتان الثانى والثالث فى الصناعتين : ٢٢٧ ، وتحرير التحبير : ٢٤٨ .

القسم السادس والستون

فى الشكاية

وهى فى القرآن على قسمين : ملفوظ بها ، وغير ملفوظ بها .

أما الملفوظ بها ففى قوله تعالى : ﴿ إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله ﴾ [سورة يوسف : ٨٦] ومن الشعر قول بعضهم :

إِلَى اللهِ أَشْكُو لا إِلَى النَّاسِ أَنَّنِى ... أَرَى الأَرْضَ تُطْوَى وَالأَخِلَّاءُ تَذْهَبُ[١]

وقال آخر :

وَلا خَيْرَ فِى شَكْوى إلى غَيْرِ مُشْتَكَى ... وَلا بُدَّ مِنْ شَكْوى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرُ

وأما غير الملفوظ بها ففي القرآن منه كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ قال ابنَ أم [٢] إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٠] وقوله ١٩٩ تعالى : حكاية عن نوح عليه الصلاة / والسلام ﴿ قالَ ربِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمى ليلاً ونهارًا فلم يَزِدْهُمْ دُعائىَ إلا فِرارًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وأسررت لهم إسرارًا ﴾ [سورة نوح : ٥ – ٩] وقوله تعالى : ﴿ وَأُفَوِّضُ أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾ [سورة غافر : ٤٤] ومثله في القرآن كثير وفي الشعر كثير . فمن بديعه قول الشاعر :

يا إلهى قَدْ أَثقَلَتْنِى الذُّنُوبُ ... فَاعْفُ عَنِّى فَالعَفْوُ منْكَ قَرِيبُ

---

(١) للمُطَمَّش الضَّبِّى . ديوان الحماسة : ٤٣٣/١ .

(٢) (ط) : (ربِّ إنّ) وهو وهم .

وَتَجاوَزْ عَنْ مُذْنِبٍ بِخَطَايـا ... هُ عَنِ الخَيْرِ قَلْبُهُ مَحْجُوبُ
كُلَّ يَوْمٍ يَمْضِى عَلَيْه وَيَدْرِى ... أَنَّـهُ مِـنْ حَيَاتِـهِ مَحْسُوبُ
وَهُوَ فِى غَفْلَةٍ بعيدٌ مِن الخَـ ... ـيرِ قَرِيبٌ مِنْهُ الخَطَا وَالذُّنُوبُ

ومن بديعه أيضًا قول بعضهم [1] :

يَا مَنْ يُنَاجِى بِالضَّمِيرِ فَيَسْمَعُ ... أَنْتَ المعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّـعُ [2]
يَا مَنْ يُرَجَّى [3] لِلشَدَائِد كُلِّهـا ... يَا مَنْ إِلَيْـهِ المشْتَكَى وَالمفْـزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ جُودِهِ فِى قَوْلِ كُنْ ... امْنُنْ فَإِنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ [4]
مَالِى سِوَى قَرْعِى لِبابِكَ حِيلَةٌ ... فَإِذَا رَدَدْتَ فَأَىَّ بَابٍ أَقْـرَعُ [5]
وَمَنِ الذِى أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ ... إِنْ كَانَ بِرُّكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ [6]
حَاشَا لِجُودِكَ [7] أَنْ يُقَنِّطَ رَاجِيًا ... الفَضْلُ أَجْـزَلُ وَالمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

وفى هذا الباب أشعار كثيرة لا تحصى .

* * *

---

(١) هو السهيلي أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الإمام المشهور صاحب كتاب « الروض الأُنُف » في شرح سيرة رسول الله ﷺ . حافظ وعالم باللغة والنحو . ونسبته إلى (سُهَيْل) من قرى مالقه بالأندلس . وتوفى ٥٨١ والأبيات الآتية في وفيات الأعيان : ١٤٣/٣ ، مع اختلاف طفيف في اللفظ .

(٢) لفظ وفيات الأعيان : يامن يرى مافي الضمير ويسمع .

(٣) كان في (ط) : (يناجى) وأظنه انتقال نظر من الناسخ فأثبتّ لفظ الوفيات .

(٤) وفيات الأعيان : (يامن خزائن رزقه .. امنن فإن الخير) وبعد هذا البيت في الوفيات بيت ساقط من هنا هو قوله :

(مالي سوى فقرى إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك ، فقرى أدفع)

(٥) الوفيات : (فلئن رددت) .

(٦) الوفيات : (إن كان فضلك) .

(٧) الوفيات : (لجدك ان — عاصيا) .

القسم السابع والستون

الحكاية (*)

وهو أن يحكى كلام المتكلم إما بلفظه أو بمعناه . والقرآن العظيم مشحون بذلك .

وهو على قسمين : ظاهر ، ومقدر .. أما الظاهر : فكما حكاه الله سبحانه وتعالى من قول الملائكة ﴿ قالوا أتجعلُ فيها من يُفْسِدُ فيها ويسفِكُ الدماءَ ونحن نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لك ﴾ [سورة البقرة : ٣٠] ومنه قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهودُ ليستِ النصارى على شيء وقالت / النصارى ﴾ [سورة البقرة : ١١٣] وكذلك كل ما حكاه الله تعالى من أقوال القرون الخالية والأمم الماضية [1] . ٢٠٠

وأما المقدر فقوله تعالى : ﴿ ما أصابك من حسنةٍ فمنَ اللهِ وما أصابك من سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [سورة النساء : ٧٩] التقدير : يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك . دليل ذلك أنه رد عليهم بقوله : ﴿ قُلْ كلٌّ من عندِ الله فما لهؤلاءِ القومِ لا يكادون يفقهون حديثًا ﴾ [سورة النساء : ٧٨] ومثله في القرآن العظيم كثير .

* * *

(*) هذا القسم الذي أفرده المؤلف لا فارق بينه وبين ماساقه من قبل في القسم الثالث عشر الخاص بالتضمين بل أكثر الأمثلة التي ساقها هناك عاد وذكرها هنا . وهذا تكرار لا معنى له .

(١) انظر ماسبق في قسم التضمين والاقتباس .

القسم الثامن والستون

الاقتضاء (*)

وهو طلب الموعود بالوعد السالف .

وهو على ضربين : حسن ، وخشن . فالحسن مرغوب فيه لأنه يُحَصِّل المقصود ، وينجز الموعود . وأما المذموم فهو سبب الحرمان وحسم لمادة الإحسان .

وقد وقع منه في الكتاب العزيز القسمان . أما الحسن فمثل قوله تعالى : ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رُسُلِكَ ولا تُخْزِنا يومَ القيامةِ إنك لا تُخْلِفُ الميعاد ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٤] وقوله تعالى : ﴿ قل (١) ربِّ احكمْ بالحق وربُنا الرحمنُ المستعانُ على ماتصفون ﴾ [سورة الأنبياء : ١١٢] وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ربنا أَفْرِغْ علينا صبرًا وثبِّتْ أقدامنا وانْصرّنا على القوم الكافرين ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٠] استنجزوا وعده الكريم وهو قوله تعالى : ﴿ وكان حقًّا علينا نصرُ المؤمنين ﴾ [سورة الروم : ٤٧] .

وأما الخشن فورد منه فى القرآن كثير أيضا فمنه قوله تعالى : ﴿ وإذ قالوا اللهمَّ إنْ كان هذا هو الحقَّ من عندك فأَمْطِرْ علينا حجارةً مِن السماء ﴾ [سورة الأنفال : ٣٢] وقوله تعالى : ﴿ وقالوا ربنا عَجِّلْ لنا قِطَّنا قبلَ يومِ الحساب ﴾ [سورة ص : ١٦] وقوله تبارك وتعالى : ﴿ فأْتِنا بما تعدُنا إن كنت من الصادقين ﴾ [سورة الأعراف : ٧٠ ، هود : ٣٢ ، والأحقاف : ٢٢] . وفى الشعر منه كثير .

* * *

(*) في العمدة ١٥٨/٢ تحت عنوان (الاقتضاء والاستنجاز) .

(١) هى قراءة العشرة جميعا عدا حفصا بضم القاف وسكون اللام من غير ألف ، وقرأ حفص (قال) بصيغة الفعل الماضى (البدور الزاهرة : ٢١٣) .

٢٠١

/القسم التاسع والستون

التذكير

وهوالتنبيه لمن غَفَلَ أو سها عن شكر نعمة أُسْدِيَتْ إليه ومنن أُزْلِفَتْ لديه ، نسيها أو تناساها لتقوم عليه حجة المنعم ، وليوقظ من نوم غفلته فى ليل نسيانه أو تناسيه المظلم . وفى الكتاب العزيز منه كثير من ذلك قوله تعالى : ﴿ يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمتُ عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم ﴾ [سورة البقرة : ٤٠] . وقوله تعالى : ﴿ اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين ﴾ [سورة البقرة : ٤٧ ، ١٢٢] . ﴿ اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وأتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين ﴾ [سورة المائدة ٢٠] وقوله تعالى : ﴿ فقُولا له قَوْلاً [1] لَيِّنا لعلَّهُ يتذكَّرُ أو يخشى ﴾ [سورة طه : ٤٤] ومعناه : لعله يتذكر سَتْرَنا له وإنعامنا عليه فى أمر النِّيل إذ تضرع إلينا فأجرينا له النيل لمّا التمس قومه منه إجراء النيل ، أو يخشى انتقامنا منه فى الدنيا بالغرق وفى الآخرة بالنار والحرق .

والفرق بين الاقتضاء والتذكير أن التقاضى لاستبعاد حصول المطلوب لطول مدة انتظار المرغوب ، والتذكار إنما يكون عن غفلة أو نسيان كقول بعضهم :

جِئْتُك للإذكارِ مُسْتَخْرِضًا   لا لِتَقاضِيكَ وَحُوشِيتَا
وَلَسْتَ بالمُهْمَلِ لَكِنَّما   لِكَثْرةِ الأَشْغَالِ أُنْسِيتَا

* * *

---

(١) (قولاً) ساقطة من (ط) .

القسم الموفى السبعين

الوعد والوعيد (*)

أما **الوعد** فهو إطماع بإحسان فى المستقبل .

وهو **على قسمين** : **متحقق الوقوع** وهو وعد الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى : ﴿ وَعْدَ اللهِ لا يُخلف اللهُ وعدَه ﴾ [سورة الروم : ٦] . وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ [سورة آل عمران : ٩] ، **ووعد مَرْجُوٌّ وقوعه** وهو وعد العباد . والوعد يكون / فى الخير والشر لكن استعماله فى الخير أكثر قال الله ٢٠٢ تعالى : ﴿ جناتِ عَدْنٍ التى وَعَدَ الرحمنُ عبادَه بالغيب إنه كان وَعْدُهُ مأتِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٦١] وقال تعالى : ﴿ الشيطانُ يَعِدُكُمُ الفقرَ وَيأْمُرُكم بالفحشاء والله يَعِدُكُمْ مغفرةً منه وفضلاً ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٨] . وفى هذه الآية شاهد للمعنيين .

وقد ورد فى القرآن العظيم وفى الشعر منه كثير . أما القرآن فمنه ما قدمنا . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] وقوله تعالى : ﴿ وعدكم اللهُ مغانمَ كثيرةً تأخذونها ﴾ [سورة الفتح : ٢٠] وقوله تعالى : ﴿ ربنا وآتنا ما وعدّتنا على رُسُلك ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٤] .

وأما الوعيد فهو تخويف بسوءِ المجازاة فى المستقبل تحذيرًا من الوقوع فى المخالفات . وفى القرآن العظيم منه كثير . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ آمِنوا بما نَزَّلْنا مُصَدِّقًا لما معكم من قبل أن نَطْمِسَ وجوها فَنَرُدَّها على أدبارها

(*) عقد ابن رشيق بابًا للوعيد والإنذار فى العمدة : ١٦٧/٢ .

أو نلعنَهم كما لعنّا أصحابَ السبْتِ وكان أمرُ الله مفعولا ﴾[سورة النساء : ٤٧] . وقوله تعالى : ﴿ ومن يقتلْ مؤمنًا مُتَعَمِّدًا فجزاؤهُ جهنمُ خالدًا فيها وغَضِبَ اللهُ عليه ولعنَهُ وأعدَّ له عذابًا عظيما ﴾ [سورة النساء : ٩٣] وقوله تعالى : ﴿ ومن يعصِ اللهَ ورسولَهُ ويتعدَّ حدودَهُ يُدْخِلْهُ نارًا خالدًا فيها وله عذابٌ مهين ﴾ [سورة النساء : ١٤] . وقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا لهم نارُ جهنم لا يُقْضَى عليهم فيموتوا ولا يخفَّفُ عنهم من عذابها كذلك نجزى كلَّ كفور ﴾ إلى قوله ﴿ وما للظالمين من نصير ﴾ [سورة فاطر : ٣٦ - ٣٧] .

* * *

القسم الحادي والسبعون

العتاب والإنذار (*)

وهو دليل بقاء المودة ودوام عقد الألفة والصحبة . والغرض به إزالة مافى النفوس من الوحشة لأن بجريانه يظهر ما فى القلوب من آثار الجناية ويبدو مافى البواطن من تأكيد أسباب العناية . إذ لولا بقاء المودة الخفية لحصلت القطيعة بالكلية ، ولم يحتج إلى عتاب ولم يرغب فى الإعتاب ولهذا قيل :

ويَبقى الوُدّ ما بَقِىَ العِتَابُ (١)

/ ومنه فى القرآن العظيم كثير : فمن ذلك قوله عز وجل : ﴿ عفا اللهُ عنك لِمَ أَذِنْتَ لهمْ ﴾ [سورة التوبة : ٤٣] وقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبىُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لكَ ﴾ [سورة التحريم : ١] وقوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وتولَّى أَنْ جاءَهُ الأعمى ﴾ [سورة عبس : ١ - ٢] . وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبإٍ فتبيَّنوا أن تصيبوا قومًا بجهالةٍ ﴾ إلى قوله ﴿ واللهُ عليمٌ حكيمٌ ﴾ [سورة الحجرات : ٦ - ٨] . وفى القرآن من جميل العتاب شىء كثير . ٢٠٣

وأما الإنذار ففى القرآن منه كثير لا يحصى . فمنه قوله تعالى : ﴿ إنّ الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذَرتهُم أمْ لم تُنذِرْهُمْ لا يؤمنون ﴾ [سورة البقرة : ٦] . ومنه قوله تعالى : ﴿ وأَنذِرْهم يومَ الآزِفَةِ إذِ القلوبُ لَدَى الحناجِرِ ﴾ [سورة غافر : ١٨] الآية . وقوله تعالى : ﴿ وأَنذِرْهم يوم الحسْرَةِ إذْ قُضِىَ الأَمْرُ وهم فى غفلةٍ وهم لا يؤمنون ﴾ [سورة مريم : ٣٩] .

* * *

(*) عقد ابن رشيق للعتاب بابًا فى العمدة : ٢/١٦٠ ، وجعل « الإنذار » مع الوعيد فى باب « الوعيد والإنذار » : العمدة : ٢/١٦٧ .

(١) فى مقاييس اللغة لابن فارس : ٤/٢٢٦ وروايته (الحبُّ) بدلاً من (الود) وقبله :

أعاتبُ ذا المودّةِ من صديقٍ ... إذا مارابنى منه اجتنابُ

إذا ذهب العتابُ فليس حبٌّ ... ويبقى الحبُّ ...

القسم الثاني والسبعون

الإعتاب

وهو رجوع الإنسان عما عتبت عليه بسببه . يقال : عتبته فاستعتب . أى : أرجعته فارتجع . ومنه قوله تعالى : ﴿ فإن يصبروا فالنارُ مثوًى لهم وإن يَسْتَعْتِبوا فما هم من المُعْتَبِين ﴾ [1] . [سورة فصلت : ٢٤] . وفى الحديث : « إما محسِنًا فيزداد وإما مسيئًا فيستعتب » [2] . ومنه قول الشاعر :

عَتبتُ عليه فيما أعتبا وعنه اعتذرْتُ وقد أذنبا

* * *

---

(١) ط : (بمعتبين) وهو خطأ .

(٢) روايته فى صحيح البخارى : « لا يتمنى أحدكم الموت ، إمّا محسنا فلعله يزداد ، وإمّا مسيئا فلعله يستعتب » . كتاب التمنى (٩٤) ، باب مايكره من التمنى (٦) - فتح البارى : ٢٢٠/١٣ .

القسم الثالث والسبعون

الاعتذار (*)

وهو التوسل إلى محو الذنب وإزالة أثر الجرم . مأخوذ من قولهم : اعتذرتِ المنازل ، إذا درَست [1] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَعتذرونَ إليكم إذا رَجَعْتم إليهم قلْ لا تعتذروا ﴾ [سورة التوبة : ٩٤] . الآية . وقوله تعالى : ﴿ وإذْ قالت أمّةٌ منهم لمَ تَعِظونَ قومًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أو مُعَذِّبُهُمْ / عذابًا شديدًا قالوا مَعذِرَةً إلى ربِّكُمْ ولَعلَّهم يَتَّقون ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٤] . وقوله تعالى : ﴿ تَبَرَّأْنا إليك ما كانوا إيَّانا يَعبدون ﴾ [سورة القصص : ٦٣] .

٢٠٤

* * *

(*) عقد ابن رشيق بابا للاعتذار فى العمدة : ٢/١٧٦ .

(١) وهناك أقوال أخر فى اشتقاقه . انظرها فى العمدة : ٢/١٨٠ .

القسم الرابع والسبعون

تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل (*)

يُفعل ذلك لضرب من المبالغة . وفى القرآن العظيم منه كثير . فمن بديع ما جاء منه قوله تعالى : ﴿ قالوا يا موسى إما أنْ تُلْقِيَ وإمّا أنْ نكونَ نحنُ المُلْقين ﴾ [سورة الأعراف : ١١٥] . قولهم : « ياموسى إما أن تلقى » تخيير منهم له وحسن أدب راعوه معه كما يفعل أرباب الصناعات إذا تلاقوا فى تقديم بعضهم على بعض كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا فى الجدال وإنما قالوا - « وإما أن نكون نحن الملقين » - ولم يقولوا « وإما أن نلقى » كما قالوا : « يا موسى إما أن تلقى » - لرغبتهم فى أن يلقوا قَبْلَه وتشوُّفهم إلى التقدم عليه وذلك لما فيه من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل [1] .

ومما يجرى على هذا المنهاج قوله عز وجل : ﴿ فأوجسَ فى نفسه خيفةً موسى قلنا لا تخف إنكَ أنتَ الأعلى ﴾ [سورة طه : ٦٧] فتوكيد الضمير هاهنا فى قوله « لا تخف إنك أنت الأعلى » نفى الخوف من قلب موسى وأثبت فى نفسه الغلبة والقهر . ولو قال : « لا تخف إنك الأعلى » أو « وأنت الأعلى » لم يكن فى التأكيد لنفى الخوف من قلب موسى كما له من القوة فى تقرير

(*) سبق أن خصص المؤلف قسما للحديث عن الضمائر وما يتعلق بها (القسم السادس والخمسون) ؛ لذا فليس هنا من داع لإفراد هذا القسم الرابع والسبعين ، وكان حقه أن ينقل إلى هناك ، أو ينقل ما هناك إلى هنا .

وقد نقل ابن النقيب هذا القسم عن الجامع الكبير : ١٥٢ . وانظر المثل السائر : ١٨٦/٢ .

(١) سبق الزمخشرى إلى الإشارة إلى هذه النكتة . انظر الكشاف : ٨١/٢ .

الغلبة ونفى الخوف بقوله ﴿ إنك أنت الأعلى ﴾ وذلك لأن فى هذه الثلاث كلمات وهى قوله تعالى : ﴿ إنك أنت الأعلى ﴾ ست فوائد [١] :

الأولى : إنّ المشددة التى من شأنها التأكيد لما يأتى بعدها ، كقولك : زيد قائم ، ثم تقول : إن زيدًا قائم . ففى قولك : إن زيدًا قائم من الإثبات لقيام زيد والتقرير له ما ليس فى قولك زيد قائم .

الثانية : تكرير الضمير فى قوله تعالى : ﴿ إنكَ أنت ﴾ ولو قال فأنت الأعلى لما كان بهذه المثابة من التقرير لغلبة موسى والإثبات لقهره .

الثالثة : لام التعريف فى قوله ﴿ الأعلى ﴾ فلو قال إنك أنت أعلى (لكان قد نكره) [٢] ، وكان صالحًا لكل واحد من جنسه كقولك / « رجلٌ » فإنه ٢٠٥ يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال . وإذا قلت « الرجل » فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته علمًا فيهم . وكذلك قوله « إنك أنت الأعلى » أى أنت الأعلى دون غيرك .

الرابعة : لفظ أفعل الذى هو من شأنه التفضيل ولم يقل العالى .

الخامسة : إثبات الغلبة من عالٍ [٣] .

السادسة : الاستئناف فى قوله : ﴿ إنك أنت الأعلى ﴾ ولم يقل : لأنك أنت الأعلى ؛ لأنه لم يجعل علة انتفاء الخوف عنه لأنه عال وإنما نفى الخوف عنه أولا بقوله « لاتخف » ثم استأنف الكلام بقوله : ﴿ إنك أنت الأعلى ﴾ فكان ذلك أبلغ فى تقرير الغلبة لموسى عليه الصلاة والسلام وإثبات ذلك فى قلبه ونفسه .

---

(١) سبق الزمخشرى إلى ذلك . انظرالكشاف : ٢/٤٤٠ . وما صنعه ابن الأثير هو الشرح والبسط .

(٢) كان فى ط (فنكره) ، وصوّبت لفظ الجامع الكبير .

(٣) كذا فى (ط) ، وما فى الجامع الكبير والمثل السائر : (إثبات الغلبة له من العلو ، لأن الغرض من قوله « الأعلى » أى الأغلب ، إلاّ أنّ فى « الأعلى » زيادة وهى الغلبة من عالٍ .

فهذه ست فوائد فى هذه الكلمات الثلاث . فانظر أيها المتأمل إلى هذه البلاغة العجيبة التى تحيّر العقول وتذهب الألباب ، ومعجز هذا الكلام العزيز الذى أعجز البلغاء وأفحم الفصحاء وَرَجَّل فرسان الكلام !

فإن قيل : لو كان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ من الاقتصار على أحدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه فى كتابه حيث هو أحق بما هو أبلغ من الكلام ، وقد رأينا فى الكتاب العزيز مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر كقوله تعالى : ﴿ قل اللهمّ مالكَ الملك تؤتى الملكَ مَن تشاءُ وتَنْزِعُ الملك ممن تشاءُ وتُعِزُّ من تشاءُ وتذِلُّ من تشاءُ بيدِكَ الخيرُ إنك على كل شىء قديرٌ ﴾ [سورة آل عمران : ٢٦] فما الموجب لذلك إن كان تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ فى بابه من الاقتصار على أحدهما دون الآخر ؛ فقد كان يجب عند ذكر الله تعالى نفسه لأنه أحق بالأبلغ من العلاء . وإن كان الأمر بخلاف ذلك فكيف قلنا : إن توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ !؟ .

الجواب عن ذلك أنا نقول : توكيد المتصل بالمنفصل إنما يرد فى الكلام لتقرير المعنى وإثباته فى الذهن ، وما يختص بالله تعالى لا يفتقر إلى تقرير ولا إثبات لأنه إذاقيل عنه : « إنه على كل شىء قدير » لم يحتج فى ذلك إلى توكيد حتى يتحقق ويتبين أنه على كل شىء قدير بل علم وعرف أنه على كل شىء قدير ، وأن قدرته جارية على كل مخلوق فصار هذا من الأمر المعروف الذى لا يعتريه شك ولا يعترضه ريب . وما هذا سبيله فى الوضوح والبيان فلا حاجة فيه إلى التوكيد ؛ إذ كان التوكيد من شأنه التقرير للمعنى المراد إثباته فى النفس ، وكون الله سبحانه على كل شىء قدير ثابت فى النفوس ، فلم يحتج إلى تقرير / وإثبات . ٢٠٦

فإن قيل : فقد ورد فى القرآن العزيز عند ذكر الله تعالى نفسه التأكيد بالضمير المنفصل للضمير المتصل كقوله تعالى : ﴿ وإذ قال اللهُ يا عيسى بن مَريمَ أأنت قلتَ للناسِ اتخذونى وأمىَ إلهينِ من دونِ اللهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إنك أنت

علامُ الغيوب ﴾ [سورة المائدة : ١١٦] كما ﴿ إنك على كل شىء قدير ﴾ . فما السبب فى هذا ؟ وهلّا كان الجميع شِرعًا [1] واحدًا ؟ .

فالجواب على ذلك أنا نقول : توكيد الضميرين أحدهما بالآخر فى هذه الآية لا ينقض علينا ما أشرنا إليه أولا ؛ لأنه إن وقع الاقتصار على أحدهما دون الآخر فإن القول فى ذلك ما تقدم فى الآية الأولى . وإن جىء بهما معًا فإن ذلك أبلغ فى بابه وآكد ، والله تعالى أحق بما هو أبلغ من الكلام وآكد . ولنمثل لك فى استعمال الضميرين معًا والاقتصار على أحدهما دون الآخر مثالا تتبعه . فنقول : إذا كان المعنى المقصود أمرًا معلومًا قد ثبت فى النفس ورسخ فى الألباب فأنت بالخيار بين أن تؤكد أحد الضميرين بالآخر فى الدلالة عليه وبين أن تقتصر على أحدهما دون الآخر لأنك إن وكدت الكلام فيه أعطيت المعنى حقه وإن لم تؤكد فإنه لا يحتاج إلى تأكيد لبيانه وظهوره .

فإن كان المعنى المقصود خفيًّا ليس بظاهر ولا معلوم فالأَوْلَى توكيد أحد الضميرين بالآخر ، لتقرِّره وتكسبه وضوحًا وبيانًا . ألا ترى إلى قوله لموسى عليه السلام : ﴿ قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾ [سورة طه : ٦٧] فإنه كان ظهور موسى عليه السلام على السحرة وقهره لهم أمرًا مستقرًّا فى ضمن الغيب لا يعلم ولا يعرف وأراد الله عز وجل أن يخبره بذلك ؛ ليذهب عنه الخوف والحذر بالأبلغ من الكلام ؛ ليكون ذلك أثبت فى نفس موسى وأقوى دليلا عنده فى انتفاء الخوف عنه ؛ فوكد الضمير المتصل بالمنفصل فجاء المعنى كما ترى ، ولو لم يؤكد كان ذلك أيضًا إخبارًا لموسى عليه الصلاة والسلام بنفى الخوف عنه واستظهاره على السحرة ولكن ليس له من التقرير فى نفس موسى عليه الصلاة والسلام ما لقوله ﴿ إنك أنت الأعلى ﴾ فاعرف .

وعلى نحو من ذلك قوله تعالى – ﴿ قالوا يا موسى إمّا أن تلقى وإما أن

---

(١) الشِّرع : بكسر الشين وسكون الراء : مَثَل الشىء (القاموس) .

نكون نحن الملقين ﴾ [سورة الأعراف : ١١٥] . فإن إرادة الإلقاء قبل موسى لم يكن معلوما عنده ؛ لأنهم لم يصرحوا بما فى أنفسهم من ذلك ، لكنهم لما عدلوا عن مقالة خطابهم لموسى إلى ما هو توكيد ماهو لهم بالضميرين علم أنهم يريدون التقدم
٢٠٧ عليه والإلقاء قبله لأن من شأن مقابلة خطابهم لموسى عليه الصلاة والسلام / بمثله أن يقولوا « إما أن تلقى وإما أن نلقى » ، لتكون الجملتان متقابلتين فحيث قالوا عن أنفسهم : « وإما أن نكون نحن الملقين » استدل بذلك على إرادتهم الإلقاء قبله . **فهذه معان لطيفة ورموز غامضة لا ينتبه لها إلاّ الفطن اللبيب فاعرفها .**

* * *

القسم الخامس والسبعون

الخطابة بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية

المؤكدة بإن المشددة وتفضيل إحداهما على الأخرى (*)

وذلك كقولنا : قام زيد ، وإن زيدًا قائم ، فقولنا : « قام زيد » معناه الإخبار عن زيد بالقيام . وقولنا : « إن زيدًا قائم » إخبار عن زيد بالقيام أيضًا إلا أنّ فى الثانية زيادة ليست فى الأولى وهى توكيده بإن المشددة التى من شأنها الإثبات لما يأتى بعدها من الكلام .

ومن هذا النحو قوله تعالى : ﴿ وإذا لقوا اللذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خَلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مُستَهْزِئونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٤] . فإنهم إنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية ، وشياطينهم بالجملة الاسمية المُحَقَّقَة بإنّ المشددة فقالوا فى خطاب المؤمنين : « آمنا » ولإخوانهم « إنا معكم » لأنهم فى مخاطبة إخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبُعد من أن ينزلوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط وكان ذلك مُتقبلا منهم ورائجًا عند إخوانهم . وما قالوه للمؤمنين فإنما قالوه تكلُّفًا وإظهارًا للإيمان خزيًا ومداجاةً ، وكانوا يعلمون أنهم لو قالوا بأوكد لفظ وأشده لما راج لهم عندهم إلا رواجًا ظاهرًا لا باطنًا ؛ ولأنهم ليس لهم من عقائدهم باعث قوىّ على النطق فى خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم من العبارة المؤكدة ، فلذلك قالوا فى خطاب

(*) هذا القسم نقله المؤلف عن الجامع الكبير : ٢٢٤ ، وانظر المثل السائر : ٢/٢٣٤ .

المؤمنين بخلاف ما قالوه فى خطاب إخوانهم وصرّحوا فى كلامهم لإخوانهم أن ما خاطبوا به المؤمنين إنما هو هزء فقالوا : ﴿ إنما نحن مستهزئون ﴾ .

وهذه نكت دقيقة ولطائف خفية لا توجد فى نوع من الكلام العربى إلا فى القرآن الكريم ، وما أكثر ذلك وأمثاله فى آياته وأوفره مودعًا فى غضونه فاعرفه وقس عليه ترشد ! .

* * *

/ القسم السادس والسبعون

فى لام التأكيد (*)

اعلم وفقنا الله وإياك أن علماء علم البيان وعلماء العربية اتفقوا على أن هذه اللام تدخل فى الكلام لنوع من المبالغة وذلك أنهم إذا عبروا عن أمر يعز وجوده أو يعظم أمر إحداثه ووقوعه جىء بها محققة لذلك وشاهدة .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم ما تحرُثون أأنتم تزرعونهُ أم نحن الزارعون لو نشاءُ لجعلناهُ حطامًا ﴾ [سورة الواقعة : ٦٣ - ٦٥] . وقوله تعالى : ﴿ أفرأيتم الماءَ الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المُزْنِ أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أُجاجًا فلولا تشكرون ﴾ [سورة الواقعة : ٦٨ - ٧٠] .

ألا ترى كيف دخلت اللام فى آية المطعوم دون آية المشروب ، وإنما جاءت كذلك ؛ لأن جعل الماء العذب ملحا ليس بعظيم [١] ، ولأن كثيرًا ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضى المتغيرة التربة أحالتها إلى الملوحة والمرارة فلم يحتج فى جعل الماء العذب ملحًا إلى زيادة تأكيد ؛ فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة زيادة التحقيق . وأما المطعوم فإن جعله صعب [٢] . فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة فى تحقيق أمره وتقرير إيجاده . وكونه هكذا يفعل بكل كلام فيه نوع خصوصية .

* * *

(*) نقله المؤلف من المثل السائر : ٢/٢٣٥ - ٢٣٦ .

(١) كذا فى (ط) ، وما فى المثل السائر : (لأن جعل الماء العذب ملحا أسهل إمكانا فى العُرْف والعادة ، والموجود من الملح أكثر من الماء العذب) .

(٢) كذا فى (ط) ، وما فى المثل السائر : (فإنّ جعله حطاما من الأشياء الخارجة عن المعتاد ، وإذا وقع فلا يكون إلاّ عن سخط من الله شديد) .

القسم السابع والسبعون

فى الاقتصاد والإفراط والتفريط (*)

قال ابن الأثير رحمه الله : « **الاقتصاد** أن يكون المعنى المضمن فى العبارة على حسب ما يقتضيه المعبَّر عنه فى منزلته . وأما التفريط والإفراط فهو أن يكون المعنى المضمن فى العبارة بخلاف ما يقتضيه منزلة المعبر عنه إما لانحطاطه دونها وهو **التفريط** وإما تجاوزًا عنها وهو **الإفراط** : لأن أصل التفريط فى وضع اللغة من : فرّط فى الأمر : إذا قصر فيه وضيعه . وأصل الإفراط فى وضع اللغة من : أفرط فى الأمر إذا تجاوز عنه » .

والتفريط / عيب فى الكلام فاحش كقول الأعشى [١] :

وَمَا مُزْبِدٌ مِنْ خَلِيجِ الفُرَا تِ جَوْنٌ غَوارِبُهُ تَلْتَطِمْ
بأجْوَدَ مِنْهُ بِمَاعُونِهِ إِذَا مَا سَماؤُهُمُ لم تَغِمْ [٢]

فإنه قد مدح ملكا يجود بماعونه ، « والماعون » هو كل ما يستعمل من قَدُومٍ أو فأس أو قَصْيعَةٍ [٣] أو قِدْرٍ ، وما أشبه ذلك فلا سبيل إلى جعله مدحًا ألبتةَ بل هو إلى الذم أقرب منه إلى المدح فهذا من أقبح التفريط فاعرفه .

(*) سبق فى القسم الرابع والستين حديثه عن « المبالغة » ، وذكر أنها تسمّى الإفراط .
وقد تحدث ابن الأثير عن « الاقتصاد والإفراط والتفريط » فى الجامع الكبير : ٢٢٦ ، والمثل السائر : ١٧٧/٣ . وما نقله المؤلف – هنا – اختصره من الجامع الكبير . وعقد ابن منقذ بابًا للتفريط فى بديعه : ١٤٦ .

(١) هو ميمون بن قيس ، من بنى قيس بن ثعلبة . أبو بصير الأعشى الكبير من الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية . أدرك الإسلام ولم يسلم .

(٢) ديوانه : ٧٥ ، وبين البيتين فيه بيتان آخران . وهى فى مدح قيس بن معديكرب .

(٣) الجامع والمثل : (قصعة) .

وأما **الإفراط** فهو بمنزلة ما روى عن النبى ﷺ وذلك أن رجلا جاءه فكلّمه فقال : ما شاء الله وشئتَ ؛ فقال له رسول الله ﷺ : « أجعلتنى لله نِدًّا : قُلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ » [١] . ومن هذا الباب قول عنترة :

وَأَنَا الْمَنِيَّةُ فِي المَوَاطِنِ كُلِّهَـا   وَالطَّعْنُ مِنِّى سَابِقُ الآجَـالِ [٢]

فإن الطعن لا يسبق الأجل ؛ لأن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر ، ويروى بالياء باثنتين من تحتها ، وهو أقرب أمرًا [٣] من كونه بالباء الموحدة غير أن كليهما إفراط .

واعلم أن علماء علم البيان فى استعمال الإفراط على ثلاثة أضرب . فمنهم من يكرهه ولا يراه صوابا كأبى عثمان الجاحظ فيما روى عنه ، **ومنهم من يختاره ويؤثره** كقدامة بن جعفر الكاتب فإنه كان يقول : الغلوّ عندى أجود المذهبين فإن أحسن الشعر أكذبه . **ومنهم من يذهب إلى التوسط بين الغلو والتفريط وهو الاقتصاد** وذلك أن يجعل الغلوّ وهو الإفراط مثلا ثم يستثنى فيه بأو أو يكاد أو ما جرى هذا المجرى فيدرك مراده ويسلم من عيب عائب أو طعن طاعن وذلك كقول بعضهم فى مدح الحسين [٤] :

يكـادُ يُمْسِكُـهُ عِرفـانَ راحَتِـهِ   رُكنُ الحَطِيمِ إذا ما جاءَ يَسْتَلِمُ [٥]

وكقول أبى عبادة البحترى :

---

(١) بهذا اللفظ فى تاريخ بغداد (١٠٥/٨) . عن ابن عباس رضى الله عنهما . وفى السنن الكبرى للنسائىّ (٢٤٥/٦) بلفظ : « أجعلتنى لله عِدْلا » ، كتاب عمل اليوم والليلة / باب ٢٣٣ .

(٢) ديوانه : ١٩١ ورواية صدره : (وأنا المنية حين تشتجر القنا) .

(٣) أى (سائق) ، فجعل هذا الطعن يسوق الآجال إلى مهلكها ونهايتها .

(٤) صوابه أنه على بن الحسين بن على بن أبى طالب (زين العابدين) . والبيت للفرزدق يمدحه أثناء طوافه بالكعبة .

(٥) ديوان الفرزدق : ١٨٠ . يقول : إنّ حجر الكعبة يعرف كفّ زين العابدين فيكاد يحبسه عنده شغفاً به . وعرفان : مفعول له .

وَلَوَ أنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِى وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ المِنْبَرُ [(١)]

وهذا المذهب المتوسط أليق المذاهب الثلاثة وأدخلها فى الصنعة فاعرفه .

قال المصنف عفا الله عنه : أما الاقتصاد والإفراط فقد ورد فى الكتاب العزيز منه شيء كثير وقد تقدم بيانه . وأما التفريط فليس فى القرآن منه شيء .

* * *

(١) فى مدح الخليفة المتوكل ويصف خروجه يوم العيد . ديوانه : ١٠٧٣/٢ ، والمثل السائر : ١٩٥/٣ ، والجامع الكبير : ٢٣٠ ، وبديع القرآن : ٢٠٢ .

/ القسم الثامن والسبعون

الغــزل (*)

وهو من محاسن النظم . والغزل : التصابى والاشتهار بمودة النساء [١] . ولهذا قال بعضهم :

أَيَّام تَدْعُونَنِي الشَّيْطَانَ مِنْ غَزَلٍ   وكن يَهْوَيْنَنِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَانًا [٢]

واشتقاقه من الرقة ؛ لأن المتغزل يُرَقِّق ألفاظه حتى يستميل بها القلوب ويعدها للرسائل والوسائل بين المحب والمحبوب .

وينبغى أن تكون ألفاظُه مُستعذبةً ومعانيه مُلهِبةً مُطربة . وينبغى أن يكثر فيه من ذكر « الأَجْرُعِ والحِمَى ، وَلَعْلَع ، والنَّقَى ، وطُوَيْلع ، وقبا ، والعقيق ، وحاجر ، والمنحنى » [٣] وما أشبه ذلك من الألفاظ مثل ذكر المنازل التى تترشف ذكرها القلوب وتصبو إليها النفوس من غير أن تراها . وكذلك يُكثر فيه من ذكر الحنين والتشويق والتحزين . وقد يحتاج فى بعض المواضع إلى ذكر الكرم والشجاعة والفصاحة والبراعة ليميل بذلك قلب المحبوب ويكون

(*) انظر نقد الشعر لقدامة : ١٢٣ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، والعمدة لابن رشيق : ١٦٦/٢ وقد جعلا النسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنًى واحد . وَأَمّا الغزل عندهما فهو غير التغزل ، وإنّما هو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن . (وانظر العمدة : ١١٧/٢) . ولم يوفق الشيخ ابن النقيب رحمه الله فى عقد هذا القسم هنا وانظر ما يأتى فى تعليق ٦ ، ص ٤٣٤ .

(١) هذا تعريف قدامة فى نقد الشعر : ١٢٣ ، وما فى مطبوعة نقد الشعر : (والاستهتار بمودة النساء) .

(٢) لجرير ، ديوانه : ١٦٥/١ .

(٣) هذه أسماء أماكن ذكرها الشعراء القدماء فى أشعارهم .

مدعاة إلى نيل المطلوب ألا ترى إلى قول بعض الشعراء [١] :

يَوَدُّ بِأَن يُمْسِي عَلِيلاً لَعَلَّهـا ... إِذَا سَمِعَتْ مِنْهُ بِشَكْوَى تُرَاسِلُهْ
وَيَهْتَزُّ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَلَبِ العُلَى ... لِتُحْمَدَ يَوْمًا عِنْدَ سَلْمَى شَمَائِلُهْ [٢]

ومثل قول المتنبى :

أَيْقَنْتُ أَنَّ سَعِيدًا آخِـذٌ بِدَمِـي ... لَمَّا بَصُرْتُ به بِالرُّمْحِ مُعْتَقِلاً [٣]

أراد أنها إذا رأته على هذه الصورة المليحة هويته ؛ فنالها من هواه كما نال المتنبى من هواها ؛ فكأنه أخذ بثأره . ومنه قوله فى هذه القصيدة أيضًا :

علّ الأميرَ يرى ذلّى فيشفعَ لى ... إلى التى جعلتنى فى الهوى مَثلا [٤]

يشير إلى أنها إذا أحبت الأمير عَلِمَتْ مقدارَ المحبة وعذرت من يحبها [٥] كما قيل :

إنما يَرْحَـمُ المُـحِبُّ المحِبُّـو ... نَ وَيَحْنُو عَلَى المشُوقِ المشُوقُ

والقرآن العظيم [٦] من جملة إعجازه كثرة الشجا وترقيقه للقلوب

---

(١) هو كثير ، ديوانه : ٤٢٠ ، ونقد الشعر : ١٢٨ .

(٢) ورواية الديوان (يمسى سقيما) ، (سمعت عنه) ، (ويرتاح للمعروف) ، (عند ليلى) .

(٣) من قصيدته فى مدح سعيد بن عبد الله المنبجى وقبله قوله :-

علّ الأمير يرى ذلى فيشفـع لى ... إلى التى جعلتنى فى الهوى مثـلا

ديوانه : ٢٨٥/٣ .

(٤) ديوانه : ٢٨٤/٣ .

(٥) أبعد الشيخ ابن النقيب – رحمه الله – فى هذا المعنى أىّ إبعاد . والمعنى ظاهر لا يحتاج إلى مثل هذا !

(٦) لم يحسن الشيخ ابن النقيب – رحمه الله – فى عقد هذا القسم « الثامن والسبعين » « الغزل » وجَعْلِه من بلاغة القرآن هو وما يليه من القسم التالى . فوجود الشجى وترقيق القلوب واستمالتها وجريان الدموع من سماع آى القرآن وإن كان يشبهه بعض الشبه فعلُ شعر التغزل والنسيب بالسامعين ، إلاّ أن بينهما بونا شاسعًا !

واستمالته للنفوس بحيث إنه / لا يسمعه أحد إلا ومال إليه قلبه وامتلأت به ٢١١
جوانحه وانطوت على مثل جمر الغضا ضلوعه ، وجرت على صفحات خده دموعه
وفيه من وصف الجنة ونعيمها ومنازل الزلفى وطيب رسومها ما يشوق القلوب
إلى لقائها ، ويسوق النفوس إلى الحلول بفنائها مثل قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الجنةِ
التى وُعِد المتقونَ فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسن ، وأنهارٌ من لبنٍ لم يَتَغَيَّرْ طعمه ،
وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين ، وأنهارٌ من عسلٍ مصفًّى ولهم فيها من كل الثمراتِ
ومغفرةٌ من ربهمْ ﴾ [سورة محمد : ١٥] وقوله تعالى : ﴿ إن المتقين فى جنات
وَنَهَرْ ، فى مقعدِ صِدْقٍ عند مليكٍ مقتدر ﴾ [سورة القمر : ٥٤ ، ٥٥] وقوله تعالى :
﴿ ولكم فيها ما تشتهى أنفسُكُم ولكم فيها ما تدَّعونَ نُزُلاً من غفورٍ رحيم ﴾
[سورة فصلت : ٣١ - ٣٢] . وقوله تعالى : ﴿ إن الأبرارَ يشرَبون من كأسٍ كانَ
مزاجُها كافورًا ﴾ إلى آخر السورة [(١)] . وقوله تعالى : ﴿ ولمن خافَ مقام ربِّهِ
جَنتان ... ذَواتَا أفنانٍ ﴾ [سورة الرحمن : ٤٦ - ٤٨] إلى آخر السورة . وفى القرآن
العظيم من هذا النوع كثير .

* * *

---

(١) وصف الجنة ينتهى عند الآية (٢٢) من سورة الإنسان وليس إلى آخر السورة .

القسم التاسع والسبعون

فى التشبيب (*)

وهو اللفظ الدال على محاسن النساء ، ومحاسن أخلاقهن ، وتصرف أحوال الهوى معهن . ويدخل فيه الشوق والتذكر لمعاهد الأحبة وتغيرها بالرياح الهابّة والبروق اللامعة وأمثالها . ومن محاسن التشبيب قول بعضهم :

لَوْ جادَهُنَّ غَدَاةَ زُمْنَ رَواحـا ... غَيْثٌ كدَمْعِى مَا أَرَدْنَ بَرَاحـا
مَـاتَت بِفَقْـد الظّاعنين دِيَارُهُـمْ ... فَكَأَنَّهُـمْ كَانـوا لها أَرْوَاحـا
النائيـاتُ النَّافِـذَاتُ نواظِـرًا ... والنافذيـن أَسِنَّـةً وَسِلاحـا
وَأَرَى الْعُيُونَ وَلا كَأَعْيُنِ عَامِرٍ ... قَدَرًا مَعَ الْقَدَرِ المُتَاحِ مُتاحـا
مُتَوَارِثى مَرَضِ العُيـونِ وإِنَّمـا ... مَرَضُ الْعُيونِ بأَنْ يكُنَّ صِحَاحا
لا عَيْبَ فيهِمْ غيرُ شُحِّ نِسائِهِمْ ... وَمِنَ السَّمَاحَةِ أَنْ يَكُنَّ شِحَاحا
/ طَرَقَتْهُ فِى أَتْرابِها فَجَلَتْ لَهُ ... وَهناً مِنْ الْغُرَر الصَّبَاح صَبَاحا ٢١٢
وبَسَمنَ عن بَرَدٍ تَأَلَّفَ نَظْمُـهُ ... فَرَأَيْتُ ضَوْءَ الْبَرْقِ ثَمَّت لاحا
أَبْرَزنَ مِنْ تِلْكَ العُيُـونِ أَسِنَّـةً ... وَهَزَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْقُدُودِ رِمَاحا
يَا حَبَّـذَا ذاك السِّلاحُ وَحَبَّـذَا ... وَقتٌ يَكُونُ الْحُسْنُ فِيه سِلاحا

والأشعار فى مثل هذا كثيرة .

(*) انظر هامش القسم السابق . ولا يعنى وجود وصف النساء فى القرآن أنّ هذا من باب التشبيب . فهذا لفظ استقر معناه فى الأذهان وارتبط بما يكون من وصف الشاعر الحال بين الرجال والنساء ، صدقا أو كذبا . وأمر كهذا لا يتخيل فى القرآن !.

وفى القرآن العظيم من وصف النساء كثير مثل قوله تبارك وتعالى : ﴿ عسى رَبُّهُ إن طلَّقكُنَّ أن يُبْدِلَهُ أزْواجًا خيرًا منكنَّ مُسْلِماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحات ثَيِّباتٍ وأَبْكارًا ﴾ [سورة التحريم : ٥] . وقوله تعالى : ﴿ حورٌ مَقصورات فى الخيام ﴾ [سورة الرحمن : ٧٢] . وقوله تعالى : ﴿ قاصِراتُ الطَّرْف ﴾ [سورة الصافات : ٤٨ ، سورة ص : ٥٢ سورة الرحمن : ٥٦] الآية . وفى القرآن العظيم كثير .

* * *

القسم الموفى ثمانين

الاستدراج (*)

قال ابن الأثير : وهو التوصل إلى حصول الغرض من المخاطب ، والملاطفة له فى بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به . وفى ذلك من الغرائب والدقائق ما يؤنق السامع ويطربه لأن بناء صناعة التأليف عليه ومنشأها .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهِيمَ إنه كان صدّيقًا نبيًا إذ قال لأبيه يا أبتِ لِمَ تعبُدُ ﴾ (1) إلى قوله : ﴿ فتكونَ للشيطان وليا ﴾ [سورة مريم : ٤١ - ٤٥] هذا الكلام يهز أعطاف السامعين ويبهج نفوس المتأملين ؛ فعليك أيها المترشح لهذه الصناعة إمعان النظر في مطلوبه (2) ، وترداد الفكر فى أثنائه . واتخاذه قدوة لك ونهجا تحتقبه .

ألا ترى حين أراد إبراهيم أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل كيف رتب الكلام معه فى أحسن سياق وانتظام ، مع استعمال المجاملة ، واللطف ، واللين ، والأدب الجميل ، والخلق

(*) ذكر ابن الأثير أنه مستخرج هذا الباب من كتاب الله تعالى ، وأن مدار البلاغة عليه . (انظر المثل السائر : ٢/٢٥٠) . وقد نقل ابن النقيب ما هنا عن الجامع الكبير : ٢٣٥ . وهذا الفن ذكره أبو حيان الأندلسى في تفسيره البحر المحيط : (٤/١٢٨ ، ٥/٢٥٤ ، ٧/٤٦١) .

(1) تكملة الآية ، قال تعالى : ﴿ مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئًا . يا أبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا . ياأبت لاتعبد الشيطان ، إنّ الشيطان كان للرحمن عصيا . ياأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ﴾ [سورة مريم ٤١ - ٤٥] .

(2) في الجامع : (مطاويه) .

الحسن ! مستصحبًا في ذلك نصيحته . وذلك أنه طلب منه أولا نقله عن خطيئته طلب منبِّه على تماديه ، موقظ له من إفراطه وقلة تناهيه ؛ لأن المعبود لو كان حيًّا مميزًا سميعًا بصيرًا / مقتدرًا [١] على الثواب والعقاب إلا أنه بعض الخلق لا يُشَكّ ٢١٣ فى نقص عقل من أهّله للعبادة ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين فكيف بمن جعل المعبود جمادا لا يسمع ولا يبصر !

ثم ثنى ذلك بدعوته إلى الحق مترفقا به ومتلطفا ، فلم يتهم أباه بالجهل المطلق ، ولا نفسه بالعلم الفائق ، ولكن قال : إنّ معى لطائف وشيئا منه وذلك علم الدلالة على الطريق السَّوِىّ فلا تستنكف . وَهَبْ أنى وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعنى أنجك من أن تضل . فتنبه .

ثم ثلّث بتنشيطه ونهيه عما كان عليه ، بأن الشيطان الذى استعصى على ربك الرحمن الذى جميع ما عندك من النعم من عنده – وهو عدوك وعدو أبيك آدم – هو الذى ورّطك فى هذه الورطة وألقاك فى هذه الضلالة إلا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لإمعانه فى الإخلاص [٢] لم يذكر من جناية الشيطان إلا الذي يختص منها بالله عز وجل وهي عصيانه واستكباره ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لادم وبنيه .

ثم ربّع ذلك بتخويفه سوء العاقبة وما ينتج عليه من الوبال . ولم يخل هذا الكلام من حسن أدب حيث لم يصرح بالعقاب اللاحق بأبيه ولكنه قال : « إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن » فذكر الخوف والمس إعظاما لهما ، وترك العقاب ، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه أكبر من العذاب .

وصدَّر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله : « يَا أَبَتِ » توسلا إليه واستعطافا ، فقال له فى الجواب ﴿ أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته

---

(١) ط (مقدرًا) ، وأثبت لفظ الجامع .

ط (الخلاص) ، وأثبت لفظ الجامع .

لأرجمنك واهجرني مَلِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٤٦] ألا ترى كيف أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر ، وغلظ العناد ، فناداه باسمه ، ولم يقابل قول : « يَا أَبَتِ » بـ « يابني » ، وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله : « أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ » لأنه كان أهم عنده ، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن آلهته وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب أحد عنها .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وقال رَجُلٌ مؤمنٌ من آلِ فرعونَ يكتمُ إيمانَهُ أتقتلون رَجُلاً أن يقولَ ربي اللهُ وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ [١] إلى قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾ [سورة غافر : ٢٨] ألا ترى ما أحسن مَأْخَذَ هذا الكلام وألطف مغزاه ! فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال : لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبًا ؛ فكذبه يعود عليه ولا يتخطاه (وإن كان) [٢] صادقًا فيصيبكم بعض الذى يعدكم إن / تعرضتم له . وفى هذا الكلام من حسن الأدب والإنصاف ما أذكره لك أيها المتأمل : ٢١٤

وأقول إنما قال : (﴿ يُصِبْكم بعض الذى يعدكم ﴾ وقد علم أنه نبى صادق وأن كل ما يعدهم به لابد من أن يصيبهم لابعضه ، ولأنه احتاج مع أدلة خصم موسى) [٣] أن يسلك معهم طريق الإنصاف والملاطفة في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال : ﴿ وإن يك صادقًا يُصِبْكُمْ بعض الذي يَعِدُكُم ﴾ وهو كلام المنصف في مقابلة خصمه غير المشتط فيه وذلك حين (وصفه الله بكونه صادقا) [٤] فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يُقِرُّ به . لكنه

---

(١) تكملة الآية : ﴿ .. وإن يك كاذبا فعليه كذبه ، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذّاب ﴾ .

(٢) الجامع : (أو يكون) .

(٣) لفظ الجامع والمثل السائر : (لأنه احتاج فى مقاولة خصوم موسى) .

(٤) لفظ الجامع والمثل : (فرضه صادقا) .

أردفه بقوله : ﴿ يصبكم بعض الذي يعدكم ﴾ ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا ، فضلا من أن يتعصب له . وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل . وكذا قوله : ﴿ إنّ الله لا يهدى من هو مسرف كَذَّاب ﴾ أى لو كان مسرفًا كذابا لما هداه الله بالنبوة [١] ولا عضده بالبينات ؛ فتبين أيها المتأمل لهذه الدقائق اللطيفة الصنع تدل علي التيقظ [٢] في صناعة التأليف !! [٣] .

* * *

(١) الجامع والمثل : للنبوة (باللام) .

(٢) الجامع : (تضع يدك علي النقط) .

(٣) نقل أبو حيان مافى هذه الآية من استدراج للمخاطب بلفظ مقارب ، وعزاه إلى صاحب التحرير والتحبير (البحر المحيط : ٤٦١/٧ – ٤٦٢) . وصاحب التحرير والتحبير – هذا – ليس إلا الشيخ ابن النقيب ، وكتاب التحرير والتحبير هو اسم تفسيره الكبير للقرآن .

وفي هذا دليل يقوى أن ما بين أيدينا هى هذه المقدمة ، مقدمة هذا التفسير .

القسم الحادي والثمانون

خذلان المخاطب (*)

وهو الأمر بعكس المراد ، ويدل ذلك على الاستهانة بالمأمور وقلة المبالاة بأمره . أى أنا مقابلك علي فعلك ومجازيك بحسبه . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا مس الإنسانَ ضُرٌّ دعا رَبَّهُ مُنيبًا إليه ثم إذا خَوَّلَهُ نعمةً منه نَسِيَ ما كان يدعو إليه من قَبْلُ وجعل لله أندادًا لِيُضِلَّ عن سبيله قُلْ تَمَتَّعْ بكفرك قليلاً إنَّكَ من أصحاب النار ﴾ [سورة الزمر : ٨] فقوله : « قل تمتع بكفرك » من باب الخذلان كأنه قال له : إذ قد أبيت ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حقك أن لا تؤمر به بعد ذلك ونأمرك [١] بتركه . وهذا مبالغة في خذلانه ؛ لأن المبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث علي ضد ما أمر به [٢] .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ قلِ اللهَ أعبدُ مخلصًا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ [سورة الزمر : ١٤ ، ١٥] فإن المراد بهذا الأمر الوارد على ٢١٥ / وجه التخيير المبالغة في الخذلان علي ما سبق ذكره . وفي هذا الكلام معنيان لطيفان :

الأول : أى أن عبادتكم لله وعبادتكم لغيره إنما تنفع أو تضرلكم [٣] لا لسواكم ، فالله تعالى مستغن عن عبادتكم له .

(*) هذا الفن نقله المؤلف عن الجامع الكبير لابن الأثير : ١٩٧ - ١٩٨ ، وابن الأثير نقله عن الكشاف للزمخشرى : ٣/٣٤٠ - ٣٤٢ .

(١) الجامع الكبير والكشاف : تؤمر .

(٢) كذا في (ط) والجامع ، والعبارة مضطربة أيضا في الكشاف : ٣/٣٤٠ .

(٣) كذا فى (ط) .

والثانى : توعده لهم بالمقابلة على فعلهم من غير تصريح بالوعيد وذلك أبلغ من الإصراح [1] به لوقوع الموعود في حيرة من أمره وترامى وهمه عند ذلك إلى كل خطب عظيم من المجازاة والمقابلة كقولك لمن عصاك : افعل ماشئت ، أى إنى مقابلك عليه . وهذا نوع من علم البيان شريف !

* * *

(١) التصريح : خلاف التعريض ، وتبيين الأمر ، كالصرح والإصراح (القاموس) .

القسم الثانى والثمانون

التعليق والإدماج (*)

وهو أن يدمج مدحًا بمدح أو هجوا بهجو أو معنى بمعنى كما قال المتنبى :

إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسْلَ عَمَّا أَتَوْابِهِ ... كَأَنَّهُمُ فِيما وَهَبْتَ مَلاَمُ (١)

أدمج رد الرسل برد اللوم وكلاهما مدح . وقوله أيضًا :

حَسَنٌ ، فِى وُجُوهِ أَعْدَائِهِ ... أَقْبَحُ مِنْ ضَيْفِه رَأَتْهُ السَّوَامُ (٢)

(*) هذا القسم نقله المؤلف عن بديع ابن منقذ : ٥٨ . وقد فرق ابن أبى الإصبع بين التعليق والإدماج ، فجعل للتعليق بابًا مستقلا (تحرير التحبير : ٤٤٣ ، وبديع القرآن : ١٧١) ، وللإدماج بابًا (تحرير التحبير : ٤٤٩ ، وبديع القرآن : ١٧٢) . وانظر تفرقته بينهما (تحرير التحبير : ٤٥١) وتفرقته أيضًا بين التعليق والتكميل (تحرير التحبير : ٤٤٨ . وهذا القسم الذي معنا يسمى أيضًا (الموجه) أى « ذا الوجهين » وقد سبق فى القسم الحادى والعشرين . وهما شىء واحد لا معنى لفصل المؤلف بينهما . وانظر ما مضى بهامش القسم الحادى ، والأربعين . وسيذكر المؤلف أن هذا النوع هو ماسماه العسكرى « المضاعف » (انظر الصناعتين ٤٤٢) .

(١) ديوانه : ١١٠/٤ ، وتحرير التحبير : ٤٤٤ ، وبديع ابن منقذ : ٥٨ .
وهو من قصيدة له فى مدح سيف الدولة وعنده رسول ملك الروم يطلب منه الهدنة ، فرد طلبهم ، وهو هنا يمدحه بالشجاعة في ذلك وعلق بهذا المدح مدحه بالكرم حيث شبه رده لهؤلاء الرسل في طلب الهدنة برده للّوام الذين يلومونه في الهبات والعطايا .

(٢) ديوان المتنبى : ٩٦/٤ ، وأسرار البلاغة : ١٣٢ ، ٢٥٣ وبديع ابن منقذ : ٥٨ ، قال البرقوقى : والسوام : الماشية . وقوله : (حسن) أى هو حسن ، وتم الكلام ، ثم قال : وهو في عيون أعدائه أقبح من ضيفه في عيون ماله الراعى لأنه ينحر إبله للأضياف فهى تكرههم . فقوله : (في عيون أعدائه) ظرف لأقبح لا « لحسن » .

أدمج الحسن مع القبح وكلاهما مدح . وصفه بالكرم ؛ لأن إبله إذا رأت ضيفه علمت أنه ينحرها له .

وقد سمى العسكرى هذا النوع في كتاب الصناعتين له « المضاعف » (١) وأنشد فيه :

وَأَسْرَعْتُ نَحْوَكَ لَمَّا دَعَوْ ... تَ كَأَنِّى نَوَالُكَ فِى سُرْعَتِهْ (٢)

ومثله في شعر وجيه الدولة (٣) :

وَبَاتَ أَسْعَدُنَا حَظًّا بِصَاحِبِهِ ... مَنْ كَانَ فِى الحُبِّ أَشْقَانَا بِصَاحِبِه

وقاعدة هذا الباب أن يكون أحد المعنيين تلويحا والآخر تصريحا . وفي القرآن العظيم من هذا النوع كثير (٤) .

* * *

---

(١) في الصناعتين : ٤٤١ بعنوان المضاعفة ، وأشار محققاها بهامش الصفحة أنه في نسخة (المضاعف) .

(٢) الصناعتين : ٤٤٢ ، وبديع ابن منقذ : ٥٩ .

وقد نسبه أبو هلال إلى جَحْظة . وقبله :

دعوت فأقبلت ركضًا إليك ... وخالفت من كنت فى دعوته

وَجحْظَةُ هو أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى البَرْمَكِىّ ، أبو الحسن ، أديب مغنٍ شاعر . توفى ٣٢٤ هـ .

(٣) (ط) : (ومثله فى وجيه الدولة) ، وواضح مافيها من الخلل . والتصويب عن بديع ابن منقذ : ٥٩ ، والبيت من أبيات ثلاثة لوجيه الدولة فى ديوانه الذى نشره الدكتور محسن غَيّاض عام ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م بمجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد الخامس والعشرون ، ص ١٢١ . يقول فيها :

أفدى الذى زرته بالسيف مشتملا ... ولحظ عينيه أمضى من مضاربه

فما خلعت نجادى للعناق له ... حتى لبست وشاحًا من ذوائبه

فكان أسعدنا فى نيل بغيته ... من كان فى الحب أشقانا بصاحبه

وهذه الأبيات لها حكاية . انظرها هناك ، وعلّق على هذه الأبيات صاحبها الشاعر بأنها رزقت القبول والسير فى أكثر الناس فى زمانه .

والأبيات فى بديع ابن منقذ : ٥٩ . مع تفاوت طفيف مع لفظ الديوان . وأظنه تحريفًا . ووجيه الدولة هو أبو المطاع ذو القرنين بن حَمْدان بن ناصر الدولة التغلبى أمير شاعر من أهل دمشق . توفى ٤٢٨ هـ . انظر ترجمته فى الأعلام للزركلى (٨/٣) ، وفى مقدمة محقق ديوانه بالمجلد الرابع والعشرين من مجلة المجمع العلمى العراقى ، ص : ٢٦٦ ومابعدها .

(٤) انظر الصناعتين : ٤٤١ ، وتحرير التحبير : ٤٤٣ ، ٤٥١ ، وبديع القرآن : ١٧١ ، ١٧٢ ، والإتقان : ٢٦١/٣ ، ومعترك الأقران : ٣٨٧/١ .

القسم الثالث والثمانون

الاستخدام (*)

وهو أن تكون الكلمة لها معنيان فيحتاج إليهما فيذكرها وحدها فيستخدم المعنيين كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لاتقْرَبوا الصَّلاةَ وأنتم سُكَارَى ﴾ [سورة النساء : ٤٣] و « الصلاة » هاهنا يحتمل أن تكون فعل الصلاة أو موضع الصلاة ، فاستخدم « الصلاة » بلفظ واحد لأنه قال سبحانه : ﴿ إلا عابرى سبيل ﴾ [1] فدل على أنه أراد موضع الصلاة . وقال تعالى : ﴿ حتى تعلموا ما تقولون ﴾ فدل على أنه أراد فعل الصلاة [2] . وأنشدوا للبحترى :

فَسَقى الغَضَا وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمُ ... شَبُّوهُ بَيْـنَ جَوَانِـحٍ وَقُلُـوبِ [3]

« الغضا » يحتمل أن يكون الموضع ويحتمل أن يكون الشجر فاستخدم المعنيين به ، و« الساكنيه » أراد المكان ، أو الشجر بقوله : « وإن هُمُ شبوه » .

(*) هذا القسم نقل المؤلف معظمه من بديع ابن منقذ : ٨٢ . وبحثه ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير : ٢٧٥ ، وبديع القرآن : ١٠٤ ، وانظر البرهان للزركشي : ٤٤٦/٣ ، وأشار ابن أبي الإصبع إلى أن هذا القسم قد يلتبس بالتورية . وقد فرق بينهما بأن التورية استعمال أحد المعنيين من اللفظة وإهمال الآخر ، والاستخدام استعمالهما معا . (انظر تحرير التحبير : ٢٧٥) .

(١) قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتي تعلموا ما تقولون ولاجنبا إلا عابرى سبيل حتي تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾ .

(٢) انظر خلاف السلف في فهم هذه الآية في تفسير الطبرى : ٣٧٥/٨ - ٣٨٥ وترجيح الإمام الطبرى أن يكون المراد بالصلاة فى الموضعين « المصلَّى » أى موضع الصلاة .

(٣) ديوانه : ٢٤٦/١ ، وروايته (والنازليه) . وبديع ابن منقذ : ٨٢ ، وتحرير التحبير : ٢٧٥ =

ومن ذلك لبعض العرب [١] :

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا [٢]

« والسماء » يحتمل معنيين المطر والنبات ، فاستخدم المعنيين بقوله : « إذا نزل » يعنى : المطر « رعيناه » يعنى : النبات . وكما قال الشيخ أبو العلاء :

وفقيهٍ أَفْكَارُهُ شِدْنَ لِلنُّعْـ ... ـمانِ مَا لَمْ يَشِدْهُ شِعْرُ زِيادِ [٣]

يحتمل معنيين . **أحدهما** : أن يكون النعمان بن المنذر الملك ، والآخر أن يكون النعمان بن ثابت الفقيه فاستخدم المعنيين بلفظ واحد فقال : « شدن للنعمان » . يعنى أبا حنيفة رضى الله عنه ، وقال : « شعر زياد » يعنى النعمان ابن المنذر ؛ لأن زيادًا هو النابغة مدح النعمان . وكما قال أبو تمام :

وَإِذَا مَشَتْ تَرَكَتْ بِصَدْرِكَ ضِعْفَ مَا ... بِحُلِيِّها مِنْ شِدَّةِ الْوَسْوَاسِ [٤]

لأن « الوسواس » يحتمل معنيين وهو بلابل الصدر ، وصوت الحلي ، فاستخدم المعنيين بقوله : « تركت بصدرك » يعنى : البلابل ، وبقوله : « ضعف ما بحليها » يعنى : صوت الحلى . ومنه :

اسْمُ مَنْ مَلَّنِى وَمَنْ صَدَّ عَنِّى ... وَجَفَانِى لِغَيْرِ ذَنْبٍ وَجُرْمِ

/ وَالَّذِى ضَنّ بِالْوِصَالِ عَلَيْنَا ... مِثْلَ ما ضَنَّ بِالْهَوَى قَلْبُ نُعْمِ [٥] ٢١٧

= وقال محقق الديوان : (الغضا : شجر خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زمنا طويلا لا ينطفىء يكثر في نجد ، ويسمون لذلك أهل الغضا) .

(١) هو معاوية بن مالك الشاعر الجاهلي الشهير بمُعَوِّد الحكماء فارس شاعر .

(٢) المفضليات : ٣٥٩ (مفضلية ١٠٥) وروايتها : (إذا نزل السحاب) ، والصناعتين : ٢٨٣ ، وبديع ابن منقذ : ٨٢ ، وتحرير التحبير : ٤٥٨ وعزاه إلى جرير ، وهو وهم ، وأظنه التبس عليه ببيت جرير الشهير على نفس الوزن والقافية :

إذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضابا

(٣) شروح سقط الزند : ٩٨٦/٣ ، وبديع ابن منقذ : ٨٣ . والبيت في رثاء الفقيه الحنفى أبي حمزة . ولفظ شروح السقط (وفقيها) بالنصب .

(٤) ديوانه (٢٤٥/٢) تبريزى . وبديع ابن منقذ : ٨٣ .

(٥) بديع ابن منقذ : ٨٣ بغير نسبة .

هذا استخدام فى الإعراب لأن « قلب » مرفوع بالخبر ، وفاعل « ضن » ، وهو أيضًا استخدام في المعنى ؛ لأنها بمعنى « قلب » من المقلوب لأن الاسم « معن » فهو معكوس « نعم » فاعرفه [1] .

ومنه في الكتاب العزيز كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وكان وراءَهم ملكٌ يأخذُ كُلَّ سفينةٍ غَصبًا ﴾ [سورة الكهف : ٧٩] يحتمل أن يكون أراد « وراءهم » أى فى طلبهم ، ويحتمل أن يكون أراد أمامهم . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ والمطلقات يَتَرَبَّصْنَ بأَنفُسِهِنَّ ثلاثةَ قروء ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٨] . والقُرْء : الحيض ، والقُرْء أيضًا الطُّهر . واللفظ يحتمل المعنيين فاعرفه .

* * *

---

(١) آخر النقل عن ابن منقذ : ٨٣ .

القسم الرابع والثمانون

التفقير (*)

وهو أن يأتي في البيت ذكر نكتة أو بيت أو رسالة أو خطبة أو غير ذلك فيومىء إليها الشاعر أو الناثر مثل قوله تعالى : ﴿ فيهنَّ قاصراتُ الطَّرْفِ ﴾ [سورة الرحمن : ٥٦] فإن امرأ القيس أومأ إليه (١) بقوله :

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْدَبَّ مُحْوِلٌ   مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإِتْبِ مِنْهَا لأَثَّرَا (٢)

ومنه قول الآخر (٣) :

ألومُ زيادًا في ركاكة رأيه   وفي قوله « أيُّ الرجالِ المهذَّبُ »

وَهَلْ يُحْسِنُ التهذيبُ مِنْكَ خَلائِقًا   أَرَقَّ مِنَ الماءِ الزُّلالِ وَأَطْيَبُ (٤)

* * *

(*) نقله المؤلف من بديع ابن منقذ : ٢٨٤ . وعنوان الباب فيه : (التقفية) ويبدو أنه تصحيف ، فلا علاقة بين معنى التقفية وما أورده تحته . والمتأمل في رسم الكلمتين « التفقير » ، و(التقفية) يجد أنه يمكن أن تتصحف كل منهما للأخرى في القراءة .

(١) هذا قول ماكان ينبغي أن يقع فيه من هو مثل الشيخ ابن النقيب : وهو – هنا – ناقل عن ابن منقذ إلا أنه حاول التلطيف من عبارة ابن منقذ القبيحة حيث يقول ابن منقذ عن قول الله تعالى في الآية : (فإنه يومي إلى قول امرىء القيس) . وهذه عبارة ساقطة لا يصح صدورها عن أحد ، فكلام الخالق يتنزه أن يُوماً به إلى كلام بشر . ثم إن قوله « قاصرات الطرف » وصف للنساء بالعفة والطهارة وهو قد وقع في كلام العرب وعرفوه ومدحوا النساء به وليس في كلام امرىء القيس فقط حتى يكون ذلك إيماءً له . والقرآن نزل بلسان القوم « بلسان عربي مبين » .

(٢) ديوانه : ٦٨ ، وتحرير التحبير : ١٥٧ ، ونهاية الإيجاز : ٢٩٤ ، والمعيار : ١٤ ، وابن منقذ : ٢٨٤ .

وكان في (ط) : « الأنف » بدلا من (الإتب) وهو تصحيف ، والإتب : بكسر الهمزة وسكون التاء ، ثوب رقيق ليس له كان تلبسه الجارية : يقول : إن هذه الجارية لو دبت فوق ثوبها هذه الحشرة الدقيقة لأثرت في بدنها لفرط رفاهيتها .

(٣) بديع ابن منقذ : ٢٨٤ – وبعدهما بيتان آخران .

(٤) ابن منقذ : (وأعذب) بدلا من وأطيب .



/ الفن الثالث

مايتعلق بالالفاظ من الفصاحة

كما أن ما يتعلق بالمعانى من البلاغة

ولهذا قيل معنى بليغ ولفظ فصيح . يقال أفصح الأعجمى ، وفصح اللحّان .

وهذا الفن يسمى أيضًا **البديع** .

والبديع علم يبحث فيه عن أحوال اللفظ المؤلف من حيث لا يمكن أن يؤتى به إلا بحسن انتظام .

وهو ينقسم إلى أقسام (*) :

* * *

(*) هى أربعة وعشرون قسمًا .



التهذيب (*)

وهو تخليص الألفاظ من ثقل العجمية ، وهُجْنة الحوشية ، وفظاظة النَّبطِية ، وأن يترك الكلام عذبَ المساق ، حسنَ الاتساق ، قريبا من فهم السامع ، عذب المساغ فى اللَّهَوَات والمسامع ، يدخل الأُذُنَ بغير إذْن ، وَيَتَصَوَّرُ معناه في العقل بدقيق التدبر ولطيف التفكر .

والقرآن العظيم كله من أوله إلى آخره على هذه المثابة . غير ما فيه من المتشابه فإنه يحتاج إلى الإمعان في التذكر وترديد التدبر . وذلك أيضًا علي غاية ما يكون من الحسن ، فكلٌّ في بابه قد استوفي بديع نصابه . قد بَسَقَتْ أشجارُه وعذبت ثماره . واتسقت ألفاظه ، واستحكمت معانيه ، وحسن رونقه ، وعظمت حلاوته وطلاوته ، لا تمله الأسماع مع كثرة ترداده ، ولا تنفر منه الطباع مع إبراقه وإرعاده ، بل هو الذى أُحْكِمَت آياتُه وفصِّلت وكملت في ألفاظه وَحُصِّلَتْ . وَأُحْكِمَتْ أَحْكَامُهُ وَأُصِّلَتْ . فهو كما قال الله تعالى : ﴿ كتابٌ أُحْكِمَتْ آياته ثم فُصِّلَتْ ﴾ [سورة هود : ١] . قد سلم من حُوشِيِّ الألفاظ وَرَذْلِها [١] ، وتخلص من فظاظة العُجْمة وثقلها . وكل كلمة منه حلت محلها وقرنت بمثلها فهو كما قال البحترى [٢] :

وإذَا دَجَتْ أَقْلامُهُ ثُمَّ انْتَحتْ　　　بَرَقت مَصَابيحُ الدُّجَى فى كُتْبِهِ [٣]

(*) التهذيب عقد له ابن أبي الأصبع بابا في (تحرير التحبير : ٤٠١ ، وبديع القرآن : ١٥٨) ، وختم به ابن منقذ كتابه : ٢٩٥ .

(١) الرَّذْل : الردىء من كل شىء (القاموس) .

(٢) ديوانه : ١٦٥/١ – ١٦٦ ، وتحرير التحبير : ٤٠٨ ، من قصيدته فى مدح الحسن بن وهب الكاتب الوزير .

(٣) قال الصيرفى : أى أنّ أقلامه إذا غمست بالمداد ثم جدت في الأمر أنارت ظلم المشاكل وكشفتها .

فَاللَّفظُ يَقْرُبُ فَهْمُهُ فى بُعْدِهِ مِنّا وَيَبْعُدُ نَيْلُه فى قُرْبِهِ
حِكَمٌ سَحَائِبُها خِلالَ بَنَانِهِ هَطَّالَةٌ وَقَلِيبُها فى قَلْبِهِ [1]
كَالرَّوْضِ مُؤْتَلِقًا بِحُمْرَةِ نَوْرِه وَبَيَاضِ زَهْرَتِهِ وَخُضْرَةِ عُشْبِهِ
وكأنها والسَّمْعُ مَعْقُودٌ بِها شَخْصُ الحَبِيبِ بَدَا لِعَيْنِ مُحِبِّهِ

وهذه الأبيات من أحسن ما قيل في التهذيب وأبلغ ما نظم في التنقيح والترتيب . ويتعين / على كل ناظم وناثر أن لا يملى قصيدة أو رسالة أو خطبة حتى يتلمحها بعين بصيرته ويقدح لها زناد فكرته وقريحته ويهذب ألفاظها ويحقق معانيها ويحسن مساغها ويؤسس مبانيها كما قيل : ٢١٩

لا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَاةِ قَصِيدَةً مَالَمْ تُبَالِغْ قَبْلُ فِى تَهْذِيبِهَا
فَإِذا عَرَضْتَ الشِّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ عَدُّوهُ مِثْلَ وَسَاوِسٍ تَهْذى بِهَا

* * *

(١) روايه الديوان : (حكم فسائحها) . القليب : البئر . قال الصيرفى : يقصد الشاعر أن هذا الكاتب تتدفق الحكمة من بين بنانه نابعة من قلبه على أسلات قلمه .

القسم الثالث

الانسجام (*)

وهو أن يأتى الكلام سهل المساق ، عذب المذاق ، حسن الاتساق ، منحدرًا في الأسماع كتحدر الماء المنسجم [١] حتي يكون للجملة من المنثور أو البيت من الموزون موقعٌ [٢] في النفوس وعذوبة في القلوب ماليس لغيره مع بعده من التصنع . وأكثر مايقع غير مقصود كمثل الكلام الموزون الذى تأتى به الفصاحة في ضمن النثر عفوًا كأنصاف أبيات وقعت في أثناء الكتاب العزيز وفي السنة .

وقد وقع من ذلك كثير فى الخطب والرسائل [٣] ومن أن يكون بيتًا أو نصف بيت ، وقد وقع في غير القرآن بيتان فصاعدًا وليس بشعر وإن لم يقصد .

فأما القرآن العزيز فلم يقع فيه من ذلك إلا مثل البيت الواحد أو النصف . والبيت المفرد لا يسمى شعرًا . وأيضا فإن الشعر إنما سمى شعرًا لكونهم شعروا به أى فطنوا . وهذا إنما جاء عفوًا فى درج الكلام .

فمما ورد من ذلك فى القرآن العزيز قوله تعالى : ﴿ وَجِفانٍ كالجوابي وقدورٍ راسيات ﴾ [سورة سبأ : ١٣] فوافق هذا فى درج الكلام قول امرىء القيس :

(*) في الانسجام انظر بديع ابن منقذ : ١٣١ ، وتحرير التحبير : ٤٢٩ ، وبديع القرآن : ١٦٠ .
(١) انسجم الدمع والماء : إذا انصبّ فهو منسجم .
(٢) كان فى (ط) : موقعًا .
(٣) كتب علي هذا الموضع في (ط) : كذا بالأصل .

امْـرُؤُ الْقَـيْسِ رَهِيــنٌ مُوَلــعٌ بِالْفَتَيَــاتِ [١]
مُكْـرِمُ الضَّيْـفِ بِلَحْـمٍ وَشُحُــومِ الْبَكَــرَاتِ
فِـى جِفَـانٍ كَالْجَوَابِـى وَقُـدُورٍ رَاسِيَــاتِ

٢٢٠ / وقد قال بعض أهل العلم بالعروض : إن الذى فى القرآن من ذلك ليس بمتزن ولا موافق لبحر بيت امرىء القيس . وهو صحيح .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن يَنتهوا يُغْفَرْ لهم ماقد سَلَف ﴾ [سورة الأنفال : ٣٨] .

وقوله عز وجل ﴿ نَبِّىءْ عبادى أنى أنا الغفورُ الرحيم ﴾ [سورة الحجر : ٤٩]
وقوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تحبون ﴾ [سورة آل عمران : ٩٢]
والتلاوة أيضًا لا تستقيم على الوزن ، إنما الوزن يكون على « تحبوا » دون النون كما قال بعض الشعراء :

لَـنْ تَنَالُـوا الْبِـرَّ حَتَّـى تُنفِقُــوا مِمَّــا تُحِبُّــوا

وقد جوز [٢] الحذاق الماهرون بأوزان القريض العالمون بضروبه وأجزائه وتقطيعه هذه الأبيات [٣] فلم يجدوها موزونة بل مباينة لأوزان الشعر إما بزيادة أو نقصان ولولا خشية التطويل لبينت ذلك .

* * *

---

(١) لم أجد هذه الأبيات في ديوانه . والبيت الثالث في تحرير التحبير : ٣٨٠ ، ٤٤٠ مع تبديل طفيف ، ولا شك أن هذه الأبيات منحولة على امرىء القيس فأثر الملهلة فى نسجها واضح ، ولا تشبه من بعيد ولا قريب نظم شعر امرىء القيس . وقال ابن أبى الإصبع : (على أن بعض الرواة ذكر أنه وضعه بعض الزنادقة ، وتكلم على الآية الكريمة وأنّ امرء القيس لم يصح أنه تلفظ به) تحرير التحبير : ٤٤٠ .

(٢،٣) كذا فى (ط) .

القسم الثالث

الاشتقاق (*)

ويسميه بعضهم الاقتضاب أيضا

وهو من باب التجنيس وإن عد أصلا برأسه

وهو أَنْ يجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة (١) كقوله تعالى : ﴿ فأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّين القَيِّم ﴾ [سورة الروم : ٤٣] وقول أبي تمام (٢) :

عَمَـمْتَ الْخَلْـقَ مِـنْ نُعْمَـاكَ ... حَتّى غَدَا الثّقلانِ مِنْهَا مُثْقَلانِ (٣)

قال المصنف عفا الله عنه : هذا الباب أولى بأن يكون من أجناس التجنيس (٤)

(*) « الاشتقاق » تسمية الوطواط في حدائق السحر : ١٠٣ ، والرازي في نهاية الإيجاز : ١٣٣ ، والزنجاني في المعيار : ٨٠ ، وقال الوطواط : « ويسمونه أيضًا الاقتضاب » . حدائق السحر : ١٠٣ . ونقل الزنجاني عبارة الوطواط هذه في المعيار . وكنت ذكرت في نشرتي الأولى من هذه المقدمة أني لم أعرف من سمى هذا الفن « الاقتضاب » وأني لم أعثر إلا على مقالة الوطواط السابقة . وقد وفقني الله إلى معرفة مصدر الوطواط في هذا ، وهو كتاب « ترجمان البلاغة » لمحمد بن عمر الرادوياني المتوفى منتصف القرن الخامس الهجري وهو أول كتاب في « البديع » باللغة الفارسية ، وهو الذي دفع الوطواط إلى تأليف كتابه – كما ذكر هو في مقدمة حدائق السحر : ٩٠ . وكتاب « ترجمان البلاغه » ترجمه الدكتور : محمد نور الدين عبد المنعم ونشره ١٩٨٧ ، وقد ذكر صاحب « ترجمان البلاغة » هذا الفن عند الفرس وذكر أنهم يسمونه « اقتضابا » ، وأن الكتاب وسائر أهل الفضل يسمونه بالمجانس . وانظر ترجمان البلاغة : ٧٣ . والاقتضاب » بهذا المعنى مختلف تمامًا عما سبق في القسم السادس والعشرين بعنوان « الاقتضاب » .

(١) هذا تعريف الرازي في نهاية الإيجاز والزنجاني في المعيار .

(٢) من قصيدته في مدح اسحق بن إبراهيم . ديوانه (٢٩٩/٣) تبريزي ، والمعيار : ٨١ .

(٣) كذا في (ط) : (مثقلان) . وهممت بأن أصوبها مثل مافي الديوان . إلا أني رأيت كلام المؤلف على البيت – بعد قليل – يذكر فيه أنه من باب التجنيس المماثل . وهذا يفيد أن نص البيت أمام المؤلف كان بهذه الصورة أو هو وهم منه رحمه الله .

(٤) هذا هو مذهب ابن الأثير في الجامع الكبير : ١٩٨ ، والمثل السائر : ١٩٥/٣ ، والزنجاني في المعيار : ٨٠ . وذكر الوطواط أن أصحاب البلاغة يعتبرونه من أنواع التجنيس . (حدائق السحر : =

والآية التى استشهد بها هى من « التجنيس المغاير » والبيت الذى استشهد به من « التجنيس المماثل » . وسنذكر أجناس التجنيس وأقسامه فى فصل مفرد بعدُ إن شاء الله تعالى .

ومما يشبه هذا النوع وليس منه ويسمى المشابهة [١] قوله تعالى : ﴿ قال إنى لعملكم من القالين ﴾ [٢] [سورة الشعراء : ١٦٨] وقول البحترى :

وَإِذَا مَا رِيَاحُ جُودِكَ هَبَّتْ صَارَ قَوْلُ العِدَاةِ فِيها هَبَاءُ [٣]

٢٢١ / ذكره الزنجانى فى تكملته [٤] .

قال ابن الأثير [٥] : الاشتقاق على قسمين : صغير وكبير . فالصغير أن تأخذ أصلاً من الأصول فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ معنى السلامة فى تصرفه نحو : « سَلم » و « سالم » و « سلمان » و « سلمى » و « السليم » للدّيغ أطلق عليه ذلك تفاؤلاً بسلامته . وعلى هذا جاء غيره من الأصول كقولنا : هَشَمَتْكَ هاشم ، وحاربك محارب وسالمك سالم ، وأصاب الأرض صيّبُ ؛ لأن الصيِّب هو المطر الذى يشتد صَوْبُهُ [٦] ووقعه على الأرض . وأمثال ذلك كثير . ولهذا الضرب من الكلام رونق لا يخفى على العارف بهذه الصناعة . فمما جاء منه قول بعضهم [٧] :

= ١٠٣) . وأنا أرجح أن يكون الوطواط هو أول من فصل هذا النوع عن التجنيس وتبعه عليه الرازى .

(١) ذكره الرازى فى نهاية الإيجاز : ١٣٣ ، والزنجانى فى المعيار : ٨١ . والاختلاف هنا بين هذا النوع ونوع الاشتقاق أن أصل الاشتقاق فى « المشابهة » غير واحد . فمثلاً : (قال والقالين) فى قوله تعالى : ﴿ قال إنى لعملكم من القالين ﴾ بينهما تشابه فى اللفظ لكن أصلهما اللغوى مختلف ، « فقال » من القول ، و« القالين » من القلى .

(٢) « قال » ساقطة من (ط) .

(٣) ديوانه ١٩/١ ، والمعيار : ٨١ وروايتهما (قول العُذّال) . وهو فى مدح أبى سعيد محمد ابن يوسف الثغرى من قادة جيوش المعتصم الخليفة العباسىّ .

(٤) انظر المعيار : ٨١ وقد سبق أن نقل عن هذه التكملة فى قسم المقابلة ، والذى هنا وهناك فى كتابه المعيار .

(٥) الجامع الكبير : ١٩٩ .

(٦) (ط) : (صوته) بالتاء المثناة من فوق . وأثبتُّ لفظ الجامع : ١٩٩ – والمثل السائر : ١٩٧/٣ .

(٧) هو البحترى .

* أَمَحَلَّتَي سَلْمَى بِكَاظِمَةَ اسْلَما [١] *

وكذلك قول الآخر وهو جرير بن عطية :

وَمَازَالَ مَعْقُولاً عِقالٌ عَنِ النَّدَى وَمَازَالَ مَحْبُوسًا عَنِ الْخَيْرِ حَابِسٌ [٢]

وقال غيره [٣] :

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي لَهُمْ حَدٌّ إِذَا لُبِسَ الْحَدِيدُ [٤]

(وشُكى إلى بعض الخلفاء جور عامل له وسُئل أن يكتب إليه كتابًا فقال : ما ترك فضة إلا فضها ولا ذهبًا إلا أذهبه ولا غنيمة إلا غَنِمَهَا ولا مالاً إلا مال عليه فأى شيء بعدُ يكتب إليه ! وأمثال هذا كثير فاعرفها) [٥] .

قال ابن الأثير [٦] : وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنًى واحدًا يجمع تلك التراكيب وماتصرف منها . وإن تباعد شيء من ذلك رُدّ بلفظ الصيغة والتأويل إليها كما يفعل الاشتقاقيون . ولنضرب لذلك مثلاً فنقول : إن لفظة (ق ر م) من الثلاثى لها ستة تراكيب وهى قرم . قمر . رمق . رقم . مقر . مرق . فهذه التراكيب

---

(١) مطلع قصيدته فى مدح أحمد وإبراهيم ابنى المدبر وعجزه :

* وتعلّما أن الهوى ماهجتما *

ديوان البحترى : ١٩٥٤/٣ ، والجامع الكبير : ١٩٩ ، والمثل السائر : ١٩٧/٣ .

(٢) ديوانه : ١٨٤/١ ، وبديع ابن المعتز : ٨٧ ، وحلية المحاضرة : ف ٢٥ ، والصناعتين : ٣٣٧ ، والجامع الكبير : ٢٠٠ ، والمثل السائر : ١٩٧/٣ .

(٣) هو حيّان بن ربيعة الطائىّ من شعراء الحماسة ، كما فى ديوان الحماسة ١٦٨/١ ، ويبدو أنّ ابن الأثير وهم فنسبه إلى عنترة فى المثل السائر .

(٤) كان فى (ط) هكذا : (إنّ قومى لهم جداد الحديد) .

وهو تحريف وما أثبته نص الجامع الكبير : ٢٠٠ ، والمثل السائر : ١٩٨/٣ ، والصناعتين : ٣٣٧ .

وأما رواية عجزه فى ديوانه الحماسة : ١٦٨/١ :

(ذووحد)

(٥) مابين القوسين ليس فى مطبوعتى المثل السائر والجامع .

(٦) رجع المؤلف ثانية إلى سياق كلام ابن الأثير فى الجامع : ٢٠٠ ، وانظر المثل السائر : ١٩٨/٣ .

* * *

الستة يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة و « القَرَمُ » : شدة شهوة اللحم ، و « قَمَرَ الرجل » [1] : إذا غلب من يقامره ، و« الرَّقم » : الداهية وهى الشدة التى تلحق الإنسان من أمره : و « عَيْشٌ مُرَّمِق » : أى ضيق . وذلك نوع من الشدة أيضًا . و « المَقْرُ » : شبه : الصَّبر يقال : أمقر الشىء : إذا أَمَرَّ ، وفى ذلك شدة على الذائق وكراهة : « ومَرَقَ » السهم : إذا نفذ من الرمية وذلك لشدة مضائه وقوته .

٢٢٢ واعلم أنه إذا سقط من تراكيب [2] الكلمة شىء فجائز ذلك فى / الاشتقاق لأن الاشتقاق ليس من شرطه كمال تراكيب الكلمة بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدّت إلى معنى واحد يجمعها . فمثال ماسقط من تركيب الثلاثى لفظة (و س ق) فإن لها خمسة تراكيب وهى (و س ق) ، (و ق س) ، (س و ق) ، (ق س و) ، (ق و س) ، وسقط من جملة التركيب قسم واحد وهو (س ق و) وجميع هذه الكلمة تدل على القوة والشدة : فالوَسقُ » من قولهم : استوسق الأمر : أى اجتمع وقوى : و « الوَقْسُ » ابتداء الجَرَبِ [3] وفى ذلك شدة على من يصيبه . « والسَّوق » متابعة السير وفى هذا عناءٌ وشدة على السائق والمسوق . « والقسوة » شدة القلب وغلظه : « والقوس » معروف ، وفيه نوع من الشدة والقوة لسرعة السهم وإخراجه إلى ذلك الرمى المتباعد .

واعلم أنا لاندعى أن هذا يطرد فى جميع اللغة بل قد جاء شىء منها كذلك . وهذا مما يدل على متانتها وحكمتها [4] ؛ لأن الكلمة الواحدة تتقلب على ضروب

---

(١) كذا فى (ط) ، ومطبوعتى الجامع والمثل : ولعل هنا (الرجل) ساقطة ، لأن الفعل (قمر) متعدٍ فيكون صواب العبارة : وَقَمَرَ الرجلُ الرجلَ .

(٢) ط : (تركيب) وأثبت لفظ المثل والجامع .

(٣) ط : (الحرب) بالحاء المهملة والصواب بالجيم المعجمة وهو المرض الجلدى المعروف .

(٤) (ط) : (وحكمها) ، والتصويب عن المثل السائر .

من التقاليب وهى مع ذلك دالة على معنى واحد وهذا من أعجب الأمور التى توجد فى لغة العرب وأغربها [١] فاعرفه .

* * *

(١) ط (وأعذبها) وأثبت لفظ الجامع والمثل .

القسم الرابع

الجزالة والرذالة (*)

أما الجزالة فقد تقدم الكلام عليها (١) . والقرآن العظيم من وجوه إعجازه جزالة ألفاظه وهو من أوله إلى آخره لابسٌ حُلَلَ الجزالة والفصاحة سالمٌ من الرذالة والفظاعة .

وأما الرذالة فهى فى غير القرآن فمنها فى المنظوم والمنثور كثير . أما المنظوم فمثل قول بعض العرب :

زِيَادُ بْنُ عَيْنٍ عَيْنُهُ تَحْتَ حَاجِبِهْ وَأَسْنَانُهُ بِيضٌ وَقَدْ طَرَّ شَارِبُهْ (٢)

ومثله ما أنشد سيبويه فى كتابه :

إذا مَا الخُبْزُ تَأْدِمُهُ بِلَحْمٍ فَذَاكَ أَمَانَةَ اللهِ الثَّرِيدُ (٣)

ومثل قول أبى العتاهية (٤) :

٢٢٣ / ماتَ الخليفَةُ أيها الثَقَلانِ فكأننى أفطرتُ فى رمضانِ (٥)

(*) الرذالة والجهامة عند ابن منقذ : ١٦٤ .

(١) لا أدرى أين تقدم هذا ؟! . ولعله يقصد فن « التهذيب » ، فاللفظة الجزلة مهذبة .

(٢) بديع ابن منقذ : ١٦٤ .

(٣) كتاب سيبويه : ٣/٦١ ، وبديع منقذ : ١٦٤ . وذكر سيبويه أن هذا البيت يقال فيه وضعه النحويون .

(٤) هو إسماعيل بن القاسم الشاعر العباسى من طبقة بشار وأبى نواس . وتوفى ببغداد سنة ٢١١ هـ .

(٥) لم أقع عليه فى ديوان أبى العتاهية ، وهو فى الصناعتين : ١٣٤ ، وبديع ابن منقذ : ١٦٤ . قال العسكرى : ولما مات المتوكل أنشد رجل جماعة :

مات الخليفة أيها الثقلان =

وأما النثر فمثل قولهم : « فلان لئيم الخِيم [1] ، كأن كفه ميم ، وكأن عقله جيم ، إن واصلته منع ، وإن أعطيته قطع » والقرآن العظيم أجل وأعظم من أن يكون فيه شيء من ذلك أو يماثِله .

* * *

= فقالوا جيد ، نعى الخليفة إلى الجنّ والإنس فى نصف بيت . فقال : (فكأننى أفطرت فى رمضان) فضحكوا منه .

(١) الخيم : بكسر الخاء : السجية والطبيعة (القاموس) .

القسم الخامس

السهل الممتنع

وهو الذى يظن من سمعه لسهولة ألفاظه وعذوبة معانيه أنه قادر على الإتيان بمثله فإذا أراد الإتيان بمثله عزَّ عليه مثاله وامتنع عن طالب معارضته فلا يناله .

والقرآن العظيم كله على هذا المنوال . خلا ما فيه من المتشابه والحروف التى فى أوائل السور ، فإذا فسرت كانت كذلك .

ومنه فى السُنة كثير . من ذلك قوله ﷺ : « تنكح المرأة لجمالها ومالها وحسبها . عليك بذات الدين تربت يداك [(١)] » . وقوله ﷺ : « إياكم وخضراءَ الدِّمَنِ . قالوا وماخضراء الدِّمَنِ ، قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء » [(٢)] . وقوله ﷺ : « المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وعودوا كل جسد ما اعتاد » [(٣)] . وقوله ﷺ : « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة ظهورها عز وبطونها كنز » [(٤)] .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب النكاح (٦٧) ، باب الأكفاء فى الدين (١٥) ، (فتح البارى : ١٣٢/٩) ولفظه : « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك) .

(٢) سبق .

(٣) هذا الحديث ينفى أن يكون مابين أيدينا من هذا الكتاب منسوبًا إلى الإمام ابن قيم الجوزية . فهذا الحديث قال عنه ابن القيم فى زاد المعاد (٩٨/٣) : (وأما الحديث الدائر على ألسنة كثير من الناس » : « الحمْيَة رأس الدواء ، والمعدة بيت الداء ، وعودوا كل جسم ما اعتاد » فهذا الحديث إنما هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب . ولا يصحُّ رفعه إلى النبى ﷺ . قاله غير واحد من أئمة الحديث) ا هـ .

(٤) الحديث بدون زيادة (ظهورها عز وبطونها كنز) رواه البخارى فى كتاب الجهاد (٥٦) ، باب الخيل معقود فى نواصيها الخير ، (فتح البارى ٥٤/٦) .

وأما فى النثر والنظم فقليل . مثاله فى النثر قول العماد الكاتب [١] : « ولو جعل الله حظه من الذهب كحظه من الأدب لاستجدى من سعته قارون واستعان بفصاحته هارون » . ومنه فى الشعر مثل قول مَرْوان ابن أبى حفصة [٢] :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ ... أُسُودٌ لَهَا مِنْ غِيلِ خَفَّانَ أَشْبُلُ
هُمُ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَى كَأَنَّمَا ... لِجَارِهِمُ بَيْنَ السِّمَاكَيْنِ مَنْزِلُ
هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا ... أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطَوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
بَهَالِيلُ فِى الإِسْلامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ ... كَأَوَّلِهِمْ فِى الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
وَلا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ ... وَإِنْ أَحْسَنُوا فِى النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا
ثَلاثٌ بِأَمْثَالِ الجِبَالِ حُبَاهُمُ ... وَأَحْلامُهُمْ مِنْها لَدى الْوَزْنِ أَثْقَلُ [٣]

* * *

(١) هو محمد بن محمد الشهير بعماد الدين الأصفهانى ، مؤرخ ، عالم بالأدب ، من أكابر الكتّاب ولد بأصفهان ٥١٩ ، وتوفى بدمشق ٥٩٧ .

(٢) مروان بن أبى حفصة من شعراء الدولتين الأموية والعباسية وتوفى سنة ١٨٢ هـ .

(٣) الأبيات فى ديوانه : ٨٨ – ٨٩ من قصيدة فى مدح معن بن زائدة الشيبانى . والأبيات خلا الأخير فى الصناعتين : ١٠٣ ، والعمدة : ١٤٢/٢ ، والثالث فى بديع القرآن : ١٠١ .

الرشاقة والجهامة (*)

فأما الرشاقة فقد ذكرناها آنفًا . وفى القرآن العظيم منه كثير . وأما الجهامة فليس فى القرآن منها شيء فإن الجهامة لا تكون إلا عن غلظ طبع وشدة حَصَر وَلَكن ، والقرآن العظيم منزه عن ذلك .

* * *

(*) عقد ابن منقذ فى بديعه : ١٦٤ باباً « للرذالة والجهامة » . وعرّف فيه « الرذالة » ومثل لها . ولكن لم يتعرض للجهامة .

وقد عرّفها ابن منقذ فى باب سابق تحت عنوان « الرشاقة والجهامة » (١٦١) ومثل لها . قال : (أما الجهامة فهى الكلمات القبيحة فى السمع .. وأمّا الرشاقة فهى حلاوة الألفاظ وعذوبتها) .

القسم السابع

الفك والسبك (*)

أما الفك فهو أن يفصل المصراع الأول من المصراع الثانى ، أو الفقرة الأولى من الفقرة الثانية ، أو الجملة الأولى من الجملة الثانية ولا تتعلق الثانية بشىء من معنى الأولى . مثل قول زهير :

حَىِّ الدِّيارَ التى لَمْ يَعْفُها الْقِدَمُ   بَلَى وَغَيَّرها الأَرْوَاحُ وَالدِّيَـمُ (١)

ومن ذلك قول المتنبى :

جَلَلاً كَما بِى فَلْيَكُ التَّبرِيـحُ   أَغِذَاءُ ذا الرَّشَأُ الأَغنِّ الشِّيحُ (٢)

وهذا النوع منه فى القرآن كثير فإنه يأتى بجملة إثر جملة ليس لها تعلق بالتى قبلها والنحاة يسمون ذلك الجمل المعترضة .

وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت أو الرسالة أو الخطبة بعضها ببعض من أوله إلى آخره . ولهذا قيل : « خيرُ الكلام المسبوك المحبوك الذى يأخذ بعضه برقاب بعض » والقرآن العظيم آياته كلها كذلك فاعرفه .

* * *

(*) « الفك والسبك » نقله المؤلف عن بديع ابن منقذ : ١٦٢ – ١٦٣ .

(١) سبق فى قسم الرجوع والاستدراك .

(٢) مطلع قصيدته فى مدح مساور بن محمد الرومى . ديوانه : ١/٣٦٥ ، وبديع ابن منقذ : ١٦٣ . قال البرقوق : يقول ليكن تبريح الهوى عظيمًا مثل ماحلّ بى وإلاّ فلا . ثم قال : أتظنون غذاء من فعل بى هذا الفعل الشيح شأن مثله من ظباء الصحراء ، إنما غذاؤه قلوب العشاق ينحلهم ويهزلهم فيورثهم هذا التبريح . والتبريح : الجهد والشدة . والجلل : الأمر العظيم ، والرشأ : ولد الظبية ، والأغن : الذى فى صوته غنة .

ويرى ابن منقذ أن هذا البيت جمع العسف واللكنة والانفكاك (بديعه : ١٦٣) .

/ القسم الثامن

الحل والعقد (*)

وهو أن يأخذ لفظًا منظومًا فينثره أو منثورًا فينظمه مع الاتفاق فى المعنى . وهذا القسم يختص بالإنشاء معروف بالكُتّاب البلغاء الفصحاء . وهو من أجلّ ما يَمُتُّون به وأعظم مايترفعون بسببه .

وفى القرآن العظيم من جنسه وهو ماورد فيه من آية مجملة فسرتها آية أخرى أو مفسرة أجملتها آية أخرى فأشبه ذلك الحل والعقد . وأكثر مايقع هذا النوع فى الشعر والرسائل فإن الشعر معقود والنثر يحلله ، والنثر محلول والشعر يعقده .

وللماهرين فى صناعة الإنشاء من هذا كثير ليس هذا موضع ذكره ؛ إذ **ليس غرضنا فى هذا الكتاب إلا إثبات ماوقع فى الكتاب العزيز من فنون الفصاحة ، وعيون البلاغة ، وبدائع البديع أو مايجرى مجرى ذلك .**

* * *

(*) فى « الحل والعقد » انظر : بديع ابن منقذ : ٢٥٩ ، وتحرير التحبير : ٤٣٩ ، ٤٤١ .

القسم التاسع

الازدواج

وهو أن يزاوج بين الكلمات أو الجمل بكلام عذب وألفاظ حلوة .

ومثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثلِ ما اعتدى عليكم ﴾ [سورة البقرة : ١٩٤] وقوله تعالى : ﴿ وجزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مثلُها ﴾ [سورة الشورى : ٤٠] وقوله تعالى : ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعونَ إلا أنفسَهُمْ ﴾ [١] [سورة البقرة : ٩] . ومثله قوله تعالى : ﴿ وكان الله عليمًا حكيمًا ﴾ [٢] وقد جاء فى الكلام الفصيح وأشعار العرب وغيرها مؤتلفًا ومختلفًا ، ويكون كلمة وكلمتين .

ومنه الحديث : « إما محسنًا فيزداد وإما مسيئًا فيستعتب » [٣] . ومنه قول الشاعر :

عَتَبْتُ عَلَيْهِ فَمَا أَعْتَبَا وَعَنْهُ اعْتَذَرْتُ وَقَدْ أَذْنَبَا

* * *

(*) فى « الازدواج » انظر الصناعتين : ٢٦٦ ، وتحرير التحبير : ٤٥٢ ، وبديع ابن منقذ : ١١١ وتعريف المؤلف – هنا – لهذا الفن – هو تعريف ابن منقذ . وفرّق ابن أبى الإصبع بين الازدواج وبين التجنيس المماثل باختلاف معنى الكلمتين فى التجنيس واتفاقهما فى الازدواج . وذكر أن الرمانى قد عدّ الازدواج تجنيسًا وأفرده غيره . انظر تحقيق ذلك فى تحرير التحبير : ٤٥٣ .

(١) هى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو . وقرأ باقى العشرة (وما يخدعون) . (البدور الزاهرة ٢١) .

(٢) وردت فى مواضع عدة من القرآن هى : [النساء : ١٧ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١٧٠ ، والأحزاب : ٥١ ، والفتح : ٤] .

وعبارة ابن منقذ (وقال عز وجل : عليماً حكيماً ، غفوراً رحيماً ، وأشباه ذلك) البديع : ١١٢ .

(٣) سبق .

تضمين المزدوج (*)

وهو أن يقع فى الفقرات لفظان مسجعان بعد مراعاة حدود الأسجاع والقوافى الأصلية كقوله تعالى : ﴿ وتفقَّدَ الطيرَ فقال مالِىَ لا أرى الهُدْهُدَ أم كانَ من الغائبين لأُعَذِّبَنَّهُ عذابًا شديدًا أَوْ لأذبحَنَّهُ أو لَيَأْتِيَنِّى بسلطانٍ مبين فَمَكَثَ غيرَ بعيدٍ فقال أحطتُ بمالم تُحط به وجئتُك من سَبَإٍ بنبإٍ يقين ﴾ [سورة النمل : ٢٠ - ٢٢] بعد مراعاة اللفظ فى مقاطع الآى وهى « الغائبين ومبين » .

ومنه فى الشعر والنثر كثير . فمن النثر قول بعض البلغاء : « فلان رفع دعامة الجِد والمجد بإحسانه ، وبرّز بالجَدّ والجِدّ على أقرانه » (١) . ومثاله من النظم قول الشاعر (٢) :

تَعَوَّدَ رَسْمَ الْوَهْبِ والنَّهْبِ فِى الْعُلا   وَهَذَان وَقتَ اللُّطْفِ وَالْعُنْفِ دَابُهُ
فِفِى اللُّطْفِ أَرْزَاقُ العُفَاةِ هِبَاتُهُ   وَفِى الْعُنْفِ أَعْمَارُ العِداةِ نهابُهُ (٣)

* * *

(*) « تضمين المزدوج » هذه تسمية الوطواط فى حدائق السحر : ١٢٠ . ونقلها عنه الرازى فى نهاية الإيجاز : ١٤٤ ، والزنجانى فى المعيار : ١٠٢ . وانظر المعيار : ٧٧ فى حديثه عن المزدوج من أقسام الجناس . وذكر ابن معصوم فى أنوار الربيع ٢١٥/٦ (نقلاً عن معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) أن هذا النوع من مستخرجات صاحب المعيار ، وهذا ليس صحيحًا ، فصاحب المعيار مسبوق بالرازى والوطواط .

(١) كذا فى (ط) ، ولعله لحق الأصل بشىء . وأظن صواب العبارة ماجاء فى حدائق السحر : ١٢٠ « فلان زيّن بعلمه الجمّ ومجده الأشمّ زمانه ، وفاق بفضله الباهر وحسبه الزاهر أقرانه » ، فكلمتا « زمانه » و « أقرانه » مسجعتان فى نهاية الجملتين . أما ألفاظ : « علمه الجمّ » و « مجده الأشمّ » ، و« فضله الباهر » و « حسبه الزاهر » فمزدوجة .

(٢) للوطواط صاحب حدائق السحر .

(٣) حدائق السحر : ١٢١ ، والمعيار : ١٠٢ . وكان فى (ط) : (العباد) بدلاً من (العفاة) والتصويب من حدائق السحر والمعيار . والعُفَاة : الأضياف وطُلاب المعروف (اللسان) .

القسم الحادي عشر

التسجيع (*)

والكلام عليه من وجوه

الأول : فى أقسامه .
الثانى : اختلاف العلماء فى جواز استعماله وحظره .
الثالث : فى شرطه وما ينبغى أن يكون فيه .

* * *

الأول : قد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة فى التسجيع فقال قوم (1) : هو على ثلاثة **أقسام المتوازى والمتطرف** (2) **والمتوازن** (3) .

أما المتوازى فهو رعاية الكلمتين الأخيرتين فى الوزن والروىّ . وذكرُ الروىّ فى النثر توسعة فى الكلام وإلا فالروىّ مخصوص بالشعر . مثاله من كتاب الله تعالى قوله عز وجل : ﴿ فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ وأكوابٌ موضوعةٌ ﴾ [سورة الغاشية : ١٣ ، ١٤] . ومثاله من السُنة النبوية قوله ﷺ : « اللهم أعط منفقًا خلفًا وأعط ممسكًا تلفًا » (4) .

(*) فى التسجيع : انظر حدائق السحر : ١٠٥ ، ونهاية الإيجاز : ١٤٢ ، والمعيار : ٨٣ ، والجامع الكبير : ٢٥١ ، والمثل السائر : ٢١٠/١ ، وتحرير التحبير : ٣٠٠ ، وبديع القرآن : ١٠٨ .

(1) هذه قسمة الوطواط فى حدائق السحر : ١٠٥ ، والرازى فى نهاية الإيجاز : ١٤٢ ، والزنجانى : ٨٣ ، وزاد قسمًا رابعًا حيث جعل الترصيع من أقسام السجع .

(2) لفظ حدائق السحر والمعيار : « المطرّف » .

(3) كان فى (ط) : (والمستحسن) . وهو تحريف والتصويب من حدائق السحر والمعيار ومن سياق كلام المؤلف نفسه بعد ذلك .

(4) رواه البخارى فى كتاب الزكاة (٢٤) – باب قول الله تعالى (فأمّا من أعطى واتقى =

٢٢٧ وأما المتطرف فهو / أن تتفق الكلمتان الأخيرتان فى الحرف الأخير من الوزن . مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ مالكم لا ترجون لله وقارًا وقد خلقكم أطوارًا ﴾ [سورة نوح : ١٣ - ١٤] . ومنه قول بعض البلغاء : « جنابه محطُّ الرحال ومجثم الآمال » (١) .

وأما المتوازن فمثاله (٢) . من الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وآتيناهما الكتابَ المستبين وهدَيناهما الصراط المستقيم ﴾ (٣) [سورة الصافات : ١١٧ - ١١٨] .

وقال قوم : هو على ثلاثة أقسام (٤) قصير موجز ، ومتوسط معجز ، وطويل مفصح مبين للمعنى مُبْرِز .

أما الأول : وهو القصير ، فاعلم أن أقصر الفقرات القصار في السجع مايكون من لفظين كقوله تعالى : ﴿ والعاديات ضَبْحًا فالموريات قدْحًا فالمغيرات صُبْحًا ﴾ [سورة العاديات : ١ - ٣] وقوله تعالى : ﴿ والمرسلات عُرْفًا فالعاصفات

= .. (٢٧) ، (فتح البارى ٣٠٤/٣) ، ومسلم (٧٠٠/٢) فى كتاب الزكاة (١٢) - باب فى المنفق والممسك (١٧) وروايتهما : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا » .

(١) مافى حدائق السحر : ١٠٦ (ومخيم الآمال) .

(٢) كذا فى (ط) ، ولعل هنا سقطًا حيث لم يعرف هذا القسم . وهذا النوع المتوازن يكون بأن تتفق الكلمتان في الوزن دون التقفية . ولا أفهم داعيًا لإدخال هذا القسم فى حد السجع الذى شَرْطُه وجود التقفية . والغريب أن الرازى بعد أن أورد هذا القسم علق عليه بقوله : (وهذا القسم خارج عن الحدّ المذكور) نهاية الإيجاز : ١٤٢ ، ١٤٣ ، وكان ابن أبى الإصبع موفقاً حين فصل بين هذا النوع وبين السجع فجعله قسمًا مستقلاً وَعَنْون له : « المماثلة » (تحرير التحبير : ٢٩٧ ، وبديع القرآن : ١٠٧) وقد فرق ابن أبى الإصبع بين المماثلة والمناسبة بتوالى الكلمات المستويات فى المماثلة وتفارقها فى المناسبة . (تحرير التحبير : ٢٩٨) .

(٣) قال الوطواط : (ففى مقابل « آتيناهما » نجد هديناهما » . وفى مقابل « كتاب » نجد « صراط » وكذلك مقابل « المستبين » نجد « المستقيم » . وكل كلمة من هذه الكلمات موافقة من حيث الوزن لنظيرتها) حدائق السحر : ١٠٦ .

(٤) ما سيسوقه المؤلف من أقسام السجع هذه مأخوذ من كلام ابن الأثير . انظر المثل السائر : ٢٥٥/١ - ٢٥٨ .

عَصْفًا ﴾ [سورة المرسلات : ١ - ٢] وقوله تعالى : ﴿ يا أيها المُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وربَّكَ فَكَبِّرْ وثيابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [سورة المدثر : ١ - ٤] .

وأطول الفقرات القصار مايكون من عشر لفظات . وما بين هذين متوسط كقوله تعالى : ﴿ والنجم إذا هوَى ماضل صَاحِبُكم وَما غوَى وما يَنطِقُ عَن الهوَى إنْ هو إلا وَحْىٌ يُوحَى ﴾ [سورة النجم : ١ - ٤] وقوله تعالى : ﴿ اقتربَتِ الساعةُ وانشقَّ القمرُ وإن يَرَوا آيةً يُعرِضُوا ويقولوا سِحْرٌ مستمِرٌّ وكذَّبوا واتَّبعوا أهواءَهم وكُلُّ أمرٍ مُستَقِرٌّ ﴾ [سورة القمر : ١ - ٣] .

وأقصر الطوال مايكون من أحد عشرَ لفظة . وأطولها غير مضبوط . وكلما طالت الفِقَر زاد بيانها وإفصاحها . وقد وقع فى الفقر المطوّلة ماهو من عشرين لفظة فما حولَها مثل قوله تعالى : ﴿ إذ يُرِيَكهُمُ اللهُ فى منامِكَ قليلاً ولو أراكهمْ كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكنّ الله سلَّمَ إنه عليمٌ بذات الصدورِ وإذ يُريكموهمْ إذ التقيتم فى أعينكم قليلاً ويُقلِّلُكُمْ فى أعينهم ليقضِيَ اللهُ أمرًا كان مفعولاً وإلى اللهِ تُرْجَعُ الأمورُ ﴾ [سورة الأنفال : ٤٣ - ٤٤] . ومثاله فيما دون ذلك قوله تعالى : ﴿ ولئن أذَقنا الإنسانَ منا رحمةً ثم نزعناها منه إنه ليؤسٌ كفورٌ ولئن أذقناهُ نَعماء بعد ضرَّاء مَسَّتْهُ ليقولَنَّ ذهبَ السيِّئاتُ عنِّى إنه لفَرِحٌ فخورٌ ﴾ [سورة هود : ٩ - ١٠] وقوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسِكم عزيزٌ عليه ماعَنِتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم فإنْ تَوَلَّواَ فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إلهَ إلا هو عليه توكَّلْتُ وهو رَبُّ العرش العظيم ﴾ [سورة التوبة : ١٢٨ - ١٢٩] .

والفقرات المسجوعة إما أن تكون متساوية أوْلا . أما المتساوية ففى الأكثر إنما توجد فى الفقرات القصار كما فى قوله تعالى : ﴿ فأمَّا اليتيمَ فلا تقهَرْ وأما السائلَ فلا تَنْهَرْ ﴾ [سورة الضحى : ٩ - ١٠] ، وأما / المختلفة فاختلافها إما أن يكون فى فقرتين أو أكثر . أما المختلفة فى فقرتين فالأحسن أن تكون الثانيةُ أزيدَ من الأولى ولا تزيد بقدر كثير كقوله تعالى : ﴿ وأعتدنا لمن كذَّبَ بالساعة

٢٢٨

سَعيرًا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تَغَيُّظًا وزفيرًا ، وإذا أُلقوا منها مكانًا ضَيِّقًا [١] مُقَرَّنينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبورًا ﴾ [سورة الفرقان ١١ : ١٣] وكذلك قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لقد جئتم شَيْئًا إدًّا تكاد السموات يَتَفَطَّرْنَ منه وتنشقُّ الأرضُ وتخرُّ الجبالُ هَدًّا ﴾ [سورة مريم : ٨٨ - ٩٠] .

وأما المختلف فى أكثر من فقرتين فأحسنه أن تكون الفقرة الثالثة زائدةً . والأوليتان متساويتان أو الثانية منه أزيد يسيرًا . وأقل السجع حسنًا مايكون المتأخر من الفقرات أقل مما قبلها .

أما الثانى : فقد اختلف أرباب علم البيان فيه [٢] فمنهم من قال باستحسان السجع وفضله علي الاسترسال فى الكلام ورجحه . ومنهم من كره السجع وأقبحه واحتج على ذلك بأمرين : **أحدهما** : اشتماله على الكلفة . **والثانى** : قوله عليه الصلاة والسلام : « أَسَجْعًا كَسَجْعِ الْجَاهِلِيَةِ » [٣] .

وكلا الحجتين فاسدٌ . **أما الأولى** فلأنه لم يخل شيء من الكلام من تكلف ما . **وأما الثانية** فلأن الإنكار إنما كان لسجع مخصوص وهو ماقصد به إبطال حق أو تحقيق باطل ولو كان السجع قبيحًا لاستحال وروده فى القرآن .

والتسجيع وعدمه أسلوبان جرت عليهما ألسنة فصحاء العرب وخطبائهم يأتون بذلك بغير تكلف ولا تعسف . وورد فى القرآن العظيم آيات كثيرة خالية من السجع وآيات كثيرة مشحونة بالسجع حتي إن بعض السور شملها السجع من أولها إلى آخرها مثل « اقتربت الساعة » وسورة الضحى والكوثر فاعرفه .

الثالث : قال علماء علم البيان [٤] : الأسجاع موضوعة علي أن تكون

---

(١) (ضيقًا) ساقطة من (ط) .

(٢) انظر المثل السائر : ١/٢١٠ - ٢١٤ ، والجامع الكبير : ٢٥٢ .

(٣) رواه النسائى (٥٢/٨) فى كتاب القسامة حديث ٤٨٢٨ ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد : ٣٠٠/٦ « رواه الطبرانى . وفيه محمد بن سليمان بن مسمول وهو ضعيف » .

(٤) انظر المعيار : ٨٣ .

ساكنة الأَعْجاز موقوفًا عليها ؛ لأن الغرض أن يُجانس بين القرائن ويُزاوَج بينها ولا يتم ذلك إلا بالوقف . ألا ترى أنك لو وصلت قوله : « ما من غُرّة إلا وإلى جنبها عُرّة » [١] . وقولهم : « ما أبعد مافات وما أقرب ما هو آت » لم يكن بد من إجراء كل الفقرات [٢] على ما يقتضيه حكم الإعراب فتكون قد عطلت عمل الساجع (وقوة عزمه) [٣] . وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها من الازدواج [٤] فيقولون : أتيتك بالغدايا والعشايا . وهنأنى الطعم ومرأنى . وأخذه ما حدث وما قدم . « وانصرفن / مأزورات غير مأجورات » [٥] . وقال عليه الصلاة والسلام « أنفِقْ بلال ولا تخش من ذى العرش إقلال » [٦] . مع أن فيه ارتكاب مايخالف اللغة فما ظنك بهم في ذلك . ٢٢٩

* * *

(١) كان فى (ط) : (مامن عزّةٌ إلا والي جانبها عزّه) وهو كلام لامعنى له . وأثبت لفظ المعيار . والغُرّة : بضم الغين المعجمة : بياضٌ فى الجبهة ؛ والعُرّةُ : بضم العين : الجَرَب أو داءٌ يسقط منه وبر الإبل أو قروحٌ فى أعناق الفُصلان (القاموس) .

(٢) المعيار : (القرائن) .

(٣) كذا فى (ط) ، ومافى المعيار ، (وفوّت غرضه) .

(٤) المعيار : للازدواج .

(٥) سبق .

(٦) عزاه الهيثمى في مجمع الزوائد (١٢٦/٣) إلى الطبراني في الكبير ، وكلام الهيثمى يظهر منه أن في الحديث مقالا . وعزاه إلى الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن ، وفي كنز العمال (جـ ٦ حديث ١٦٠١١) معزوًا إلى البزار عن بلال . وانظر كشف الخفا للعجلوني : ٢٤٣/١ - ٢٤٤ .

القسم الثانى عشر

الترصيع (*)

وهو أن تكون ألفاظ الكلام مستوية الأوزان متفقة الأعجاز مثل قوله عز وجل : ﴿ إنّ الأبرارَ لفى نعيم وإنّ الفجارَ لفى جحيم ﴾ [سورة الأنفطار : ١٣ - ١٤] . وقوله تعالى : ﴿ إنّ إلينا إيابَهم . ثم إن علينا حسابهم ﴾ [سورة الغاشية : ٢٥، ٢٦] . وقوله تعالى : ﴿ فَأَثَرْنَ به نَقْعًا فوَسَطْنَ به جَمْعًا ﴾ [سورة العاديات : ٤ - ٥] وهو فى كتاب الله كثير (١) .

ومنه فى النثر كثير . منه قول الحريرى : « وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه » (٢) . وهو فى الشعر كثير . منه

(*) فى الترصيع انظر الصناعتين : ٣٩٠ ، والعمدة : ٢٦/٢ ، وبديع ابن منقذ : ١١٦ ، وحدائق السحر : ٩٠ ، ونهاية الإيجاز : ١٤٤ ، والجامع الكبير : ٢٦٣ ، والمثل السائر : ٢٧٧/١ ، والمعيار : ٨٣ ، وتحرير التحبير : ٣٠٢ .

وقال ابن الأثير عن هذا الفن : (وهو مأخوذ من ترصيع العقد ، وذلك أن يكون فى أحد جانبى العقد من اللآلىء مثل ماقى الجانب الآخر . وكذلك نجعل هذا فى الألفاظ المنثورة من الأسجاع وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثانى فى الوزن والقافية) المثل السائر : ٢٧٧/١ ، وانظر الجامع : ٢٦٣ . وانظر التعليق التالى .

(١) نفى ابن الأثير أن يوجد هذا الفن فى القرآن الكريم لما فيه من التكلف ، قال ابن الأثير : (فأما قول من ذهب إلى أنّ فى كتاب الله منه شيئا ومثله بقوله تعالى : (إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم) فليس الأمر كما وقع له ، فإن لفظة (لفى) قد وردت في الفقرتين معا ، وهذا يخالف شرط الترصيع الذى شرطناه لكنه قريب منه) ، المثل السائر : ٢٧٨/١ . بل ونفى ابن الأثير أيضا أن يكون هذا النوع موجودا فى أشعار العرب وذهب إلى أنه قليل فى أشعار المحدثين .

(٢) انظر المقامة الأولى الصنعانية .

قول أبي فراس :

وَأَفْعَالُهُ لِلرَّاغِبِينَ كَرِيمَـةٌ وَأَمْوَالُهُ لِلطَّالِبِينَ نِهَـابُ [١]

وقول آخر [٢] :

ثَمَانِيةٌ لَـمْ تَفْتَـرِقْ مُذْجَمَعْتَهَـا فَلا افْتَرَقَتْ مَاذَبَّ عَنْ نَاظِرٍ شُفْرُ
يَقِينُكَ وَالتَّقْوَى وَجُودُكَ وَالْغِنَـى وَلَفْظُكَ وَالمَعْنَى وَحَرْبُكَ وَالنَّصْرُ

ومنه قول أبي الورد [٣] :

يَرُوحُ إِلَيْهِمْ عَازِبُ الْحَمْدِوَافِيـا وَيَغْدُو إِلَيْهِمْ طَالِبُ الرِّفْدِ عَافِيًا [٤]

وقد يجيء مع التجنيس كقولهم : « إذا قلّت الأنصار كَلَّت الأبصارُ ، وما وراء الْخَلْقِ الدَّمِيمِ إلا الْخُلُقُ الذَّمِيمِ » وقول المطرّزى :

وَزَنْـدُ نَـدَا فَواضِلِـهِ وَرِيٌّ وَرُنْـدُ رُبَـا فَضَائِلِـهِ نَضِيـرُ
وَدُرُّ جَلاَلِـهِ أبَـدًا ثَمِيـنُ وَدَرُّ نَوَالِـهِ أبَـدًا غَزِيـرُ

* * *

(١) ديوانه : ٢٤/١ ، حدائق السحر : ٩١ ، والمعيار : ٨٤ . وهو فى مدح ابن عمه سيف الدولة .

(٢) بدون عزو فى المعيار : ١٥٢ ، ورواية عجز البيت الثانى فيه (وسيفك والنصر) .

(٣) كذا فى (ط) ، والذى فى المعيار : ٨٤ (الأبيوردى) . وهو أبو المظفر محمد بن أبي العباس الشهير بالأبيوردى (بفتح الهمزة وكسر الباء الموحدة ، وسكون الياء التحتية ، وفتح الواو وسكون الراء ، وبعدها دال مهملة) : نسبة إلى « أبى ورد » ، ويقال لها « أبا ورد » ، و« با ورد » ، وهى بلدة بخراسان . وصفه ياقوت بأنه كان إماما في كل فن من العلوم عارفا باللغة والنحو والنسب والأخبار ، ويده باسطة في البلاغة والإنشاء . وقد توفي مسموما بأصفهان سنة ٥٠٧ هـ .

(٤) ديوان الأبيوردى : ١١٤/١ – من قصيدته في مدح الخليفة المقتدى العباسى .

/ القسم الثالث عشر

التسميط (*)

وهو على قسمين : **الأول** : أن يكون فى صدر الكلام أو الرسالة أو البيت [١] أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة ثم يجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تنقضى [٢] ، أو الرسالة [٣] حتى تنتهى فتصير كالسِّمط الذى احتوى على جواهر متشاكلة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إذا الشمسُ كُوِّرَتْ وإذا النجومُ انْكَدَرَتْ ﴾ إلى قوله : ﴿ علمتْ نفسٌ ما أَحْضَرَت ﴾ [سورة التكوير : ١ - ١٤] وقوله تعالى : ﴿ فلا أُقسمُ بالخُنَّس الجَوَار الكُنَّس واللَّيْلِ إِذَا عَسْعَس والصُّبْحِ إذا تَنَفَّسَ ﴾ [سورة التكوير : ١٥ - ١٨] (وقوله تعالى : ﴿ إذا السَّمَاءُ انْفطَرَتْ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَاقَدَّمَتْ وَأَخَّـرَتْ ﴾ [سورة الانفطار : ١ - ٥] وقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَـاءُ

(*) التسميط : نقل ابن رشيق عن أبي القاسم الزجاجى أنه [إنما سُمى بهذا الاسم تشبيها بسِمْطِ اللؤلؤ ، وهو سلكه الذى يضمّه ، ويجمعه مع تفرق حبه . وكذلك هذا الشعر لما كان متفرق القوافى متعقبا بقافية تضمه وترده إلى البيت الأول الذى بنيت عليه فى القصيدة صار كأنه سِمْطٌ مؤلف من أشياء مفترقة) . العمدة ١٨٠/١ ، وانظر المعيار : ١٠٠ ، وحدائق السحر : ١٦٢ ، وتحرير التحبير : ٢٩٥ ، وبديع القرآن : ١٠١ . وقد فرق ابن أبي الأصبع بين التسجيع والتسميط . انظر : تحرير التحبير : ٣٠٠ ، وقال الوطواط : « ويكون التسميط » بأن يقسم الشاعر بيته إلى أربعة أجزاء ، ويراعى السجع فى الأجزاء الثلاثة الأولى منها ويجعل القافية فى القسم الرابع والأخير من البيت (حدائق السحر : ١٦٢) .

(١) كذا فى (ط) ، ولعل صوابه « أو القصيدة » .

(٢) ذكر الزنجانى هذا القسم وذكر أنه تعريف الخليل بن أحمد للشعر المسمط (انظر المعيار : ١٠٠) .

(٣) كان فى (ط) (أورسالة) .

انْشَقَّتْ وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [سورة الانشقاق : ١ ، ٢] . وقوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَنُ علَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ . الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [١] [سورة الرحمن : ١ - ٦] ومثله فى القرآن كثير .

ومنه قول امرىء القيس [٢] :

وَمُسْتَلْئِمٍ كَشَّفْتُ بالرُّمحِ ذَيْلَهُ   أَقَمْتُ بِعَضْبٍ ذى سفاسِقَ [٣] مَيْلَهُ

فَجَعْتُ به في مُلْتَقَى الْحَيِّ [٤] خَيْلَهُ   تَرَكْتُ عِتاقَ الطَّيْرِ يَحْجُلْن [٥] حَولَهُ

كَأَنَّ عَلَى سِرْبَالِهِ نَضْحُ جِرْيالِ

وكقول الآخر :

حُلْـوٌ شَمَائِلُـهُ تَنْـدَى أَنَامِلُــهُ   إنْ جـاء سائِلُـهُ أغنـاه نائِلُــهُ

حتى يروحَ لهُ ماشاءَ مِنْ مالِ

القسم الثانى : أن يصير كل بيت أربعة أقسام كقول جنوب الهُذَلِيّة :

وَجرْدٍ وَرَدْتَ ، وَثَغْرٍ سَدَدْتَ   وَعِلْجٍ شَدَدْتَ ، عَلَيْهِ الْحِمَالا

وَمَالٍ حَوَيْتَ ، وَخَيْلٍ حَمَيْتَ   وَضَيْفٍ قَرَيْتَ يَخَافُ الوَكَالا [٦]

---

(١) كذا فى (ط) . ولعلّ هنا سقطاً أو تحريفاً . وهذا التنظير من المؤلف بين مافى آيات القرآن وبين ما أطلق عليه النقاد « الشعر المسمّط » أجد له نبوة فى نفسى وعدم ارتياح ! .

(٢) المعيار : ١٠٠ ، وهذا الشعر ليس فى أصول ديوان امرىء القيس المخطوطة ، وذكره محققه الأستاذ محمد أبو الفضل فى ملحق الشعر المنسوب لامرىء القيس (ديوانه : ٤٧٥) وهو فى الصحاح للجوهرى مادة (سمط) منسوبا لامرىء القيس (١١٣٤/٣) . ونقل الزبيدى فى تاج العروس مادة سمط (١٦١/٥) عن الصاغانى أنّ هذا الشعر ليس فى شعر امرىء القيس ولا فى شعر من يقال له امرؤ القيس سواه .

(٣) (ط) (شقاشق) . وهو تصحيف .

(٤) (ط) : « الحرب » ويبدو أنه تحريف .

(٥) الصحاح والتاج : تحجل .

(٦) هذان البيتان من نفس وزن وقافية قصيدة جنوب الهذلية فى رثاء أخيها عمرو ذى الكلب فى شرح أشعار الهذليين : (٥٨٣/٣) التى مطلعها :

سألْتُ بعمــرو أخــى صَحْبَــهُ   فأفظعنـــــــى حين ردوا السؤالا =

٢٣١ / وقد أبدع الحريرى فى التوشيح [١] بقصيدته التى أولها [٢] :

خَلِّ ادِّكَارَ الأَرْبُعِ والمعهدِ المُرْتَبِعِ
والظاعنِ المُوَدِّعِ وَعَدٌ عنهُ وَدَعِ
وانْدُبْ زمانًا سَلَفَا سَوَّدْتَ فيه الصُّحُفَا
ولم تَزَل معتكفا على القبيحِ الشَّنِعِ

ومن بديع التسميط أيضًا قوله فى قصيدته التى يقول فيها [٣] :

وإنْ لاحَ لكَ النَّقْش مِنَ الأَصْفَرِ تَهْتَش
وإن مَرَّ بكَ النَّعْش تَغَامَمْتَ ولاَ غَم
ستُذْرى الدم لا الدَّمْع إذا عاينتَ لا جَمْع
يقى فى عَرْصَةِ الجَمْع ولا خالٌ ولا عَم

جعل قصيدته كلها على هذا المنوال .

* * *

= ولكنها ليست فيها . وذكر الأستاذ عبد الستار فراج فى تخريج أبيات هذه القصيدة أنّ فى كتاب الفاضل بعد البيت (١٩) من القصيدة خمسة أبيات . وساقها . والبيتان اللذان معنا منهما وروايتهما :

وخوفٍ وردت ، وثَغْرٍ سَدَدتَ ... عليه الحبالا
..... يخاف الاكالا

وانظر شرح أشعار الهذليين (١٤٤٤/٣) .

(١) كذا فى (ط) .

(٢) من المقامة الخمسين البصرية : ٥٩٦ ، وحدائق السحر : ١٦٣ ، والمعيار : ١٠١ .

(٣) من مقامته الحادية عشرة الساوية : ١٠١ - ١٠٢ .

القسم الرابع عشر

التجزىء (*)

وهو أن يكون الكلام مجزأ ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء (١) .

مثال الثلاثة أجزاء من الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ إنّا أعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر إنّ شانئك هو الأبتر ﴾ [سورة الكوثر : ١ - ٣] .

ومثال الأربعة قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام يعظ أباه بقوله : ﴿ يا أبت لم تعبدُ ما لا يسمعُ ولا يبصرُ ولا يُغنى عنك شيئًا يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدكَ صراطًا سويًا يا أبت لا تعبد الشيطانَ إن الشيطان كان للرحمن عَصيًّا يا أبت إنى أخافُ أن يمسكَ عذابٌ من الرحمنِ فتكون للشيطان وليًّا ﴾ [سورة مريم : ٤٢ - ٤٥] وفى القرآن منه كثير .

ومنه قول ابن المعتز فى الثلاثة :

عَجَبًا لمُنْصُلِكَ المُقَلَّدِ كَيْفَ لَمْ ... تَسِلِ الدّمَاءُ عَلَيْكَ مِنْهُ سُيُولا
لَكَ حُسْنُهُ مُتَقَلِّدًا وَبَهَاؤُهُ ... مُتَنَكِّبًا وَمَضاؤُهُ مَسْلُولاً

(*) بديع ابن منقذ : ٦٣ ، وتحرير التحبير : ٢٩٩ ، تحت عنوان (التجزئة) ويلاحظ هنا أن المؤلف متابع لابن أبى الإصبع فى تفرقته بين التسجيع والتسميط والتجزئة .

(١) هذا تعريف ابن منقذ : ٦٣ .

(٢) بديع ابن منقذ : ٦٣ دون عزو ، ولم أقع عليه فيه ديوان ابن المعتز .

ومثال الأربعة الأجزاء قول المتنبى :

فَنَحْنُ فِى جَذَلٍ والرُّومُ فِى وَجَلٍ   وَالْبَحْرُ فِى خَجَلٍ والبَرُّ فِى شُغُلِ [١]

ومنه قول ابن المقرى [٢] :

إِذَا صَلَدُوا أَوْرَى وَإِنَ عَجِلَوا ارتأَى   وَإِنْ بَخِلُوا أَعْطَى وَإِنْ غدَرُوا وَفَّى [٣]

فَلِلْجُودِ مَا أَبقَى [٤] وَلِلْمَجْدِ مَا اَبْتَنى   وَللنَّـاسِ مَـا أَبْـدَى وَللهِ مَـا أَخْفَـى

* * *

(١) ديوانه : ٢٠٤/٣ ، وبديع ابن منقذ : ٦٣ ، وتحرير التحبير : ٢٩٩ ، وروايه عجزه فى الديوان : (والبرُّ فى شغل والبحر فى خجل) والجذل : الفرح ، والوجل : الخوف . قال البرقوقى : يقول : نحن المسلمون فرحون بانتصاره ، والروم فى خوف منه لغاراته وغزوه ، والبر مشتغل بجيشه لا يتفرغ لغيره ، والبحر فى خجل من ندى يديه .

(٢) كذا فى (ط) ، وهو فى بديع ابن منقذ : ٦٤ منسوبا لابن هانىء المغربى . وهو فى ديوانه : ٢١١ فى مدح جعفر بن على المعروف بابن الأندلسية .

(٣) رواية الديوان : (إذا أصلدوا أورى) .

(٤) لفظ الديوان : (فللمجد .. وللجود ما اقتنى) .

فى التوشيح (*)

التوشيح أن تكون ذيول الأبيات ذات قافيتين على بحرين أو ضربين من بحر واحد فعلى أى القافيتين وقفت كان شعرًا مستقيمًا كقوله :

اسْلَمْ وَدُمْتَ عَلَى الْحَوادِثِ مَارِسَا رُكْنا ثَبِيرٍ ، أَوْ هِضَابُ حِرَاءِ
وَنَلِ المُرَادَ مُمَكَّنًا مِنْهُ عَلَى رَغْمِ الدُّهورِ ، وفُزْ بطولِ بقاءِ

قافيتهما على ثانى قافية من ثانى الكامل وعلى الأول من سادسه (١) .

(*) ما سيسوقه المؤلف من تعريف للتوشيح هو ماذهب إليه ابن الأثير فى الجامع الكبير : ٢٤٢ ، والمثل السائر : ٢١٦/٣ ، والزنجاني فى المعيار : ٩٩ . وهذا المعنى للتوشيح عندهم يخالف ما عليه الجمهور حيث التوشيح عندهم يساوى الإرصاد والتسهيم » (انظر نقد الشعر لقدامة : ١٦٨ ، والصناعتين : ٣٩٧ ، والعمدة : ٣١/٢ ، ٣٤ وتحرير التحبير : ٢٢٨ ، ٢٣١ ، وبديع القرآن : ٩٠ والبرهان للزركشى : ٩٥/١ ، ومعترك الأقران : ٤٩/١) وهو أن يكون أول البيت دالاً على قافيته ، حتى إنّ من يعرف قافية القصيدة التى منها البيت إذا سمع أول البيت استنبط منه قافيته وعرفها .

وهذا الذى أسماه ابن الأثير والزنجانى « التوشيح » وتابعهما ابن النقيب هو نفسه الفن المسمى بالتشريع ، والذى سماه ابن أبى الإصبع « التوأم » انظر تحرير التحبير : ٥٢٢ ، وبديع القرآن : ٢٣١ . وقد استجاد السيوطى هذه التسمية فى شرح عقود الجمان : ١٥٥ ، وذكر أن مبتدع هذا الفن الحريريّ .

(١) البيتان فى المثل السائر : ٢١٦/٣ ، والجامع الكبير : ٢٤٢ ، والمعيار : ٩٩ دون عزو ، وكان البيت الثانى فى (ط) : (ونل المراد منها ممكنا) . والتصويب عن ابن الأثير والزنجانى . والبيتان من الكامل التام ، وضربهما مقطوع علي (متفاعل) أى محذوف ساكن الوتد المجموع . وهو مايريده المؤلف بقوله (ثانى الكامل) . ويمكننا أن نقف فى هذين البيتين على قافية أخرى فنقول :

اسلـــــم ودمت علي الحوا دث مـــارسا ركنـــا ثبيـــرْ
ونـــــل المراد ممكنــــا منــه علي رغـــم الدهـــورْ

فيكون البيتان من مجزوء الكامل ، وضربهما (ركنا ثبير ، رغم الدهور) على متفاعلان ، أى دخله التذييل ، وهو زيادة ساكن على آخره ، وهو ما يريده المؤلف بقوله (سادس الكامل) .

(وأما ماهو من بحر واحد) [١] وقد يسمى هذا النوع المتلوّن ، وذكره الزنجانى وأنشد فيه :

أُبَنَيَّ لا تَظْلِمْ بِمَكَّةَ لا الصَّغِيرَ وَلا الْكَبِيرَ [٢]

وقال : إن قيدته كان من سابع الكامل وإن أطلقته كان من سادسه [٣] :

وهذا النوع فى القرآن العظيم ما يشبهه وهو ماورد فى الآيات من الوقف الكافى والتمام [٤] إن وقفت على الوقف الكافى كان حسنًا ، وإن وقفت على التمام كان أجود كقوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ [سورة البقرة : ٤] إن وقفت على « من قبلك » كان وقفًا حسنًا . وإن وقفت على « يوقنون » كان أحسن وهو تمام . وكذلك كل ما أشبهه .

* * *

---

(١) كذا في (ط) ، ولعل هنا سقطا .

(٢) العمدة : ١٤٧/١ ، والمعيار : ٩٨ .

وكان في ط (أبنى لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير ، ولا الفقير ولا البائس) وهذه الزيادة إثباتها يخل بموضع الشاهد . ولا أدرى ما أتى بها هنا - وهى ليست فى العمدة ولا المعيار .

(٣) أى إن أنشدنا البيت (ولا الكبير) مقيدا بإسكان الراء صار الضرب على (متفاعلان) فدخله التذييل وهو زيادة السكون على (متفاعلن) ، وهو مايريد بسادس الكامل ، وأما إن أنشدناه بالإطلاق فقلنا (ولا الكبيرا) صار الضرب على (متفاعلاتن) فدخله الترفيل وهو زيادة حركة وسكون على آخره وهو المراد بسابع الكامل .

(٤) الوقف التام : هو الذى يتم به المعنى ، ويكون غير متعلق بما بعده في المعنى . أما الوقف الكافى فهو الذى يكون له بما بعده تعلق في المعنى دون اللفظ . وإن كان التعلق في اللفظ فهو الوقف الحسن . والتعلق اللفظى هو أن يكون مابعده متعلقا بما قبله من جهة الإعراب كأن يكون صفة أو معطوفا بشرط أن يكون ماقبله كلاما تاما . وأما التعلق المعنوى فهو أن يكون تعلقه من جهة المعنى فقط دون شيء من تعلقات الإعراب . كالإخبار عن حال المؤمنين فى أول سورة البقرة مثلا فإنه لا يتم إلا إلى قوله تعالى (المفلحون) ، ثم أحوال الكافرين يتم عند قوله تعالى : (ولهم عذاب عظيم) ، ثم تمام أحوال المنافقين عند قوله : (إن الله على كل شيء قدير) حيث لم يبق لما بعده تعلق بما قبله لا لفظا ولا معنى .

وانظر المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية : ٥٨ ، ٥٩ .

ومن هنا يظهر أنّ المؤلف - رحمه الله - قد جانبه الصواب في تنظيره بين مافى القرآن من وقوف وبين باب التوشيح والمتلون : فالوقوف مرجعها إلى المعانى . أما هذا الباب من البديع الذى بين أيدينا فمرجعه إلى اللفظ وحسب ، وإلى تجميله وإظهار البراعة فى الصياغة ، ولا تعلق له البتة بجانب المعانى .

براعة المطلب (*) وحسن التوسل

وهو أن تكون ألفاظ المطلب مهذبة مقترنة بتعظيم الممدوح كقوله تعالى : ﴿ فتلقّى آدمُ من ربه كلماتٍ فتابَ عليه إنه هو التّوابُ الرحيمُ ﴾ [سورة البقرة : ٣٧] وكقوله تعالى فى قصة نوح عليه الصلاة والسلام : ﴿ إنّ ابنى من أهلى وإنّ وعدَكَ الحقُّ وأنتَ أحكمُ الحاكمين ﴾ [سورة هود : ٤٥] . وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ رَبَّنا إنى أسكنت ﴾ إلى قوله : ﴿ لعلهم يشكرون ﴾ (١) [سورة إبراهيم : ٣٧] . وقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ رب قد آتيتنى من الملك ﴾ إلى قوله (٢) ﴿ وألحقنى بالصالحين ﴾ [سورة يوسف : ١٠١] . وقوله تعالى حكاية عن هارون عليه السلام : ﴿ قال ابن أمّ إن القوم استضعفونى ﴾ إلى قوله ﴿ الظالمين ﴾ (٣)

(*) حدائق السحر تحت عنوان « حسن الطلب » ١٢٨ ، والمعيار : ١٣٤ .

وذكر السيوطى فى شرح عقود الجمان : ١٧٤ أن هذا الفن البديعى من مستخرجات الزنجانى ، والحق أنه مسبوق فى هذا بالوطواط فى حدائق السحر ونقله عنه الزنجانى . وهذا الفن جعله السيوطى قريبا من التخلص » . وانظر معترك الأقران : ٦٢/١ .

(١) قال تعالى : ﴿ ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٧] .

(٢) قال تعالى : ﴿ رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض أنت وليّى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلمًا وألحقنى بالصالحين ﴾ [سورة يوسف : ١٠١] .

(٣) قال تعالى : ﴿ قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٠] .

[سورة الأعراف : ١٥٠] وقوله تعالى حكاية عن يونس عليه الصلاة والسلام ﴿ فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٧] وقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ﴾ إلى قوله : ﴿ فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (١) [سورة المائدة : ١١٦ - ١١٨] وقوله تعالى : (فيما حكاه رسوله عليه الصلاة والسلام عن عباده المؤمنين) (٢) ﴿ إنّ فى خلق السموات والأرض ﴾ إلى قوله : ﴿ فاستجاب لهم ربهم ﴾ (٣) [سورة آل عمران : ١٩٠ - ١٩٥] .

وجاء من هذا النوع فى الشعر كثير . منه قول المتنبى :

وَفِى النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ ... سُكُوتِى بَيَانٌ عِنْدَها وَخِطَابُ (٤)

* * *

---

(١) يقول تعالى : ﴿ وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله . قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسى ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب . ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت علي كل شيء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [سورة المائدة : ١١٦ - ١١٨] .

(٢) كذا فى (ط) .

(٣) يقول تعالى : ﴿ إنّ فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ماوعدتنا علي رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٠ - ١٩٤] .

(٤) ديوانه : ٣٢٤/١ ، وحدائق السحر : ١٢٩ ، والمعيار : ١٣٥ . من قصيدته في مدح كافور .

القسم السابع عشر

المخالفة (*)

اعلم أن المخالفة هو [١] الخروج عن مذهب الشعراء وترك الاقتداء بآثارهم مثل / قول نُصَيْب [٢] : ٢٣٤

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْس ذَا ... وَقْتَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلامِ

وليس من المعهود رد المحبوب على عَقِبِهِ إذا زار [٣] . ومثل قول ابن عتيق [٤] :

جُعِلَ النَّدُّ والأَلُوَةُ والمِسْكُ أصيلاً لها على الكافور [٥]

(*) هذا القسم نقله المؤلف عن بديع بن منقذ : ١٦٥ . وهو ما أطلق عليه قدامة من قبل « مخالفة العرف » وجعله من عيوب المعانى . (انظر نقد الشعر : ٢١٥) .

وقد جانب التوفيق المؤلف في عقده هذا القسم في القسم الثاني الذى ترجع الفصاحة فيه للألفاظ والمتأمل في أمثلة المخالفة التي ساقها يجد أن الحكم بالرداءة والمخالفة راجع في المقام الأول لسبب معنوي ولا علاقة للألفاظ به البتة .

(١) كذا فى (ط) .

(٢) كذا فى (ط) وهو خطأ تابع فيه المؤلف ابن منقذ في بديعه : ١٦٥ ، والصواب أنه لجرير ابن عطية : ديوانه : ٤٥٢ (دار صادر) ، والموازنة للامدى : ١٨٧/٢ ، والصناعتين : ٣٠١ .

(٣) قال الآمدي : (وقد استجفى الناس قوله « فارجعى بسلام » وإنما قال هذا لأنه عاتب عليها ألا ترى إلى قوله بعد هذا .

لو كان عهدك كالذى عاهدتنا ... لوصلت ذاك فكان غير رمام

الموازنة : ١٨٧/٢ ، ١٨٨ .

(٤) كذا فى (ط) ، وما فى مطبوعة ابن منقذ : ١٦٥ أنه قول ابن قيس لأبى دهبل الجمحى ، وقد وقعت أخيرًا على نشرة أخرى من كتاب ابن منقذ بتحقيق عبدآ . : ٢٣٩ . وفيها أنه لعبد الرحمن ابن حسان ص ٢٣٩ .

(٥) مطبوعة ابن منقذ التى اعتمدت عليها : (تجعل الند واليلنجوج والمسك صلاء لها على الكافور ورواية النشرة الأخرى من كتاب ابن منقذ : ٢٣٩ (تجعل النّد والألو ، والمسك صلاها ..) .

ومعلوم أن الزَّنج – على نتن رائحتهم – لو تطيبوا ببعض هذا الطيب لطابت رائحتهم ، وإنما الحسن الجيد قول امرىء القيس :

أَلَمْ تَرَ أَنِّى كُلَّمَا جِئْتُ نَحْوَها وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ [١]

ومن ذلك قول امرىء القيس :

أَغَرَّكِ مِنِّى أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِى وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِى الْقَلْبَ يَفْعَلِ [٢]

وهذا مخالف للمعتاد لأن فيه توعدًا للمحبوب ، والمحب لا يتوعد محبوبه .

وكذلك قوله :

وَإِنْ تَكُ سَاءَتْكِ مِنِّى خَلِيقَةٌ فَسُلِّى ثيابى من ثِيابِكِ تَنْسُلِ [٣]

والقرآنُ العظيم كله مخالف لأساليب الشعر وقوانين النظم والنثر [٤] التي يستعملها الناظمون والناثرون . ولهذا قال الغِفَارِىُّ [٥] : « لقد عرضته على أقراء الشعر فلم يلتئم ؛ فإنه ليس بالشعر » .

* * *

---

(١) ديوانه : ٤١ ، الصناعتين : ١٠٣ ، وابن منقذ : ١٦٦ . ورواية الديوان وابن منقذ (ألم تربانى ... طارقا) ورواية الصناعتين : (ألم ترانى طارقا) .

(٢) ديوانه : ١٣ .

(٣) ديوانه : ١٣ وروايته (وإن كنت قد) قال شارحه : (معنى قوله (سلى ثيابى من ثيابك أى أخرجى أمرى من أمرك أى إن كان فى خلقى مالا ترتضينه فاقطعى أمرى من أمرك . ويقال : نسل الريش ينسل : إذا سقط) اهـ وذكر ابن منقذ أن المخالفة فى البيت للمعتاد أن « المحب لا يخير حبيبه بين فراق ووصال ». بديع ابن منقذ : ١٦٦ .

(٤) هذه مقولة حق لكن ليس – هنا – موضعها الملائم ، وإتيان المؤلف بها فى هذا الموضع لا يليق ؛ فالمخالفة التي عقد لها المؤلف هذا القسم شىء مستقبح عند نقاد الأدب ، وإتيانه بهذه المقولة فى حق القرآن عقب هذا الحديث قد يوحى أنّ مافى القرآن من المخالفة مثل هذه المخالفة . وتعالى كلام الله عن ذلك .

(٥) هو أُنَيْسٌ الغِفَارى أخو أبى ذر الغفارى وكان شاعرًا . ونَصُّ قوله فى صحيح مسلم (١٩٢٠/٤) ، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) – باب فضائل أبى ذر رضى الله عنه (٢٨) : « قال أُنَيْسٌ : لقد سمعت قول الكهنة . فما هو بقولهم . ولقد وضعت قوله على أَقْرَاء الشعر ، فما يلتئم على لسان أحد بعدى ؛ أنه شعر . والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون » وأقراء الشعر : أى طرقه وأنواعه .

القسم الثامن عشر

لزوم مالا يلزم (*)

ويسمى التضييق (١) والتشديد والإعنات

وهو التزام أن يكون ماقبل القافية حرفا معينا كما فى قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق ﴾ [سورة العلق : ١ - ٢] وقوله تعالى : ﴿ والطورِ وكتابٍ مسطور ﴾ [سورة الطور : ١ - ٢] وقوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ فما أنت بنعمةِ ربك بكاهنٍ ولا مجنونٍ أم يقولون شاعرٌ نَتَرَبَّصُ به رَيْبَ المنون ﴾ [سورة الطور : ٢٩ - ٣٠] وقوله تعالى : ﴿ فى / سِدْرٍ مخضودٍ وطَلْحٍ مَنْضودٍ ﴾ ٢٣٥ [سورة الواقعة : ٢٨ - ٢٩] وهو فى القرآن كثير . وجاء فى الحماسة (٢) :

إنّ التى زَعَمتْ فُؤَادَكَ مَلَّها ... خُلِقَتْ هَوَاكَ كَما خُلِقَتْ هَوىً لها

بَيْضَاءُ بَاكَرَها النَّعِيمُ فَصاغَهَا ... بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّها وَأَجَلَّها

(*) ذكره ابن المعتز في بديعه : ٧٤ « تحت اسم الإعنات » والزنجاني في المعيار : ٩٧ تحت اسم الإعنات أيضًا قال : (ويقال له التضييق والتشديد ولزوم مالا يلزم) ، والمثل السائر : ٢٨١/١ ، والجامع الكبير : ٢٦٥ ، واعتماد المؤلف الأكبر . هنا على المثل السائر . وذكره ابن أبي الاصبع تحت اسم (الالتزام) تحرير التحبير : ٥١٧ ، وبديع القرآن : ٢٢٧ .

(١) ورد هذا المصطلح « التضييق » عند ابن منقذ : ١٥٤ ، ١٥٥ . ولكنه لا يريد به لزوم مالا يلزم وقد عرفه بقوله : (هو أن يضيق اللفظ عن المعنى ، لكون المعنى أكثر من اللفظ) .

(٢) هى لعروة بن أُذَيْنَة ، ديوان الحماسة : ١٣/٢ ، والمثل السائر : ٢٨٥/١ ، ١٩٠ .
وأُذَيْنَة : لقب أبيه ، شاعر من شعراء المدينة المتقدمين ، عرف بالغزل وغلب عليه . وكان عالما ناسكا معدودوا في الفقهاء والمحدثين . عاش في العصر الأموي وتوفي في حدود الثلاثين ومائة .

حَجَبَتْ تَحِيَّتها فَقُلْتُ لِصَاحِبِى ... مَا كَانَ أَكْثَرها لَنَا وَأَقَلَّها
وَإِذَاوَجَدْتُ لها وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ ... شَفَعَ الضَّمِيرُ إلى الْفُؤَادِ فَسَلَّها

وكذلك قول كُثَيِّر عَزَّة فى أبيات له :

خليلىَّ هذا رَسْمُ عَزَّةَ فاعْقِلا ... قلوصَيْكُمَا ثُم انزلا حَيْثُ حَلَّتِ [1]
فَكَانَتْ لِقَطْعِ الْحَبْل بَيْنِى وَبَيْنَهَا ... كَنَاذِرَةٍ نَذْرًا فَأَوفَتْ وَحَلَّتِ [2]

وقول المعرى :

لا تَطْلُبَنَّ بِغَيْرِ جِدٍّ حَاجَةً ... قَلَمُ الْبَلِيغِ بِغَيْرِ جِدٍّ مِغْزَلُ
سَكَنَ السِّمَاكَانِ السَّمَاءَ كلاهما ... هَذَا لَهُ رُمْحٌ وَهَذَا أَعْزَلُ [3]

وفى هذا القرآن العظيم من هذا النوع كثير . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وجاءَت سَكْرَةُ الموتِ بالحقّ ذلك ما كنت منه تحيدُ ونُفِخَ فى الصُّور ذلك يومُ الوعيد ﴾ [سورة ق : ١٩] لزم الياء والدال فى أكثر هذه السورة . وقوله تعالى : ﴿ هلْ أتى على الإنسان حينٌ من الدّهرِ لم يكنْ شيئًا مذكورًا ﴾ إلى قوله : ﴿ يُفَجِّرونها تفجيرًا ﴾ [سورة الإنسان : ١ - ٦] التزام قافية توافق قافية [4] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أم أنا خيرٌ من هذا الذى هو مَهينٌ ولا يكادُ يُبين فلولا ألقى عليه أساوِرَةٌ من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين[5] ﴾ [سورة الزخرف : ٥٢ - ٥٣] والقرآن مشحون بهذا . وهذا النوع أتى فى القرآن عفوًا من غير قصد ، وربما وقع فى أقوال فصحاء العرب من غير قصد ، والمتأخرون يقصدون ذلك ويتكلفون فى استعماله

* ليس التَكَحُّلُ فى العينينِ كَالْكَحَلِ [6] *

---

(١) ديوانه : ٩٥ ، المثل السائر : ٢٨٦/١ وهو مطلع القصيدة .
(٢) ديوانه : ٩٧ ، وترتيبه التاسع من أبيات القصيدة .
(٣) البيتان في المثل السائر : ٢٨٣/١ . ورواية صدر الأول (لاتطلبن بآلة لك) .
(٤) كذا فى (ط) .
(٥) كان في (ط) : مقرنين وهو خطأ . و(أساورة) قراءة العشرة عدا حفصا ويعقوب فقرآ (أَسْوِرَة) (البدور الزاهرة : ٢٩٠) .
(٦) للمتنبى . ديوانه (٧٢/٢) .

القسم التاسع عشر

التفويف (*)

والمَفوَّف عند أرباب هذه الصناعة فيه قولان .

الأول : أن تكون ألفاظه سهلة / المخارج ، عليها رونق الفصاحة وبهجة ٢٣٦ الطلاوة ، وعذوبة الحلاوة ، مع الخلو من البشاعة ، مُلَطَّفَةً عند الطلب والسؤال ، مفخمةً عند الفخار والنزال . وإن كان شعرًا فليكن شعره سهل العروض ، وقوافيه عذبةَ المخارج سهلةَ الحروف ، ومعانيه مواجهةً للغرض المطلوب ، ظاهرةً منه حيث لا تحتاج إلى إعمال الفكر فى استنباط معانيه . فإذا كان كذلك يسمى مُفَوَّفًا بما تنوع من ألفاظه ومعانيه فأشبه البُرْدَ المفَوّف الذى فيه ألوان مختلفة وألوان متقابلة ، وأصل التفويف بياض يكون على الأظفار .

الثانى : المفوف من الكلام والشعر هو الذى يكون فيه التزامات لاتلزم تكتب بأصباغ مختلفة حتى يفطن للالتزامات التى جعلت عليه .

وعلى كلا القولين فالقرآن العزيز كله كذلك فإن كان التفويف بأصباغ مختلفة الألوان فتفويف القرآن العظيم مقاطع آياته وفواتحها وتحزيبه وتعشيره وأرباعه وأخماسه وأسباعه ، فإن العلماء رضى الله عنهم رخصوا بأن يكون ذلك بالحمرة أو الخضرة أو الصفرة أو بألوان مخالفة للون الحبر والمداد حتى يعلم أنها ليست من نفس القرآن فاستحبوا ذلك فإذا صار على هذه الصفة أشبه البرد المفَوّف بل أجل وأحسن وأبهى وألطفُ . وإن كان التفويف القول الأول فالقرآن العظيم كله كذلك أيضا فاعرف ذلك .

* * *

(*) التفريف – عقد له ابن أبي الإصبع بابا في تحرير التحبير : ٢٦٠ ، وبديع القرآن : ٩٨ وانظر معترك الأقران : ٣٩٤/١ . وقد خالف المؤلف عادته فلم يأت بأمثلة لهذا النوع .

القسم الموفى عشرين

التطريز (*)

قال علماء البيان : التطريز هو أن تأتى قبل القافية بسجعات متناسبة (١) فيبقى فى الأبيات أواخر الكلام كالطراز فى الثوب . ومنه قول الشاعر (٢) :

أُمسِى وأُصبِحُ مِنْ هِجْرَانِكُمْ دَنِفًا ... يرثى لِىَ المُشْفِقَانِ الأَهْلُ والْوَلَدُ
قَدْ خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدِّى من تَذَكُّرِكُمْ ... وَهَدَّنى المُضْنِيَانِ الشَّوْقُ والْكَمَدُ
كَأَنَّمَا مُهْجَتى شِلْوٌ بِمَسْبَعَــةٍ ... يَنْتَابُها الضَّارِيَانِ الذِّئْبُ وَالأَسَدُ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ خَفِىِّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِى ... فِدًى لك الفانيان الرُّوحُ والْجَسَدُ
إِنِّى لأَحْسُدُ فِى الْعُشَّاقِ مُصْطَبِرًا ... وَحَسْبُكَ الْقاتِلانِ الْحُبُّ والحَسَدُ

٢٣٧ / قال المصنف عفا الله عنه : هذا النوع استخرجه المتأخرون وليس فى شعر القدماء شىء منه ولا فى كلامهم . وقد استقريته من الكتاب العزيز وأشعار المولدين فوجدته على ثلاثة أقسام :

الأول : ماله عَلَمَان علمٌ من أوله وعَلَم من آخره .

الثانى : ماله عَلَمٌ من أوله .

الثالث : ماله عَلَمٌ من آخره .

(*) فى « التطريز » انظر الصناعتين : ٤٤٣ ، وبديع ابن منقذ : ٦٤ . وقد عقد ابن أبي الإصبع بابا للتطريز ولكنه يخالف ما معنا في هذا الباب (تحرير التحبير : ٣١٤) .

(١) عرفه العسكرى بأنه أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية فى الوزن فيكون فيها كالطراز فى الثوب ، (الصناعتين : ٤٤٣) .

(٢) الأبيات فى بديع ابن منقذ : ٦٥ ، وتحرير التحبير : ٣١٦ مع اختلاف طفيف فى اللفظ .

فأما الذى له علمان فكقوله تعالى : ﴿ ومن آياته أنْ خَلَقَ لكم من أنْفسِكُمْ أزواجًا لتسكنوا إليها وجَعَلَ بينكم موَدَّةً ورحمةً إنّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خَلْقُ السمواتِ والأرض واختلافُ ألسنتِكم وألوانِكم إنّ فى ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليلِ والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرقَ خَوْفًا وطَمَعًا ويُنَزِّلُ من السماء ماءً فيحيى به الأرضَ بعد موتها إنّ فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ [سورة الروم : ٢١ - ٢٤] . ومنه فى الشعر قول بعضهم من أبيات :

وَالْمُسْعِدَانِ عَلَيْها الصَّبْرُ وَالْجَلَدُ أَفْنَاهُمَا الْخَاذِلانِ الْوَجْدُ والْكَمَدُ
وَالْعَاذِلان عليها رَدَّ عَذْلَهمـا فِى حُبِّها الْعَاذِرَانِ الْحُسْنُ والْجَيَدُ
وَالْبَاقِيَانِ هَوَاهَا والغَرَامُ بِهَا فِداهُما الذَّاهِبَان الرُّوحُ وَالْجَسَدُ

ومنه قوله تعالى : ﴿ أمَّنْ خلقَ السمواتِ والأرضَ وأنزل لكم من السماءِ ماءً فأنبتنا به حدائقَ ذاتَ بهجةٍ ما كان لكم أن تُنْبِتوا شَجَرَها أَإِلَهٌ مع الله بل هم قومٌ يعدِلون . أمَّنْ جَعَلَ الأرضَ قَرَارًا وجعل خِلالها أنهارًا وَجَعَلَ لها رَوَاسِىَ وجَعَلَ بين البحرين حاجِزًا أَإِلَهٌ معَ اللهِ بلْ أكثرُهم لا يعلمونَ . أمَّنْ يجيب المضْطَرَّ إذا دعاه ويَكْشِفُ السوءَ ويجعلُكم خُلفاءَ الأرضِ أَإِلَهٌ مع الله قليلا ما تَذَكَّرون . أمَّن يهديكم فى ظُلُماتِ البَرِّ والبحرِ ومَنْ يُرْسِلُ الرياحَ نشرًا [١] بين يَدَىْ رحمته أَإِلَهٌ مع الله تعالى الله عمّا يُشركون . أمَّنْ يَبدأُ الخلقَ ثم يُعيدُه ومَنْ يرْزُقُكُمْ منَ السَّماءِ والأرضِ أَإِلَهٌ مع الله قلْ هاتوا بُرهانَكم إنْ كنتم صادقين ﴾ [سورة النمل : ٦٠ - ٦٤] .

وأما الذى طرازه من أوله فمنه فى القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ هو الله الذى لا إلهَ إلاّ هوَ عالمُ الغيبِ والشهادة هو الرّحمنُ الرّحيمُ هُوَ الله

---

(١) قرأ المدنيان والمكي والبصريان بالنون مضمومة مع ضم الشين وابن عامر بالنون مضمومة مع إسكان الشين . وحمزة والكسائي وخلف بالنون مفتوحة مع إسكان الشين . وعاصم وحده بالباء الموحدة المضمومة مع إسكان الشين . (البدور الزاهرة : ٢٢٧ ، ٢٣٧) .

الذى لا إله إلاّ هو الملكُ القدّوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبارُ المتكبّرُ سبحان الله عما يشركونَ . هو اللهُ الخالقُ البارىءُ المصوّر له الأسماءُ الحسنى يسبّحُ له مافى السموات والأرضِ وهوَ العزيزُ الحكيم ﴾ [سورة الحشر : ٢٢ - ٢٤] . / ٢٣٨

وهذا النوع قد ورد فيه من أشعار المتقدمين والمتأخرين فمن ذلك قول البحترى [(١)] :

تَعْلُوا الوفُودَ ثَلاثَةٌ فِى أَرْضِهِ ... إِفْضَالُـهُ وَجَـدَاهُ والإِنْعَـامُ
وَثَلاثَةٌ تَغْشَاكَ مَهْمَا زُرْتَـهُ ... إِرْفَـادُهُ والمَـنُّ والإِكْـرَامُ
وَثَلاثَةٌ قَدْ جَانَبَتْ أَخْلاقَـهُ ... قَوْلُ الْبَذَا والزّورُ والآثَـامُ
وَثَلاثَةٌ فِى الغُرِّ مِنْ أَفْعَالِهِ ... تَدْبِيـرُهُ وَالنَّـقْضُ وَالإِبْـرَامُ

وأما الذى عَلَمُه من آخره ففي القرآن منه كثير فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الإنسانَ من صَلْصالٍ كالفَخّار وخَلَقَ الجانَّ من مارجٍ من نار فبأى آلاء ربكما تُكَذّبانِ ربّ المشرقين وربّ المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ [سورة الرحمن : ١٤ - ١٨] إلى آخر السورة . ومنه قوله تعالى : ﴿ فكيف كان عذابى ونذر إنا أرسلنا عليهم ريحًا صرْصرًا ﴾ [سورة القمر : ١٨ - ١٩] إلى آخر السورة . ومن ذلك فى المرسلات قوله تعالى : ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ [(٢)] إلى آخر السورة .

* * *

(١) من قصيدته في مدح أحمد بن ابراهيم ، ديوانه ٤/٢١١٢ ، وبديع ابن منقذ : ٦٨ مع تفاوت طفيف بينهما في الرواية .

(٢) تكررت عشر مرات في السورة في الآيات : ١٥ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ .

القسم الحادي والعشرون

ما يقرأ من الجهتين (*)

مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحون ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٣ ، وسورة يس : ٤٠] . وقوله تعالى : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [سورة المدثر : ٣] وأرباب علم البيان يسمون هذا النوع العكس والتقليب (١) وهو عندهم على أربعة أنواع (٢) :

الأول : قلب البعض ، وهو أن تقلب حروف الكلمة (٣) وهو كقوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا (٤) » ومنه قول الحريرى :

لَجَوْبُ البلاد مَعَ المَتْرَبـه أَحَبُّ إِلَـىَّ مِـنَ المَرْتَبَـه

الثانى : مقلوب الكل كقولهم : « كفهُ بحر وجنابه رحب » .

(*) هذا الفن ذكره الوطواط في حدائق السحر تحت عنوان « المقلوبات » : ١٠٧ ، والرازى فى نهاية الإيجاز بعنوان : القلب : ١٤٠ ، والزنجانى تحت العكس والتبديل في المعيار ١٥٧ . وجعله ابن الأثير من أقسام التجنيس في الجامع الكبير : ٢٦١ ، وعَنْوَنَ له بالمعكوس ، وجعله في المثل السائر مما يشبه التجنيس : ٢٧٣/١ .

(١) انظر ماسبق في ضبط المصطلح .

(٢) هذه القسمة عند الوطواط في حدائق السحر : ١٠٧ ومعظم أمثلتها فيه .

(٣) كذا في (طَ) ولعل هنا سقطا ، وتعريف هذا القسم عند الوطواط : (أن توجد في النظم أو النثر كلمتان أو أكثر يكون فيهما تقديم أو تأخير في بعض الحروف بحيث لا يشمل ذلك الاختلاف الحروف كلها) حدائق السحر : ١٠٨ .

(٤) سبق .

الثالث المجنّح : وهو أن يقع مقلوب الكل فى جناح البيت أو جناحى المصراع كقوله :

٢٣٩ / لاحَ أنوار الـذى   من كفه في كّل حال

الرابع : المسوّى ، وهو أن يقرأ طردًا وعكسا من الجهتين ومنه الكلمتان فى الآيتين المتقدمتين . ومنه قول الحريرى :

أُسْ أَرْمَـــلاً إِذَا عَـــرَا   وَارْعَ إِذَا الْمَرْءُ أَسَا [(١)]

الأبيات . ومنه قول الآخر :

أَرَاهُـنّ نَادَمْتَـهُ لَيْـلَ لَهْـوٍ   وَهَلْ لَيْلُهُـنّ مُـدَانٍ نَهَـارَا

ومن أنواع هذا الباب ما إذا انعكست الكلمات يخرج منها كلام صحيح كالرسالة المشتملة على مائتى كلمة للحريرى فى المقامة القهقرية [(٢)] التي أولها . « الإنسان صنيعة الإحسان » ، إلى أن ختم بقوله : « الأحرار عند الأسرار » .

ومن هذا النوع أيضا ما تقلب فيه الألفاظ بطريق العكس لتفيد معنى آخر كقولهم « كلام الملوك ملوك الكلام ، وعادات الأشراف أشراف العادات » .

* * *

---

(١) المقامة السادسة عشرة المغربية : ١٥٤ ، وأس : بضم الهمزة من الأوس وهو الإعطاء . والأرمل : الفقير ، إذا عرا : أى أتى طالبا للرفد ، و(أسا) من الإساءة .

(٢) هى المقامة السابعة عشرة .

القسم الثانى والعشرون

رد العجز على الصدر ويسمى التصدير (*)

وهو أيضًا من ضروب البيان وفنون التلعب باللسان . ومنه قوله تعالى : ﴿ فما كان لشركائهم فلا يصلُ إلى اللهِ وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ﴾ [سورة الأنعام : ١٣٦] ومنه قولهم : « القتل أنفى للقتل » . ومنه قول بعض البلغاء . « الحيلة ترك الحيلة » . ومنه قول الشاعر :

تَسِيرُ النُّجُومُ الدَّائِرَاتُ بِحُكْمِـهِ ... وَذَاكَ إِذَا عُـدَّتْ عُـلاهُ يَسِيـرُ

وقول الآخر :

لَقَدْ حَازَ أَنْوَاعَ الْفَضَائِلِ كُلَّهَـا ... وَأَمْسَى وَحِيدًا فِى فُنُونِ الْفَضَائِلِ

وقول الآخر :

سَأَلْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَظَّ مُمَلَّكٍ ... فَشَحَّتْ ، وجادتْ لِى بِحَظٍّ أَدِيب

* * *

(*) انظر بديع ابن المعتز : ٤٧ ، والصناعتين : ٤٠٠ ، ونهاية الإيجاز : ١٣٤ ، والمعيار : ٨٨ ، وتحرير التحبير : ١١٦ ، وبديع القرآن : ٣٦ . وتسمية ابن المعتز (ردُ أعجاز الكلام على ما تقدمها) ، ومصطلح أبى هلال والرازى والزنجانى وابن أبى الإصبع (رد العجز على الصدر) . أما (التصدير) فهى تسمية الحاتمى فى حلية المحاضرة : ف ٥٥ ، وتبعه عليها ابن رشيق فى العمدة : ٣/٢ . وفرّق بين التصدير والترديد فجعل التصدير مخصوصًا بالقوافى ترد على الصدور ، والترديد يقع فى أضعاف البيت . وذكره ابن منقذ باسم « الترديد » وجعله و « التصدير » شيئًا واحدًا (بديع ابن منقذ : ٥١) . وفرّق ابن أبى الإصبع بين التوشيح وبين التصدير رغم اشتراكهما فى دلالة الصدر على العجز بأن دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوية (انظر تحرير التحبير : ٢٣١) مع ملاحظة اختلاف معنى « التوشيح » عند ابن أبى الإصبع عنه عند ابن النقيب . وانظر ماسبق فى ضبط مصطلح « التوشيح » .

/ فصل

ومن هذا الضرب التجنيس (*)

وهو عند أكثر علماء علم البيان على قسمين : تجنيس حقيقى ومشبه بالتجنيس (١) .

أما التجنيس الحقيقى فهو أن تأتى بكلمتين كل واحدة منهما موافقة للأخرى فى الحروف مغايرة لها فى المعنى .ولم يرد ذلك فى الكتاب العزيز إلا فى آية واحدة وهى قوله تعالى : ﴿ ويومَ تقومُ الساعةُ يُقْسِمُ المجرمون مالبثوا غَيْرَ ساعةٍ ﴾ [سورة الروم : ٥٥] .

(*) هذا تصرفٌ غريب من الشيخ ابن النقيب – رحمه الله – أن يجعل « التجنيس » فرعًا ، و« رد العجز على الصدر » أصلاً له وضربًا من ضروب الفصاحة . وقد تعاقب أئمة البلاغة والبيان على إفراد التجنيس برأسه ، حتى ألفوا فيه كتبًا مستقلة كفعل السيوطى مثلاً والصفدى . وقد جعله ابن المعتز من أصول البديع التى ذكرها وهى الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، ورد الأعجاز على الصدور ، والمذهب الكلامى (بديعه : ٢٥) . وقال فيه ابن الأثير : (اعلم أن التجنيس غرة شادخة فى وجه الكلام . وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغرّبوا وشرّقوا ، ولاسيما المحدثين منهم من صنف للناس فيه كتبًا كثيرة وجعلوه أبوابًا متعددة ..) الجامع الكبير : ٢٥٦ ، والمثل السائر : ٢٦٢/١ . وقد سبقت مقالة ابن الأثير فى رفض أن يكون « رد الأعجاز على الصدور » بابًا مستقلاً ، ورأيه أنه من أقسام التجنيس ، فأن يأتى الشيخ ابن النقيب ويخالف هذا الإجماع ويجعل التجنيس فرعًا على ردّ الأعجاز على الصدور ، ولا يفرده بقسم خاص هذا مسلك منه غريب !! وانظر فى التجنيس : حلية المحاضرة : ف ٢٤ ، والصناعتين : ٣٣٠ وبديع ابن منقذ : ١٢ ، وحدائق السحر : ٩٤ ، ونهاية الإيجاز : ١٢٦ ، والمعيار : ٧٣ ، وتحرير التحبير : ١٠٢ ، وبديع القرآن : ٢٧ .

وقد سبق فى قسم المطابقة أن قدامة بن جعفر يطلق على هذا الفن « المطابق » وعلى المطابق « المجانس » .

(١) هذه قسمة ابن الأثير فى المثل السائر : ٢٦٢/١ . إلا أن ما أشبه التجنيس لم يلتزم فيه المؤلف بقسمة ابن الأثير .

وأما المشبه بالتجنيس فكثير . وقد احتوى الكتاب العزيز منها على اللباب ، وأتى منها بالعجب العجاب ، **وهو على ضروب** :

الأول : التجنيس المماثل [(١)] وهو أن يكون من اسمين أو فعلين مثل قوله تعالى : ﴿ يا أَسَفَى على يُوسُفَ وابْيَضَّتْ عيناهُ من الحزن فهو كظيم ﴾ [سورة يوسف : ٨٤] وقوله تعالى : ﴿ الخبيثاتُ للخبيثين والخبيثونَ للخبيثات والطيباتُ للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ [سورة النور : ٢٦] وقوله تعالى : ﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلاً ولَلَبَسْنا عليهم مايَلْبِسونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٩] وقوله تعالى : ﴿ ماهذا إلا بشرٌ مِثْلُكم يَأْكُلُ مما تأكلون منه ويشرَبُ مما تشرَبون ﴾ [سورة المؤمنون : ٣٣] .

الثانى : التجنيس المغاير [(٢)] : وهو يكون من اسم وفعل . ومنه قوله تعالى : ﴿ وأسلمت مع سليمانَ للهِ رب العالمين ﴾ [سورة النمل : ٤٤] وقوله تعالى : ﴿ أزِفت الآزِفة ﴾ [سورة النجم : ٥٧] وقوله تعالى : ﴿ فطاف عليها طائفٌ من ربِّك ﴾ [سورة القلم : ١٩] وفى القرآن منه كثير .

وقد جمع بعض الشعراء فى أبيات نذكرها فى آخر هذا الفصل فيها أجناس من التجنيس [(٣)] .

الثالث : تجنيس التصحيف وهو أن يكون النَّقْط [(٤)] فرقًا بين الكلمتين . ومنه قوله تعالى : ﴿ وهم يحسبون أنهم يُحسنونَ صُنعًا ﴾ [سورة الكهف : ١٠٤] ومنه قول الشاعر :

القَابِضُونَ عَلَى الْعُلْيَا بِكَفِّهِمُ ... وَالقابصون مِنَ الدُّنْيا بأَطْرَافِ
المُحْسِبُون إذا جدّ الفخارُ بِهِمْ ... والمُحْسِنُون إِذَا سُئِلُوا بِإِلْحَافِ

---

(١) انظر تحرير التحبير : ١٠٥ ، وبديع ابن منقذ : ١٤ .

(٢) بديع ابن منقذ ١٢ ، وتحرير التحبير : ١٠٣ .

(٣) هذه العبارة كذا فى (ط) .

(٤) (ط) : (اللفظ) وهو تحريف . وانظر بديع ابن منقذ : ١٧ ، والمعيار : ٧٧ ، وتحرير التحبير : ١٠٥ ، والبحر المحيط : ١٦٧/٦ ، ومعترك الأقران : ٤٠٠/١ ويسمى جناس الخط .

الرابع : تجنيس التصريف [١] : وهو أن يكون الحرف فرقًا بين الكلمتين . ومنه قوله تعالى : ﴿ وهم يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عنه ﴾ [سورة الأنعام : ٢٦] وقوله تعالى : ﴿ فلا أُقسِمُ بالخُنَّس الجَوَارِ الْكُنَّس ﴾ [سورة التكوير : ١٥ - ١٦] .

الخامس : تجنيس التشكيل [٢] : وهو أن يكون الشكل فرقًا بين الكلمتين . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا فيهِمْ مُنْذِرينَ فانْظُرْ كيف كان عاقبةُ المنذَرين ﴾ [سورة الصافات : ٧٢ - ٧٣] وقوله / تعالى : ﴿ ألم يكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَى ثم كان عَلَقةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾ [سورة القيامة : ٣٧] . ومنه قول بعضهم [٣] : ٢٤١

أَأَنْتُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّنِى غَيْرُ عَـاشِقٍ ... وَأَنِّى لا أُعْنَـأُ بَيْـنَ مُفَارِقِـى

فَلِمْ قَرِحَتْ يومَ الوَدَاعِ مَدامِعِى ... وَلِمْ شَابَ مِنْ هَوْلِ الْفِرَاقِ مَفَارِقِى

وهذه أبيات جمعت فيها أجناس من التجنيس التى تقدم ذكرها وهى [٤] :

رُبَّ خَوْدٍ عَرَفْتُ فِى عَرَفَـاتٍ ... سَلَبَتْنِـى بِحُسْنِهـا حَسَنَاتِـى

وَرَمَتْ بِالْجِمَار حَبَّةَ [٥] قَلْبِـى ... أَىُّ قَلْبٍ يَقْوَى عَلَى الْجَمَرَاتِ

وَأَفَاضَتْ مَعَ الْحَجِيجِ فَفَاضَتْ ... مِنْ دُمُوعِى سَوابِقُ العَبَـرَاتِ [٦]

حَرَّمَتْ حِينَ أَحْرَمَتْ نَوْمَ عَيْنِى ... وَاسْتَبَاحَتْ حِمَـاىَ باللَّحَظَـاتِ

لَمْ أَنَلْ فى [٧] مِنى مُنَى النَّفْسِ لكِنْ ... خِفْتُ بِالْخِيفِ أَنْ تَكُونَ وَفَاتِى

---

(١) (ط) : (التحريف) وهو خطأ . وانظر بديع ابن منقذ : ٢٢ ، وتحرير التحبير : ١٠٧ ، وبديع القرآن : ٢٩ .

(٢) سماه ابن منقذ وابن أبى الإصبع (تجنيس التحريف) . انظر ابن منقذ : ٢٠ ، وتحرير التحبير : ١٠٦ .

(٣) البيتان فى بديع ابن منقذ : ٢١ دون نسبة .

(٤) الأبيات فى بديع ابن منقذ : ١٤ دون عزو .

(٥) ابن منقذ (جمرة قلبى) .

(٦) هذا البيت مكانه بعد البيت التالى : « حرمت حين » عند ابن منقذ .

(٧) ابن منقذ : من .

فقوله : « عَرفت فى عرفات » تجنيس مغاير ، وقوله : « سلبتنى بحسنها حسناتى » مماثل ، وكذلك : « وأفاضت ففاضت » ، وكذلك : « حرّمت وأحرمت » ، وكذلك : « بالجمار والجمرات » ، وقوله : « لم أنل فى مِنَى مُنى النفس » ، تجنيس التشكيل ، وقوله : « خفت بالخيف » تجنيس مغاير .

السادس : تجنيس العكس : وهو أن تكون حروف الكلمتين غير مرتبة [(١)] . مثاله من القرآن قوله تعالى : ﴿ إنى خشيت [(٢)] أن تقول فَرَّقْتَ بين بنى إسرائيلَ ولم تَرْقُبْ قولى ﴾ [سورة طه : ٩٤] . وقد جاء فى الشعر أن يقدم حرفًا فى كلمة ويؤخره فى أخرى . ومنه قول حسان [(٣)] فى مدح النبى ﷺ :

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الأَدْمَاءُ مُعْتَجِـرًا ... بِالبُرْدِ كَالْبَدْرِ غَشَّى نورُهُ الظُّلَمَا

السابع : تجنيس التركيب : وهو أن يجمع بين اسمين أواسم وفعل ، ثم يجعلهما كالكلمة الواحدة [(٤)] . مثال الاسم مع الاسم « بعل بك » . و« معدى كرب » . ومثال الفعل مع الاسم « حضرموت ورامَ ، هُرمز » . وقد جاء فى القرآن العظيم [(٥)] : ﴿ ألم تَرَ كيفَ فَعَلَ ربُّك بعادٍ إِرَمَ ذاتِ الْعِماد ﴾ [سورة الفجر : ٦ - ٧] وفى الشعر كثير . من ذلك قول بعضهم [(٦)] :

---

(١) تعريف ابن أبى الإصبع أوضح حيث عرّفه بأنه (أن تكون إحدى الكلمتين عكس الأخرى بتقديم بعض حروفها على بعض) تحرير التحبير : ١٠٨ .

(٢) (ط) : « أخاف » وهو وهم . والشاهد فى الآية قوله (بين بنى) ، حيث (بنى) معكوس (بين) .

(٣) فى بديع ابن منقذ : ٣٠ ، وتحرير التحبير : ١٠٨ أنه من قول عبد الله بن رواحة ، وفى العمدة ١٣٦/٢ أنه لكعب بن زهير . وهو ليس فى ديوان كعب الذى بين أيدينا ، ولا فى ديوان حسّان . وهو فى ديوان الحماسة ٢٨٤/٢ منسوبًا لأبى دَهْبل الْجُمَحى . ورواية عجزه فيه : (كالبدر جَلَّى ليلةَ الظُّلَم) وأبو دَهْبَل كنيته ، واسمه وهب بن زمعة ، شاعر مجيد أدرك خلافة على بن أبى طالب وامتدت حياته حتى خلافة الوليد بن يزيد .

(٤) ابن منقذ : ٣٣ ، وتحرير التحبير : ١٠٩ . قال ابن أبى الإصبع : وهو أن تركب كلمة من كلمتين ليماثل بها كلمة مفردة فى الهجاء واللفظ . وهو قسمان : قسم تتشابه الكلمتان فيه لفظًا وخطًا وقسم يتشابهان فيه لفظًا لاخطًا) .

(٥) لا أدرى أين تجنيس التركيب هنا .

(٦) فى بديع ابن منقذ : ٣٥ منسوبًا لوجيه الدولة مع تفاوت طفيف فى اللفظ لعله تصحيف . والبيتان ليسا فى ديوانه المطبوع .

إِنَّ أَسْيَافَنَا الْغِضَابَ [١] الدَّوَامِي جَعَلَتْ مُلْكَنَا مَدِيدَ الدَّوَامِ
بِاقْتِسَامِ الأَمْوَالِ مِنْ وَقْتِ سَامٍ وَاقْتِحَامِ الأَهْوَالِ مِنْ وَقْتِ حَامٍ [٢]

٢٤٢
/ ومنه :
بِأَبِى غَزَالٌ نَامَ عَنْ وَصَبَى بِهِ وَسُجُومِ دَمْعِى فِى الْهَوَى وَصَبِيبِهِ [٣]

ومنه قول المتنبى [٤] :

وشادنٍ قلتُ له هلْ لك فى المنادَمَهْ
فقال كم من عاشقٍ سَفكتُ بالمنى دَمَهْ

ومنه فى الشعر كثير .

الثامن : تجنيس التصريف [٥] : وهو أن تنفرد إحدى الكلمتين عن الأخرى بحرف مثل قوله تعالى : ﴿ ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾ [سورة غافر : ٧٥] ومثل قوله تعالى : ﴿ لنكوننَّ أهدى من إحدى الأمم ﴾ [سورة فاطر : ٤٢] ومنه قوله ﷺ : « الخيل معقود فى نواصيها الخير [٦] » ومنه قول الأعشى :

---

(١) لعل صوابها (العضاب) بالعين المهملة . والعضب : هو السيف القاطع . والجمع : عضاب .

(٢) الشاهد هنا فى قوله (باقتسام) ، و (وقت سام) ، و(اقتحام) ، و(وقت حام) .

(٣) البيت ملفق من بيتين فى بديع ابن منقذ : ٣٦ . وقد عزاهما للباخرزى وهما :

بأبى غُزال نام عن وصبى به وخفوق قلبى نحوه وصبيبه
باليته يُحنى على ولهى به وسجوم دمعى فى الهوى ولهيبه

والشاهد فى (وصبى به) ، و(صبيبه) وفى (ولهى به) ، و(ولهيبه) .

(٤) كذا فى (ط) ، ولم أجده فى ديوان المتنبى أو زياداته للميمنى . والبيتان عزاهما الثعالبى فى يتيمة الدهر : (٤٢٧/٤) إلى أبى سعيد عبد الرحمن بن محمد دُرَسْت ، وهما له فى فوات الوفيات لابن شاكر : ٥٤٩/١ ، وأنوار الربيع لابن معصوم : ١٠٨/١ – ١٠٩ . وابن دُرَسْت : بضم الدال وفتح الواو وسكون السين بعدها تاء – هكذا ضبطه الشيخ محيى الدين عبد الحميد فى تعليقه على فوات الوفيات . وهو أحد أعيان الأئمة بخراسان أقرأ الناس الأدب والنحو . أخذ اللغة عن الجوهرى ، وعنه أخذ الواحدى . وتوفى ٤٣١ هـ .

(٥) هذا القسم هو بعينه القسم الرابع الذى سبق .

(٦) سبق فى قسم السهل الممتنع .

وَرَأَيْتُ أَنَّ الشَّيْبَ خَانَتْهُ الْبَشَاشَةُ والْبَشَارَة (١)

التاسع : تجنيس الترجيع (٢) : وهو أن ترجع الكلمة بذاتها كما قال الله عز وجل : ﴿ لقد أرسلنا رُسُلَنا بالبينات ﴾ [سورة الحديد : ٢٥] ومنه قوله عز وجل : ﴿ إن ربهم بهم يومئذٍ لخبيرٌ ﴾ [سورة العاديات : ١١] وقوله تعالى : ﴿ ولكنّا كنّا مرسلين ﴾ (٣) . [سورة القصص : ٤٥] ومنه قول الشاعر :

وما مُنِعَتْ دَارٌ وَلا عَزَّ أَهْلُهَا مِنَ النَّاسِ إلا بِالْقَنَا وَالْقَنَابِلِ (٤)

وقال المخبل (٥) :

فَأَتَتْ عليهِ ومَالَهُ من مالِهِ مما أفاءَ ولا أفادَ عَنَاقُ

وقال آخر (٦) :

عَذِيرِىَ مِنْ دَهْرٍ مُوارٍ مُوارِبِ لَهُ حَسَنَاتٌ كُلُّهُنَّ ذُنُوبُ

ولأبى تمام :

يَمُدُّونَ مِنْ أَيدٍ عَواصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ (٧)

* * *

(١) كذا فى (ط) ، وما فى ديوان الأعشى : ٢٠ ، (ورأت بأن الشيب جانبه) ، والضمير فى « رأت » يعود على ذكر الحبيبة فى الأبيات قبله ، بديع ابن منقذ : ٢٢ . والبَشارة : بالفتح الجمال .

(٢) ابن منقذ : ٢٦ .

(٣) أورد ابن أبى الإصبع الآية مثالاً لتجنيس التحريف .

(٤) بديع ابن منقذ : ٢٦ ، وعزاه إلى بعض العرب .

(٥) هو ربيع بن مالك من بنى أنف الناقة شاعر مخضرم ، مات فى خلافة عمر أو عثمان رضى الله عنهما .

(٦) هو أبو هلال العسكرى . الصناعتين : ٣٤٣ ، وبديع ابن منقذ : ٢٧ غير منسوب .

(٧) سبق فى قسم التذييل .

٢٤٣ / القسم الثالث والعشرون

التسهيم (*)

وهو أن يكون فى القافية مايدل علي الكلام ، أو فى الكلام مايدل على القافية كقول أبى حَيَّة (١) :

إِذَا مَا تَقَاضِى الْمَرْءَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ   تَقَاضَاهُ دَهْرٌ لا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا (٢)

ومثله :

فَلَيْسَ الَّذِى حَلَّلْتِهِ بِمحلَّلِ   وليس الذى حَرَّمْتِه بمحرّمِ (٣)

ومثله :

هى الدُّرُّ مَنْثُورًا إِذَا مَا تَكَلَّمَتْ   وَكَالدُّرِّ مَنْظُومًا إِذَا لَمْ تَكَلَّمِ (٤)

* * *

(*) كان فى (ط) : (التسهيل) باللام ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبت . انظر العمدة : ٣١/٢ ، وبديع ابن منقذ : ١٢٧ ، والمعيار : ١٤٨ ، وتحرير التحبير : ٢٦٣ ، وبديع القرآن : ١٠٠ .

وهذا النوع من البديع هو ماسماه قدامة وأبو هلال « التوشيح » (انظر نقد الشعر : ١٦٨ ، والصناعتين : ٣٩٧ . وذكر الحاتمى أن الذى اخترع هذه التسمية على بن هارون المنجم ، حلية المحاضرة : ف ٣٩ . وذكر ذلك ابن رشيق (العمدة ٣١/٢) . وانظر تفرقة ابن أبى الإصبع بين التسهيم والتوشيح فى تحرير التحبير : ٢٦٧ . وما سبق فى ضبط مصطلح « التوشيح » .

(١) هو أبو حيّة النُّميرى واسمه الهيثم بن الربيع من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية .

(٢) البيان والتبيين : ٢٢٩/٢ . ودلائل الإعجاز : ٤٨ .

(٣) كذا فى (ط) : « بمحرم » ، والصواب « بحرام » . كما فى ديوان البحترى : ١٩٩٧/٣ ، والصناعتين : ٣٩٨ ، والجامع الكبير : ٢٣٩ ، والمعيار : ١٤٨ ، وتحرير التحبير : ٢٦٦ .

(٤) بديع ابن منقذ : ١٢٧ . ولفظه (هو الدر) .

القسم الرابع والعشرون

الاتفاق والاطراد (*)

وهو أن يوفق شيئًا لا يتفق عاجلاً مثل قول أبى تمام فى الغزل :

لِسَلْمَى سُلامَانٍ وَعمْرَةِ عامـرٍ وَهِنْدِ بنى هِنْدٍ وَسُعْدَى بنى سَعْدِ (١)

وقوله أيضًا يصف حصانًا :

بِحَوافِـرٍ حُفْـــرٍ وصُلْبٍ صُلَّبٍ وَمَشَاعِرٍ شُعْرٍ وَخَلْقٍ أَخْلَـقِ (٢)

ومن ذلك أيضًا :

وَحَمْدانُ حَمْدونٌ وَحَمْدانُ حَارِثٌ وَحَارِثُ لُقْمَانٌ وَلُقْمَانُ راشِدُ (٣)

وهذه كلها تعسفات ليس فى القرآن العظيم منها شيء (٤) .

* * *

(*) هذا القسم نقله المؤلف عن بديع ابن منقذ : ٨٧ ، وانظر باب الاتفاق فى تحرير التحبير : ٥٠٣ .

(١) ديوانه (١١٨/٢) تبريزى ، وبديع ابن منقذ : ٨٨ . وكان فى (ط) (وسعد بنى) .

(٢) ديوانه (٤١٠/٢) تبريزى ، وبديع ابن منقذ : ٨٨ – قال التبريزى : اتفق له أن يصف أربعة أسماء بأربعة أوصاف كلها مجانس للاسم .

(٣) ديوان المتنبى : ٤٠٠/١ ، وبديع ابن منقذ : ٨٩ ، وكان فى ط : (ولقمان لقمان ولقمان) وهو تحريف ، وهو فى مدح سيف الدولة الحمدانى وقبله قوله :

وأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنَـهُ تشَابـــه مولـــودٌ كـــريم ووالـــدُ

قال البرقوقى فى شرح البيت : هؤلاء آباء سيف الدولة . يقول : أنت تشبه أباك ، وأبوك يشبه أباه ، وأبوه أباه .. الخ ، أى أنّ كل واحد من آبائك يشبه أباه فى كرمه وسائر محاسنه . وذكر البرقوقى استقباح الصاحب بن عباد هذا البيت ورد ابن فُورَّجَة عليه . قال ابن فورجة : أما سبك البيت فأحسن سبك . يريد أنت تشبه أباك ، وأبوك كان يشبه أباه ، وأبوه أباه فأنت أبوك إذ كان يك أخلاقه ، وأبوك أبوه – إلى آخر الآباء . فليت شعرى ما الذى استقبحه ؟ فإن استقبح قوله : (وحمدانُ حمدونٌ) فليس فى حمدان ما يستقبح من حيث اللفظ ، بل والمعنى ، كيف يصنع والرجل اسمه هكذا وهكذا أباؤه ؟) .

(٤) فإذا كان الأمر كذلك فكان حق المؤلف أن يسقطه من هنا ، ويأتى به فى القسم الثالث الذى وعد به لما لم يأت فى القرآن .

٢٤٤ / **فصل**

وقد كان ينبغى أن يكون مقدماً فى أول الكتاب ذكر ما اشتق منه القرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وبيان معانيها [١] .

أما القرآن فاشتقاقه فيه قولان :

أحدهما : التتبع والجمع ، من قولهم : قرأت الماءَ فى الحوض : إذا تتبعته وجمعته فيه ، فهو جامع لما فى كتب الأولين المنزلة على سائر النبيين .

والثانى : أنه مشتق من الإظهار والبيان لأنه أظهر سائر العلوم المحتاج إليها فى أمر الدين والدنيا وجمع بينها وكلاهما حسن ، والأول أظهر .

وقد يأتى القرآن بمعنى الصلاة فى مثل قوله تعالى : ﴿ وقرآنَ الفجر ﴾ [سورة الإسراء : ٧٨] أى وصلاة الفجر وبمعنى القراءة . وفى مرثية عثمان رضى الله عنه :

ضَحُّوا بِأَشْمَطَ عُنْوانُ السُّجودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيـلَ تَسْبِيحًـا وقُرْآنًـا [٢]

وأما السورة ففيها أربعة أقوال :

الأول : أنها سميت بذلك لعظمها وعلو شأنها من قولهم : « فلان [٣] سورة من المجد » .

الثانى : سميت بذلك لكرمها وتمامها ، من قولهم : « لفلانٍ سورةٌ من الأهل » أى أقوام كرام .

---

(١) هذا الكلام يستأنس به أن مابين أيدينا مقدمة فى تفسير القرآن . انظر مقدمة التحقيق .

(٢) هو لحسان بن ثابت رضى الله عنه ، ديوانه : ٩٦/١ ، وتفسير الطبرى : ٩٧/١ .

(٣) كذا فى (ط) ، ولعل الصواب (لفلان) .

الثالث : أنها قطعة من القرآن ، واشتقاقها من السؤر الذى يفضل من الشارب ، وعلى هذا يكون أصلها الهمز وإنما ترك لانضمام ماقبله ؛ فأبدلوا منه واوًا .

الرابع : سميت سورة لأن قارئها ينتقل من منزلة فى الأجر إلى منزلة أعلا منها . قال الشاعر [١] :

أَلَمْ تَرَ أَنّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرى كُلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ
كَأَنَّكَ شَمْسٌ والمُلُوكُ كَواكِبٌ ... إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنّ كَوْكَبُ [٢]

ومعناه أعطاك منزلة فوق منازل الملوك ، وهو قول حسن .

وأما الآية ففيها أربعة أقوال :

الأول : أنها اشتقت من العلامة ، والآية علامة لانقطاع الكلام الذى قبلها .

الثانى : أنها سميت بذلك لأنها كلمات مجتمعة من القرآن من قولهم : خرج القوم بآيتهم ، أى بجماعتهم .

الثالث : الآية : الرسالة والقصد . قال الشاعر [٣] :

أَلاَ أَبْلِغَا هَـذَا المعَـرِّضَ آيَـةً ... أَيَقْظَانَ قَالَ القَوْلَ إِذْ قَالَ أَمْ حَلَمْ [٤]

معناه : بلغاه رسالة ، والآية رسالة من الله إلى نبيه وخلقه .

الرابع : إنما سميت بذلك لأنها / عجب ؛ لأنها تشبه كلام البشر ٢٤٥ ولا يقدرون على الإتيان بمثلها ، من قولهم : « فلان آية من الآيات » أى عجب ، وهو قول حسن .

---

(١) هو النابغة الذبيانى .
(٢) ديوانه : ٧٣ ، ٧٤ ، وتفسير الطبرى : ١/١٠٥ .
(٣) هو كعب بن زهير .
(٤) تفسير الطبرى : ١/١٠٦ .

وأما الكلمة فهي اللفظة الدالة على المعنى المفرد أو على معنيين أحدهما حقيقة والآخر مجاز ، وهي في كتاب الله تعالى تطلق ويراد بها معان سبعة :

أحدها : كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله .

الثاني : تطلق ويراد بها الشرك قال الله تعالى : ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ﴾ [سورة التوبة : ٤٠] يعني الشرك ﴿ وكلمةُ الله هي العليا ﴾ [سورة التوبة : ٤٠] يعني كلمة الإخلاص والتوحيد . ومنه قوله تعالى : ﴿ وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه ﴾ [سورة الزخرف : ٢٨] . قال مجاهد والسُّدِّيُّ : هي قول لا إله إلا الله .

الثالث : تطلق ويراد بها الوعد . ومنه قوله تعالى : ﴿ ولولا كلمةٌ سبقت من ربك ﴾ [سورة يونس : ١٩] يعني وعدهم الساعة . قال الله تعالى : ﴿ بل الساعةُ موعدُهم ﴾ [سورة القمر : ٤٦] .

الرابع : تطلق ويراد بها دعاء الله الخلقَ إليه . ومنه قوله تعالى : ﴿ إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ﴾ [سورة آل عمران : ٦٤] .

الخامس : تطلق ويراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام . ومنه قوله تعالى : ﴿ وكلمتُه ألقاها إلى مريَم وروحٌ منه ﴾ [سورة النساء : ١٤١] . سماه كلمة لأنه أوجد بالكلمة وهي قوله « كن » .

السادس : تطلق ويراد بها القصة والقصيدة . والعرب يقولون كلمة امرىء القيس يريدون قصيدته ويقولون : « خبرنا كلمة فلان » يريدون قصته . وفي الحديث : « واستحللتم فروجهن بكلمة الله » [1] . يعني النساء كأنه يشير إلى قوله تعالى : ﴿ فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٩] .

السابع : تطلق ويراد بها الكلمة الواحدة المفردة التي جمعها كلمات .

---

(١) صحيح مسلم : (٨٨٩/٢) ، كتاب الحج (١٥) – أسباب حجة النبي ﷺ (١٩) .

والكلمات فى كتاب الله تعالى تأتى على ستة معانٍ :

الأول : تطلق ويراد بها علم الله سبحانه وتعالى . ومنه قوله تعالى : ﴿ لَنَفِدَ البحرُ قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددًا ﴾ [سورة الكهف : ١٠٩] .

الثانى : يراد بها مواعيده سبحانه وتعالى . ومنه قوله تعالى : ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ [سورة يونس : ٦٤] . أى لا خلف لما وعد .

الثالث : تطلق ويراد بها الخصال ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فأتمهن ﴾ [سورة البقرة : ١٢٤] أى بعشر خصال من الطهارة معروفة .

الرابع : تطلق ويراد بها الاعتراف وطلب المغفرة . ومنه قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ ﴾ [سورة البقرة : ٦٧] وهى قوله تعالى : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسَنا وإن لم تغفرْ لنا وترحَمْنا لنكونَنَّ من الخاسرين ﴾ [سورة الأعراف : ٢٣] .

الخامس : تطلق ويراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام ، قاله الهروى [١] فى قوله تعالى : ﴿ وصَدَّقَتْ بكلمات ربها ﴾ [سورة التحريم : ١٢] .

السادس : تطلق ويراد / بها القرآن . ومنه الحديث « أعوذ بكلمات الله التامات [٢] » ، يعنى القرآن ، قاله الهروى أيضًا وغيره . ٢٤٦

وأما الحرف فله فى كتاب الله تعالى ولسان العرب محامل :

---

(١) لعله أبو عبيد الهروى أحمد بن محمد المتوفى ٤٠١ هـ صاحب كتاب الغريبين غريبى القرآن والحديث . وكتابه أصدر منه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية جزءًا بتحقيق الدكتور محمود الطناحى ولم يكتمل .

(٢) صحيح مسلم (٤/٢٠٨٠) ، كتاب الذكر والدعاء (٤٨) باب فى التعوذ من سوء القضاء .

أحدها : اللغة يقال : « هذا حرف بنى فلان » أى لغتهم .

الثانى : يطلق ويراد به معنى من المعانى . ومنه الحديث : « نزل القرآن على سبعة أحرف [١] » أى على سبعة معانٍ .

الثالث : يطلق ويراد به أحد القراءات ، وعليه حمل ، بعضهم قوله ﷺ : « نزل القرآن على سبعة أحرف » .

الرابع : يطلق ويراد به الآية . ومنه الحديث : « لكل حرف ظهر وبطن وحدٌّ ومُطَّلع [٢] » . وفى رواية : « ولكل آية منه ظهر وبطن وحد ومُطَّلَع » .

الخامس : يطلق ويراد به الشك . ومنه قوله تعالى : ﴿ ومن النَّاس من يَعبُدُ اللَّهَ على حرفٍ ﴾ [سورة الحج : ١١] أى على شك . وقال ابن عرفة [٣] : معناه على غير طمأنينة .

السادس : يطلق ويراد به الجانب ، ومنه قول ابن عباس : « أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف » - أى جنب . ومنه : « حرف الجبل » : جانبه .

السابع : الحرف : الناقة . ومنه قول كعب بن زهير :

حَرفٌ أَخُوها أَبُوها مِنْ مُهَجَّنَةٍ وَعَمُّها خَالُها قَوْدَاءُ شِمْلِيـلُ [٤]

الثامن : يطلق ويراد به أحد حروف الهجاء التى يجمعها أبجد .

* * *

(١) ينظر الحديث وأسانيده والقول عليه فى تفسير الطبرى ٢٢/١ - ٦٧ .

(٢) انظر تفسير الطبرى : ٢٢/١ ، وتضعيف الشيخ أحمد شاكر للحديث بهامشها . وعزاه الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين : (٥٢٧/٤) إلى ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود مرفوعًا ، وإلى الطبرانى وأبى يعلى والبزار عنه موقوفًا ، والديلمى من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعًا .

(٣) لعله أبو عبد الله إبراهيم بن عرفة الشهير بِنِفْطَوَيه .

(٤) ديوانه : ١١ .

فصل

فى ذكر إعجاز القرآن العظيم (*)

قد تكلم العلماء فى ذلك ، **فقال قوم : إعجازه من جهة إيجازه** ، واحتواء لفظه القليل على المعانى الكثيرة ، مثل قوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياةٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٩] . وقوله تعالى : ﴿ إذ فَزِعوا فلا فَوْت ﴾ الآية [سورة سبأ : ٥١] ﴿ فكُلاًّ أخَذْنا بذَنْبِه ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٠] وقوله تعالى : ﴿ فاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ ﴾ [سورة الحجر : ٩٤] . وقوله تعالى : ﴿ وإمّا تخافنَّ من قوم خيانةً فانْبِذْ إليهم على سَواءٍ ﴾ [سورة الأنفال : ٥٨] وقوله تعالى : ﴿ فلما استيأسوا منه خَلَصُوا نَجِيّاً ﴾ [سورة يوسف : ٨٠] وقوله تعالى : ﴿ ومن يُطِع اللهَ ورسولَهُ ويَخشَ اللهَ ويتقْهِ فأولئكَ هُمُ الفائزون ﴾ [سورة النور : ٥٢] وقوله تعالى : ﴿ لله الأمرُ مِن قبلُ ومنْ بعدُ ﴾ [سورة الروم : ٤] وقوله تعالى : ﴿ ألا لهُ الْخَلْقُ والأمرُ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٤] وأشباهها كثير . إذا تأملت / الكتاب العزيز وجدت ٢٤٧ فيه من هذا كثير . وقد اعترض على هذا القول بأنه قد وجد فى السُنة وكلام العرب مالفظه قليل ومعناه كثير مثل قوله ﷺ : « الأعمال بالنيات » و« المجالس بالأمانات [1] » وأشباهه كثير .

وقال قوم : إعجازه من جهة حسن تركيبه ، وبديع ترتيب ألفاظه ، وعذوبة مساقها ، وجزالتها ، وفخامتها ، وفصل خطابه .

(*) اعتماد المؤلف هنا الأكبر على « الشفا » للقاضى عياض : ٥٠ – ٥٤٢ . وانظر الإتقان للسيوطى : ٣/٤ – ٢٣ .

(١) سبق .

وقال قوم : إعجازه من غرابة أسلوبه العجيب [١] ، واتساقه الغريب الذى خرج عن أعاريض النظم وقوانين النثر وأساجيع الخطب وأنماط الأراجيز وضروب السجع . وقد اعترض على هذا القول من وجوه :

الأول : لو كان الابتداء بالأسلوب معجزًا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزًا .

الثانى : أن الابتداء بأسلوب لا يمنع الغير من الإتيان بمثله .

الثالث : أن الذى تعاطاه مسيلمة من الحماقة فى معارضة ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ [سورة الكوثر : ١] – والطاحنات طحنًا – هو أسلوب فى غاية الفظاعة والركاكة وكان مبتدئًا به ولم يعدَّ ذلك معجزًا بل عُدّ سُخفًا وحُمقًا .

الرابع : لما فاضلنا بين قوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياةٌ يا أولى الألباب ﴾ [سورة البقرة : ١٩٧] وبين قولهم : « القتل أنفى للقتل » لم تكن المفاضلة بسبب الوزن وإنما تعلق الإعجاز بما ظهرت به الفضيلة .

الخامس : أن وصف العرب القرآن بأن له لحلاوة وأن عليه لطلاوة لا يليق بالأسلوب .

وقال قوم : إعجازه بمجموع هذه الوجوه الثلاثة . وهذا الكلام يحتاج إلى نظر ؛ لأن مجموع هذه الأقسام الثلاثة إنما تكون معجزة فى حق العرب خاصة ؛ لأن الفصاحة والبلاغة فيهم جِبِلّةٌ وخِلْقَةٌ وهم فرسانها أصحاب قَصَبات السَّبْق فيها إلى الأمد ، لايباريهم فيها أحد ولا يجاريهم فى مضمارها جواد ، ولايماريهم فى التفرد بها مُمارٍ ذو عناد ، قد ألقت الأمم إليهم فيها مقاليد الإذعان ، وخفضوا لهم جناح الذل بما حصل لهم عندهم من العرفان ، فثبت لديهم أن أحدًا لا يجاريهم فى هذا المضمار ، ولا يدانيهم فى إظهار ولا إضمار ، فجاءهم هذا

---

(١) هذا الوجه وما وجه له من اعتراض نقله المؤلف من نهاية الإيجاز للرازى : ٨٠ – ٨٢ .

الكتاب العزيز بقاصمة الظهر وفادحة القهر ، ودُعوا إلى المعارضة فلم يقدموا ، ونُدِبوا إلى المساجلة والمجاراة فأمسكو وأحجموا ، وقُرِّعوا بقوارع التوبيخ والتقريع فركبوا خُيول العجز واستلأموا [١] ؛ فقامت الحجة عليهم بذلك وصحت المعجزة لديهم لحصول التحدى والعجز عن الإتيان بمثله .

أما الأعاجم ومن يجرى مجراهم فلا تقوم عليهم بذلك حجة ولا تصح فيهم بذلك معجزة لأنهم معترفون أن الفصاحة / ليست من شأنهم ، ولا مضمارها من حلبات ميدانهم ، والله سبحانه أرسل محمدًا ﷺ إلى الخلق كافة أحمرهم وأسودهم ، قال الله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناسُ إنى رَسُولُ الله إليكم جميعًا ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٨]وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾ [سورة سبأ : ٢٨] ولا يثبت إعجازه على الكافة إلا بما يعزب على الكافة الإتيان بمثله مع اعترافهم بأن فى مقدورهم من جنسه . ولو جاء موسى لقومه بالفصاحة وعيسى لبنى إسرائيل بالبراعة لما قامت لهما على قومهما بذلك حجة .

٢٤٨

وقال قوم : إنما وقع إعجازه بما فيه من المعانى الخفية والجلية وفنون العلوم النقلية والعقلية . وأصحاب هذا القول لهم فى ذلك خمسة مذاهب : منهم من قال : إعجازه فيما جاء فيه من أخبار القرون السالفة فى الأزمنة الخالية والأعصر الماضية فى الأماكن القاصية والدانية . وقصص الأنبياء مع أممها مما التمسوه منه مثل قصة أهل الكهف وقصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام وحال ذى القرنين ، ومما لم يسألوه عنه من قصص بقية الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، مع تحققهم أنه أمى لا يحسن الكتابة ، ولا تقدمت منه دراسة ، ولا سبقت منه رحلة ، ولا انتهت إليه نِحْلة ، ولم يكن بأرضه من يعلم الأخبار ، ويقتفى الآثار سوى أهل الكتاب الذين صرح بسبهم وأطلق لسانه فى ثَلْهم وضَلَّل عقولَهم وهجَّن طريقهم ، وأظهر معائبهم ، ولو كان أحد منهم أطلعه على شىء

---

(١) استلأم : أى لبس اللأمة وهى الدرع .

من ذلك أو أعلمه به لقابلوه بالإفصاح فى الرد عليه ، ولملؤا الأرض بالتشنيع والتقريع ، وحيث لم ينقل ذلك علم أنه لم يعلمه بشر وليس ذلك إلا من جهة الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد . مع أنه قد تعرض جماعة من سفهائهم فقالوا ما أخبر الله عنهم ﴿ إنما يُعَلِّمُهُ بشر ﴾ [سورة النحل : ١٠٣] وكانوا يقولون أنه سلمان الفارسى وغيره ؛ فرد الله سبحانه عليهم بقوله : ﴿ لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسانٌ عربىٌّ مبينٌ ﴾ ﴿ سورة النحل : ١٠٣] .

وقد اعترض على هذا القول بأن بعض سور القرآن ليس فيها شىء من ذكر القرون الماضية والأعصر الخالية وتلك السورة معجزة قد تحداهم الله بالإتيان بمثلها فلم يقدروا .

ومنهم من قال : إعجازه بما فيه من الإخبار بما يكون وما كان مما وقع على حكم ما أخبر به مثل قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصرُ الله ﴾ [سورة النصر : ١] إلى آخرها وقوله : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرام إن شاء الله آمنين ﴾ [سورة الفتح : ٢٧] وقوله تعالى : ﴿ آلم غُلِبَتِ الروم ﴾ [سورة الروم : ١ - ٢] وقوله : ﴿ لِيُظْهِرَهُ على الدِّين كله ولو كره المشركون ﴾ [1] [سورة التوبة : ٣٣] وقوله / ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ﴾ [سورة النور : ٥٥] وقوله : ﴿ قل إنْ كانت لكم الدار الآخرة ﴾ [سورة البقرة : ٩٥] وقوله : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾ [سورة البقرة : ٢٤] وقوله : ﴿ إنا نحنُ نزلنا الذكرَ ﴾ الآية [سورة الحجر : ٩] . وقوله : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [سورة القمر : ٤٥] قوله : ﴿ قاتلوهم يعذبْهُمُ اللهُ بأيديكم ﴾ الآية : [سورة التوبة : ١٤] وقوله ﴿ هو الذى [2] أرسلَ رَسولَهُ بالهدى ودين الحق ﴾ [سورة التوبة : ٣٣ الفتح : ٢٨ ، الصف : ٩] وقوله : ﴿ لن يضروكم إلا أذى ﴾ [سورة آل عمران : ١١١] وقوله : ﴿ من الذين هادُوا سمَّاعونَ للكذبِ ﴾ [سورة المائدة : ٤١] وقوله : ﴿ يخفون فى أنفسهم ﴾ [سورة آل عمران :

٢٤٩

---

(١) ط (الكافرون) وهو وهم .
(٢) كان فى ط (هو الله الذى) وهو خطأ .

١٥٤] وقوله : ﴿ ويقولون فى أنفسهم ﴾ [سورة المجادلة : ٨] وقوله : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكَلِمَ عن مواضعه ﴾ [سورة النساء : ٤٦] وقوله : ﴿ يَعِدُكُم اللهُ إحدى الطائفتين ﴾ [سورة الأنفال : ٧] وقوله : ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ [سورة الحجر : ٩٥] وقوله : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ [سورة المائدة : ٦٧] إلى غير ذلك مما كشف به أخبار المارقين وأسرار المنافقين وكان جميعه كما أخبر وصدق الله ورسوله .

وقد اعترض على هذا القول بأن بعض سور القرآن ليس فيها شىء من الإخبار بالمغيبات وتلك السور معجزة قد تحداهم الله بالإتيان بمثلها فلم يقدروا على ذلك وضاقت عليهم مع فصاحتهم المسالك .

ومنهم من قال : إعجازه بما احتوى عليه من العلوم التى لم يسبق إليها أحد من البشر قبل نزوله ولا اهتدت إليها فطن العرب ولا غيرهم من الأمم .

وقد اعترض على هذا القول بأنه قد وجد فى السُنة وكلام العرب مثل هذا ولم يُعد معجزة .

ومنهم من قال : إعجازه حصل بما فيه من نشاط القلوب الواعية وغير الواعية إليه وإقبالها بوجه المودة عليه ، واستحلاء طعم عذوبة ألفاظه ومعانيه ، وهشاشتها بما يتردد عليها من مبشراته المبهجة ، ومحذراته المزعجة ، وآياته المقلقة ، وأخباره المونقة ، مع كثرة قرعه للأسماع ، وصَدْعه بما يخالف الطباع ، ومع ذلك فالقلوب مقبلة على أذكاره راغبة فى تكراره ، شجية عند سماع مزماره ، يجد ذلك منهم البر والفاجر والمؤمن والكافر . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ اللهُ نَزَّلَ أحسنَ الحديث ﴾ [سورة الزمر : ٢٣] الآية . وروى أن نصرانيًا مرَّ بقارىء فوقف يبكى . فقيل له : مم بكاؤك ؟ قال : الشَّجا والنظم . وفى الحديث الذى وصف به النبى ﷺ القرآن بأنه لا يخْلَقُ على كثرة الرد ولا تنقضى عبره

ولا تفنى عجائبُهُ : « هو الفصل ليس بالهزل لا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة [(١)] » . وهو الذى لم تلبث الجن حين سمعته أن قالوا : ﴿ إنا سمعنا قرآنًا عَجَبًا ﴾ [سورة الجن : ١] الآيات .

٢٥٠ وقد اعترض على هذا / القول بأنه قد يوجد فى السُنة وكلام فصحاء العرب وأشعار فحول الشعراء ما يحسن موقعه ، وتشرئب النفوس إلى سماعه ، ولا تمله على تكْراره .

ومنهم من قال : إعجازه بما يقع فى النفوس منه عند تلاوته من الروعة ، وما يملأ القلوب عند سماعه من الهيبة وما يلحقها من الخشية سواءً كانت فاهمة لمعانيه ، أو غير فاهمة ، أو عالمة بما يحتويه ، أو غير عالمة ، كافرة بما جاء به أو مؤمنة . ولذلك قال ﷺ : « القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم » . فهذه الهيبة [(٢)] لم تزل تعترى من سمعه وقد اعْتَرَتْ جماعةً من الصحابة قبل الإسلام وبعده فمات منهم خلق كثير من المؤمنين ، وسُلِبَتْ به عقولُ كثير من الموقنين ، وتَدَلَّهت به ألبابُ جماعة من المحسنين . وقد صح أن جبير بن مطعم قال : سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية : ﴿ أم خُلِقوا من غير شىءٍ أم هُمُ الخالقون ﴾ [سورة الطور : ٣٥] إلى قوله تعالى : ﴿ المسيطرون ﴾ [سورة الطور : ٣٧] « كاد قلبى يطير [(٣)] » . وفى رواية : « أول ماوقر الإيمان فى قلبى [(٤)] » . وروى أن عتبة بن ربيعة كلمه رسول الله ﷺ فى ماجاء به من خلاف قومه فتلا عليهم [(٥)] ﴿ حم

---

(١) سنن الدارمى : ٢/٤٣٥ - ٤٣٦ ، وحلية الأولياء لأبى نعيم : ٥/٢٥٣ . وانظر مجمع الزوائد : ٧/١٦٥ .

(٢) ط (الغيبة) وقد أبدلتها كما هو مقتضى السياق .

(٣) صحيح البخارى (فتح البارى ٨/٦٠٣) - كتاب التفسير (٦٥) - حديث ٤٨٥٤ .

(٤) صحيح البخارى (فتح البارى ٧/٣٢٣) - كتاب المغازى (٦٤) - حديث ٤٠٢٣ .

(٥) كذا فى (ط) وأظنها (عليه) .

فصلت ﴾ إلى قوله : ﴿ صاعقةً مثلَ صاعِقة عادٍ وثمودَ ﴾ [سورة فصلت : ١٣]
فأمسك عتبة على فى رسول الله ﷺ وناشده الرحم أن يكف وفى رواية فجعل النبى ﷺ يقرأ وعتبة مُصغ مُلق بيده خلف ظهره معتمدًا عليها حتى انتهى إلى السجدة فسجد النبى ﷺ وقام عتبة لا يدرى بما يراجعه ، ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر إليهم وقال : لقد كلمنى كلامًا ماسَمِعَتْ أذناى بمثله قط ، فما دريت ما أقول له [1] . ومثل هذا كثير .

وأما من مات عند سماع تلاوة القرآن من المؤمنين ، وزال عقله وتدله من المحبين ، وراجع الأمر من المذنبين العاصين فكثير لا يمكن حصره ، ولا يسعنا هاهنا ذكره فكتب الرقائق فيها من ذلك كثير .

وقد اعترض هذا القول بأن جماعة من أرباب القلوب وذوى الاستغراق فى بديع أوصاف المحبوب حصل له من سماع بعض الأشعار ما أخرجه عن طوره وربما مات على فوره .

وقال قوم : إعجازه حفظ آياته من التبديل وصون كلماته من النقل والتحويل ولا يستطيع أحد أن يتحيف منه سِمْطًا ، ولا يزيده شكلاً ولا نقطًا ، ولا يدخل فيه كلمة من غيره ، ولا يخرج منه أخرى ولا يبدل حرفًا بحرف ، وذلك من آياته / الكبرى . وكم جهد أهل العناد فى ذلك فما قدروا له ، وما استطاعوا . وكم قصدوا تحريفه فأبى الله ذلك فأذعنوا له وأطاعوا ! ٢٥١

رُوِىَ أن يهوديًا تكلم فى مجلس المتوكل فأحسن الكلام وناظر فُعِلم أنه من جملة الأعلام وناضل فتحققوا أنه مسدد السهام ، فدعاه المتوكل إلى الإسلام ، فأبى وأقام لفرط الإباء على مذهب الآباء بعد أن بذل له المتوكل ضروبًا من الإنعام ، وصنوفًا من الرفعة والإكرام ، وراجعه فى ذلك مرة بعد أخرى فلم يزدْه ذلك إلا طغيانًا وكفرًا ، فغاب عنه مدة ثم دخل إلى مجلسه وهو يعلن الإسلام ،

---

(١) انظر الدر المنثور للسيوطى : ٥/٣٥٨ .

ويدين دينه ، فقال له المتوكل : أسلمت ؟ قال : نعم . قال ماسبب إسلامك ؟ فقال : لما قطعت من عنقى قلادة التقليد ، وصرت من رتبة الاجتهاد إلى مرتقى ماعليه مزيد نظرت فى الأديان وطلبت الحق حيث كان فأخذت التوراة فنظرت فيها ، وتدبرت معانيها وكتبتها بخطى وزدت فيها ونقصتُ ودخلت بها السوق وبعتها ، فلم ينكر أحد من اليهود منها شيئًا ، وأخذت الإنجيل وزدت فيه ونقصت ، ودخلت به السوق وبعته ، فلم ينكر أحد من النصارى منه شيئًا وأخذت القرآن وقرأته وتأملته فإذا : ﴿ إنا نحن نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإنا له لحافظون ﴾ [سورة الحجر : ٩] فكتبت وزدت فيه ونقصت ودخلت به السوق وبعته فنظر فيه المسلمون فعرفوا المواضع التى زدت فيها ونقصت ، وردوا كل كلمة إلى موضعها ، وكل حرف إلى مكانه ، فعلمت أنه الحق لتحقيق وصفه بأنه كلام الله الذى لا يأتيهِ الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد [١] فآمنت به وصدقت ماجاء به .

* * *

(١) تضمين من سورة فصلت ، الآية : ٤٢ .

فصل

اختار القاضى عياض [1] وجماعة أن الإعجاز الظاهر المتحقق إنما هو فى الأربعة :

الأول : حسن تأليفه ، والتئام كلمه ، وفصاحته ، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادات العرب .

الثانى : صورة نظمه العجيبِ الأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب .

الثالث : ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ومالم يكن ولم يقع ، فَوُجِدَ كما أخبر .

الأربعة : ما أتى به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة وماعدا هذه الأربعة ومادلت عليه خصائص تفرد بها ومآثر يستأثر بحصولها .

وقال قوم : وجوه إعجازه ثمانية وقد / قدمناها فى الفصل الذى قبل هذا الفصل وزاد بعضهم على هذا ونقص آخرون . ٢٥٢

وقال قوم : إعجازه فى خروج الإتيان بمثله عن مقدور البشر .

وقال قوم : إعجازه صَرْفُ الله خلقَه عن القدرة على الإتيان بمثله ، ولولا ذلك لدخل تحت مقدورهم .

---

(١) هو القاضى عياض بن موسى عالم المغرب وإمام أهل الحديث فى وقته . صاحب كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى . توفى سنة ٥٤٤ هـ .
وانظر : الشفا للقاضى عياض : ١/٥٠٠ – ٥٢٥ والإتقان : ٤/١٦ .

وقد اعترض على هذا القول بوجوه ثلاثة [١] :

الأول : أن عجز العرب عن المعارضة لو كان من أجل أن الله تعالى عَجَّزَهم [٢] عنها بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحته بل يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم بعد أن كان مقدورًا لهم . كما أن نبيًا لو قال : معجزتى أنى أضع يدى على رأسى هذه الساعة ويكون ذلك متعذِّرًا عليكم ، ويكون الأمر كما زعم ، لم يكن تعجب القوم من وضعه يده على رأسه بل من تعذر ذلك عليهم . وَلَّما علمنا بالضرورة أن تعجب العرب كان من فصاحة القرآن نفسه بطل القول بالصَّرْف .

الثانى : لو كان كلامهم مقاربًا فى الفصاحة قبل التحدى لفصاحة القرآن لوجب أن يعارضوه بذلك ولكان الفرق بين كلامهم بعد التحدى وكلامهم قبله كالفرق بين كلامهم بعد التحدى وبين القرآن ، ولما لم يكن كذلك بطل ذلك .

الثالث : أن نسيان الصيغ المعلومة فى مدة يسيرة يدل على زوال العقل ، ومعلوم أن العرب مازالت [٣] عقولهم بعد التحدى . فبطل أن يكون الإعجاز بالصَّرف بل الإعجاز ليس بالصرف [٤] .

وكل واحد من هذه الأقوال يحتمل أن يكون معجزة إذا تحدى بها الرسول ﷺ وعجزوا عن الإتيان بمثل ماتحدى به ، وسمى هذا القول معجزة لتعجيزه من رام معارضته والإتيان بمثله ، لأنها اسم فاعل من أعجزت يقال : أعجزت هذه القصة فهى معجزة .

والذى يتعين اعتقاده أن القرآن بجملة ألفاظه ومعانيه وبعضه وكله معجزة

---

(١) من كلام الرازى فى نهاية الإيجاز : ٧٩ .

(٢) نهاية الإيجاز : أعجزهم .

(٣) (ما زالت عقولهم) أى : لم تزل – من الفعل : زال ، يزول ، زوالاً . وليس من زال) من أخوات كان .

(٤) آخر النقل فى نهاية الإيجاز .

إما لسلب قدرتهم عن الإتيان بمثله ، وإما لصرفهم عنه ؛ لأن النبى ﷺ تحدى به ، وعرض عليهم الإتيان بمثله ، فعجزوا عن ذلك ؛ ولأن الله سبحانه أخبر أنهم لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ، أو عشر سور من مثله فعجزوا عن ذلك ، أو سورة منه ، أو آية لتحديه ﷺ بها وعجزهم عن الإتيان بمثل هذا الذى وقع عليه تصريح الكتاب وصريح الخطاب ولا مرية فى ذلك ولا خلاف [١] .

فإن قال قائل : إن سورة من القرآن معجزة ومع هذا أنها لم تحتو على جميع ما أودع القرآن من الإيجاز ، وضروب / البيان ، وعذوبة المساق ، وغرابة الأسلوب ، والأخبار عن القرون السالفة فى الأعصر الماضية إلى غير ذلك مما تقدم ذكره . ٢٥٣

فالجواب عنه : أن السورة من القرآن جامعة لجميع ماذكرناه إما منطوقًا به أو مشارًا إليه ؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَأْتوا بسورة مثله [٢] وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ [سورة يونس : ٣٨] فما وقع التحدى إلا بسورة منكَّرة أىّ سورة كانت ؛ فهذا دليل على أن القرآن العظيم قد احتوت أقصر سورة فيه من المعانى البديعة والفصاحة التى تسد بها عن معارضته الذريعة . ونضرب لك مثالاً ليتحقق عندك ماذكرناه فنقول :

سورة الكوثر [٣] أقصر سورة ، وفيها من الألفاظ البديعة الرائقة التى اقتضت بها أن تكون مبهجة والمعانى المنيعة الفائقة التى اقتضت بها أن تكون معجزة أحدٌ وعشرون : ثمانية فى قوله : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ [سورة الكوثر : ١] ، وثمانية فى قوله : ﴿ فصَلِّ لربك وانحر ﴾ [سورة الكوثر] ، وخمسة فى قوله : ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ [سورة الكوثر : ٣] .

---

(١) كلام المؤلف هنا فى هذا الموضع فيما يتعين اعتقاده فيه اضطراب وتناقض مع ماسبق أن قرره من رفض القول بالصرفة .

(٢) (ط) : (بسورة من مثله) وهو وهم .

(٣) كلام المؤلف عن سورة الكوثر نقله من نهاية الإيجاز للرازى : ٣٧٥ - ٣٨٠ وهو خاتمة الكتاب ، وقد ذكر الرازى أنه لخصه من رسالة للزمخشرى فى هذا .

أما الثمانية التى فى قوله : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ :

فالأول : أن قوله : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ دل على عطية كثيرة مسندة إلى معط كبير ، ومن كان كذلك كانت النعمة عظيمة عنده . وأراد بالكوثر الخير الكثير ، ومن ذلك الخير الكثير ينال أولاده إلى يوم القيامة من أمته . جاء فى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم [1] » ومن الخير الذى وعد به ما أعطاه الله فى الدارين من مزايا التعظيم والتقديم والثواب مالم يعرفه إلا الله . وقيل إن الكوثر ما اختص به من النهر الذى ماؤه أحلى من كل شىء وعلى حافاته أوانى الذهب والفضة كالنجوم أو كعدد النجوم .

الثانية : أنه جمع ضمير المتكلم وهو يشعر بعظم الربوبية .

الثالثة : أنه بنى الفعل على المبتدأ فدل على خصوصية وتحقيق على مابينا فى باب التقديم والتأخير .

الرابعة : أنه صدر الجملة بحرف التوكيد الجارى مجرى القسم .

الخامسة : أنه أورد الفعل بلفظ الماضى دلالة على أن الكوثر لم يتناول عطاء العاجلة دون عطاء الآجلة ، ودلالة على أن المتوقع من سَيْب الكريم فى حكم الواقع .

السادسة : جاء بالكوثر محذوف الموصوف ؛ لأن المثبت ليس فيه مافى المحذوف من فرط الإبهام والشياع والتناول على طريق الاتساع .

السابعة : اختيار الصفة المؤذنة بالكثرة .

٢٥٤ **الثامنة** : أتى بهذه الصفة مصدّرة باللام المعروف / بالاستغراق [2] لتكون لما يوصف بها شاملة وفى إعطاء معنى الكثرة كاملة .

---

(١) انظر البحر المحيط : ٢١٢/٧ .

(٢) فى نهاية الإيجاز : ٣٧٧ باللام المعرفة .

وأما الثمانية التى فى قوله ﴿ فَصَلِّ لربك وانْحَرْ ﴾ :

فالأول : فاء التعقيب هاهنا (مستفادة) [١] من معنى التسبب لمعنيين :
أحدهما : جعل الإنعام الكثير سببًا للقيام بشكر المنعم وعبادته .

الثانية : جعله لترك المبالاة بقول العدو فإن سبب نزول هذه السورة أن العاص بن وائل قال : إن محمدًا صُنْبورٌ « والصنبور » الذى لاعقب له فشق ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه السورة .

الثالثة : قصده باللام [٢] التعريضُ بذكر العاص وأشباهه ممن كانت عبادته ونحره لغير الله ، وتثبيتُ قدمى رسول الله ﷺ على الصراط المستقيم وإخلاصه العبادة لوجهه الكريم .

الرابعة : أشار بهاتين العبادتين إلى نوعى العبادات أعنى الأعمال البدنية التى الصلاة قوامها ، والمالية التى نحر الإبل سَنامها ؛ للتنبيه على مالرسول الله ﷺ من الاختصاص فى الصلاة التى جُعلت فيها قرة عينه ، ونحر الإبل التى همته فيه قوية . رُوى عنه ﷺ أنه أهدى مائة بَدَنةٍ فيها جمل فى أنفه بُرَةٌ من ذهب [٣] .

الخامسة : حذف اللام الأخرى لدلالة الأولى عليها .

السادسة : مراعاة حق السجع الذى هو من جملة صنعة البديع إذا ساقه قائله مساقًا مطبوعًا ولم يكن متكلفًا .

---

(١) مافى نهاية الإيجاز (مستعارة) ولعلها الصواب .

(٢) كان فى (ط) : (بالأمر) وصوبته عن نهاية الإيجاز .

(٣) فى سُنن ابن ماجه (١٠٢٧/٢) - كتاب المناسك (٢٥) - باب (٨٤) ، ومسند أحمد : ٢٦٩/١ . والذى فيهما بُرةٌ من فضة ، وفى لفظ لأبى داود : (بُرَةٌ من ذهب) انظر سنن أبى داود (٣٦١/٢) ، كتاب المناسك (٥) ، باب فى الهدى (١٣) . والبُرَةُ : حَلَقَةٌ تُجْعَلُ فى أنف البعير .

السابعة : قوله « لربك » فيه حُسنان : وروده على طريق الالتفات التى هى أم من الأمهات . وصرف الكلام عن لفظ المضمر إلى لفظ المظهر وفيه إظهار لكبرياء شأنه وإثباته لعز سلطانه ومنه أخذ الخلفاء : « يأمرك أمير المؤمنين بكذا » . وعن عمر عن الخطاب رضى الله عنه حين خطب الأزدية إلى أهلها فقال : خطب إليكم سيد شباب قريش مَرْوان بن الحكم [1] .

الثامنة : علّم بهذا أن من حقوق الله التى تعبد العباد بها أنه ربهم ومالكهم وعَرّض بترك التماس العطاء من عبد مربوب ترك عبادة ربه .

وأما قوله جل جلاله : ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ ففيه خمس فوائد :

الأولى : أنه علل الأمر [2] بالإقبال على شأنه وترك الاحتفال بشانئه على سبيل الاستئناف الذى هو حسنٌ حسنُ الموقع وقد كثرت فى التنزيل مواقعه .

الثانية : ويتجه أن تجعلها جملة للاعتراض [3] مرسَله إرسال الحكمة الخاتمة الأغراض كقوله تعالى : ﴿ إن خيرَ من استأجرت القويُّ الأمينُ ﴾ [سورة القصص : ٢٦] وعنى بالشانىء العاص بن وائل .

٢٥٥ **الثالثة** : إنما لم يسمه باسمه / ليتناول كل من كان فى مثل حاله .

الرابعة : صدر الجملة بحرف التوكيد الجارى مجرى القسم وعبر عنه بالاسم الذى فيه دلالة على أنه لم يتوجه بقلبه إلى الصدق ولم يقصد بلسانه الإفصاح عن الحق بل نطق بالشنآن الذى هو قرين البغى والحسد ، وعين البغضاء والحَرْد ولذلك وسمه بما ينبىء عن الحقد .

---

(١) يبدو أن هنا سقطًا يوضحه مافى نهاية الإيجاز : ٣٧٩ فبعدها : (وسيد أهل المشرق جرير ابن بجيلة . ويخطب إليكم أمير المؤمنين على نفسه) .

(٢) (الأمر) أى فى قوله (فصل .. وانحر) .

(٣) ط (الاعتراض) .

الخامسة : جعل الخبر معرفة وهو « الأبتر والشانىء » حتى كأنه الجمهور [١] الذى يقال له الصنبور .

ثم هذه السورة – مع علو مطلعها وتمام مقطعها واتصافها بما هو طراز الأمر كله من مجيئها مشحونة بالنكت الجلائل – مكتنزةٌ بالمحاسن غير القلائل ، فهى خالية عن تصنع مَنْ يتناول التنكيت ، ويعمل بعمل من يتعاطى بمحاجته التبكيت .

قال المصنف عفا الله عنه : والأقرب من هذه الأقاويل إلى الصواب قول من قال : إن إعجازه بحراسته من التبديل والتغيير ، والتصحيف والتحريف ، والزيادة والنقصان ، فإنه ليس عليه إيراد ولا مطعن .

وقال بعض العلماء : إن إعجازه إنما وقع بكون المتكلم به عالمًا بمراده من كل كلمة وما يليق بها ، وما ينبغى أن يلائمها من الكلام وما يناسبها فى المعنى . لا يختفى عنه مادق من ذلك وما جل ، ولا مصرفُ كلِّ كلمة ولا مآلها ، وغيرُ الله تعالى لا يقدر على ذلك لأنه أحاط بكل شىء علمًا وأحصى كل شىء عددًا . وهذا القول من الأقوال التى لا مطعن عليها .. وقد عدد العلماء وجوهًا من إعجازه غير ماذكرناه ، الأَوْلى أن تُعَدّ من خصائصه .

وقال قوم : إعجازه من جهة أن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة قائمة بالذات وأن العرب إذا تحدوا بالتماس معارضتهم له والإتيان بمثله أو بمثل بعضه كلفوا مالا يطاق . ومن هذه الجهة وقع عجزهم .

وهذا القول أيضًا حسن والله أعلم .

* * *

---

(١) كذا فى (ط) ، ونهاية الإيجاز . وفى نفسى منها شىء .

فصل [١]

فيما احتوى عليه هذا الكتاب العزيز من تلوين الخطاب ومعدوله ، وفنون البلاغة ، وضروب الفصاحة ، وأجناس التجنيس ، وبدائع البديع ، ومحاسن الحكم والأمثال ، مفصلاً ومجملاً . خاطب [٢] العرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم . والخطاب / الوارد عليهم ينقسم إلى قسمين : باقٍ على أصل مدلوله وموضوعه ، ومعدول به عن حقيقته إلى مسموعه . ومجموعة ماعُدل ومالم يعدل مائة وعشرون قسماً : ٢٥٦

الأول : خطاب عام وهو ما أريد به جميع من يعقل مثل قوله تعالى : ﴿ واتقوا الذى خلقكم والْجِبِلّة الأوّلين ﴾ [سورة الشعراء : ١٨٤] وقوله : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ [سورة الصافات : ٩٦] .

الثانى : خطاب خاص بلفظ عام كقوله تعالى : ﴿ أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٦] وقوله تعالى : ﴿ هذا ماكنزتم لأنفسكم ﴾ [سورة التوبة : ٣٥] .

الثالث : خطاب الجنس مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ﴾ [٣] .

---

(١) هذا الفصل الأخير وكأن المؤلف أراد أن يصنع فيه فهرسًا إجماليًا لما سبق من فنون البلاغة التى ذكرها . وأضاف إليها ما وقع عليه من تلوين الخطاب ، وهذه الأوجه الستة عشر من أوجه الخطاب ذكرها الزركشى وغيرها فى البرهان : ٢/٢١٧ - ٢٥٣ ، والسيوطى فى الإتقان : ٣/٩٩ - ١٠٥ ، ومعترك الأقران : ١/٢٣١ - ٢٣٧ .

(٢) كذا فى (ط) .

(٣) وردت فى مواضع عدة فى القرآن : (البقرة : ٢١ ، ١٦٨ / النساء : ١ ، ١٧٠ ، ١٧٤ / والأعراف : ١٥٨ / ويونس : ٢٣ ، ٥٧ ، ١٠٤ ، ١٠٨ / الحج : ١ ، ٥ ، ٤٩ ، ٧٣ / النمل : ١٦ / لقمان : ٣٣/ فاطر : ٥ ، ١٥ / الحجرات : ١٣) .

الرابع : خطاب النوع مثل قوله تعالى : ﴿ يابنى آدم خذوا زينتكم عندَ كلّ مسجد ﴾ [سورة الأعراف : ٣٦] ويريد بنى آدم من صلبه خاصة [(١)] وقوله تعالى : ﴿ يابنى إسرائيل ﴾ [(٢)] .

الخامس : خطاب العين كقوله تعالى : ﴿ يا آدم اسكن أنتَ وزوجك الجنة ﴾ [سورة البقرة ٣٥ ، والأعراف : ١٩] ﴿ يا نوح اهبط بسلام مِنّا ﴾ [سورة هود : ٤٨] ﴿ يا إبراهيم قد صدَّقْتَ الرؤيا ﴾ [سورة الصافات : ١٠٤ ، ١٠٥] .

السادس : خطاب المدح مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ [(٣)] .

السابع : خطاب الذم كقوله : ﴿ يا أيها الذين كفروا ﴾ [سورة التحريم : ٧] .

الثامن : خطاب الكرامة كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسولُ بلّغْ ﴾ [سورة المائدة : ٦٧] .

التاسع : خطاب الإهانة كقوله تعالى : ﴿ إنكَ رجيم ﴾ [سورة الحجر : ٣٤ ، سورة ص : ٧٧] .

العاشر : خطاب الجمع بلفظ الواحد كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان ما غَرَّك بربك الكريم ﴾ [سورة الإنفطار : ٦] .

الحادى عشر : خطاب الواحد بلفظ الجمع كقوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خيرٌ للصابرين ﴾ [سورة النحل : ١٢٦] خاطب بذلك النبى ﷺ بدليل قوله : ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ [سورة النحل : ١٢٧] . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَأْتَلِ أولو الفضل منكم والسَّعَةِ أن يؤتوا

---

(١) كذا فى (ط) ، وهو كلام عجيب .

(٢) وردت فى (سورة البقرة : ٤٠ ، ٤٧ ، ١٢٢ / آل عمران : ٧٢ / طه : ٨٠ / الصف ٦) .

(٣) وردت فى مواضع كثيرة يصعب حصرها هنا . انظرها فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (أيها) .

أولى القربى والمساكينَ والمهاجرينَ فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر اللهُ لكم والله غفورٌ رحيم ﴾ [سورة النور : ٢٢] خاطب بذلك أبابكر رضى الله عنه حين حرم مِسْطَحًا رِفْدَه حين تكلم فى حديث الإفك .

الثانى عشر : خطاب الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى (١) : ﴿ ألقيا فى جهنم كلَّ كفار عنيدٍ ﴾ [سورة ق : ٢٤] والخطاب لمالك خازن النار تقديره : ألق ألق . وقد سمع عن بعض العرب : « ياحَرَسِىُّ اضربا عُنقه » . وقد حمل بعض الأئمة قول امرىء القيس :

* قِفَانَبْك مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمنزِلِ (٢) *

على هذا المحمل .

٢٥٧ **الثالث عشر** : خطاب العين والمراد به الغير كقوله تعالى يخاطب به / النبى ﷺ ﴿ لئن أشركت ليحبطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [سورة الزمر : ٦٥] والمراد به أمته .

الرابع عشر : الخروج بخطاب الحضرة إلى الغيبة مثل قوله تعالى : ﴿ حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم ﴾ [سورة يونس : ٢٢] .

الخامس عشر : الخروج من الغيبة إلى الحضور كقوله تعالى : ﴿ فأما الذين اسْوَدَّتْ وُجوههم أكفرتم بعدَ إيمانكم ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٦] وقوله تعالى : ﴿ وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا إن هذا كان لكم جزاء وكانَ سعيكم مَشكوراً ﴾ .

السادس عشر : خطاب التحنن مثل قوله تعالى : ﴿ ياعبادى الذين أسرَفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾ (٣) إلى قوله : ﴿ تشعرون ﴾ [سورة الزمر : ٥٣ – ٥٥] .

---

(١) هو قول الفراء فى معانى القرآن : ٧٨/٣ . وهناك مذهب آخر أن الألف للتثنية فعلاً . وانظر البحر المحيط : ١٢٦/٨ .

(٢) صدر معلقته الشهيرة .

(٣) تكملة الآيات : يقول تعالى : ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾ .

السابع عشر : إطلاق اسم العلم على المعلوم .

الثامن عشر : إطلاق المعلوم على العلم .

التاسع عشر : إطلاق القدرة على المقدور .

العشرون : إطلاق اسم الإرادة على المراد .

الحادى والعشرون : إطلاق اسم المراد على الإرادة .

الثانى والعشرون : إطلاق اسم الفعل على أول جزء منه وعلى آخر جزء منه .

الثالث والعشرون : إطلاق اسم الأمل على المأمول .

الرابع والعشرون : إطلاق اسم الوعد والوعيد على الموعود .

الخامس والعشرون : إطلاق اسم العقد والعهد على الملتزم بهما .

السادس والعشرون : إطلاق اسم البشرى على المبشر به .

السابع والعشرون : إطلاق اسم القول على المقول .

الثامن والعشرون : إطلاق اسم النبأ على المنبأ به .

التاسع والعشرون : إطلاق الاسم على المسمى .

الثلاثون : إطلاق اسم الكلمة على المتكلم .

الحادى والثلاثون : إطلاق اسم اليمين على المحلوف عليه .

الثانى والثلاثون : إطلاق اسم الحكم على المحكوم به .

الثالث والثلاثون : إطلاق العزم على المعزوم عليه .

الرابع والثلاثون : إطلاق اسم الهوى على المهوى .

الخامس والثلاثون : إطلاق اسم الخشية على المخشى .

السادس والثلاثون : إطلاق اسم الظن على المظنون .

السابع والثلاثون : إطلاق اسم الظن على المظنون .

الثامن والثلاثون : [إطلاق اسم] [١] اليقين على المتيقن .

التاسع والثلاثون : إطلاق اسم الشهوة على المشتهى .

الأربعون : إطلاق اسم الحاجة على المحتاج .

الحادى والأربعون : إطلاق اسم السبب على المسبب .

الثانى والأربعون : إطلاق اسم الكتابة على الحفظ .

الثالث والأربعون : إطلاق اسم السمع على القبول .

الرابع والأربعون : إطلاق اسم الإيمان على مانشأ عنه .

الخامس والأربعون : إطلاق اسم المسبب على السبب .

٢٥٨ السادس والأربعون : / إطلاق اسم العقوبة على الإساءة .

السابع والأربعون : إطلاق اسم الأكل على الأخذ .

الثامن والأربعون : إطلاق اسم الغلبة على المقاتلة التى هى سبب عنها .

التاسع والأربعون : إطلاق اسم الرجز والرجس على عبادة الأصنام .

الخمسون : إطلاق اسم المغفرة على التوبة .

الحادى والخمسون : إطلاق اسم الكبرياء على الملك .

الثانى والخمسون : إطلاق اسم القوة على السلاح .

الثالث والخمسون : إطلاق اسم الاعطاء والإيتاء على الالتزام .

الرابع والخمسون : إطلاق اسم الفعل على غير فاعله .

الخامس والخمسون : إطلاق اسم الفعل على سببه .

---

(١) ساقط من ط .

السادس والخمسون : إطلاق اسم الفعل على الأمر به .

السابع والخمسون : إطلاق اسم البغض على الكل .

الثامن والخمسون : إطلاق اسم الكل على البعض .

التاسع والخمسون : إطلاق اسم القيام على الصلاة .

الستون : إطلاق اسم الركوع عليها .

الحادى والستون : إطلاق اسم السجود عليها .

الثانى والستون : إطلاق اسم القراءة عليها .

الثالث والستون : إطلاق اسم التسبيح عليها .

الرابع والستون : إطلاق اسم الذكر عليها .

الخامس والستون : إطلاق اسم الاستغفار عليها .

السادس والستون : إطلاق اسم الذقن على الوجه .

السابع والستون : إطلاق اسم الأنف على الوجه .

الثامن والستون : إطلاق اسم الرقبة على الجملة .

التاسع والستون : إطلاق اسم اليدين على الجملة .

السبعون : إطلاق اسم اليمين على الجملة .

الحادى والسبعون : إطلاق اسم العضد على الجملة .

الثانى والسبعون : إطلاق اسم الأصابع على الأرجل .

الثالث والسبعون : إطلاق اسم الوجه على الجملة .

الرابع والسبعون : إطلاق اسم بعض الرأس على الرأس .

الخامس والسبعون : إطلاق اسم بعض الأذن على الأذن .

السادس والسبعون : وصف الوجه بالخشوع ، والخشوع إنما يكون فى القلوب .

السابع والسبعون : وصفها بالرضى .

الثامن والسبعون : وصف الجميع بما هو وصف البعض .

التاسع والسببعون : إطلاق اسم الفعل على مقاربه ومساوقه .

الثمانون : إطلاق اسم الفعل على ماكان عليه .

الحادى والثمانون : إطلاق اسم الشيء على مايؤول إليه .

الثانى والثمانون : إطلاق اسم المتوهم على المتحقق .

الثالث والثمانون : إطلاق اسم الشيء على مايظنه الناظر وهو على خلافه .

الرابع والثمانون : التعبير بالإذن عن المشيئة .

الخامس والثمانون : إطلاق اسم الشيء على مالازمه .

٢٥٩ السادس والثمانون : إطلاق / اسم الحال على المحل .

السابع والثمانون : إطلاق اسم الأفواه على الألسن .

الثامن والثمانون : التعبير بالألسنة عن اللغات .

التاسع والثمانون : إطلاق ترك الكلام على الغضب .

التسعون : التعبير بالإياس عن العلم .

الحادى والتسعون : التعبير بالدخول عن الوطء .

الثانى والتسعون : إطلاق اسم الأسد على الشجاع .

الثالث والتسعون : إطلاق اسم الفوز والحياة على الإيمان .

الرابع والتسعون : إطلاق اسم الظلمة والموت على الجهل .

الخامس والتسعون : إطلاق اسم السراج والنور على الهادى .

السادس والتسعون : إطلاق اسم الحطب على النميمة .

السابع والتسعون : إطلاق اسم الإنسان على تمثاله .

الثامن والتسعون : التجوز بالماضى عن المستقبل .

التاسع والتسعون : التجوز عن الماضى بالمستقبل .

المائة : إطلاق اسم الخبر عن [١] النهى .

الحادى بعد المائة : إطلاق لفظ الخبر عن [٢] الدعاء .

الثانى بعد المائة : إطلاق الأمر على الخبر .

الثالث بعد المائة : توكيد الخبر .

الرابع بعد المائة : التجوز بجواب الشرط عن الأمر .

الخامس بعد المائة : التجوز بلفظ النهى عن [٢] أشياء ليست مرادة بالنهى وإنما يراد بها مايقاربها ويلازمها .

السادس بعد المائة : التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيه وإنما المراد به من يصح نهيه .

السابع بعد المائة : التجوز بنهى من يصح نهيه والمنهى فى الحقيقة غيره .

الثامن بعد المائة : التجوز بها عن الأمر والنهى والتقرير .

التاسع بعد المائة : التجوز بهمزة الاستفهام عن الأمر والإيجاب والتقرير والتوبيخ .

العاشر بعد المائة : التجوز بفى ويتجوز بها فى مواضع قد تقدم ذكرها فى فصل المجاز .

الحادى عشر بعد المائة : التجوز بعلى ويتجوز فى مواضع مضى ذكرها فى باب المجاز عن «عن» وهى حقيقة مجاوزة جرع عن جرم ويتجوز بها فى المعانى وقد تقدم ذكره .

(١ ، ٢) كذ فى (ط) .

الثانى عشر بعد المائة : التجوز بمن وهى حقيقة فى ابتداء الغاية فى الأمكنة وتجوز بها عن ابتداء الغاية في الأزمنة .

الثالث عشر بعد المائة : حرف « ثم » ؛ وتستعمل حقيقة فى التراخى المعنوى ومجازًا فى التراخى الزمانى .

الرابع عشر بعد المائة : حرف « ما » قال سيبيويه : هي للأصناف والأخلاط وهى حقيقة فى الأجرام وتجوز فى المعانى .

الخامس عشر بعد المائة : حرفا « لعل وعسى » وحقيقتهما الترجى والتوقع ويتجوز بهما فى الإيجاب .

٢٦٠ / **فهذه مائة وخمسة عشر قسمًا : إذا حررت بتفاصيلها جاوزت المائة وعشرين نوعًا بل أكثر من ذلك وقد ذكرناها مفصلة معينة بشواهدها من الكتاب العزيز والكلام الفصيح وأشعار العرب والمخضرمين والمتأخرين** ونسأل الله العون والصون والتوفيق إلى مايقربنا إليه ويزلفنا لديه والله الموفق لارب غيره ولا يستعان بسواه [1] .

* * *

(١) فى هامش الصفحة كتب مصححها : (يقول مصححه عفا الله عنه ، الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد تم بعون الله وحسن توفيقه طبع كتاب (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) لمؤلفه شيخ الإسلام على التحقيق ناصر السنة قامع البدع شمس الدين أبى عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية وهو كما ترى لم يؤلف فى بلاغة القرآن مؤلف على مثاله ، ولم تنسج يد ناسج على منواله . وكان طبعه الزاهى الزاهر بمطبعة السعادة بمصر ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ماتعاقبت الأوقات) .

... وبعد فقد تبين لنا أن مانشر تحت اسم « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » أو « كنوز العرفان فى أسرار وبلاغة القرآن » منسوبًا إلى الإمام ابن قيم الجوزية ماهو إلا مقدمة تفسير الإمام جمال الدين محمد بن سليمان المعروف بابن النقيب . وقد وفق الله للكشف عنها وشرحها وصنع فهارسها ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . وكتب أبو يحيى زكريا ابن سعيد على مدرس البلاغة والنقد الأدبى بدار العلوم ، جامعة القاهرة .

الخميس الخامس والعشرون من ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة . الموافق للثانى والعشرين من أكتوبر ١٩٩٢ م .

* * *

* * *

الفن الأول

(الكلام على ما يختص بالمعانى وينقسم إلى عدة أقسام)

فصل يشتمل على ذكر جمل عُطف بعضها على بعض بالواو والفاء وثم

* * *

الفن الثاني

ما يتعلق بالألفاظ من الفصاحة

* * *

* * *

الفهارس الفنية

* * *



١ - فهرس القرآن الكريم

ســـــورة النســـــاء

ســـــورة المائـــدة

ســــورة الأعــراف

ســـورة التـوبـــة

ســـــورة يونـس

ســـــورة الحجـــر

ســـــورة النحـل

رقم الآية	الآيـــــة	الفن البلاغى	الصفحة
١٠٣	إنما يعلمه بشر	–	٥١٤
١٠٣	لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين	–	٥١٤
١٠٨	أولئك الذين ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم	المؤاخاة	١٩٣
١١٢	فأذاقها الله لباس الجوع والخوف	الاستعارة	١٠٧
١١٩	ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم	التكرار	٢٢٨
١٢٠	إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين	الرثاء والتعزية	٤٠٩
١٢٦	وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به	إطلاق اسم المسبب على السبب	٣٩
١٢٦	ولئن صبرتم لهو خير للصابرين	الرثاء والتعزية	٤١٠
١٢٦	وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين	خطاب الواحد بلفظ الجمع	٥٢٧
١٢٧	واصبر وما صبرك إلا بالله	–	٥٢٧

ســـورة الإســراء

رقم الآية	الآيـــــة	الفن البلاغى	الصفحة
١	سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير	الالتفات	٢٠٢
٨	وإن عدتم عدنا	التجوز بالماضى عن المستقبل	٧١
٩	إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم	الإبهام من غير تفسير	٣٧٥
١٢	وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة	الاستعارة	١٠٠
٢٣	فلا تقل لهما أف	الإشارة	٢٥٩
٢٣	فلا تقل لهما أف	النفى والإثبات	٣٨١
٢٣	فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما	النفى والإثبات	٣٨٢
٢٤	واخفض لهما جناح الذل من الرحمة	الاستعارة	١٠٢

ســـــورة الكهف

ســـــورة مريـــم

ســــورة الأنبيــــاء

ســــورة الحــج

ســـورة المؤمنـــون

ســـورة النـــور

ســــورة النمــــل

ســـورة القصص

ســـــورة العنكبوت

ســـــورة الـــروم

ســـورة لقمـــان

ســـــورة فاطـــر

ســـورة ص

ســـــور الزمــر

رقم الآية	الآيـــــة	الفن البلاغى	الصفحة
٢٢	أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه .. الآية	الايجاز بالحرف	١٤٩
٢٣	الله نزل أحسن الحديث	فى ذكر اعجاز القرآن	٥١٥
٣٦	أليس الله بكافٍ عبده	التجوز بالحروف	٧٧
٣٧	أليس الله بعزيز ذى انتقام	التجوز بالحروف	٧٧
٥٣ – ٥٥	ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ... إلى قوله تعالى « تشعرون »	الاعجاز القرآنى	٥٢٨
٦٤	قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون	التقديم والتأخير	١٦٨
٦٥	ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك	اتصال قد بالفعل	١٩٨
٦٥	لئن أشركت ليحبطن عملك	فى ذكر اعجاز القرآن	٥٢٨
٦٦	بل الله فاعبد وكن من الشاكرين	التقديم والتأخير	١٦٨

ســـــورة غافــر

رقم الآية	الآيـــــة	الفن البلاغى	الصفحة
١٨	وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر	العتاب والإنذار	٤١٩
١٩	يعلم خائنة الأعين	إطلاق اسم الكل على البعض	٥٠
٢٤	فقالوا ساحر كذاب	الايجاز بالحذف	١٥٨
٢٨	وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ... الآية	الاستدراج	٤٤٠
٣٦ – ٣٧	وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحاً ... إلى قوله « فأطلع إلى إله موسى »	التصريح بعد الابهام « التفسير »	٣٧٤
٣٨ – ٤٠	وقال الذى آمن ياقوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد ... إلى قوله « يرزقون فيها بغير حساب »	التصريح بعد الإبهام « التفسير »	٣٧٤
٤٤	وأفوض أمرى إلى الله إنَّ الله بصير بالعباد	فى الشكاية	٤١٢
٥٦	إنَّ فى صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه	–	٧٨
٧٥	ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون	التجنيس	٥٠٢

رقم الآية	الآيـــة	الفن البلاغى	الصفحة
٢١	واذكر أخا عاد إذا أنذر قومه بالأحقاف	التلميح	٣٤١
٢٢	فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين	الاقتضاء	٤١٥
٣٥	فهل يهلك إلا القوم الفاسقون	التجوز بالحروف	٧٦

ســـــورة محـمد

رقم الآية	الآيـــة	الفن البلاغى	الصفحة
٤	فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب	الايجاز بالحذف	١٥٩
٤	حتى تضع الحرب أوزارها	الاستعارة	١٠٠
١٥	مثل الجنة التى وعد المتقون	فى الوصف	٣٩٤
١٥	مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ... الآية	الغزل	٤٣٥

ســـــورة الفتـــح

رقم الآية	الآيـــة	الفن البلاغى	الصفحة
٤	وكان الله عليماً حكيماً	الأزدواج	٤٦٩
١١	يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم	التعبير بالأفواه عن الألسن	٦٤
٢٠	وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها	الوعد والوعيد	٤١٧
٢٧	لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين	فى ذكر إعجاز القرآن	
		الاعتراض والحشو	١٩٤
٢٨	هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق	—	٥١٤
٢٩	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ... الآية	التكميل	١٨٣
		التضمين والايداع	٢٤٢
		المدح والذم	٤٠٠
		الموجه	٣٤٥
٢٩	وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما	الوعد والوعيد	٤١٧

ســــورة القــمر

ســــورة الرحمن

ســــورة الواقعة

رقم الآية	الآيـــة	الفن البلاغى	الصفحة
٢٥	مما خطاياهم أغرقوا	التجوز بالحروف	٨٣
٢٧	ولا يلدوا إلا فاجراً كفَّاراً	اطلاق اسم الشىء على مايؤول إليه	٥٥

ســـورة الجن

رقم الآية	الآيـــة	الفن البلاغى	الصفحة
١	إنَّا سمعنا قرآنا عجباً	فى ذكر إعجاز القرآن	٥١٦
٢٧	إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً	–	٩
٢	قم الليل إلا قليلاً	التعبير بالقيام عن الصلاة	٤٦
٢٠	فاقرأوا ماتيسر من القرآن	التعبير بالقراءة عن الصلاة	٤٧

ســـورة المدثـــر

رقم الآية	الآيـــة	الفن البلاغى	الصفحة
١ – ٤	يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر	التسجيع	٤٧٣
٣	وربك فكبر	مايقرأ من الجهتين	٤٩٥
٤	وثيابك فطهر	الكناية « المجاورة »	٢٧٢
٥	والرجز فاهجر	اطلاق اسم الرجز على عبادة الأصنام	٤٠
٩	فذلك يومئذٍ يوم عسير	وصف الزمان بصفة ما يشتمل عليه ويقع فيه	٦٦
١١	ذرنى ومن خلقت وحيداً	–	١١
١١	ذرنى ومن خلقت وحيداً	الاستعارة	١٠٧
١٩ – ٢٠	فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر	تكرار اللفظ والمعنى	٢٢٧
٤٦ – ٤٧	وكنَّا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين	اطلاق اسم اليقين على المتيقن	٣٤
٢٢ – ٢٣	وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة	التعبير بالوجه عن الجد	٤٨
		التقديم للتخصيص والجودة انتظام الكلام	١٦٧
٢٥	تظن أن يفعل بها فاقرة	اطلاق اسم الكل على البعض	٥١
٢٦	كلا إذا بلغت التراق	الايجاز بالحذف	١٥٠

رقم الآية	الآيـــــة	الفن البلاغى	الصفحة
	ســـــورة البلد		
١٧	ثم كان من الذين آمنوا ... الآية »	التجوز بالحروف	٨٣
	ســـــورة الشـمس		
٥ – ٧	والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها	القسم	٢٣٨
١٢	ناقة الله وسقياها	الأيجاز بحذف الأفعال	١٥٩
	ســـــورة الليل		
٥	فأمّا من أعطى واتقى وصدق بالحسنى	الطباق اللفظى	٣٠٥
٥ – ١٠	فأمّا من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ... إلى قوله .. فسنيسره للعُسرى »	المقابلة	٣٠٨
	ســـــورة الضحـــى		
٩ – ١١	فأمّا اليتيم فلا تقهر وأمّا السائل فلا تنهر وأمّا بنعمة ربك فحدث	التسجيع	٤٧٣
	ســـــورة العلق		
١ – ٢	اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق	لزوم مالا يلزم	٤٨٩
١٥ – ١٦	لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة	اطلاق اسم الكل على البعض	٥١
١٧	فليدع ناديه	التعبير بالنادى عن أهله	٦٥
	ســـــورة العاديات		
١ – ٣	والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً	التسجيع	٤٧٢
٤ – ٥	فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً	الترصيع	٤٧٦
١١	إنّ ربهم بهم يومئذٍ لخبير	التجنيس	٥٠٣

رقم الآية	الآيـــــة	الفن البلاغى	الصفحة
	ســـــورة المـــد		
٤	حمّالة الحطب	التجوز فى الأسماء	٦٨
	ســـــورة الاخـــلاص		
١ - ٤	قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد	المدح والذم	٤٠٠

• • •

٢ – فهرس الحديث الشريف

البـــاء

التـــاء

رقم الحديث	الحديث	الفن البلاغى
	العين	
٣٠٥	علم الأنساب علم لا ينفع وجهل لا يضر	الطباق
	الفاء	
١٢٣	فمن أين يكون الشبه	
	القاف	
٥١٦	القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم	فى ذكر إعجاز القرآن
	الكاف	
٣٤٢	كنّا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم	النسخ
٣٤٢	كنّا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ « لو أعطى ابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب	النسخ
	اللام	
٥١٥	لا تشبع منه العلماء	إعجاز القرآن
١٥٥	لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد	الإيجاز بالحذف حذف الصفة
٣٣٩	لا يدخل الجنة عجوز	الهزل الذى يراد به الجد
٦٢	لا يريبه أحد	إطلاق اسم الريب على الشك
٢٣٩	لن تمسه النّار إلا تحلة القسم	القسم المضمر
٤٩٥	اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا	ما يقرأ من الجهتين

اللام

النون

رقم الصفحة	الحديث	الفن البلاغى
	الهاء	
١٥٩	هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك	الإيجاز بالحذف [حذف الفعل]
٣٣٩	هو الجد ليس بالهزل	
١٦٨	هو الطهور ماؤه الحل ميته	تقديم الخبر على المبتدأ لإفادة زيادة المعنى فقط « التقديم والتأخير »
	الواو	
٥٠٨	واستحللتم فروجهن بكلمة الله	
٥١٠	ولكل آية منه ظهر وبطن وحد ومطلع	
٢٧٨	والله إنكم لتجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله وإنَّ آخر وطأة وطئها الله بوج	
	اليـــاء	
٧٣	يرحم الله أخى لوطًا لقد كان يأوى إلى ركن شديد	التجوز بلفظ الخبر عن الدعاء
٢٥٠	يطهره مابعده	

* حديث عتبة أن رسول الله ﷺ تلا عليه (حم) فصلت ... فأمسك على فى رسول الله : ٥١٦ – فى ذكر إعجاز القرآن

* * *

٣ – فهرس الفنون والمباحث البلاغية مرتبة ترتيبًا ألف بائيًا

الجيم

الحاء

* * *

٤ – فهرس الأشعار

فشحت وجادت لى بخط أديب	الطويل	أبو تمام	رد العجز على الصدر	٤٩٧
إليه ثنايا الموت من كل مرقب	»	—	—	١٠٢
وجدت بها طيبا وإن لم تطيّب	»	امرؤ القيس	المخالفة	٤٨٨
وأرحلنا الجزع الذى لم يثقّب	»	»	التتميم	١٨٥
به الخوف والأعداءُ من كل جانب	»	—	الحمل على المعنى	٢١٥
تصول بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ	»	أبو تمام	التجنيس	٢٥١ ، ٥٠٣
بهنّ فلول من قراع الكتائبِ	»	النابغة	الاستثناء	٣٦٠
أعمارهم قبل نضج التين والعنبِ	البسيط	أبو تمام	الاستعارة	١٠٩
من كان فى الحب أشقانا بصاحبِهِ	»	وجيه الدولة	التعليق والإدماج	٤٤٥
وهضبته التى فوق النصابِ (٣ أبيات)	الوافر	—	الحمد والشكر	٤٠٣
وشبوه بين جوانحٍ وقلوبِ	الكامل	البحترى	الاستخدام	٤٤٦
جلته حدائد الضرابِ	الخفيف	ابن المعتز	التشبيه المعكوس	١٢٩
برقت مصابيح الدجى فى كُتْبِهِ	الكامل	البحترى	التهذيب	٤٥٣
وسجوم دمعى فى الهوى وصبيبِهِ	»	الباخرزى	التجنيس	٥٠٢
مالم يبالغ قبل فى تهذيبها (بيتان)	»	—	التهذيب	٤٥٤

التـــاء

سائل بنى أسدٍ ما هذه الصوتُ	البسيط	—	الحمل على المعنى	٢١٥
إلى حجراتٍ أدفأت وأظلتِ	الطويل	طفيل الغنوى	الإيجاز بالحذف	١٥١
قلوصيكما ثم انزلا حيث حَلتِ (بيتان)	»	كثير عزة	لزوم ما لا يلزم	٤٩٠
فلما رجوها أقشعت وتجلتِ	»	»	التشبيه	١٢٨
لأعف عما فى سراويلاتِها	الكامل التام	المتنبى	الكناية	٢٧٤
مولع بالفتيات (٣ أبيات)	مجزوء الرمل	امرؤ القيس	الانسجام	٤٥٦
سلبتنى بحسنها حسناتى (٥ أبيات)	الخفيف	—	التجنيس	٥٠٠
كأنى نوالك فى سرعتِهْ	المتقارب	جحظة	التعليق والإدماج	٤٤٥

الجيم

أواخر الميس أصوات الفراريجِ	الطويل	ذو الرمة	التشبيه	١١٥

الحاء

الـدال

الراء

الزاى

السين

الشين

الظاء

العين

الفاء

اللام

[الميم]

الياء

* * *

الألف المقصورة

أنصاف الأبيات

• • •

٥ – فهرس الأمثال والأقوال المأثورة

* * *

٦ - فهرس الشعراء

* * *

٧ - فهرس الأعـــلام

* * *

٨ - فهرس الكتب

* * *

٩ - فهرس الفوائد والتنبيهات من التعليقات (*)

(أ)

- وهم لابن النقيب فى نقل نص عن العز بن عبد السلام ٣١ هـ ٣
- وهم آخر لابن النقيب أخشى أن يكون بسبب تحريف لحق أصل كتابه ٥٤ هـ ٢
- وهم لابن النقيب ، وهو متابع فيه لما فى كتاب العز بن عبد السلام فى المجاز ٨٠ هـ ٢
- خطأ ابن النقيب فى جعله (غلبة الفروع على الأصول) قسمًا برأسه ، وهو نفسه « التشبيه المعكوس » ١٢٢ هـ ٧
- كلام تنبو عنه النفس للشيخ ابن النقيب - رحمه الله - فى بيان التشبيه فى آية سورة النور « الله نور السموات والأرض » ١٣٠ هـ ٥
- رد على الشيخ ابن النقيب فى تجويزه الحذف دون دليل ١٦٤ هـ ١

(*) هذا الفهرست من الفهارس الهامة ويقول فيه الأستاذ الدكتور محمود محمد الطناحى : « يقع لى ولغيرى من المحققين كثير من الفوائد ، ننثرها فى التعليقات نثرا ، على امتداد الكتاب ، وقد تخطئها العين فلا تقف عندها ، فإذا أردنا أن نسلكها فى الفهارس العامة لا نجد لها موضعًا أو مناسبة تنتظمها ، فكان من الخير - إن شاء الله - أن تفرد هذه الفوائد فى بابةٍ وحدها ، تقييدا لها وتنبيها عليها . وقد قيل : « العلم صيد والكتابة قيد » . أمالى ابن الشجرى : ٦١٤/٣ - تحقيق الأستاذ الدكتور محمود الطناحى - مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

وهذا الفهرست قسمته إلى ثلاثة أقسام

الأول : (أ) وخصصته للمآخذ على الشيخ ابن النقيب التى ظهرت لى على امتداد العمل . وعلم الله أنى ماقصدت بهذا تقليلا من جهد المؤلف رحمه الله ، والقصد بذلك خدمة وجه العلم الشريف

الثانى : (ب) ، وخصصته لفوائد وتنبيهات تتعلق بالمادة البلاغية فى مقدمة ابن النقيب .

الثالث : (جـ) ، وخصصته لفوائد وتنبيهات عامة فى البلاغة .

الرابع : (د) ، وخصصته لفوائد وتنبيهات فى بيان أخطاء الكتب والدواوين الشعرية ، وما لحقها من تصحيف وتحريف .

والله من وراء القصد وهو نعم الوكيل .

* * *

(ب)

* * *

(جـ)

* * *

(د)

- مطبوعة الإشارة للعز بن عبد السلام لحقها شيء من التحريف ٥٣ هـ ١ ، ٦٦ هـ ٣ ، ٨١ هـ ٢
- نص نقله ابن النقيب عن كتاب الإشارة لابن عبد السلام ليس موجودًا فى مطبوعته بين أيدينا ٧٠ هـ ١
- شيء من الاضطراب والكزازة فى بعض عبارات مطبوعة نهاية الإيجاز للرازى .
- شيء من الخلل والاضطراب فى مطبوعة المعيار للزنجانى ١٠٢ هـ ٥
- إبعاد من مصحح مطبوعة الفوائد المشوق فى بعض التعليقات ١١٦ هـ ٥ ، ١١٧ هـ ٥
- سقط فى مطبوعة الجامع الكبير لابن الأثير ١٠٦ ، ١٢٥ هـ ٣ ، هـ ٤
- سقط كبير فى مطبوعة الجامع الكبير ١٩٥ هـ ٢
- تصحيف قديم فى أصل مخطوطه الجامع الكبير ٢٦٥ هـ ٣
- قلق بمطبوعة الجامع الكبير ٢٦٩ هـ ٢ ، ٢٧٠ هـ ٣ ، ٢٧١ ، هـ ٤ ، ٢٧٦ هـ ٢ ، ٢٧٧ هـ ٣ ، ٢٧٨ هـ ٥
- خطأ فى مطبوعات الفوائد المشوق ونهاية الإيجاز والمعيار فى عدم تفرقتها بين الأخطل والأخيطل ١٣٢ هـ ٨
- مخالفة ابن النقيب فى نسبة بيت لابن زيدون إلى ابن اللبانة الأندلسى ١٣٨ هـ ٢
- تحرير فى قول الشاعر

نأت سلمى فعاودنى صداع الرأس والوصب

٢٠٠ هـ ٢

- تصحيف وتحريف فى مطبوعة معترك الأقران للسيوطى ٢٤٠ هـ ١
- تصحيف قديم فى كتاب أسامة بن منقذ فى نقد الشعر ٣٦١

مطبوعة الفوائد المشوق ولحاق التحريف والتصحيف لها : ٥٣ هـ ١ ، ٦٥ هـ ٣ ، ٧١ هـ ١ ، ٧٢ هـ ١ ، ٧٣ هـ ١ ، ٧٤ هـ ٢ ، ٧٥ هـ ١ ، هـ ٢ ، ٧٦ هـ ١ ، ٧٨ هـ ١ ، هـ ٣ ، ٧٩ هـ ١ ، ٨٠ هـ ١ ، هـ ٣ ، ٨٣ هـ ٢ ، ٨٤ هـ ١ ، ٨٤ هـ ٤ ، ٨٥ هـ ٢ ، هـ ٣ ، هـ ٥ ، ٩٣ هـ ١ ، هـ ٣ ، ٩٦ هـ ١ ، هـ ٤ ، ٩٧ هـ ١ ، هـ ٢ ، هـ ٤ ، هـ ٦ ، ٩٨ هـ ١ ، ١٠٠ هـ ٥ ، ١٠٢ هـ ١ ، هـ ٦ ، ١٠٤ هـ ٥ ، ١١٠ هـ ٣ ، ١١٣ هـ ٤ ، ١١٤ هـ ١ ، ١١٦ هـ

* * *

١٠ - فهرس أبواب الدراسة

* * *

١١ - فهرس المصادر والمراجع

(أ)

- إتحاف السادة المتقين ، للسيد مرتضى الزبيدى ، دار الفكر - بيروت - د.ت
- الإتقان فى علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مكتبة دار التراث . القاهرة . د.ت
- إرواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل ، للشيخ ناصر الدين الألبانى- المكتب الإسلامى ط الثانية - بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م
- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر . تحقيق على البجاوى - مكتبة نهضة مصر . د.ت
- أسرار البلاغة ، لعبد القاهر الجرجانى - قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر . دار المدنى - الطبعة الأولى - القاهرة ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م .
- الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة « الموضوعات الكبرى » لملا على قارى - حققه محمد الصباغ - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م
- الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز لأبى محمد عز الدين بن عبد السلام - المطبعة العامرة . استانبول ١٣١٣هـ
- الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة ، لمحمد بن على الجرجانى - تحقيق د. عبد القادر حسين - دار نهضة مصر - القاهرة - ١٩٨٢ م
- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ، للخالديين - حققه د. السيد محمد يوسف - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٦٥ م
- الأصمعيات ، للأصمعى - تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون - ط الرابعة - دار المعارف - مصر ١٩٧٦ م
- الأطول ، لعصام الدين بن عربشاه - المطبعة العامرة - استانبول ١٢٣٤ هـ
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعى ، الطبعة الثامنة ، مصورة دار الفكر العربى - القاهرة - د.ت

- الأعلام للزركلى - دار العلم للملايين - ط السادسة - بيروت - ١٩٨٤ م
الأغانى للأصفهانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
الأمالى ، لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى - دار الكتب المصرية .
أمالى على عبد الرازق فى علم البيان وتاريخه - مطبعة مقداد - القاهرة - ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م
أمل الآمل لمحمد بن الحسن الحرعاملى (المتوفى ١١٠٤ هـ) - تحقيق السيد أحمد الحسينى - مكتبة الأندلس - ط الأولى بغداد ١١٠٤ هـ
الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى - دار الجنان - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
الأنواء فى مواسم العرب لابن قتيبة ، دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٨٨ - مصورة عن طبعة الهند .
أنوار الربيع فى أنواع البديع ، لابن معصوم - حققه شاكر هادى شكر - ط الأولى - مطبعة النعمان - النجف الأشرف ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

(ب)

البحر المحيط ، لأبى حيان الأندلس - مطبعة السعادة - ط الأولى - مصر - ١٣٢٨ هـ
البداية والنهاية
البديع ، لابن المعتز ، تحقيق اغناطيوس كراتشقوفسكى - ط الثالثة - دار المسيرة - بيروت - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
البديع فى نقد الشعر ، لأسامة بن منقذ - تحقيق د. أحمد بدوى ، ود. حامد عبد المجيد - مطبعة مصطفى الحلبى - مصر ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م . ونسخة أخرى بتحقيق عبد .آ . على مهنا ، بعنوان : البديع فى البديع فى نقد الشعر - دار الكتب العلمية - ط الأولى - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
بديع القرآن لابن أبى الإصبع - ط الأولى - مكتبة نهضة مصر - القاهرة - ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م
البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة ، للشيخ عبد الفتاح القاضى - ط الأولى - دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الأولى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى - مصر ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

البلاغة تطور وتاريخ ، للدكتور شوقى ضيف - ط الرابعة - دار المعارف - مصر ١٩٧٧ م

البلاغة عند أبى حيان الأندلسى ، لزكريا سعيد على - رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - ١٩٨٦ م

البلاغة عند الزمخشرى ، للدكتور مصطفى ناصف - رسالة دكتوراه مخطوطة بمكتبة جامعة عين شمس .

البلاغة عند السكاكى ، للدكتور أحمد مطلوب - الطبعة الأولى - مكتبة النهضة - بغداد - ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

البلاغة العربية وتفسير القرآن الكريم ، لجون ونسبرو - ترجمة د. شفيع الدين السيد - مقال منشور بحوليات كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٩٦٩ م - ١٩٧٠ م

البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ، لأمين الخولى - بحث ألقاه فى الجمعية الجغرافية الملكية - القاهرة - ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى ، للدكتور محمد أبو موسى - ط الثانية - مكتبة وهبه - القاهرة - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

بلاغة القرآن عند المفسرين حتى نهاية القرن السادس الهجرى ، رسالة دكتوراه ، لزكريا سعيد على - مخطوطة بمكتبة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م

بيان إعجاز القرآن للخطابى ، ضمن (ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن) تحقق د. محمد خلف الله أحمد ، د. زغلول سلام - دار المعارف - القاهرة ١٩٩١ م

البيان والتبيين ، للجاحظ - تحقيق عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجى - الطبعة الخامسة - القاهرة - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

(ت)

تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة - تحقيق السيد أحمد صقر - ط الثانية - دار التراث - القاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

تاريخ الأدب العربى ، لكارل بركلمان ، الجزء الخامس - ترجمة د. رمضان عبد التواب - دار المعارف - ط الثالثة - القاهرة ١٩٨٣ م

تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى – الطبعة الأولى – مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٩ هـ – ١٩٣١ م

تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ، لأحمد مصطفى المراغى – ط الأولى – مطبعة مصطفى البابى الحلبى – مصر ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م

التبيان فى علم البيان لابن الزملكانى ، تحقيق د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثى – بغداد – ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤ م

تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، لابن أبى الإصبع – تحقيق د. حفنى محمد شرف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة – ١٣٨٣ هـ

ترجمان البلاغة ، لمحمد بن عمر الرادويانى – ترجمه وعلق عليه د. محمد نور الدين عبد المنعم – دار الثقافة للنشر – القاهرة ١٩٨٧ م

تفسير الزمخشرى = الكشاف

تفسير الطبرى = جامع البيان عن تأويل آى القرآن

تنقيح المقال فى علم الرجال ، لعبد الله المامقانى – دار المرتضوية – النجف الأشرف – ١٣٥٠ هـ – [وهى بخط اليد ، ويبدو أن المؤلف من أهل القرن الرابع عشر الهجرى]

(ج)

جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى ، حققه محمود محمد شاكر – دار المعارف – مصر – الأجزاء من ١ – ١٦ ، وطبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م .

جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد ، لمحمد بن على الأَرْدَبيلى الفروى الحائرى (من أبناء القرن الحادى عشر) – دار الأضواء – بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

الجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، لضياء الدين بن الأثير – تحقيق د. مصطفى جواد ود. جميل سعيد – مطبعة المجمع العلمى العراق – بغداد ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م

الجامع الصحيح لأبى عيسى الترمذى ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م

(ح)

حاشية الشيخ حسن العطار على السمرقندية – شركة المطبوعات العلمية . مصر – ١٣٢٧ هـ

حدائق السحر فى دقائق الشعر ، للوطواط – ترجمه وعلق حواشيه د. ابراهيم أمين الشواربى – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٣٤٦ هـ = ١٩٤٥ م

حسن المحاضرة للسيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل – مطبعة عيسى الحلبى – مصر – ١٩٦٨ م

الحلة السِّيَرا فى مدح خير الورى = شرح الحلة السيرا

حلية المحاضرة فى صناعة الشعر للحاتمى – تحقيق د. جعفر الكتانى – بغداد ١٩٧٩ م

حياة الصحابة ، لمحمد يوسف الكاندهلوى – دائرة المعارف العثمانية – الهند – ١٣٧٩ هـ

(خ)

خزانة الأدب ، لابن حجة الحموى ، دار ومكتبة الهلال – ط الأولى – بيروت ١٩٨٧ م

الخصائص ، لابن جنى – تحقيق محمد على النجار – الطبعة الثالثة

خطوات التفسير البيانى ، للدكتور محمد رجب البيومى – مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة – ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م

(د)

دائرة معارف الأعلمى « مقتبس الأثر ومجدد مادثر » للشيخ محمد الحسين الأعلمى الحائرى الطبعة الأولى – طهران – قم – بيروت ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م

الدر المنثور فى التفسير المأثور للسيوطى ، المطبعة الميمنية – مصر – ١٣١٤ هـ

الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر العسقلانى ، دائرة المعارف العثمانية – حيدرأباد – الهند ١٣٥٠ هـ

دراسات فى الأدب العربى وفيها (شعر أبى دؤاد) ، غوستاف فون غرنباوم – ترجمة د. إحسان عباس ورفقاؤه – دار مكتبة الحياة – بيروت – ١٩٥٩ م

دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجانى – قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر – ط الأولى – مكتبة الخانجى – القاهرة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م

الدليل الشافى على المنهل الصافى لابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف) - تحقيق فهيم محمد شلتوت - ط الأولى - مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى السعودية ١٩٨٣ م

دمية القصر وعصره أهل العصر ، لعلى بن الحسن الباخرزى - تحقيق د. محمد التونجى - مؤسسة دار الحياة - دمشق - د.ت .

ديوان الأبيوردى . تحقيق د. عمر الأسعد . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

ديوان أشعار الأمير أبى العباس عبد الله بن المعتز = ديوان ابن المعتز

ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) - شرح وتعليق د. محمد محمد حسين - المكتب الشرقى للنشر والتوزيع - بيروت - د.ت

ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - ط الرابعة - دار المعارف - مصر - ١٩٨٤ م

ديوان أوس بن حجر - تحقيق د. محمد يوسف نجم - دار صادر - دار بيروت ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م

ديوان البحترى - تحقيق حسن كامل الصيرفى - دار المعارف - ط الثانية - مصر ١٩٧٢ م

ديوان بشار بن برد - جمعه وشرحه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - الشركة التونسية للتوزيع - الجزائر - ١٩٧٦ م

ديوان تأبط شرا وأخباره - جمع وتحقيق على ذو الفقار شاكر - دار الغرب الإسلامى - ط الأولى - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

ديوان أبى تمام بشرح التبريزى - تحقيق محمد عبده عزام - ط الرابعة - دار المعارف - مصر - ١٩٨٣ م

ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب - تحقيق د. نعمان محمد أمين طه - ط الثالثة - دار المعارف - القاهرة - وطبعة أخرى لدار صادر - بيروت .

ديوان حسان بن ثابت - تحقيق الدكتور وليد عرفات - سلسلة جب التذكارية - بيروت ١٩٧١ م

ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت - تحقيق د. نعمان محمد أمين طه - ط الأولى - القاهرة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

ديوان الحماسة لأبى تمام - تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان - مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

ديوان حميد بن ثور الهلالى – تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى – دار الكتب المصرية ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م

ديوان الخنساء – بيروت – دار صادر

ديوان ابن الدمينة – تحقيق أحمد راتب النفاخ – دار العروبة – القاهرة ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٩ م

ديوان ذى الرمة – تحقيق مطيع بيلى – المكتب الإسلامى – ط ثانية – بيروت ١٣٨٤ = ١٩٦٤ م

ديوان ابن الرومى – تحقيق د. حسين نصار – مطبعة دار الكتب – القاهرة ١٩٧٦ م

ديوان ابن زيدون ورسائله – شرح وتحقيق على عبد العظيم – دار نهضة مصر – الفجالة – القاهرة – د.ت

ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس – تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى – دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م

ديوان الشريف الرضى ، دار صادر – بيروت ١٣٨٠ هـ – ١٩٦١ م

ديوان الشماخ – تحقيق د. صلاح الدين الهادى – دار المعارف – مصر ١٩٦٨ م

ديوان الصنوبرى [من حرف الراء حتى القاف] – تحقيق د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – ١٩٧٠ م

ديوان طفيل الغنوى – تحقيق محمد عبد القادر أحمد – دار الكتاب الجديد – ط الأولى – ١٩٦٨ م

ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تحقيق د. محمد يوسف نجم – دار صادر – بيروت ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٨ م

ديوان العباس بن الأحنف ، تحقيق د. عاتكة الخزرجية ، طبع دار الكتب المصرية ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م

ديوان علقمة الفحل ، بشرح الأعلم الشنتمرى – حققه لطفى الصقال ودرية الخطيب – دار الكتاب العربى – ط الأولى – حلب ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

ديوان عنترة – دار صادر – بيروت – ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٦ م

ديوان الفرزدق – بشرح عبد الله الصاوى – القاهرة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م ، وطبعة دار صادر بيروت .

ديوان أبى فراس الحمدانى – تحقيق سامى الدهان – المعهد الفرنسى بدمشق – بيروت ١٣٦٣ هـ – ١٩٤٤ م

ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق د. ناصر الدين الأسد – دار صادر – ط الثانية – بيروت ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م

ديوان كثير – جمعه وشرحه د. إحسان عباس – دار الثقافة . بيروت ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م

ديوان كشاجم (أبو الفتح محمود بن الحسين الكاتب) – المطبعة الأنسية – بيروت – ١٣١٣ هـ

ديوان المتنبى = شرح ديوان المتنبى

ديوان مجنون ليلى – جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج – مكتبة مصر ١٩٧٩ م

ديوان ابن المعتز – تحقيق د. محمد بديع شريف – دار المعارف – مصر ١٩٧٧ م

ديوان مهيار الديلمى – دار الكتب المصرية ١٣٤٥ هـ

ديوان ابن النبيه المصرى – تحقيق عمر محمد الأسعد – دار الفكر – ط الأولى – ١٩٦٩ م

ديوان أبى نواس – تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالى – دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان

ديوان النابغة – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف – مصر ١٩٧٧ م . ونسخة أخرى بشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر – الجزائر ١٩٧٦ م

ديوان الهذليين – مصورة عن طبعة دار الكتب – الدار القومية – القاهرة ١٣٨٥ – ١٩٦٥ م

ديوان ابن هانى المغربى . ط دار صادر – بيروت .

ديوان وجيه الدولة – تحقيق د. محسن غياض – مجلة المجمع العلمى العراقى المجلد ٢٥ – بغداد ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م

(ذ)

الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، لأغابزرك الطهرانى – ط الثانية – دار الأضواء – بيروت د.ت

(ز)

زاد المعاد فى هدى خير العباد ، لابن قيم الجوزية – مكتبة محمد على صبيح بمصر د.ت

(س)

سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي – دار الكتب العلمية – ط الأولى – بيروت ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م

الزمخشري ، للدكتور أحمد الحوفي – ط الثانية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٨٠ م

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، للشيخ ناصر الدين الألباني – ط الأولى – دار الفكر – دمشق ١٣٧٩ هـ – ١٩٥٩ م .

سنن الترمذي = الجامع الصحيح للترمذي

سنن الدارقطني ، بتصحيح السيد عبد الله هاشم يماني المدني – دار المحاسن للطباعة – القاهرة – ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م

سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر – بيروت د.ت

السنن الكبرى للبيهقي ، دائرة المعارف العثمانية – الهند ١٣١٦ هـ

سنن النسائي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة – مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ١٤٠٦ هـ

سير أعلام النبلاء ، للذهبي – بإشراف شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

(ش)

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي – القاهرة

– شرح أشعار الهذليين ، صنعة أبي سعيد السكري – تحقيق عبد السلام – أحمد فراج – دار العروبة – مصر ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥ م

– شرح ديوان زهير صنعة ثعلب – دار الكتب المصرية ١٣٦٣ هـ – ١٩٤٤ م

– شرح الحلة السِّيَرا في مدح خير الورى لأبي جعفر الرعيني الغرناطي – مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٨٢ بلاغة .

– شرح ديوان كعب بن زهير – مصورة دار الكتب – الدار القومية – القاهرة – ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م

– شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة – تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد – ط الثالثة – المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥ م

– شرح ديوان المتنبي لابن جني = الفسر

– شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م

– شرح شواهد شرح الشافية للبغدادي – منشور مع شرح الشافية للرضي ، تحقيق محمد نور الحسن وزميليه – وهو الجزء الرابع منه

شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان ، للسيوطى - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - مصر - ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م .

شروح سقط الزند - الدار القومية - مصورة عن طبعة دار الكتب - القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م

شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبى بكر بن الأنبارى - تحقيق عبد السلام محمد هارون - ط الرابعة - دار المعارف - مصر - ١٩٨٠ م

شرح الكافية البديعية للحلى - تحقيق د. نسيب نشاوى - ط الأولى - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

شروح التلخيص ؛ ط الأولى - المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق مصر - ١٣١٧ هـ

شعب الإيمان للبيهقى - تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول - دار الكتب العلمية - ط الأولى - بيروت - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

شعر إبراهيم بن هرمة القرشى - تحقيق محمد نفاع وحسين عطوان - مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق .

شعر أبى دؤاد = دراسات فى الأدب العربى

شعر زهير بن أبى سلمى ، صنعة الأعلم الشنتمرى - تحقيق د. فخر الدين قباوة - دار الآفاق الجديدة - ط الثالثة - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

شعر مروان بن أبى حفصة ، جمع وتحقيق د. حسين عطوان ، دار المعارف - ط الثالثة - مصر - ١٩٨٢ م

الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، ط الثالثة - دار المعارف - مصر - ١٩٧٧ م

الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضى عياض - تحقيق محمد أمين قره على وزملاؤه - مكتبة الفارابى ومؤسسة علوم القرآن . دمشق .

(ص)

صحيح البخارى (ضمن فتح البارى) لابن حجر ، صحححه عبد العزيز بن باز ومحب الدين الخطيب - المطبعة السلفية مصر د.ت

صحيح مسلم ، تخريج محمد فؤاد عبد الباقى - ط الثانية - دار إحياء التراث العربى - بيروت ١٩٧٢ م

(ط)

طبقات الأولياء لابن الملقن – تحقيق نور الدين شريبة – مكتبة الخانجى – ط الأولى القاهرة ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م

طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج – ط الثالثة – دار المعارف – مصر – ١٩٧٦ م

طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحى ، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر – مطبعة المدنى – القاهرة ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م

طبقات المفسرين ، للسيوطى – تحقيق على محمد عمر ، مكتبة وهبة . ط الأولى – القاهرة – ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦

طبقات المفسرين للداودى – تحقيق على محمد عمر – مكتبة وهبه – القاهرة – ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م

طريق الهجرتين ، لابن قيم الجوزية . ط الثالثة – المكتبة السلفية – القاهرة – ١٤٠٠ هـ

(ع)

العبر فى خبر من غبر – تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول – دار الكتب العلمية – د.ت

عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح لابن السبكى . ضمن (شروح التلخيص)

العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيروانى – حققه محمد محيى الدين عبد الحميد – دار الجيل – ط الرابعة – بيروت ١٩٧٢ م

(غ)

غيث النفع فى القراءات السبع ، لعلى النورى الصفاقسى ، على هامش سراج القارىء المبتدى لابن القاصح – ط الثالثة . مطبعة مصطفى البابى الحلبى – القاهرة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

(ف)

الفسر ، شرح ديوان المتنبى لابن جنى – حققه د. صفاء خلوصى – بغداد – ١٩٨٨ م

الفلك الدائر على المثل السائر ، لابن أبى الحديد ، فى آخر القسم الرابع من طبعة المثل السائر لابن الأثير - دار نهضة مصر - القاهرة - د.ت

الفوائد البهية فى تراجم الحنفية ، للكنوى - تصحيح وتعليق محمد بدر الدين النعسانى - دار المعرفة - بيروت . د.ت

الصناعتان = كتاب الصناعتين

الفوائد البهية فى تراجم الحنفية ، لأبى الحسنات اللكنوى ، تصحيح محمد بدر الدين النعسانى - مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٤ هـ

فوات الوفيات ، لابن شاكر . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٥١ م

(ق)

قراضة الذهب فى نقد أشعار العرب ، لابن رشيق - تحقيق الشاذلى بويحيى - الشركة التونسية للتوزيع - تونس ١٩٧٢ م

قطر الولى على حديث الولى للشوكانى ، تحقيق د. إبراهيم هلال

ابن قيم الجوزية حياته وآثاره ، للأستاذ بكر بن عبد الله أبو زيد - مكتبة المعارف - الرياض - ١٤٠٥ هـ

قانون البلاغة فى نقد النثر والشعر ، لأبى طاهر البغدادى - تحقيق د. محسن غياض - ط الثانية - مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م

(ك)

الكتاب لسيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون - ط الثالثة - مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر ، لأبى هلال العسكرى - تحقيق على البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم - ط الثانية - القاهرة ١٩٧١ م

الكشاف للزمخشرى ، ط الأولى - مطبعة مصطفى محمد - القاهرة ١٣٥٤ هـ

كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، للعجلونى - تصحيح أحمد القلاش - مكتبة التراث الإسلامى - حلب - د.ت

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون - وكالة المعارف الجليلة استانبول - ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٢ م

الكشف عن مساوىء المتنبى للصاحب بن عباد ، تحقيق إبراهيم الدسوقى البساطى - ملحق بطبعة الإبانة عن سرقات المتنبى للعميدى - الطبعة الثانية - دار المعارف - مصر ١٩٦٩ م

كنزل العمال فى سنن الأقوال والأفعال للبرهان فورى - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

(ل)

لسان الميزان ، لابن حجر العسقلانى - حيدراباد الهند ١٣٢٩ هـ

(م)

المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير - علق عليه د. أحمد الحوفى ، ود. بدوى طبانة - ط الثانية - دار نهضة مصر - القاهرة - ١٩٧٣ م

مجاز القرآن ، لأبى عبيدة - تحقيق د. محمد فؤاد سزكين - ط الثانية - مكتبة الخانجى - مصر - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

المجازات النبوية للشريف الرضى ، تحقيق طه الزينى - مؤسسة الحلبى - القاهرة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م

مجمع الزوائد ، للحافظ الهيثمى - دار الريان للتراث - القاهرة د.ت مصورة عن نشرة القدسى بمصر

المحصول فى أصول الفقه ، للرازى - تحقيق د. طه العلوانى - مطبوعات جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية - الرياض - ١٤٠١ هـ

مختصر آداب الفلاسفة ، لحنين بن إسحق - تحقيق د. عبد الرحمن بدوى - ط الأولى - معهد المخطوطات العربية - الكويت - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م

مختصر الشمائل المحمدية للترمذى ، للشيخ ناصر الدين الألبانى - ط الأولى - المكتبة الإسلامية - عمان - د.ت

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، لابن قيم الجوزية ط الثانية - تصحيح الناشر زكريا على يوسف - القاهرة ١٤٠٠ هـ

المخصص ، لابن سيده - تحقيق محمد محمود التركزى الشنقيطى - مطبعة بولاق - مصر - ١٣٢١ هـ

مدخل إلى تاريخ نشر التراث ، للدكتور محمود محمد الطناحى ، ط الأولى - مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

المستدرك على الصحيحين لأبى عبد الله الحاكم - دائرة المعارف العثمانية - الهند ١٣١٦ هـ

مسند أحمد بن حنبل - مصورة المكتب الإسلامى - بيروت -

مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزى - تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى - ط الثالثة - المكتب الإسلامى - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

المطول ، لسعد الدين التفتازانى - استانبول ١٣٣٠ هـ

معانى القرآن للفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتى وزميلاه - الهيئة المصرية العامة للكتاب

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، لعبد الرحيم العباسى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة والمكتبة التجارية بمصر ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م

معترك الأقران فى إعجاز القرآن ، للسيوطى - تحقيق على محمد البجاوى - القاهرة - ١٩٦٩ م - ١٩٧٣ م

معجم البلدان لياقوت الحموى ، ط المحروسة بمدينة غتنغة

معجم الدراسات القرآنية ، للدكتورة ابتسام الصفار - مطابع جامعة الموصل - بغداد ١٩٨٤ م

معجم الشيوخ (المعجم الكبير) للذهبى - تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة - مكتبة الصديق - السعودية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة - مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربى بيروت د.ت

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، للدكتور أحمد مطلوب - ط الأولى - مطبعة المجمع العلمى العراقى - أجزاء ثلاثة صدرت من أعوام (١٤٠٣ هـ - ١٤٠٧ هـ) - ١٩٨٣ - ١٩٨٧ م - بغداد .

معيار النظار فى علوم الأشعار ، للزنجانى - تحقيق د. محمد على رزق الخفاجى - دار المعارف - القاهرة ١٩٩١ م

مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة

مفتاح العلوم للسكاكى ، ط الأولى - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م

المفضليات ، للمفضل الضبى ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - دار المعارف - ط السادسة ١٩٧٩ م

المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة للسخاوى - صححه عبد الله محمد الصديق - مكتبة الخانجى بمصر والمثنى ببغداد ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م

مقامات الحريرى ، دار بيروت للطباعة والنشر - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

مقاييس اللغة ، لابن فارس - تحقيق عبد السلام محمد هارون - مطبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة ١٣٦٦ هـ

ملحقات ديوان بشار = ديوان بشار بن برد

المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ، لملا على قارى - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

المنتظم لابن الجوزى - دائرة المعارف العثمانية - الهند ١٣٥٧ هـ

المنتقى من أخبار المصطفى ﷺ ، لأبى البركات عبد السلام بن تيمية - ط الثانية - دار الفكر - بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م

المنصف لابن وكيع - تحقيق د. محمد يوسف نجم - ط الأولى - الكويت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لحازم القرطاجنى - تحقيق د. محمد الحبيب بلخوجة - دار الكتب الشرقية - تونس ١٩٦٦ م

منهج أهل السنة فى تفسير القرآن الكريم ، دراسة موضوعية لجهود ابن القيم فى التفسير ، للدكتور صبرى المتولى - دار الثقافة للنشر - القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

منهج أبى حيان فى تفسير البحر المحيط ، لعبد المجيد عبد السلام المحتسب - دكتوراه مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة

الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى ، للآمدى - تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف - القاهرة

(ن)

النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف – صنع عبد العزيز الميمنى الراجكوتى – المطبعة السلفية – القاهرة – ١٣٤٣ هـ

النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، لابن تغرى بردى – دار الكتب المصرية

نشرة أخبار التراث العربى – المجلد (٥) – الأعداد : ٥٥ – ٥٩

نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ، للبقاعى – دار المعارف العثمانية – حيدرأباد – الهند – ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م

نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر – نشرة كمال مصطفى – الطبعة الثالثة – مكتبة الخانجى – القاهرة ١٣٨٥ هـ – ١٩٧٨ م

النكت فى إعجاز القرآن ، للرمانى ، ضمن ثلاثة رسائل فى إعجاز القرآن – حققها محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول سلام – دار المعارف – ط الرابعة ١٩٩١ م

نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ، للرازى ، تحقيق د. بكرى شيخ أمين – ط الأولى – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٥ م .

نهاية الراغب فى شرح عروض ابن الحاجب ، للإسنوى – تحقيق د. شعبان صلاح – ط الأولى القاهرة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبى السعادات ابن الأثير – تحقيق د. محمود محمد الطناحى وطاهر أحمد الزاوى – مطبعة عيسى الحلبى – مصر –

نواهد الأبكار وشواهد الأفكار ، للسيوطى ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٣٣ تفسير .

نيل الأوطار من حديث سيد الأخيار ، للشوكانى – المطبعة العثمانية – مصر – ١٣٥٧ هـ – ١٩٣٨ م

(هـ)

همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطى – تحقيق د. عبد العال سالم مكرم – دار البحوث العلمية – الكويت ١٩٧٥ م

(و)

الوابل الصيب من الكلم الطيب ، لابن قيم الجوزية - ط السادسة - المكتبة السلفية - القاهرة - ١٤٠١ هـ

الوافى بالوفيات ، لصلاح الدين الصفدى - دار النشر فرانزشتاينر - فسبادن - ألمانيا - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية ، للمرصفى - حققه د. عبد العزيز الدسوقى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩١ م

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت .

(ى)

يتمية الدهر فى محاسن أهل العصر ، لأبى منصور الثعالبى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - مصر ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م

* * *

١٢ – فهرس موضوعات مقدمة ابن النقيب

الصفحة

* * *

الفن الأول فيما يتعلق بالمعانى من البلاغة وهو أربعة وثمانون قسما :

* * *

الفهارس الفنية

* * *

ولله الحمد فى الأولى والآخرة ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وكتب أبو يحيى زكريا سعيد على – السبت ٥ من ربيع الأول ١٤١٥ هـ – الموافق ١٣ من أغسطس ١٩٩٤ م

□ □ □